الكِفايـة

في التَّفسيرِ بِالمأْثورِ والدِّرايـة

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء التاسع والعشرون

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٣]- [سورة الصافات، الآية:٧٤]

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

الرقم الدولي(ISBN):٥-٧١٥-٧٢-٩٩٥٣
الطبعة الأولى، ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م
الناشر: دار القلم- بيروت – لبنان

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

Abdulla.khdhir@gmail.com
Abdulla. khdhir@hotmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (٦٣)}
[الأحزاب : ٦٣]

التفسير:

يسألك الناس -أيها الرسول- عن وقت القيامة استبعادًا وتكذيبًا، قل لهم: إنما علم الساعة عند الله، وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟

سبب النزول:

قال مقاتل:" وذلك أن النبي- ﷺ- كان يخطب، فسأله رجل عن الساعة فأوحى الله- عز وجل- إلى النبي- ﷺ-:{ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ}، يعنى: القيامة، {تَكُونُ قَرِيبًا}"(١).

قوله تعالى:{يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ} [الأحزاب : ٦٣]، أي:" يسألك الناس -أيها الرسول- عن وقت القيامة استبعادًا وتكذيبًا"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {يسألك الناس} يا محمد {عن الساعة} متى هي قائمة؟"(٣).

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ} [الأحزاب : ٦٣]، أي:" قل لهم: إنما علم الساعة عند الله"(٤).

قال الطبري:" قل لهم: إنما علم الساعة {عند الله} لا يعلم وقت قيامها غيره"(٥).

قال يحيى:" لا يعلم متى مجيئها إلا الله"(٦).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرا لرسوله ﷺ : أنه لا علم له بالساعة، وإن سأله الناس عن ذلك. وأرشده أن يرد علمها إلى الله ، عز وجل ، كما قال له في سورة "الأعراف" ، وهي مكية وهذه مدنية ، فاستمر الحال في رَدّ علمها إلى الذي يقيمها"(٧).

قال الزمخشري:" كان المشركون يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الهزء، واليهود يسألونه امتحانا، لأن الله تعالى عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب، فأمر رسول الله ﷺ بأن يجيبهم بأنه علم قد استأثر الله به، لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا} [الأحزاب : ٦٣]، أي:" وما يدريك -أيها الرسول- لعل زمانها قريب؟"(٩).

قال الطبري:" يقول: وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبا. قد قرب وقت قيامها، ودنا حين مجيئها"(١٠).

قال يحيى:" أي: أنها قريب"(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٠٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/٣٢٩.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/٣٢٩.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٤٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٤٨٣.

(٨) الكشاف: ٣/٥٦٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٠.

قال الزمخشري:" ثم بين لرسوله أنها قريبة الوقوع، تهديدا للمستعجلين، وإسكانا للممتحنين قريبا شيئا قريبا. أو لأن الساعة في معنى اليوم، أو في زمان قريب"[٢].

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦)} [الأحزاب : ٦٤-٦٦]

التفسير:

إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة، وأعدَّ لهم في الآخرة نارًا موقدة شديدة الحرارة، ماكثين فيها أبدًا، لا يجدون وليًّا يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيرًا ينصرهم، فيخرجهم من النار. يوم تُقَلَّب وجوه الكافرين في النار يقولون نادمين متحيِّرين: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله في الدنيا، فكنا من أهل الجنة.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ} [الأحزاب : ٦٤]، أي:" إن الله طرد الكافرين من رحمته في الدنيا والآخرة"[٣].

قال الطبري: يقول: "إن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : أبعدهم عن رحمته"[٥].

قال مقاتل:" يعني: كفار مكة"[٦].

قوله تعالى:{وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا} [الأحزاب : ٦٤]، أي:" وأعدَّ لهم في الآخرة نارًا موقدة شديدة الحرارة"[٧].

قال الطبري:" يقول: وأعد لهم في الآخرة نارا تتقد وتتسعر ليصليهموها"[٨].

قال مقاتل:" يعني: وقودا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : في الدار الآخرة"[١٠].

قال الزمخشري:" السعير: النار المسعورة الشديدة الإيقاد"[١١].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [الأحزاب : ٦٥]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[١٢].

قال الطبري:" يقول: ماكثين في السعير أبدا إلى غير نهاية"[١٣].

قال يحيى:" لا يموتون ولا يخرجون منها"[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٠/٢.

(٢) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٨) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.

(١١) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٣) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

قال ابن كثير:" أي : ماكثين مستمرين ، فلا خروج لهم منها ولا زوال لهم عنها"[٢].
قوله تعالى:{لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} [الأحزاب : ٦٥]، أي:" لا يجدون وليًّا يتولاهم ويدافع عنهم، ولا نصيرًا ينصرهم"[٣].
قال الطبري:" {لا يجدون وليا} يتولاهم، فيستنقذهم من السعير التي أصلاهموها الله {ولا نصيرا} ينصرهم، فينجيهم من عقاب الله إياهم"[٤].
قال يحيى:" {لا يجدون وليا} يمنعهم من العذاب، {ولا نصيرا} ينصرهم"[٥].
قال ابن كثير:" أي : وليس لهم مغيث ولا معين ينقذهم مما هم فيه "[٦].
قوله تعالى:{يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ} [الأحزاب : ٦٦]، أي:" يوم تُقَلَّب وجوه الكافرين في النار "[٧].
قال الطبري:" لا يجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا في يوم تقلب وجوههم في النار حالا بعد حال"[٨].
قال ابن كثير:" أي : يسحبون في النار على وجوههم ، وتلوى وجوههم على جهنم"[٩].
قال الزمخشري:" معنى تقليبها: تصريفها في الجهات، كما ترى البضعة تدور في القدر إذا غلت فترامى بها الغليان من جهة إلى جهة. أو تغييرها عن أحوالها وتحويلها عن هيئاتها. أو طرحها في النار مقلوبين منكوسين. وخصت الوجوه بالذكر، لأن الوجه أكرم موضع على الإنسان من جسده"[١٠].
وقرئ: «تقلب»، على البناء للمفعول. و«تقلب»، بمعنى تتقلب. و«نقلب»، أى: نقلب نحن[١١].
قوله تعالى:{يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا} [الأحزاب : ٦٦]، أي:" يقولون نادمين متحيّرين: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا رسوله في الدنيا، فكنا من أهل الجنة"[١٢].
قال الطبري:" {يقولون} وتلك حالهم في النار: {يا ليتنا أطعنا الله} في الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه، فكنا مع أهل الجنة في الجنة، يا لها حسرة وندامة، ما أعظمها وأجلها"[١٣].
قال ابن كثير:" يقولون وهم كذلك ، يتمنون أن لو كانوا في الدار الدنيا ممن أطاع الله وأطاع الرسول ، كما أخبر الله عنهم في حال العرصات بقوله : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٠/٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.
(٤) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٠/٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٧.
(٨) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٨٣/٦.
(١٠) الكشاف: ٥٦٢/٣.
(١١) انظر: الكشاف: ٥٦٢/٣.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.
(١٣) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا } [الفرقان : ٢٧ - ٢٩]، وقال تعالى : { رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ } [الحجر : ٢] ، وهكذا أخبر عنهم في حالتهم هذه أنهم يودون أن لو كانوا أطاعوا الله ، وأطاعوا الرسول في الدنيا"[١].

القرآن

{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)} [الأحزاب : ٦٧-٦٨]

التفسير:

وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطَعْنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهُدى والإيمان. ربنا عذِّبهم من العذاب مثلَيْ عذابنا الذي تعذبنا به، واطردهم من رحمتك طردًا شديدًا.

قوله تعالى:{وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} [الأحزاب : ٦٧]، أي:" وقال الكافرون يوم القيامة: ربنا إنا أطَعْنا أئمتنا في الضلال وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن طريق الهُدى والإيمان"[٢].

قال الطبري:يقول: " وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك، فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : اتبعنا السادة وهم الأمراء والكبراء من المشيخة ، وخالفنا الرسل واعتقدنا أن عندهم شيئا ، وأنهم على شيء فإذا هم ليسوا على شيء"[٤].

قال مقاتل:" فهذا قول الأتباع من مشركي العرب من أهل مكة قالوا: {ربنا إنا أطعنا سادتنا}، نزلت في اثني عشر رجلا وهم المطعمون يوم بدر فيهم أبو جهل بن هشام، وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، {وكبراءنا}، يعني: ذوي الأسنان منا فى الكفر، {فأضلونا السبيلا}، يعني: المطعمين في غزوة بدر والمستهزئين من قريش، فأضلونا عن سبيل الهدى، يعنى: عن التوحيد"[٥].

عن قتادة، قوله: "{ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا}، أي: رءوسنا في الشر والشرك"[٦].

قال ابن زيد:" هم رءوس الأمم الذين أضلوهم، قال: سادتنا وكبراءنا واحد"[٧].

وقال طاوس : "{سادتنا}: يعني: الأشراف ، و{كبراءنا}: يعني العلماء"[٨].

قال الزمخشري:" {ساداتنا}: هم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم"[٩].

قال النحاس:" وكان في هذا زجر عن التقليد"[١٠].

وقرأ الحسن: "«إنا أطعنا ساداتنا»، بكسر التاء، لأنه جمع مسلم لـ«سادة»"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/٤٨٣-٤٨٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٤٨٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٠٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٣١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٣١.

(٨) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير ٦:٤٨٤.

(٩) الكشاف: ٣/٥٦٢.

(١٠) إعراب القرآن: ٣/٢٢٤.

قوله تعالى:{رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ} [الأحزاب : ٦٨]، أي:" ربنا عذِّبهم من العذاب مثلَيْ عذابنا الذي تعذبنا به"[٢].

قال الطبري: يقول: " يقول: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا"[٣].

قال السمعاني:" أي: عذبهم ضعفي عذاب غيرهم. وقيل: عذبهم عذاب الدنيا والآخرة، والأول أولى"[٤].

قال ابن كثير:" أي : بكفرهم وإغوائهم إيانا"[٥].

قال الزمخشري:" ضعفين ضعفا لضلاله وضعفا لإضلاله: يعترفون، ويستغيثون، ويتمنون، ولا ينفعهم شيء من ذلك"[٦].

قال مقاتل:" يعنون القادة والرءوس من كفار قريش"[٧].

قوله تعالى:{وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا} [الأحزاب : ٦٨]، أي:" واطردهم من رحمتك طردًا شديدًا"[٨].

قال الطبري:" يقول: واخزهم خزيا كبيرا"[٩].

قال مقاتل:" يعني: عظيما، يعني: اللعن على أثر اللعن"[١٠].

قال السمعاني:" أي: مرة بعد مرة"[١١].

وقرئ:«لعنا كثيرا»، من الكثرة[١٢]. قال الزجاج:"ومعناهما قريب"[١٣].

قال الزمخشري:" وقرئ: «كثيرا»، تكثيرا لإعداد اللعائن. و«كبيرا»، ليدل على أشد اللعن وأعظمه"[١٤].

عن عبيد الله بن أبي رافع، في تسمية مَنْ شهد مع علي ، رضي الله عنه : "الحجاج بن عمرو بن غَزِيَّة ، وهو الذي كان يقول عند اللقاء : يا معشر الأنصار ، أتريدون أن تقولوا لربنا إذا لقيناه:{رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا }؟"[١٥].

فوائد الآيات:[٦٣-٦٨]:

١- بيان أن علم الساعة استأثر الله به فلا يعلم وقت مجيئها غيره.

---

(١) إعراب القرآن: ٢٢٤/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٣) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٠٩/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٨٤/٦.

(٦) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٩) تفسير الطبري: ٣٣٠/٢٠.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٣.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٠٩/٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣١/٢٠.

(١٣) معاني القرآن: ٢٣٧/٤.

(١٤) الكشاف: ٥٦٢/٣.

(١٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٢٢٣/٣).

٢- بيان أن الساعة قريبة القيام، ولا منافاة بين قربها وعدم علم قيامها.
٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر أحوال الكافرين فيها.
٤- بيان أن طاعة السادة والكبراء في معاصي الله ورسوله يعود بالوبال على فاعليه وموجبة لسخط الله وعقابه، وأن التابع والمتبوع في العذاب مشتركون، فليحذر المسلم ذلك.

القرآن
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا (٦٩)} [الأحزاب : ٦٩]
التفسير:
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تؤذوا رسول الله بقول أو فعل، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبيَّ الله موسى، فبرَّأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور، وكان عند الله عظيم القدر والجاه.

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٦٩]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لأصحاب نبي الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله"[٢].

قوله تعالى:{لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا} [الأحزاب : ٦٩]، أي:" ا تؤذوا رسول الله بقول أو فعل، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا نبيَّ الله موسى، فبرَّأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور"[٣].

قال الطبري: يقول:" لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبي الله فرموه بعيب كذبا وباطلا {فبرأه الله مما قالوا} فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم"[٤].

وفيما آذوا به رسوله محمد -ﷺ-، قولان :
أحدهما : قولهم زيد بن محمد ، حكاه النقاش[٥].
الثاني : أن النبي -ﷺ-قسم قسماً فقال رجل من الأنصار إن هذه القسمة ما أُريد بها وجه الله فذكر ذلك للنبي -ﷺ- فغضب وقال : « رحم الله موسى قد أوذى بأكثر من هذا فصبر»[٦]. قاله أبو وائل[٧].

واختلف أهل التأويل في الأذى الذي أوذي به موسى الذي ذكره الله في هذا الموضع؛ على أقوال:
أحدها : أن رَمَوهُ بالسحر والجنون. حكاه الماوردي[٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/٣٣١-٣٣٢.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٢.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٢٠.
(٦)أخرجه أحمد (١/٣٨٠، رقم ٣٦٠٨) ، والبخارى (٣/١١٤٨، رقم ٢٩٨١) ، ومسلم (٢/٧٣٩، رقم ١٠٦٢) . وأخرجه أيضا: ابن حبان (١١/١٦٠، رقم ٤٨٢٩). عن ابن مسعود-رضي الله عنه-.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٢٠.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٢٧.

الثاني : أن قوله رموه بأنه آدر. قاله ابن عباس[١]، وابن زيد[٢]، ورواه أبو هريرة عن رسول الله -ﷺ-[٣].

قال ابن عباس:" قال له قومه: إنك آدر، فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به إلى مجالس بني إسرائيل، قال: فرأوه ليس بآدر، قال: فذلك قوله: {فبرأه الله مما قالوا}"[٤].

قال ابن عباس:" كان أذاهم موسى أنهم قالوا والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر، فآذى ذلك موسى، فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة، فلما قضى موسى غسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه انطلقت الصخرة تسعى بثوبه وأنطلق يسعى في أثرها حتى مرت على مجلس بني إسرائيل وهو يطلبها، فلما رأوا موسى ﷺ متجردا لا ثوب عليه قالوا: والله ما نرى بموسى بأسا، وإنه لبريء مما كنا نقول له فقال الله: {فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها}"[٥].

وقال ابن زيد:" كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه، قال: فكانوا يقولون: ما يحمله على ذلك إلا عيب في فرجه يكره أن يرى، فقام يوما يغتسل في الصحراء فوضع ثيابه على صخرة، فاشتدت بثيابه، قال: وجاء يطلبها عريانا حتى اطلع عليهم عريانا، فرأوه بريئا مما قالوا، وكان عند الله وجيها، قال: والوجيه في كلام العرب: المحب المقبول"[٦].

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "{لا تكونوا كالذين آذوا موسى}، قال: قالوا هو آدر قال: فذهب موسى يغتسل، فوضع ثيابه على حجر فمر الحجر بثيابه فتبع موسى قفاه، فقال: ثيابي حجر. فمر بمجلس بني إسرائيل، فرأوه؛ فبرأه الله مما قالوا (وكان عند الله وجيها}"[٧].

الثالث: ما رواه أبو هريرة عن النبي -ﷺ-، أنه قال : "إن موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى من جلده شيء استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا الستر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا بموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملإٍ من بين إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله تعالى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا}"[٨].

الرابع : ما رواه ابن عباس عن علي رضي الله عنه أن :" صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مروا به على بني إسرائيل، وتكلمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٣/٢٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٠-٣٣٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٣٣/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٢/٢٠.

(٨)أخرجه البخارى (١٢٤٩/٣، رقم ٣٢٢٣) ، والترمذى (٣٥٩/٥، رقم ٣٢٢١) وقال: حسن صحيح.

إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم؛ فجعله الله أصم أبكم"[1].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبي الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم: إنه أبرص. وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كل ذلك؛ لأنه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحق مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا"[2].
قوله تعالى:{وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا} [الأحزاب : ٦٩]، أي:" وكان عند الله عظيم القدر والجاه"[3].
قال الطبري: "يقول: وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه"[4].
عن الحسن، قوله: :"{وكان عند الله وجيها}، قال: مستجاب الدعوة"[5].
عن سنان، عمن حدثه في قوله: "{وكان عند الله وجيها}، قال: ما سأل موسى عليه السلام ربه شيئا قط إلا أعطاه إياه إلا النظر"[6].

القرآن
{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠)} [الأحزاب : ٧٠]
التفسير:
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، اعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته؛ لئلا تستحقوا بذلك العقاب، وقولوا في جميع أحوالكم وشؤونكم قولا مستقيمًا موافقًا للصواب خاليًا من الكذب والباطل.
قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأحزاب : ٧٠]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[7].
قال الطبري: يقول:" يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله"[8].
قوله تعالى:{اتَّقُوا اللَّهَ} [الأحزاب : ٧٠]، أي:" راقبوا الله في جميع أقوالكم وأفعالكم"[9].
وأفعالكم"[9].
قال الطبري: يقول:" اتقوا الله أن تعصوه، فتستحقوا بذلك عقوبته"[10].
قوله تعالى:{وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا} [الأحزاب : ٧٠]، أي:" وقولوا قولاً مستقيماً مرضياً لله"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٠.
(٢) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤٢٧.
(٤) تفسير الطبري: ٣٣٢/٢٠.
(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٠٤):ص٣١٥٨/١٠.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٠٥):ص٣١٥٨/١٠.
(٧) التفسير الميسر: ٤٢٧.
(٨) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٩٥/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.

قال الطبري: " يقول: قولوا في رسول الله والمؤمنين قولا قاصدا غير جائز، حقا غير باطل"[٢].

قال الزمخشري:"{ولا سديدا}: قاصدا إلى الحق والسداد: القصد إلى الحق، والقول بالعدل. يقال: سدد السهم نحو الرمية: إذا لم يعدل به عن سمتها، كما قالوا: سهم قاصد، والمراد: نهيهم عما خاضوا فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول، والبعث على أن يسد قولهم في كل باب لأن حفظ اللسان وسداد القول رأس الخير كله. والمعنى: راقبوا الله في حفظ ألسنتكم، وتسديد قولكم، فإنكم إن فعلتم ذلك أعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والإثابة عليها، ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها. وقيل إصلاح الأعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية وهذه الآية مقررة للتي قبلها، بنيت تلك على النهى عما يؤذى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهذه على الأمر باتقاء الله تعالى في حفظ اللسان، ليترادف عليهم النهى والأمر، مع اتباع النهى ما يتضمن الوعيد من قصة موسى عليه السلام، وإتباع الأمر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الأذى والداعي إلى تركه"[٣].

عن مجاهد: "{وقولوا قولا سديدا}، يقول: سدادا"[٤].

عن الكلبي: "{وقولوا قولا سديدا}، قال: صدقا"[٥].

قال مقاتل:" يعني: قولا عدلا وهو التوحيد"[٦].

قال قتادة:" أي: عدلا، يعني به: في منطقه وفي عمله كله، و«السديد»: الصدق"[٧].

عن عكرمة ، قوله:"{وقولوا قولا سديدا}، قولوا: لا إله إلا الله"[٨].

عن أبي موسى الأشعري، قال: "صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الظهر، ثم قال «على مكانكم اثبتوا، ثم أتى الرجال فقال: إن الله أمرني أن آمركم أن تتقوا الله وأن تقولوا قولا سديدا ثم أتى النساء فقال: إن الله أمرني أن آمركن أن تتقين الله وأن تقلن قولا سديدا»[٩].

القرآن

{يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)} [الأحزاب : ٧١]

التفسير:

إذا اتقيتم الله وقلتم قولا سديدًا أصلح الله لكم أعمالكم، وغفر ذنوبكم. ومن يطع الله ورسوله فيما أمر ونهى فقد فاز بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [الأحزاب : ٧١]، أي:" إذا اتقيتم الله وقلتم قولا سديدًا أصلح الله لكم أعمالكم"[١٠].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٩٥/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(٣) الكشاف: ٥٦٣/٣-٥٦٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٣٥/٢٠-٣٣٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٠٦):ص٣١٥٨/١٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٧.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال، فيصلح أعمالكم"[1].

قال السمعاني:" أي: يزك لكم أعمالكم. وقيل: يصلح لكم أعمالكم: يتقبل منكم الحسنات"[2].

قال ابن عباس: يتقبل حسناتكم"[3].

وقال مقاتل: يعني: يزكي لكم أعمالكم بالتوحيد"[4].

قال يحيى:" لا يقبل العمل إلا ممن قال: لا إله إلا الله مخلصا من قلبه"[5].

قال الحسن:" إن الله لا يقبل عمل عبد حتى يرضى قوله"[6].

قوله تعالى:{وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ} [الأحزاب : ٧١]، أي:" ويمحو عنكم الذنوب والأوزار"[7].

قال الطبري:" يقول: ويعف لكم عن ذنوبكم، فلا يعاقبكم عليها"[8].

قال السمعاني:" أي: يسترها ويعف عنها"[9].

قال سهل:" من وفقه الله لصالح الأعمال فذاك دليل على أنه مغفور له، لأن الله تعالى قال: {يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم}"[10].

قوله تعالى:{وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب : ٧١]، أي:" ومن يطع الله ورسوله فيما أمر ونهى فقد فاز بالكرامة العظمى في الدنيا والآخرة"[11].

قال الطبري:" {ومن يطع الله ورسوله} فيعمل بما أمره به وينتهي عما نهاه ويقل السديد، فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله"[12].

قال مقاتل:" يقول: قد نجا بالخير وأصاب منه نصيبا وافرا"[13].

قال السمعاني:" أي: ظفر بالخير كله"[14].

قال يحيى:" وهي النجاة العظيمة من النار إلى الجنة"[15].

القرآن

---

(١) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٢) تفسير السمعاني: ٣١١/٤.

(٣) انظر: الوسيط للواحدي: ٤٨٤/٣، وتفسير البغوي: ٣٧٩/٦، وزاد المسير: ٤٢٧/٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٣.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤١/٢.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٤١/٢.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٩٥/٢.

(٨) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(٩) تفسير السمعاني: ٣١١/٤.

(١٠) تفسير التستري: ١٢٧.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٣٦/٢٠.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٣.

(١٤) تفسير السمعاني: ٣١١/٤.

(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤١/٢.

{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب : ٧٢]

التفسير:

إنا عرضنا الأمانة -التي ائتمن الله عليها المكلَّفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها، وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه، إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه.

قوله تعالى:{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب : ٧٢]، أي:" إنا عرضنا الأمانة -التي ائتمن الله عليها المكلَّفين من امتثال الأوامر واجتناب النواهي- على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وخفن أن لا يقمن بأدائها"[١].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ} [الأحزاب : ٧٢]، على أقوال:

أحدها : أنها الفرائض، عرضها الله على السموات والأرض والجبال، إن أدتها أثابها، وإن ضيعتها عذبها، فكرهت ذلك وعرضها على آدم فقبلها بما فيها، قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، والحسن[٤]، وابن جبير[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، وابن زيد[٨]، وأبو العالية[٩]، وابن جريج[١٠]، وبه قال ابن قتيبة[١١]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٢].

عن ابن عباس، قوله: "{إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال}، إن أدوها أثابهم وإن ضيعوها عذبهم، فكرهوا ذلك، وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها، وهو قوله: {وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}، غرا بأمر الله"[١٣].

قال ابن عباس:" عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها فإن أطعت غفرت لك وإن عصيت عذبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة"[١٤].

قال مجاهد:" لما خلق الله السموات والأرض والجبال، عرض الأمانة عليهن فلم يقبلوها، فلما خلق آدم عليه السلام عرضها عليه قال: يا رب، وما هي؟ قال: هي إن أحسنت

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٦-٣٣٧.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٧٨١٥):ص١٠/٣١٦٠.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٣٨٤):ص٣/٥٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٦.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٩-٣٤٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٨، وتفسير عبدالرزاق(٢٣٨٥):ص٣/٥٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٩.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨١١):ص١٠/٣١٥٩.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨١٣):ص١٠/٣١١٠.

(١١) انظر: غريب القرآن: ٣٥٢.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٣/٤٨٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٣٧.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٣٧.

أجرتك وإن أسأت عذبتك قال: فقد تحملت يا رب قال: فما كان بين أن تحملها إلى أن أخرج إلا قدر ما بين الظهر والعصر"[١].

عن قتادة، قوله: "{إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال}، يعني به: الدين والفرائض والحدود، {فأبين أن يحملنها وأشفقن منها}، قيل لهن: احملنها تؤدين حقها؟ فقلن: لا نطيق ذلك: {وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا}، قيل له: أتحملها؟ قال: نعم، قيل: أتؤدي حقها؟ قال: نعم، قال الله: إنه كان ظلوما جهولا عن حقها"[٢].

قال ابن زيد:" إن الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين، ويجعل لهن ثوابا وعقابا، ويستأمنهن على الدين، فقلن: لا نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثوابا ولا عقابا، قال رسول الله ﷺ: "وعرضها الله على آدم، فقال: بين أذني وعاتقي". قال ابن زيد فقال الله له: أما إذ تحملت هذا فسأعينك، أجعل لبصرك حجابا إذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك، فأرخ عليه حجابه، وأجعل للسانك بابا وغلقا، فإذا خشيت فأغلق، وأجعل لفرجك لباسا، فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك"[٣].

عن ابن أشوع في الآية، قال: "عرض عليهن العمل وجعل لهن الثواب فضججن ثلاثة أيام ولياليهن، فقلن: ربنا لا طاقة لنا بالعمل ولا نريد الثواب"[٤].

وقال أهل العلم: "الأمانة قطب الإيمان"[٥].

قال النبي-ﷺ-: "لا إيمان لمن لا أمانة له"[٦].

قال السمعاني:" ومن الأمانة: أن يكون الباطن موافقا للظاهر، فكل من عمل عملا يخالف عقيدته فقد خان الله ورسوله. وقد قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} [الأنفال : ٢٧]، نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وقد كان وضع أصبعه على حلقه، يشير إلى بني النضير إنكم إن نزلتم فهو الذبح"[٧].

الثاني: أنها الأمانات التي يأتمن الناس بعضهم بعضاً عليها وأولها ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله ، وولده حين أراد التوجه إلى أمر ربه فخان قابيل الأمانة في قتل أخيه هابيل ، قاله السدي[٨].

روي عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قال: "كان لا يولد لآدم مولود إلا ولد معه جارية، فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى ولد له اثنان، يقال لهما: قابيل وهابيل، وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإن هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل، فأبى عليه وقال: هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى، وإنهما قربا قربانا إلى الله أيهما أحق بالجارية، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما، أي بمكة ينظر إليها، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٨١٥):ص١٠/٣١٦٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٣٩-٣٤٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٣٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨١٦):ص١٠/٣١٦٠.

(٥) تفسير السمعاني: ٤/٣١٢.

(٦) قطعة من حديث أخرجه الطبرانى (١١/٢١٣، رقم ١١٥٣٢) قال الهيثمى (١/١٧٢) : فيه حسين بن قيس قيس الملقب بحنش، وهو متروك الحديث. وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٤/٣٤٣، رقم ٢٤٥٨).

(٧) تفسير السمعاني: ٤/٣١٢.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٤١-٣٤٢، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤/٤٢٩-٤٣٠، وابن وابن الجوزي في زاد المسير: ٣/٤٨٧-٤٨٨. بدون إسناد.

لي بيتا في الأرض؟ قال: اللهم لا قال: إن لي بيتا بمكة فأته، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة فأبت، وقال للأرض فأبت، فقال للجبال فأبت، فقال لقابيل فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك، فلما انطلق آدم وقربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحق بها منك؛ هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصي والدي، فلما قربا، قرب هابيل جذعة سمينة وقرب هابيل حزمة سنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها، فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي فقال هابيل {إنما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ... } إلى قوله {فطوعت له نفسه قتل أخيه} فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه في رءوس الجبال، وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات، وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن؛ فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال: {ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي} فهو قول الله تبارك وتعالى: {فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه} فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول: {إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال ... } إلى آخر الآية"(١).

عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: "القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها، أو قال: يكفر كل شيء إلا الأمانة؛ يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له: أد أمانتك، فيقول: أي رب وقد ذهبت الدنيا، ثلاثا. فيقال: اذهبوا به إلى الهاوية، فيذهب به إليها، فيهوي فيها حتى ينتهي إلى قعرها، فيجدها هناك كهيئتها، فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها إلى شفير جهنم، حتى إذا رأى أنه قد خرج زلت، فهوى في أثرها أبد الآبدين". قالوا: والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث، وأشد ذلك الودائع، فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق"(٢).

الثالث: أنها ائتمان الرجال والنساء على الفروج ، قاله أبيّ بن كعب(٣).

قال أبيّ بن كعب:" من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها"(٤).

روي عن أبي حازم، قال: "إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التي تليها حتى فرغ منها، ثم الأرضين ثم الجبال، ثم عرضها على آدم فقال: نعم بين أذني وعاتقي. فثلاث آمرك بهن فإنهن لك عون: إني جعلت لك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه، وجعلت لك فرجا وواريته فلا تكشفه إلى ما حرمت عليك"(٥).

وعن أبي حمزة السكري أنه قال: "إني أعلم من نفسي أني أؤدي الأمانة في مائة ألف دينار، ومائة ألف دينار، ومائة ألف دينار إلى أن ينقطع النفس، ولو باتت عندي امرأة وأتمنت عليها خفت ألا أسلم منها"(٦).

الرابع : أن هذه الأمانة هي ما أودعه الله في السموات والأرض والجبال والخلق من الدلائل على ربوبيته أن يظهرونها فأظهروها إلا الإنسان فإنه كتمها وجحدها. حكاه الماوردي عن بعض المتكلمين(١).

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٤١-٣٤٢، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير-مختصرا-: ٣/٤٨٧-٤٨٨. بدون إسناد.

(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/٣٤٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٣٣٩.

(٤) أخرجه الطبريك ٢٠/٣٣٩.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٤٠-٣٤١.

(٦) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٤/٣١١.

قال ابن كثير:" كل هذه الأقوال لا تنافي بينها ، بل هي متفقة وراجعة إلى أنها التكليف ، وقبول الأوامر والنواهي بشرطها ، وهو أنه إن قام بذلك أثيب ، وإن تركها عُوقِبَ ، فقبلها الإنسان على ضعفه وجهله وظلمه ، إلا مَنْ وفق اللَّهُ ، وبالله المستعان"(٢).

وللمفسرين في المراد بعرض الأمانة على السموات والأرض، ثلاثة اقوال:

أحدها: أن الله تعالى ركب العقل في هذه الأعيان، وأفهمهن خطابه، وأنطقهن بالجواب حين عرضها عليهن، ولم يرد بقوله: «أَبَيْنَ» المخالفة، ولكن أبين للخشية والمخافة، لأن العرض كان تخييرا لا إلزاما، و«أشفقن»، بمعنى: خفن منها أن لا يؤدينها فيلحقهن العقاب، حكاه ابن الجوزي عن الأكثرين(٣).

والثاني: أن المراد بالآية: إنا عرضنا الأمانة على أهل السموات وأهل الأرض وأهل الجبال من الملائكة، قاله الحسن(٤).

قال السمعاني:" وهو مثل قوله: {واسأل القرية} أي: أهل القرية"(٥).

الثالث: ذكره الزجاج، قال:" حقيقة هذه الآية - والله أعلم، وهو موافق للتفسير - أن الله عز وجل ائتمن بني آدم على ما افترضه عليهم من طاعته، وائتمن السماوات والأرض والجبال على طاعته والخضوع له، فأعلمنا الله أنه قال: {ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ} [فصلت : ١١]. وأعلمنا أن من الحجارة ما يهبط من خشية الله وأن الشمس والقمر والنجوم والملائكة وكثيرا من الناس يسجدون لله. فأعلمنا الله أن السماوات والأرض والجبال لم تحتمل الأمانة، أي: أدتها، وكل من خان الأمانة فقد احتملها، وكذلك كل من أثم فقد احتمل الإثم، قال الله عز جل: {وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ} [العنكبوت : ١٣]. فأعلم الله أن من باء بالإثم يسمى حاملا للإثم. فالسماوات والأرض والجبال أبين أن يحملن الأمانة وأدينها. وأداؤها طاعة الله فيما أمر به، والعمل به وترك المعصية. وحملها الإنسان، قال الحسن: «الكافر والمنافق حملا الأمانة ولم يطيعا»(٦). فهذا المعنى والله أعلم"(٧).

قال السمعاني:" وقد أحسن وأجاد أبو إسحاق الزجاج في هذا القول"(٨).

قوله تعالى:{وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ} [الأحزاب : ٧٢]، أي:" وحملها الإنسان والتزم بها على ضعفه"(٩).

وفي المراد بالإنسان، أربعة أقوال:

أحدها: أنه آدم-عليه السلام-. قاله أبو العالية(١٠)، ومقاتل(١١)، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور(١).

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٢٩.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٤٨٩.

(٣) انظر: زاد المسير: ٣/٤٨٨.

(٤) انظر: زاد المسير: ٣/٤٨٨.

(٥) تفسير السمعاني: ٤/٣١٣.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١/٣٨٠، وزاد المسير: ٣/٤٨٨.

(٧) معاني القرآن: ٤/٢٣٨.

(٨) تفسير السمعاني: ٤/٣١٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨١١):ص١٠/٣١٥٩.

(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥١١.

وحكي الماوردي عن الحسن، قال:"أنه آدم ثم انتقلت منه إلى ولده" [٢].

حكي ابن قتيبة عن بعض المفسرين: "إن آدم لما حضرته الوفاة قال: يا رب! من أستخلف بعدي؟ فقيل له: اعرض خلافتك على جميع الخلق، فعرضها، فكل أباها غير ولده"[٣].

الثاني: قابيل. في قول السدي[٤].

الثالث: المنافق والمشرك، قاله الحسن[٥].

قال الحسن:" هما اللذان ظلماها، هما اللذان خاناها: المنافق والمشرك"[٦].

الرابع: جميع الناس، قاله ثعلب[٧].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} [الأحزاب : ٧٢]، أي:" إنه كان شديد الظلم والجهل لنفسه"[٨].

قال مقاتل:" ظلوما لنفسه بخطيئته، جهولا بعاقبة ما تحمل من الطاعة على الثواب والعقاب"[٩].

قال ابن عباس:" يعني: غرا بأمر الله"[١٠].

قال قتادة:" ظلوما لها، يعني: الأمانة، جهولا عن حقها"[١١].

قال ابن جريج:" إنه كان ظلوما ظلمه نفسه في خطيئته، جهولا بعاقبة ما تحمل"[١٢].

قال يحيى:" {إنه كان ظلوما} لنفسه. {جهولا} بربه، وهذا المشرك"[١٣].

القرآن

{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٧٣]

التفسير:

لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بستر ذنوبهم وترك عقابهم. وكان الله غفورًا للتائبين من عباده، رحيمًا بهم.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٤٨٨/٣.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٤.

(٣) غريب القرآن: ٣٥٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٤١، حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٢٩/٤-٤٣٠، وابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٧/٣-٤٨٨. بدون إسناد.

(٥) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٣٨٠/١، وزاد المسير: ٤٨٨/٣.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٣٨٠/١.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤٣٠/٤، وزاد المسير: ٤٨٨/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨١٠):ص٣١٥٩/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨١٣):ص٣١٥٩/١٠.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٢/٢.

قوله تعالى:{لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ} [الأحزاب : ٧٣]، أي:" لتكون عاقبة حمل الإنسان الأمانة أن يعذب الله المنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُخفون الكفر، والمنافقات، والمشركين في عبادة الله غيره، والمشركات"(١).

قال الطبري: يقول:" وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستسرون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان {والمشركات}"(٢).

قال السمعاني:" «اللام» -ها هنا-: لام كي، ومعناه: كي يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات يعني إذا خانوا"(٣).

قال القرطبي:" اللام في{ليعذب} متعلقة بـ«حمل»، أي: حملها ليعذب العاصي ويثيب المطيع، فهي لام التعليل، لأن العذاب نتيجة حمل الأمانة. وقيل بـ«عرضنا»، أي عرضنا الأمانة على الجميع ثم قلدناها الإنسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله، وإيمان المؤمن ليثيبه الله"(٤).

قال ابن كثير:" أي : إنما حمل ابن آدم الأمانة وهي التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله ، { وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ }، وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ، عز وجل ، ومخالفة رسله"(٥).

وقال مقاتل:" يقول: عرضنا الأمانة على الإنسان لكي يعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات بما خانوا الأمانة وكذبوا الرسل، ونقضوا الميثاق الذي أقروا به على أنفسهم، يوم أخرجهم من ظهر آدم- عليه السلام- حين قال- عز وجل- {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى} [الأعراف : ١٧٢]، فنقضوا هذه المعرفة وتركوا للطاعة، يعنى: التوحيد"(٦).

عن قتادة: "{ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات}، هذان اللذان خاناها"(٧).

قال الحسن:" اللذان خاناها اللذان ظلماها: المنافق والمشرك"(٨).

قوله تعالى:{وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [الأحزاب : ٧٣]، أي:" ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بستر ذنوبهم وترك عقابهم"(٩).

قال الطبري: يقول:"{ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات} يرجع بهم إلى طاعته وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدوها"(١٠).

قال السمعاني:" أي: يهديهم ويرحمهم إذا أدوا الأمانة"(١١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٣) تفسير السمعاني: ٣١٤/٤.

(٤) تفسير القرطبي: ٢٥٨/١٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(١١) تفسير السمعاني: ٣١٤/٤.

قال ابن كثير:" أي : وليرحم المؤمنين من الخلق الذين آمنوا بالله ، وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته"[1].

قال مقاتل:" يقول: ولكي يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات بما وفوا بالأمانة ولم ينقضوا الميثاق"[2].

عن قتادة: "{ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات}، هذان اللذان أدياها"[3].

وقرئ الحسن« وَيَتُوب» بالرفع يقطعه من الأول، أي: يتوب الله عليهم بكل حال[4].

قوله تعالى:{وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الأحزاب : ٧٣]، أي:" وكان الله غفورًا للتائبين من عباده، رحيمًا بهم"[5].

قال مقاتل:" {وكان الله غفورا} لذنوبهم، {رحيما} بهم"[6].

قال الطبري: يقول:"{وكان الله غفورا} لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها، {رحيما} أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها"[7].

فوائد الآيات:[٦٩-٧٣]:

١- وجوب تقوى الله عز وجل بفعل الأوامر واجتناب المناهي.

٢- صلاح الأعمال لتثمر للعاملين الزكاة للنفس، وطيب الحياة متوقف على التزام الصدق في القول والعمل وهو القول السديد المنافي للكذب والانحراف في القول والعمل.

٣- طاعة الله ورسوله سبيل الفوز والفلاح في الدين.

٤- وجوب رعاية الأمانة وأدائها، ولم يخل احد من أمانة.

٥- وصف الإنسان بالظلم والجهل وبالكفر والمهانة والضعف ف آيات أخرى يستلزم طلب علاج لهذه الصفات وعلاجها جاء مبيناً في سورة المعارج في قوله: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ} [المعارج : ٢٢]، إلي قوله {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المعارج : ٣٤].

«آخر تفسير سورة (الأحزاب)، والحمد لله وحده»

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٣/٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٤٣/٢٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٢٥٨/١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١١/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٣٤٣/٢٠.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «سبأ»

سورة «سبأ»: هي السورة «الرابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثامنة والخمسون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «لقمان»(١). عدد آياتها خمس وخمسون فى عد الشام، وأربع فى عد الباقى. وكلماتها ثمانمائة وثمانون. وحروفها أربعة آلاف وخمسمائة واثنا عشر(٢).

والمختلف فيها آية واحدة: {عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ : ١٥]، فواصل آياتها: «ظن لمدبر»(٣). لمدبر»(٣).

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة سبأ»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة سبأ»، وكتبت في المصاحف وكتب التفسير، سميت سورة سبأ، لاشتمالها على قصة سبأ {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ : ١٥](٤).

قال المهايمني:" سميت بها، لتضمن قصتها آية تدل على نعيم الجنة في السعة وعدم الكلفة والخلو عن الآفة وتبديلها بها بالنقك، لمن كفر بالمنعم، وهذا من أعظم مقاصد القرآن"(٥).

ولا يعرف لهذه السورة اسم غيره.

قال ابن عاشور:" هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء ولم أقف على تسميتها في عصر النبوءة"(٦).

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس(٧)، وقتادة(٨)، ويحيى بن سلام(٩).

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"(١٠).

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"(١١).

الثاني: أنها مكية إلا قوله تعالى: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)} [سبأ : ٦]، نزلت في مدينة. وهذا قول الضحاك(١)، وابن وابن السائب(٢)، ومقاتل(٣)، وبه قال الزمخشري(٤).

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٥٦٦.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٨٢.

(٣)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٨٢.

(٥) تفسير المهايمي: ٢/١٦٥.

(٦) التحرير والتنوير: ٢٢/١٣٣.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٦٧٣، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٦/ ٦٧٣، وعزاه إلى ابن المنذر.

(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٤٤.

(١٠) زاد المسير: ٣/٤٨٩.

(١١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١/٣٨٢.

قال مقاتل:" {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} بالله- عز وجل-، يعني: مؤمني أهل الكتاب(٥).

قال ابن عاشور:" عن مقاتل أن آية: {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ}، إلى قوله: { الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ: ٦] نزلت بالمدينة، ولعله بناء على تأويلهم أهل العلم إنما يراد بهم أهل الكتاب الذين أسلموا مثل عبد الله بن سلام. والحق أن الذين أوتوا العلم هم أصحاب محمد ﷺ"(٦).

- **مناسبة سورة«سبأ» مع سورة «الأحزاب»:**

وجه اتصال سورة «سبأ» بما قبلها:

١- إن الصفات التي أجريت على الله في مفتتحها تشاكل الصفات التي نسبت إليه في مختتم السورة السالفة.

٢- إنه في السورة السابقة ذكر سؤال الكفار عن الساعة استهزاء، وهنا حكى عنهم إنكارها صريحا، وطعنهم على من يقول بالبعث، وقال هنا ما لم يقله هناك(٧).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

إن المقاصد الكلية التي تضمنتها السورة هي موضوعات العقيدة الرئيسة: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث. وتفصيل ما تضمنته السورة من مقاصد وفق التالي:

١- إبطال قواعد الشرك وأعظمها إشراك آلهة مع الله، وإنكار البعث، فابتدأ سبحانه السورة بدليل على انفراده تعالى بالإلهية، ونفي الإلهية عن الأصنام، ونفي أن تكون الأصنام شفعاء لعبادها.

٢- التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء.

٣- إثبات إحاطة علم الله بما في السماوات وما في الأرض، فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء.

٤- إثبات صدق النبي ﷺ فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن، وأن القرآن شهد به علماء أهل الكتاب .

٥- إلزام الحجة على منكري النبوة.

٦- بيان معجزات داود وسليمان عليهما السلام.

٧- تقرير سنة من سنن الله في عباده، وهي أن النعم التي يمنحها الله عباده، إنما تدوم بشكر المنعم، وشكر المنعم إنما يكون بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والاهتداء بهديه، وأن النعم تتحول إلى نقم وهلاك، إذا أعرض الإنسان عن هدي ربه، بفعله ما نهى الله عنه، وتركه ما أمره الله به، وسلوكه سبيل المفسدين والمكذبين والضالين، كما حصل مع قوم سبأ.

٨- تهديد المشركين وموعظتهم بما حل ببعض الأمم المشركة من قبل، وأن جَعْلَهم لله شركاء كفران لنعمة الخالق؛ فضرب لهم المثل بمن شكروا نعمة الله واتقوه، فأوتوا خير الدنيا والآخرة، وسخرت لهم الخيرات مثل داود وسليمان، وبمن كفروا بالله فسلطت عليه البلايا في الدنيا، وأعد لهم العذاب في الآخرة مثل سبأ.

٩- التحذير من تغرير الشيطان، وأنه عدو للإنسان.

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.

(٢) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٤٨٩/٣. بدون إسناد.

(٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.

(٤) انظر: الكشاف: ٥٦٦/٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٣.

(٦) التحرير والتنوير: ١٣٣/٢٢.

(٧) انظر: تفسير المراغي:٥٥/٢٢.

١٠- بيان أن الإيمان والعمل الصالح -لا الأموال ولا الأولاد- هما قِوام الحكم والجزاء عند الله.
١١- بيان أنه ما من قوة في الأرض ولا في السماء تعصم من بطش الله، وما من شفاعة عنده إلا بإذنه.
١٢- وعد المنفقين والمصدقين بالإخلاف.
١٣- تبشير المؤمنين بالنعيم المقيم.
١٤- بيان أن العودة إلى الحياة بعد الممات لتدارك ما فات أمر محال[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة سبأ لم يبق نبي ولا رسول إلا كان يوم القيامة له رفيقا ومصافحا»[٢].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٦٩/٨، والواحدي في التفسير الوسيط(٧٦٧): ٤٨٦/٣. وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت.

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١)} [سبأ : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض، وله الثناء التام في الآخرة، وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه.

قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [سبأ : ١]، أي:" الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي له ملك ما في السموات وما في الأرض"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السماوات السبع وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه لا مالك لشيء من ذلك غيره، فالمعنى الذي هو مالك جميعه "(٢).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن نفسه الكريمة : أن له الحمدَ المطلق في الدنيا والآخرة ؛ لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ، المالك لجميع ذلك ، الحاكم في جميع ذلك ، كما قال : { وَهُوَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } [القصص : ٧٠] ؛ ولهذا قال هاهنا : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ } أي : الجميع ملكه وعبيده وتحت قهره وتصرفه ، كما قال : { وَإِنَّ لَنَا لَلآخِرَةَ وَالأولَى } [الليل : ١٣]"(٣).

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة لما كفروا بالبعث، حمد الرب نفسه قال- عز وجل- {الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض}، من الخلق"(٤).

قال يحيى:" حمد نفسه وهو أهل الحمد"(٥).

قال الزجاج:" والله المحمود في الدنيا والآخرة"(٦).

قال الزمخشري:" ما في السماوات والأرض كله نعمة من الله، وهو الحقيق بأن يحمد ويثنى عليه من أجله، ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالإنعام بجميع النعم الدنيوية، كان معناه: أنه المحمود على نعم الدنيا، كما تقول: احمد أخاك الذي كساك وحملك، تريد: احمده على كسوته وحملانه"(٧).

قوله تعالى:{وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ} [سبأ : ١]، أي:" وله الثناء التام في الآخرة"(٨).

قال الطبري:" يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة؛ لأن منه النعم كلها على كل من في السماوات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٢) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٣/٣.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢.

(٦) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٧) الكشاف: ٥٦٦/٣.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٩) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٠.

قال مقاتل:" يعني: يحمده أولياؤه في الآخرة إذا دخلوا الجنة فقالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَه} [الزمر : ٧٤]، {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف : ٤٣]"[١].

قال ابن كثير:" فهو المعبود أبدا ، المحمود على طول المدى"[٢].

قال الزجاج:" حمده في الآخرة يدل عليه قول أهل الجنة: {وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ} [الزمر : ٧٤]، أي: أورثنا أرض الجنة"[٣].

قال ابن المنير في حاشيته:" الفرق بين الحمدين: أن الأول عبادة مكلف بها، والثاني غير مكلف به ولا متكلف، وإنما هو في النشأة الثانية كالجليات في النشأة الأولى، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام «يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس» وإلا فالنعمة الأولى كالثانية بفضل من الله تعالى على عباده، لا عن استحقاق"[٤].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [سبأ : ١]، أي:" وهو الحكيم في فعله، الخبير بشؤون خلقه"[٥].

قال الطبري:" وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك"[٦].

قال ابن كثير:" { وَهُوَ الْحَكِيمُ } أي : في أقواله وأفعاله وشرعه وقَدَره ، { الْخَبِيرُ } الذي لا تخفى عليه خافية ، ولا يغيب عنه شيء "[٧].

قال يحيى:" {وهو الحكيم} في أمره، أحكم كل شيء. {الخبير} بخلقه"[٨].

قال مقاتل:" {وهو الحكيم}: حكم البعث، {الخبير} به "[٩].

قال قتادة:" حكيم في أمره، خبير بخلقه"[١٠].

القرآن

{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (٢)} [سبأ : ٢]

التفسير:

يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه، وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق. وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه.

قوله تعالى:{يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا} [سبأ : ٢]، أي:" يعلم كل ما يدخل في الأرض من قطرات الماء، وما يخرج منها من النبات والمعادن والمياه"[١١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٣/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.

(٣) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٤) الكشاف: ٥٦٦/٣. الحاشية رقم(١).

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٦) تفسير الطبري: ٣٤٦/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٤/٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٣/٣.

(١٠) اخرجه الطبري: ٣٤٦/٢٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

قال الطبري:يقول: " يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء، وما يخرج من الأرض"(١).

قال أبو عبيدة:" {يَعْلَمُ ما يَلِجُ فِي الْأَرْضِ}، أي: يدخل ويغيب فيها قال طرفة(٢):
رأيت القوافي يتّلجن موالجا ... تضايق عنها أن تولّجها الإبر""(٣).

قال ابن قتيبة:" {ما يلج في الأرض} أي يدخل. {وما يعرج فيها} أي: يصعد"(٤).

قال الزجاج:" أي: ما يدخل في الأرض وما يخرج منها. ما يدخل في الأرض من قطر وغيره، وما يخرج منها من زرع وغيره"(٥).

قال ابن كثير:" أي : يعلم عدد القطر النازل في أجزاء الأرض ، والحب المبذور والكامن فيها ، ويعلم ما يخرج من ذلك : عدده وكيفيته وصفاته"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا} [سبأ : ٢]، أي:" وما ينزل من السماء من الأمطار والملائكة والكتب، وما يصعد إليها من الملائكة وأفعال الخلق"(٧).

قال الطبري:" يعني: وما يصعد في السماء، وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن"(٨).

قال ابن كثير:" { وَمَا يَنزلُ مِنَ السَّمَاءِ } أي : من قطر ورزق ، { وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا } أي : من الأعمال الصالحة وغير ذلك"(٩).

قال الزجاج: "{وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا}: " ما يصعد فيها، يقال: عرج يعرج إذا صعد، والمعارج - الدرج - من هذا، ويقال: عرج يعرج، إذا صار ذا عرج، وعرج يعرج، إذا غمز من شيء أصابه"(١٠).

قوله تعالى:{وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ} [سبأ : ٢]، أي:" وهو الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة، الغفور لذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه"(١١).

قال الطبري:" وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : الرحيم بعباده فلا يعاجل عُصاتهم بالعقوبة ، الغفور عن ذنوب عباده التائبين إليه المتوكلين عليه "(١٣).

فوائد الآيتين:[١-٢]:

١- وجوب حمد الله تعالى وشكره بالقلب واللسان والجوارح والأركان.

---

(١) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٠.

(٢)في ملحق ديوانه من الستة :ص ١٨٥ وتفسير الطبري :٣٤٨/٢٠، واللسان والتاج (ولج).

(٣) مجاز القرآن: ١٤٢/٢.

(٤) غريب القرآن: ٣٥٣.

(٥) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٨) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.

(١٠) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٤٨/٢٠.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٤/٦.

٢- بيان أن الحمد لا يصح إلا مع مقتضيه من الجلال والجمال.
٣- لا يحمد في الآخرة إلا الله سبحانه وتعالى.
٤- بيان علم الله تعالى بالظواهر والبواطن في كل خلقه.
٥- تقرير توحيد الله تعالى في ربوبيته وألوهيته.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٣) لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)} [سبأ : ٣-٤]

التفسير:

وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة، قل لهم -أيها الرسول-: بلى وربي لتأتينَّكم، ولكن لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى الله علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه وزن نملة صغيرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا هو مسطور في كتاب واضح، وهو اللوح المحفوظ؛ ليثيب الذين صدَّقوا بالله، واتَّبَعوا رسوله، وعملوا الصالحات. أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو الجنة.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ} [سبأ : ٣]، أي:" وقال الكافرون المنكرون للبعث: لا تأتينا القيامة"[١].

قال الطبري:" ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة؛ استهزاء بوعدك إياهم وتكذيبا لخبرك"[٢].

قال الزمخشري:" قولهم: {لا تأتينا الساعة}، نفى للبعث وإنكار لمجيء الساعة. أو استبطاء لما قد وعدوه من قيامها على سبيل الهزء والسخرية، كقولهم: «متى هذا الوعد»"[٣].

قوله تعالى:{قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ} [سبأ : ٣]، أي:" قل لهم-أيها الرسول-: أقسم بالله العظيم لتأتينكم الساعة، فإنها واقعة لا محالة"[٤].

قال الطبري:أي:" قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسما به لتأتينكم الساعة"[٥].

قال ابن كثير:" هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهن ، مما أمر الله رسولَه صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لَمَّا أنكره مَنْ أنكره من أهل الكفر والعناد ، فإحداهن في سورة يونس : { وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ } [يونس : ٥٣] ، والثانية هذه : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ } ، والثالثة في التغابن : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ } [التغابن : ٧] ، فقوله : { قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ }، ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره : { عَالِمِ الْغَيْبِ لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ }"[٦].

قال الزمخشري:" أوجب ما بعد النفي بـ«بلى» على معنى: أن ليس الأمر إلا إتيانها، ثم أعيد إيجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد، وهو التوكيد باليمين بالله عز وجل، ثم أمد

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٢) تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٠.

(٣) الكشاف: ٥٦٧/٣.

(٤) صفوة التفاسير: ٥٠٠/٢.[بتصرف بسيط]

(٥) تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

التوكيد القسمي إمدادا بما أنبع المقسم به من الوصف بما وصف به، إلى قوله ليجزي لأن عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته، لأنه بمنزلة الاستشهاد على الأمر، وكلما كان المستشهد به أعلى كعبا وأبين فضلا وأرفع منزلة، كانت الشهادة أقوى وآكد، والمستشهد عليه أثبت وأرسخ"(١).

قوله تعالى:{عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [سبأ : ٣]، أي:" هو جل وعلا العالمُ بما خفي عن الأبصار، وغاب عن الأنظار، لا يغيب عنه مقدار وزن الذرة في العالم العلوي أو السفلي"(٢).

قال الطبري:أي:" ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب، الذي لا يغيب عنه شيء من زنة ذرة فما فوقها فما دونها، أين كان في السماوات ولا في الأرض"(٣).

قال أبو عبيدة:" {لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ}، أي: لا يشذّ ولا يغيب مثقال ذرة، أي: زنة ذرة"(٤).

قال الزمخشري:" {لا يعزب}: بالضم والكسر في الزاى، من :العزوب، وهو البعد. يقال: روض عزيب: بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار أصغر نملة ذلك إشارة إلى مثقال ذرة"(٥). ذرة"(٥).

قال ابن قتيبة:" {لا يعزب عنه} لا يبعد. {مثقال ذرة} أي وزن ذرة، وهي: النملة الحمراء الصغيرة"(٦).

عن ابن عباس، قوله: "{لا يعزب عنه}، يقول: لا يغيب عنه"(٧).

عن مجاهد : {لا يعزب عنه}، قال: لا يغيب"(٨).

قوله تعالى:{وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [سبأ : ٣]، أي:" ولا أصغر من الذرة والا أكبر منها إلا ويعلمه الله تعالى وهو في اللوح المحفوظ"(٩).

قال الطبري: "يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة {ولا أكبر} منه {إلا} هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه"(١٠).

قوله تعالى:{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [سبأ : ٤]، أي:" ليثيب الذين صدَّقوا بالله، واتَّبَعوا رسوله، وعملوا الصالحات"(١١).

قال الطبري: يقول:" أثبت ذلك في الكتاب المبين كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم"(١٢).

---

(١) الكشاف: ٥٦٧/٣.

(٢) صفوة التفاسير: ٥٠٠/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٣٤٩/٢٠-٣٥٠. [بتصرف]

(٤) مجاز القرآن: ١٤٢/٢.

(٥) الكشاف: ٥٦٨/٣.

(٦) غريب القرآن: ٣٥٣.

(٧) اخرجه الطبري: ٣٥٠/٢٠.

(٨) اخرجه الطبري: ٣٥٠/٢٠.

(٩) صفوة التفاسير: ٥٠٠/٢.

(١٠) تفسير الطبري ٣٥٠/٢٠.

(١١) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(١٢) تفسير الطبري: ٣٥٠/٢٠-٣٥١.

قال الزجاج: " «اللام» دخلت جوابا لقوله: {قل بلى وربي لتأتينكم} للمجازاة، أي: من أجل المجازاة بالثواب والعقاب"[١].

قال ابن كثير:" ثم بين حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله : { لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ..}"[٢].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [سبأ : ٤]، أي:" أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم، وهو الجنة"[٣].

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة"[٤].

قال الزجاج: " بين الله أن جزاءهم المغفرة وهي التغطية على الذنوب"[٥].

عن قتادة: "{أولئك لهم مغفرة} لذنوبهم، {ورزق كريم}: في الجنة"[٦].

القرآن

{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ (٥)} [سبأ : ٥]

التفسير:

والذين سعوا في الصدِّ عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالبين أمره، أولئك لهم أسوأ العذاب وأشده ألمًا.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ : ٥]، أي:" والذين سعوا في الصدِّ عن سبيل الله وتكذيب رسله وإبطال آياتنا مشاقين الله مغالبين أمره"[٧].

قال ابن كثير:" أي : سعوا في الصد عن سبيل الله وتكذيب رسله"[٨].

قال أبو عبيدة:" {مُعاجِزِينَ}، أي: مسابقين، {سعوا}: كذّبوا"[٩].

قال ابن قتيبة:" {معاجزين} أي: مسابقين. يقال: ما أنت بمعاجزي، أي بمسابقي. وما أنت بمعجزي، أي سابقي وفائتي"[١٠].

عن قتادة:"{ والذين سعوا في آياتنا معاجزين}، قال: أي: لا يعجزون"[١١].

وقرئ:«معجزين»[١٢].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ} [سبأ : ٥]، أي:" أولئك لهم أسوأ العذاب وأشده ألمًا"[١٣].

---

(١) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥١/٢٠.

(٥) معاني القرآن: ٢٣٩/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٥١/٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٩) مجاز القرآن: ١٤٢/٢.

(١٠) غريب القرآن: ٣٥٣.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٩):ص٣١٦١/١٠.

(١٢) انظر: الكشاف: ٥٦٨/٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٢٨.

قال ابن كثير:" أي : لينعم السعداء من المؤمنين ، ويعذب الأشقياء من الكافرين ، كما قال : { لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ } [الحشر : ٢٠] ، وقال تعالى : { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ } [ص : ٢٨]"[١].

قال قتادة:" الرجز: هو العذاب الأليم الموجع"[٢].

وقرئ:« أليم»، بالرفع والجر[٣].

القرآن

{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (٦)} [سبأ : ٦]

التفسير:

ويعلم الذين أُعطوا العلم أن القرآن الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق، ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالَب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه.

قوله تعالى:{وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ} [سبأ : ٦]، أي:" ويعلم الذين أُعطوا العلم أن القرآن الذي أُنزل إليك من ربك هو الحق"[٤].

قال الطبري:يقول:" أثبت ذلك في كتاب مبين ليجزي الذين آمنوا والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم، وليرى الذين أوتوا العلم، وهم: مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ونظرائه الذين قد قرءوا كتب الله التي أنزلت قبل الفرقان،- يقول: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة الكتاب الذي أنزل إليك يا محمد من ربك هو الحق"[٥].

قال الزمخشري:" ويعلم أولو العلم، يعنى: أصحاب رسول الله ﷺ ومن يطأ أعقابهم من أمته. أو علماء أهل الكتاب الذين أسلموا مثل كعب الأحبار وعبد الله ابن سلام رضى الله عنهما. الذي أنزل إليك ... الحق"[٦].

قال أبو السعود:" أي يعلم أولو العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن يشايعهم من علماء الأمة أو من آمن من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وكعب وأضرابهما رضى الله عنهم {الذى أنزل إليك من ربك} أي: القرآن {هو الحق}"[٧].

قال السمعاني:" {ويرى الذين أوتوا العلم}، قال بعضهم: هذا في مؤمني أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وغيره، والصحيح أن الآية في الذين آمنوا بالنبي من أهل مكة وغيرهم، وهو بمكة؛ لأن السورة مكية، وعبد الله بن سلام وأشباهه إنما آمنوا بالمدينة، وقوله: {الذي أنزل إليك من ربك هو الحق} يعني: أنه من الله تعالى"[٨].

قال الزجاج:" ههنا علماء إليهود الذين آمنوا بالنبي عليه السلام، منهم: كعب الأحبار وعبد الله بن سلام"[٩].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٦٩):ص٣١٦١/١٠.

(٣) انظر: الكشاف: ٥٦٨/٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٦) الكشاف: ٥٦٨/٣.

(٧) تفسير أبي السعود: ١٢٢/٧.

(٨) تفسير السمعاني: ٣١٧/٤.

(٩) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

عن الضحاك، قوله :"{ويرى الذين أوتوا العلم}، قال: الذين أوتوا الحكمة من قبل قال: يعني المؤمنين من أهل الكتاب"[١].

وروي عن قتادة:"{ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق}، قال: أصحاب محمد"[٢].

قال ابن كثير:" هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها ، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذي كانوا قد علموه من كتب الله في الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ، ويقولون يومئذ أيضًا : { لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف : ٤٣] ، ويقال أيضًا : { هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } [يس : ٥٢] ، { لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ } [الروم : ٥٦] ، { وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} "[٣].

قوله تعالى:{وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ : ٦]، أي:" ويرشد إلى طريق الله، العزيز الذي لا يغالَب ولا يمانع، بل قهر كل شيء وغلبه، المحمود في أقواله وأفعاله وشرعه"[٤].

قال الطبري:" يقول: ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه، فأياديه عندهم ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أنزل على محمد يهدي إلى الإسلام"[٥].

قال الشوكاني:" الصراط: الطريق، أي: ويهدي إلى طريق العزيز في ملكه الحميد عند خلقه، والمراد: أنه يهدي إلى دين الله وهو التوحيد"[٦].

قال السمعاني:" يعني: أن القرآن الذي أنزله الله يهدي إلى صراط العزيز الحميد، وهو الله تعالى"[٧].

قال ابن كثير:" العزيز هو : المنيع الجناب، الذي لا يُغالب ولا يُمَانع ، بل قد قهر كل شيء ، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه ، وقدره ، وهو المحمود في ذلك كله"[٨].

فوائد الآيات:[٣-٦]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعد تقرير توحيد الألوهية.
٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر وكتابة الأعمال والأحداث في اللوح المحفوظ.
٣- طلب شهادة أهل الكتاب على صحة الإسلام والحصول عليها لموافقة التوراة للقرآن.
٤- تقرير النبوة إذ القرآن فرع نبوة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودليلها المقرر لها.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (٧)} [سبأ : ٧]

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٧٠):ص٣١٦١/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٢/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٨.

(٥) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٦) فتح القدير: ٣٥٩/٤.

(٧) تفسير السمعاني: ٣١٧/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩٥/٦.

التفسير:
وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء: هل ندلكم على رجل (يريدون محمدًا صلى الله عليه وسلم) يخبركم أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرُّق، إنكم ستُحيون وتُبعثون من قبوركم؟
قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [سبأ : ٧]، أي:" وقال الذين كفروا بعضهم لبعض استهزاء"[١].
قال الطبري: يقول:" وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد ﷺ متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض"[٢].
قال مقاتل:" {وقال الذين كفروا} بالبعث: أبو سفيان، قال لكفار مكة"[٣].
قال الزجاج:" هذا قول المشركين الذين لا يؤمنون بالبعث"[٤].
قوله تعالى:{هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ} [سبأ : ٧]، أي:" هل ندلكم على رجل (يريدون محمدًا ﷺ) يخبركم"[٥].
قال الطبري: يقول:" {هل ندلكم} أيها الناس {على رجل}يخبركم"[٦].
قال مقاتل:" يعني النبي- ﷺ- {ينبئكم}: يخبركم"[٧].
قال الزجاج:" يقول بعضهم لبعض: هل ندلكم على محمد"[٨].
قال ابن كثير:" هذا إخبار من الله عن استبعاد الكفرة الملحدين قيامَ الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك"[٩].
قوله تعالى:{إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [سبأ : ٧]، أي:" أنكم إذا متم وتفرقت أجسامكم كل تفرُّق، إنكم ستُحيون وتُبعثون من قبوركم؟"[١٠].
قال الطبري: يقول:" أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاء وبعد مصيركم في التراب رفاتا، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا"[١١].
قال مقاتل:" يخبركم أنكم إذا تفرقتم في الأرض وذهبت اللحوم والعظام، وكنتم ترابا {إنكم لفي خلق جديد}، يعني: البعث بعد الموت"[١٢].
قال يحيى:" إذا متم وتفرقت عظامكم وكانت رفاتا إنكم لمبعوثون خلقا جديدا، إنكار للبعث"[١٣].
قال الزجاج:" الذي يزعم أنكم مبعوثون بعد أن تكونوا عظاما وترابا ورفاتا"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٨.
(٢) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٤/٣.
(٤) معاني القرآن: ٢٤١/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٤٢٨.
(٦) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٤/٣.
(٨) معاني القرآن: ٢٤١/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٨.
(١١) تفسير الطبري: ٣٥٣/٢٠.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٤/٣.
(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٦/٢.
(١٤) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

قال ابن كثير:" أي : تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق : { إِنَّكُمْ } أي : بعد هذا الحال { لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ } أي : تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك"[(١)].

قال السمعاني:" أي: إذا فرقتم كل تفريق، وقطعتم كل تقطيع، والمعنى: إذا أكلتم الأرض، وصرتم رفاقا وترابا ينبئكم محمد إنكم لفي خلق جديد، قالوا ذلك على طريق الجحد والتكذيب"[(٢)].

عن قتادة: "{وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق}، قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس {ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق} إذا أكلتكم الأرض وصرتم رفاتا وعظاما وقطعتكم السباع والطير {إنكم لفي خلق جديد} ستحيون وتبعثون"[(٣)].

قال ابن زيد:" يقول: {إذا مزقتم} وإذا بليتم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا، ذلك {كل ممزق إنكم لفي خلق جديد}"[(٤)].

القرآن

{أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (٨)} [سبأ : ٨]

التفسير:

هذا الرجل أختلق على الله كذبًا أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟ ليس الأمر كما قال الكفار، بل محمد أصدق الصادقين. والذين لا يصدقون بالبعث ولا يعملون من أجله في العذاب الدائم في الآخرة، والضلال البعيد عن الصواب في الدنيا.

قوله تعالى:{أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ} [سبأ : ٨]، أي:" هذا الرجل هل أختلق الكذب على الله أم به جنون، فهو يتكلم بما لا يدري؟"[(٥)].

قال مقاتل:" ثم قال أبو سفيان: {أفترى محمد}- ﷺ- {على الله كذبا} حين يزعم أنا نبعث بعد الموت؟ {أم به جنة}، يقول: أم بمحمد جنون"[(٦)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله ﷺ في وعده إياهم ذلك: أفترى هذا الذي يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق في خلق جديد على الله كذبا، فتخلق عليه بذلك باطلا من القول وتخرص عليه قول الزور، أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له"[(٧)].

قال ابن كثير:" وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين : إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله أنه قد أوحى إليه ذلك ، أو أنه لم يتعمد لكن لُبّس عليه كما يُلَبَّس على المعتوه والمجنون "[(٨)].

قال قتادة:" قالوا تكذيبا :{أفترى على الله كذبا} قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله {أم به جنة} وإما أن يكون مجنونا {بل الذين لا يؤمنون ... }، الآية"[(١)].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٣١٧/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٣/٢٠.

(٥) انظر: صفوة التفاسير: ٥٠١/٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٤/٣-٥٢٥.

(٧) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

قال ابن زيد:" قال ابن زيد: ثم قال بعضهم لبعض: {أفترى على الله كذبا أم به جنة} الرجل مجنون فيتكلم بما لا يعقل؟ فقال الله: {الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد}"[٢].

قوله تعالى:{بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ} [سبأ : ٨]، أي:" ليس الأمر كما يزعمون من الكذب والجنون، بل الذي يجحدون البعث ولا يصدقون بالآخرة"[٣].

قال الطبري:يقول:" ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد ﷺ وظنوا به من أنه افترى على الله كذبا، أو أن به جنة، لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة وفي الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون"[٤].

قال ابن كثير:" أي : ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه ، بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذي جاء بالحق ، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء ، { فِي الْعَذَابِ}، أي : في الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله ، { وَالضَّلالِ الْبَعِيدِ } من الحق في الدنيا"[٥].

قال السدي، ومقاتل ويحيى بن سلام:{الضلال البعيد}، يعني:" الشقاء الطويل"[٦].

قاال ابن زيد:" وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا وقرأ: {قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن ... } الآية كلها، وقرأ: {قل بلى وربي لتأتينكم}"[٧].

القرآن

{أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (٩)} [سبأ : ٩]

التفسير:

أفلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنهما قد أحاطتا بهم؟ إن نشأ نخسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو ننزل عليهم قطعًا من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب، فقد أمطرت السماء عليهم نارًا فأحرقتهم. إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لَدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة.

قوله تعالى:{أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [سبأ : ٩]، أي:" أفلم ير هؤلاء الكفار الذين لا يؤمنون بالآخرة عظيم قدرة الله فيما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض مما يبهر العقول، وأنهما قد أحاطتا بهم؟"[٨].

قال الطبري: يقول:" أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد ﷺ {أفترى على الله كذبا أم به جنة} إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء

---

(١) اخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٢) اخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٣) صفوة التفاسير: ٥٠١/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٦) حكاه الماوردي في النكت والعيون:٤٣٤/٤ عن السدي، وانظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٢٥/٣، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٤٧/٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٥٤/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٩.

والأرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم؛ فيرتدعوا عن جهلهم وينزجروا عن تكذيبهم بآياتنا"[(١)].

قال الزجاج:" أي: ألم يتأملوا ويعلموا أن الذي خلق السماء والأرض قادر على أن يبعثهم"[(٢)].

قال ابن كثير:" أي : حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مظلة مُظَلَّلة عليهم ، والأرض تحتهم ، كما قال : { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ. وَالأرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ } [الذاريات : ٤٧ ، ٤٨]"[(٣)].

قال قتادة:" ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم"[(٤)].

قوله تعالى:{إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ} [سبأ : ٩]، أي:" إن نشأ نخسف بهم الأرض، كما فعلنا بقارون، أو ننزل عليهم قطعًا من العذاب، كما فعلنا بقوم شعيب"[(٥)].

قال الطبري: يقول:" حذرا أن نأمر الأرض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليه قطعا، فإنا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا"[(٦)].

قال ابن كثير:" أي : لو شئنا لفعلنا بهم ذلك لظلمهم وقدرتنا عليهم ، ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا "[(٧)].

قال الزجاج:" وقادر أن يخسف بهم الأرض أو يسقط السماء عليهم كسفا"[(٨)].

قال قتادة: "{إن نشأ نخسف بهم الأرض}، كما خسفنا بمن كان قبلهم، {أو نسقط عليهم كسفا من السماء}، أي: قطعا من السماء"[(٩)].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [سبأ : ٩]، أي:" إن في ذلك الذي ذكرنا من قدرتنا لَدلالة ظاهرة لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، ومقر له بتوحيده، ومخلص له في العبادة"[(١٠)].

قال الطبري: يقول:" إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله لآية: يقول: لدلالة لكل عبد منيب: يقول لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة، ورجع إلى معرفة توحيده والإقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والإذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شيء شاءه"[(١١)].

قال الزجاج:" أي: إن في ذلك علامة تدل من أناب إلى الله ورجع إليه وتأمل ما خلق على أنه قادر على أن يحيي الموتى"[(١٢)].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٠.

(٢) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٦) تفسير الطبري: ٣٥٥/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٨) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(١١) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(١٢) معاني القرآن: ٢٤١/٤.

قال ابن كثير:" أي : إن في النظر إلى خلق السماء والأرض لدلالة لكل عبد فَطِن لبيب رَجَّاع إلى الله ، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد ؛ لأن مَنْ قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها ، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها ، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام ، كما قال تعالى : { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى } [يس : ٨١] ، وقال : { لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } [غافر : ٥٧]"(١).

قال قتادة:" المنيب: المقبل التائب"(٢).

قال ابن عباس:" المنيب: المقبل إلى طاعة الله"(٣).

عن مجاهد وعكرمة، قالا: "المنيب: المخبت"(٤).

قال يحيى بن سلام:" هو المقبل إلى الله بالإخلاص له"(٥).

فوائد الآيات:[٧-٩]:

١- بيان ما كان المشركون عليه من استهزاء وتكذيب وسخرية بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- تقرير البعث وأن المكذبين به محكوم عليهم بالعذاب فيه.

٣- لفت الأنظار إلى قدرة الله تعالى المحيطة بالإنسان ليخشى الله تعالى ويرهبه فيؤمن به ويعبده ويوحده.

٤- فضل الإنابة إلى الله وشرف المنيب. والإنابة الرجوع إلى التوبة بعد الذنب والمعصية، والمنيب الذي رجع في كل شيء إلى ربه تعالى.

القرآن

{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠)} [سبأ : ١٠]

التفسير:

ولقد آتينا داود نبوة، وكتابًا وعلمًا، وقلنا للجبال والطير: سبِّحي معه، وألنَّا له الحديد، فكان كالعجين يتصرف فيه كيف يشاء.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا} [سبأ : ١٠]، أي:" ولقد آتينا داود نبوة، وكتابًا وعلمًا"(٦).

قال الطبري: يقول:" ولقد أعطينا داود منا فضلا"(٧).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود ، صلوات الله وسلامه عليه ، مما آتاه من الفضل المبين ، وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوي العَدَد والعُدَد ، وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم ، الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات ، الصم الشامخات ، وتقف له الطيور السارحات ، والغاديات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات"(٨).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٤٦):ص٢٠٥٩/٦.

(٤) اخرجه ابن ابي حاتم(١١٠٤٧):ص٢٠٥٩/٦.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٤٧/٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٧) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال له: «يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود»[١].

وقال أبو عثمان النهدي : " صليت خلف أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صنْجٍ ولا بَرْبَط ولا ناي أحسن من صوته"[٢].

قوله تعالى:{يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ} [سبأ : ١٠]، أي:" وقلنا للجبال والطير: سبِّحي معه"[٣].

قال الطبري: يقول:" وقلنا للجبال: سبحي معه إذا سبح"[٤].

قال ابن قتيبة:" أي: سبحي. وأصله: التأويب في السير؛ وهو: أن تسير النهار كله وتنزل ليلا. قال ابن مقبل[٥]:

لحقنا بحي أوبوا السير بعد ما ... دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح

كأنه أراد: أوبي النهار كله بالتسبيح إلى الليل"[٦].

قال أبو عبيدة:" التأويب: أن يبيت فى أهله، قال سلامة بن جندل[٧]:

يومان يوم مقامات وأندية ... ويوم سير إلى الأعداء تأويب

أي: رجوع"[٨].

عن ابن عباس: "{أوبي معه}، قال: سبحي معه"[٩]. وروي عن مجاهد، والضحاك، وابن زيد، مثله[١٠].

قال قتادة:" أي: سبحي معه إذا سبح"[١١].

عن أبي ميسرة: "{يا جبال أوبي معه}، قال: سبحي بلسان الحبشة"[١٢].

قال ابن كثير:" وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سَبّحي بلسان الحبشة، وفي هذا نظر ، فإن التأويب في اللغة هو الترجيع ، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها، وقال أبو القاسم

---

(١) صحيح بخاري(٥٠٤٨):ص١٩٥/٦.

(٢) مسند ابي عوانة(٤٣٦٢):ص١٢٩/١١، ورواه أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ١٩٠، ٤/ ٢٧٩، وابن سعد في الطبقات ٤/ ١٠٨، بألفاظ متقاربة. وقال الحافظ في الفتح ٩/ ٩٣: "وأخرج ابن أبي داود من طريق أبي عثمان النهدي قال: دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت ... " فذكره. وقال: سنده صحيح، وهو في الحلية لأبي نعيم. اهـــ. ولم أقف عليه في الحلية.

صنج: الصنج العربي: هو الذي يكون في الدفوف ونحوه، فأما الصنج ذو الأوتار فدخيل معرب، تختص به المعجم، وقد تكلمت به العرب. لسان العرب ٢/ ٣١١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠.

(٥)البيت له: في تفسير القرطبي ٢٦٥/١٤، والبحر ٢٦٣/٧.

(٦) غريب القرآن: ٣٥٣.

(٧)في ديوانه ص ٧ ومن كلمة مفضلية ص ٢٢٤- ٢٤٥ وهو فى الكامل ص ٤٦٩ وتفسير الطبري: ٣٥٦/٢٠، وتفسير القرطبي ١٤/ ٨٨ واللسان والتاج (أوب).

(٨) مجاز القرآن: ١٤٢/٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٠.

(١٠) انظر: الصدر نفسه:٣٥٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٥٨/٢٠.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٥٧/٢٠.

عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي في كتابه "الجُمل" في باب النداء منه : { يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ } أي : سيري معه بالنهار كله ، والتأويب : سير النهار كله ، والإسآد : سير الليل كله. وهذا لفظه ، وهو غريب جدًا لم أجده لغيره ، وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ في اللغة ، لكنه بعيد في معنى الآية هاهنا. والصواب أن المعنى في قوله تعالى : { أَوِّبِي مَعَهُ } أي : رَجّعي معه مُسَبّحة معه ، كما تقدم ، والله أعلم"(١).

قوله تعالى:{وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ} [سبأ : ١٠]، أي:" وجعلنا الحديد ليناً بين يديه حتى كان كالعجين"(٢).

القرآن

{أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١)} [سبأ : ١١]

التفسير:

أن اعمل دروعًا تامات واسعات وقدِّر المسامير في حِلَق الدروع، فلا تعمل الحلقة صغيرة فتَضْعُف، فلا تقوى الدروع على الدفاع، ولا تجعلها كبيرة فتثقُل على لابسها، واعمل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله، إني بما تعملون بصير لا يخفى عليَّ شيء منها.

قوله تعالى:{أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ} [سبأ : ١١]، أي:" أن اعمل منه دروعًا تامات واسعات التي تقي الإنسان شر الحرب"(٣).

قال الطبري:" يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات: وهي التوام الكوامل من الدروع"(٤).

قال ابن قتيبة:" {السابغات}: الدروع الواسعة"(٥).

قال ابن زيد:" السابغات دروع الحديد"(٦).

عن قتادة: "{أن اعمل سابغات}: دروع وكان أول من صنعها داود، إنما كان قبل ذلك صفائح"(٧).

قوله تعالى:{وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ} [سبأ : ١١]، أي:" وقدر في نسج الدروع بحيث تتناسب حلقاتها"(٨).

قال الطبري: يقول:" وقدر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار، وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس في الحلقة"(٩).

قال ابن قتيبة:" أي: في النسج، أي: لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق. ومنه قيل لصانع حلق الدروع: سراد وزراد. تبدل من السين الزاي، كما يقال: سراط وزراط. والسرد: الخرز أيضا. قال الشماخ(١٠):

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤٩٧/٦.

(٢) صفوة التفاسير: ٥٠٢/٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٩، وصفوة التفاسير: ٥٠٢/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٥) غريب القرآن: ٣٥٣.

(٦) اخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٧) اخرجه الطبري: ٣٥٩/٢٠.

(٨) صفوة التفاسير: ٥٠٢/٢.

(٩) تفسير الطبري: ٣٦١/٢٠.

(١٠)صدره كما في ديوانه ص٥٠:

كما تابعت سرد العنان الخوازر
ويقال للإثفى: مسرد وسراد"[1].

قال مجاهد: "قدر المسامير والحلق؛ لا تدق المسامير فتسلس ولا تجلها، قال محمد بن عمرو وقال الحارث: فتفصم"[2].

قال الحكم:" لا تغلظ المسمار فيفصم الحلقة ولا تدقه فيقلق"[3].

قال ابن كثير:" : هذا إرشاد من الله لنبيه داود ، عليه السلام ، في تعليمه صنعة الدروع"[4].

وفي معنى «السرد»، هاهنا- قولان:
أحدهما: أن السرد هو مسمار حلق الدرع. قاله قتادة[5].

قال قتادة:" كان يجعلها بغير نار، ولا يقرعها بحديد، ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحلق"[6].

الثاني: انه الحلق بعينها. وهذا قول ابن زيد[7].

وقال ابن عابس:" يعني بالسرد: ثقب الدروع فيسد قتيرها"[8].

عن وهب بن مُنَبه ما مضمونه : "أن داود ، عليه السلام ، كان يخرج متنكرًا ، فيسأل الركبان عنه وعن سيرته ، فلا يسأل أحدًا إلا أثنى عليه خيرًا في عبادته وسيرته ومعدلته ، صلوات الله وسلامه عليه. قال وهب : حتى بعث الله مَلَكًا في صورة رجل ، فلقيه داود فسأله كما كان يسأل غيره ، فقال : هو خير الناس لنفسه ولأمته ، إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال : ما هي ؟ قال : يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين ، يعني : بيت المال ، فعند ذلك نصب داود ، عليه السلام ، إلى ربه في الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغني به ويغني به عياله ، فألان له الحديد ، وعلمه صنعة الدروع ، فعمل الدرع ، وهو أول مَنْ عملها ، فقال الله : { أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ } يعني : مسامير الحلق ، قال : وكان يعمل الدرع ، فإذا ارتفع من عمله درع باعها ، فتصدق بثلثها ، واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله ، وأمسك الثلث يتصدق به يوما بيوم إلى أن يعمل غيرها. وقال : إن الله أعطى داود شيئًا لم يعطه غيره من حسن الصوت ، إنه كان إذا قرأ الزبور تسمع الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته. وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ في المزامير ، وكأن قد أعطي سبعين مزمارًا في حلقه"[9].

(شككن بأحشاء الذنابي على هدى)

وكما في القرطبي ٢٦٨/١٤: (فظلت تباعا خيلنا في بيوتكم) وفي البحر: "فظن تباعا ... سرد الضأن"!.

(١) غريب القرآن: ٣٥٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦١/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٦٠/٢٠.

(٨) اخرجه الطبر]: ٣٦٠/٢٠.

(٩)تاريخ دمشق (٧٠٨/٥ المخطوط).

قوله تعالى:{وَاعْمَلُوا صَالِحًا} [سبأ : ١١]، أي:" واعمل يا داود أنت وأهلك بطاعة الله"(١).

قال الطبري: يقول:" واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله"(٢).

قال ابن كثير:" أي : في الذي أعطاكم الله من النعم"(٣).

قوله تعالى:{إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سبأ : ١١]، أي:" إني بما تعملون بصير لا يخفى عليَّ شيء منها"(٤).

قال الطبري: يقول:" إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى علي منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك"(٥).

قال ابن كثير:" أي : مراقب لكم ، بصير بأعمالكم وأقوالكم ، لا يخفى علي من ذلك شيء"(٦).

القرآن

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢)} [سبأ : ١٢]

التفسير:

وسخَّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد، وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء، وسخَّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة.

قوله تعالى:{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ} [سبأ : ١٢]، أي:" وسخَّرنا لسليمان الريح تجري من أول النهار إلى انتصافه مسيرة شهر، ومن منتصف النهار إلى الليل مسيرة شهر بالسير المعتاد"(٧).

قال الطبري: يقول:" وسخرنا لسليمان الريح، غدوها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر"(٨).

قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود ، عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان، من تسخير الريح له تحمل بساطه ، غدوها شهر ورواحها شهر"(٩).

قال قتادة:" تغدو مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم"(١٠).

قال الحسن:" كان يغدو فيقيل في إصطخر، ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل"(١١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٥) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٤٩٨/٦.

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٨) تفسير الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٦٢/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٠.

قال ابن زيد:" كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم والعصار فإذا ارتفع أتت الريح رخاء فسارت به وساروا معه، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر، ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود"[1].

قال وهب بن منبه: "ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان؛ إما من الجن وإما من الإنس: نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنيا وجدناه، غدونا من إصطخر فقلناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام"[2].

قوله تعالى:{وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ} [سبأ : ١٢]، أي:" وأسلنا له النحاس كما يسيل الماء، يعمل به ما يشاء"[3].

قال الطبري:" يقول: وأذبنا له عين النحاس، وأجريناها له"[4].

قال ابن عباس:" يعني: عين النحاس أسيلت"[5].

قال قتادة:" عين النحاس كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان"[6].

قال ابن زيد:" الصفر سال كما يسيل الماء، يعمل به كما كان يعمل العجين في اللبن"[7].
اللبن"[7].

قوله تعالى:{وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ} [سبأ : ١٢]، أي:" وسخَّرنا له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه"[8].

قال الطبري: يقول:" ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهى لنهيه؛ فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له بإذن ربه، يقول: بأمر الله بذلك، وتسخيره إياه له"[9].

قال ابن كثير:" أي : وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن الله ، أي : بقدره، وتسخيره لهم بمشيئته ما يشاء من البنايات وغير ذلك"[10].

عن أبي ثعلبة الخُشَنيّ ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "الجن على ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء ، وصنف حيات وكلاب ، وصنف يحلون ويظعنون"[11].

عن ابن أنعم أنه قال : الجن ثلاثة : صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض ، وصنف حيات وكلاب"[12].

---

(١) اخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٤) تفسير الطبري: ٣٦٣/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٦٣/٢٠-٣٦٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٩) تفسير الطبري ٣٦٤/٢٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(١١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦، قال ابن كثير:" رفعه غريب جدًا".

(١٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

وقال الحسن: "الجن ولد إبليس ، والإنس ولد آدم ، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون ، وهم شركاؤهم في الثواب والعقاب ، ومَنْ كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولي الله ، ومَنْ كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان"[1].

قوله تعالى:{وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ} [سبأ : ١٢]، أي:" ومن يعدل منهم عن أمرنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب النار المستعرة"[2].

قال الطبري:" يقول: ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان {نذقه من عذاب السعير} في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة"[3].

قال ابن كثير:" أي : ومَنْ يعدل ويخرج منهم عن الطاعة { نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ } وهو الحريق"[4].

عن قتادة، قوله:"{ومن يزغ منهم عن أمرنا}، يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمان {نذقه من عذاب السعير}"[5].

عن أبي ثعلبة الخُشَنيّ ؛ أن رسول الله ﷺ قال : "الجن على ثلاثة أصناف : صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء ، وصنف حيات وكلاب ، وصنف يحلون ويظعنون"[6].

القرآن

{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (١٣)} [سبأ : ١٣]

التفسير:

يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة، وصور من نحاس وزجاج، وقِصَاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء، وقدور ثابتات لا تتحرك من أماكنها لعظمهن، وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره، وقليل من عبادي من يشكر الله كثيرًا.

قوله تعالى:{يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ} [سبأ : ١٣]، أي:" يعمل الجن لسليمان ما يشاء من مساجد للعبادة"[7].

قال الطبري: يقول:" يعمل الجن لسليمان ما يشاء من محاريب وهي جمع محراب

قال ابن كثير:" أما المحاريب فهي البناء الحسن ، وهو أشرف شيء في المسكن وصدره"[8].

قال الفراء:" المحاريب: المساجد"[9].

ابو عمر الزاهد:" أي: من غرف"[10].

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٣) تفسير الطبري ٣٦٤/٢٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦.

(٥) اخرجه الطبري: ٣٦٤/٢٠.

(٦) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٤٩٩/٦. قال ابن كثير:" رفعه غريب جدًا".

(٧) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(٩) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(١٠)ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن: ٤١٤.

قال أبو عبيدة:" المحراب: سيّد المجالس ومقدّمها وأشرفها، وكذلك هو من المساجد"[١]. المساجد"[١].

وقال أبو عبيدة:"« المحاريب»: واحدها: محراب، وهو مقدم كل مسجد ومصلّى وبيت قال وضّاح اليمن[٢]:

ربّة محراب إذا جئتها ... لم ألقها أو أرتقى سلّما"[٣].

قوله تعالى:{وَتَمَاثِيلَ} [سبأ : ١٣]، أي:" وصور من نحاس وزجاج"[٤].

قال الفراء:"{ تماثيل}: ذكر أنها صور الملائكة والأنبياء، كانت تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة"[٥].

قال الجصاص:" قوله تعالى: {يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل} يدل على أن عمل التصاوير كان مباحا، وهو محظور في شريعة النبي ﷺ لما روي عنه أنه قال: «لا يدخل الملائكة بيتا فيه صورة»[٦]، وقال: «من صور صورة كلف يوم القيامة أن يحييها وإلا فالنار»[٧]، وقال: «لعن الله المصورين»[٨].

وقد قيل فيه: إن المراد من شبه الله تعالى بخلقه"[٩].

قوله تعالى:{وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ} [سبأ : ١٣]، أي:" وقِصَاع كبيرة كالأحواض التي يجتمع فيها الماء"[١٠].

قال الفراء:" {وجفان}: وهي القصاع الكبار {كالجواب} الحياض التي للإبل"[١١].

قال أبو عبيدة:" {وَجِفانٍ كَالْجَوابِ} واحدتها: جابية، وهى الحوض الذي يجبى فيه الماء قال[١٢]:

فصبّحت جابية صهارجا ... كأنه جلد السماء خارجا"[١٣].

---

(١) مجاز القرآن: ٩١/١.

(٢)البيت فى الجمهرة ١/ ٢١٩ واللسان والتاج (حرب).

(٣) مجاز القرآن: ١٤٤/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٥) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(٦)رواه مسلم في الصحيح (٣/ ١٦٦٦) ، ٣٧- كتاب اللباس، ٢٦- باب حديث رقم (٩٦/ ٠٠٠) ، والبخاري في الصحيح (٧/ ٨٧) ، ٧٧- كتاب اللباس، ٩٥- باب من لم يدخل حديث رقم (٥٩٦١).

(٧) الحديث:« "من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ ».

رواه البخاري: كتاب اللباس، باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ (٥ /٢٢٢٣) حديث رقم (٥٦١٨) . ومسلم: كتاب اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان ... (٣ /١٦٧١) حديث رقم (٢١١٠).

(٨)مسند أحمد: ٣٠٨/٤ بلفظ "المصور" بالإفراض.

(٩) أحكام القرآن: ٤٨٨/٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(١١) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(١٢)وينسب فى السمط (ص ٥٧٢) إلى هميان بن قحافة أحد بنى عوافة بن سعد بن زيد مناة وفى الطبري (٢٢/ ٤٣) من غير عزو، والشطر الأول فقط فى اللسان (صهرج).

(١٣) مجاز القرآن: ١٤٤/٢.

قوله تعالى:{وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} [سبأ : ١٣]، أي:" وقدور ثابتات لا تتحرك من أماكنها لعظمهن"[١].

قال الفراء:" يقول: عظام لا تنزل عن مواضعها"[٢].

قال أبو عبيدة:" {وَقُدُورٍ راسِياتٍ}: عظام ويقال: ثابتات دائمات، قال زهير[٣]:

وأين الذين يحضرون جفانه ... إذا قدّمت ألقوا عليها المراسيا

أي: أثبتوا عليها"[٤].

قوله تعالى:{اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا} [سبأ : ١٣]، أي:" وقلنا يا آل داود: اعملوا شكرًا لله على ما أعطاكم، وذلك بطاعته وامتثال أمره"[٥].

قال الطبري: يقول:" وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التي خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه"[٦].

قال ابن كثير:" أي : وقلنا لهم اعملوا شكرًا على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين. وشكرًا : مصدر من غير الفعل ، أو أنه مفعول له ، وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول وبالنية ، كما قال[٧]:

أَفَادَتْكُمُ النّعْمَاء منّي ثَلاثةً : ... يدِي ، ولَسَاني ، وَالضَّمير المُحَجَّبَا"[٨].

عن ابن زيد، قوله:"{ اعملوا آل داود شكرا}، قال: أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم، وعلمكم منطق الطير، اشكروا له يا آل داود قال: الحمد طرف من الشكر"[٩].

عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قوله: "{اعملوا آل داود شكرا}، فالصلاة شكر، والصيام شكر، وكل خير يعمل لله شكر؛ وأفضل الشكر الحمد"[١٠].

قال محمد بن كعب القُرَظي: "الشكر: تقوى الله والعمل الصالح"[١١].

وفي رواية:" الشكر تقوى الله والعمل بطاعته"[١٢].

قال السعدي:" الشكر: اعتراف القلب بمنة الله تعالى، وتلقيها افتقارا إليها، وصرفها في طاعة الله تعالى، وصونها عن صرفها في المعصية"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.

(٣)ديوانه ص ٢٩٠.

(٤) مجاز القرآن: ١٤٤/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٦) تفسير الطبري: ٣٦٨/٢٠.

(٧)ورد البيت بدون عزو في "غريب الحديث" للخطابي ١/ ٣٤٦، " الكشاف" ١/ ٤٧، "الفائق" ١/ ٣١٤، "الدر المصون" ١/ ٣٦، وانظر: "مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف" ص ٧.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(٩) اخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٤٢/١.

(١١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠٠/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٣٦٨/٢٠.

(١٣) تفسير السعدي: ٦٧٦.

قال ثابت البُنَاني: "كان داود ، عليه السلام ، قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة ، فكان لا تأتي عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي ، فغمرتهم هذه الآية : { اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ }"[1].

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال : "إن أحب الصلاة إلى الله صلاةُ داودَ ، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله صيام داود ، كان يصوم يوما ويفطر يوما. ولا يَفِر إذا لاقى"[2].

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : "قالت أمّ سليمان بن داود لسليمان : يا بني ، لا تكثر النوم بالليل ، فإن كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيرًا يوم القيامة"[3].

وعن أبي يزيد فيض بن إسحاق الرقي قال : "قال فضيل في قوله تعالى : { اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا }. فقال داود : يا رب ، كيف أشكرك ، والشكر نعمة منك ؟ قال : "الآن شكرتني حين علمت أن النعمة مني"[4].

قوله تعالى:{وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} [سبأ : ١٣]، أي:" وقليل من عبادي من يشكر الله كثيرًا"[5].

قال الطبري:"يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدي والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم"[6].

قال ابن عباس:" يقول: قليل من عبادي الموحدون توحيدهم"[7].

قال القرطبي:" يحتمل أن تكون مخاطبة لآل داود، ويحتمل أن تكون مخاطبة لآل محمد ﷺ، وعلى كل وجه ففيها تنبيه وتحريض"[8].

قال ابن كثير:" قوله:{ وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ } إخبار عن الواقع"[9].

عن إبراهيم التيمي، قال: "قال رجل عند عمر: اللهم اجعلني من القليل، قال: فقال عمر: «ما هذا الذي تدعو به؟»، فقال: إني سمعت الله يقول: {وقليل من عبادي الشكور} [سبأ: ١٣]، فأنا أدعو أن يجعلني من أولئك القليل، قال: فقال عمر: «كل الناس أعلم من عمر»[10].

عن الضحاك، قال: «المتقين هم القليل»[11].

القرآن

{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (١٤)} [سبأ : ١٤]

التفسير:

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦.

(٢)صحيح البخاري برقم (١١٣١) وصحيح مسلم برقم (١١٥٩).

(٣)سنن ابن ماجه برقم (١٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٤٣٣/١) : "هذا إسناد ضعيف".

(٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٦) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٠.

(٧) اخرجه الطبري: ٣٦٩/٢٠.

(٨)المحرر الوجيز: ٤١٠/٤ .

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦.

(١٠) مصنف ابن ابي شيبة(٢٩٥١٤):ص٦٥/٦.

(١١) مصنف ابن ابي شيبة(٦٣٠٣):ص٤٧/٢.

فلما قضينا على سليمان بالموت ما دلَّ الجن على موته إلا الأرَضَةُ تأكل عصاه التي كان متكئًا عليها، فوقع سليمان على الأرض، عند ذلك علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب ما أقاموا في العذاب المذلِّ والعمل الشاق لسليمان؛ ظنا منهم أنه من الأحياء. وفي الآية إبطال لاعتقاد بعض الناس أن الجن يعلمون الغيب؛ إذ لو كانوا يعلمون الغيب لعلموا وفاة سليمان عليه السلام، ولما أقاموا في العذاب المهين.

قوله تعالى:{فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ} [سبأ : ١٤]، أي:" فلما قضينا على سليمان بالموت"[١].

قال الطبري: يقول:" فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات"[٢].

قال القرطبي:" أي: فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالأمر المفروغ منه ووقع به الموت"[٣].

قوله تعالى:{مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ} [سبأ : ١٤]، أي:" ما دلَّ الجن على موته إلا الأرَضَةُ تأكل عصاه التي كان متكئًا عليها"[٤].

قال الطبري:" يقول: لم يدل الجن على موت سليمان {إلا دابة الأرض} وهي الأرضة وقعت في عصاه التي كان متكئا عليها فأكلتها"[٥].

قال القرطبي:" وذلك أنه كان متكئا على المنسأة، فمات كذلك وبقي خافي الحال إلى أن سقط ميتا لانكسار العصا لأكل الأرض إياها، فعلم موته بذلك، فكانت الأرضة دالة على موته، أي سببا لظهور موته، وكان سأل الله تعالى ألا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة"[٦].

قال السعدي:" فلم يزل الشياطين يعملون لسليمان، عليه الصلاة والسلام، كل بناء، وكانوا قد موهوا على الإنس، وأخبروهم أنهم يعلمون الغيب، ويطلعون على المكنونات، فأراد الله تعالى أن يُرِيَ العباد كذبهم في هذه الدعوى، فمكثوا يعملون على عملهم، وقضى الله الموت على سليمان عليه السلام، واتَّكأ على عصاه، وهي المنسأة، فصاروا إذا مروا به وهو متكئ عليها، ظنوه حيا، وهابوه، فغدوا على عملهم كذلك سنة كاملة على ما قيل، حتى سلطت دابة الأرض على عصاه، فلم تزل ترعاها، حتى باد وسقط فسقط سليمان عليه السلام وتفرقت الشياطين وتبينت الإنس أن الجن {لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} وهو العمل الشاق عليهم، فلو علموا الغيب، لعلموا موت سليمان، الذي هم أحرص شيء عليه، ليسلموا مما هم فيه"[٧].

عن ابن عباس، قوله:" {إلا دابة الأرض تأكل منسأته}، يقول: الأرضة تأكل عصاه"[٨].

عصاه"[٨].

قال قتادة:" أكلت عصاه حتى خر"[٩].

قال عطاء:" كان سليمان بن داود يصلي، فمات وهو قائم يصلي والجن يعملون لا يعلمون بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه فخر"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٢) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٠.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٢٩.

(٥) تفسير الطبري: ٣٦٩/٢٠.

(٦) تفسير القرطبي: ٢٧٨/١٤.

(٧) تفسير السعدي: ٦٧٦.

(٨) اخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.

(٩) اخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.

قال ابن زيد: "المنسأة العصا"[٢].
قال السدي:" المنسأة: العصا بلسان الحبشة"[٣].
قال ابن قتيبة:" {المنسأة}: العصا. وهي مفعلة من نسأت الدابة: إذا سقتها قال الشاعر[٤]:
إذا دببت على المنساة من كبر ... فقد تباعد عنك اللهو والغزل
وقال الآخر[٥]:
وعنس كألواح الإران نسأتها ... إذا قيل للمشبوبتين: هماهما"[٦].
قال الفراء:{منسأته}: "هي العصا العظيمة التي تكون مع الراعي: أخذت من نسأت البعير: زجرته ليزداد سيره كما يقال: نسأت اللبن إذا صببت عليه الماء وهو النسيء. ونسئت المرأة إذا حبلت. ونسأ الله في أجلك، أي: زاد الله فيه"[٧].
وقرئ:«منساته»، غير مهموزة[٨].
قال ابن زيد:" قال سليمان لملك الموت: يا ملك الموت إذا أمرت بي فأعلمني، قال: فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك، قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير، ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه، قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه، ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت، قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي، قال: فبعث الله دابة الأرض، قال: دابة تأكل العيدان يقال لها القادح، فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا، ضعفت وثقل عليها فخر ميتا، قال: فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا، قال: فذلك قوله: {ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته}، قال: والمنسأة: العصا"[٩].
عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: "كان سليمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك؟ فتقول كذا، فيقول لأي شيء أنت؟ فإن كانت تغرس غرست، وإن كان لدواء كتبت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخروب، قال: لأي شيء أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللهم عم على الجن موتي؛ حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقط، فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا في العذاب المهين". قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء"[١٠].

---

(١) اخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٠.
(٢) اخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.
(٣) اخرجه الطبري: ٣٧٠/٢٠.
(٤)ورد البيت غير منسوب في اللسان ١٦٤/١، وتفسير الطبري ٥١/٢٢، والقرطبي ٢٧٩/١٤، والبحر ٢٥٥/٧. و "المنسأة" تهمز وتسهل. وقرأ أبو عمرو بالتسهيل، وقال: إنه لا يعرف لها اشتقاقا، كما في البحر ٢٦٧/٧.
(٥)ورد البيت غير منسوب في اللسان ١٦٤/١. وانظر القرطبي ٢٨٠/١٤.
(٦) غريب القرآن: ٣٥٤-٣٥٥.
(٧) معاني القرآن: ٣٥٦/٢.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٠/٢٠.
(٩) اخرجه الطبري: ٣٧٤/٢٠.
(١٠) اخرجه الطبري: ٣٧٢/٢٠. قال ابن كثير:٥٠١/٦:" حديث مرفوع غريب ، وفي صحته نظر".

قوله تعالى:{فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ} [سبأ : ١٤]، أي:" فلما سقط سليمان عن عصاه ظهر للجن واتضح لهم أنهم لو كانوا يعرفون الغيب كما زعموا، ما مكثوا في الأعمال الشاقة تلك المدة الطويلة"[١].

قال الطبري: يقول:" فلما خر، تبين وانكشف أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين"[٢].

قال ابن قتيبة:" كان الناس يرون الشياطين تعلم كثيرا من الغيب والسر؛ فلما خر سليمان تبينت الجن أي ظهر أمرها، ثم قال: {أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين}، وقد يجوز أن يكون {تبينت الجن} أي علمت وظهر لها العجز. وكانت تسترق السمع وتلبس بذلك على الناس أنها تعلم الغيب؛ فلما خر سليمان زال الشك في أمرها كأنها أقرت بالعجز"[٣].

قال ابن كثير:" تبينت الجن والإنس أيضًا أن الجن لا يعلمون الغيب ، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك"[٤].

وفي مصحف عبد الله بن مسعود:«تبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب»[٥].

قال قتادة:" كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين {فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين} ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولا"[٦].

عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قال: "كان سليمان يتجردفي بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقل من ذلك وأكثر، يدخل طعامه وشرابه، فدخله في المرة التي مات فيها، وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه، إلا تنبت فيه شجرة، فيسألها: ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا، فيقول لها: لأي شيء نبت، فتقول: نبت لكذا وكذا. فيأمر بها فتقطع؛ فإن كانت نبتت لغرس غرسها، وإن كانت نبتت لدواء قالت: نبت دواء لكذا وكذا، فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة، فسألها ما اسمك؟ فقالت له: أنا الخروبة، فقال: لأي شيء نبت، قالت: لخراب هذا المسجد، قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له ثم دخل المحراب، فقام يصلي متكئا على عصاه، فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك، وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جلدا إن دخلت، فخرجت من الجانب الآخر، فدخل شيطان من أولئك فمر، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق، فمر ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق، ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته، وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يوما وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة". وهي في قراءة ابن مسعود: فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا

---

(١) صفوة التفاسير: ٥٠٣/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٣٧٤/٢٠.

(٣) غريب القرآن: ٣٥٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٠١/٦.

(٥) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥٥.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٧٣-٣٧٤.

في العذاب سنة يعملون له، وذلك قول الله: {ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين}، يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل إليك الماء والطين، فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها"[1].

فوائد الآيات:[١٠-١٤]:

١- بيان إكرام الله تعالى لآل داود وما وهب داود وسليمان من الآيات.

٢- فضيلة صنع السلاح وآلات الحرب لغرض الجهاد في سبيل الله.

٣- مركبة سليمان سبقت صنع الطائرات الحالية بآلاف السنين.

٤- شرع من قبلنا شرع لنا إلا ما خصه الدليل كتحريم الصور والتماثيل علينا ولم تحرم عندهم.

٥- وجوب الشكر على النعم، وأهم ما يكون به الشكر الصلاة والإكثار منها.

٦- تقرير أن علم الغيب لله وحده.

القرآن

{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ (١٥)} [سبأ : ١٥]

التفسير:

لقد كان لقبيلة سبأ بـ «اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا: بستانان عن يمين وشمال، كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم؛ فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم.

قوله تعالى:{لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ} [سبأ : ١٥]، أي:" لقد كان لقبيلة سبأ بـ «اليمن» في مسكنهم دلالة على قدرتنا

قال الصابوني:" «اللام» موطئة للقسم، أي: والله لقد كان لقوم سبإ في موضع سكانهم باليمن آية عظيمة دالة على الله جل وعلا وعلى قدرته على مجازات المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، فإن قوم سبإ لما كفروا نعمة الله خرَّ الله ملكهم، وشتَّت شملهم، ومزَّقهم شرَّ ممزَّق، وجعلهم عبرةً لمن يعتبر"[2].

اختلف أهل العلم في «سبإ» على قولين :

أحدهما : أنه اسم أرض باليمن يقال لها مأرب، بينها وبين صنعاء مسيرة ثلاثة أيام. قاله قتادة[3].

قال ابن لهيعة:" يقولون: إن مأرب مدينة بلقيس لم يكن بينها وبين بيت المقدس إلا ميل، فلما غضب الله عليها بعدها فهي اليوم باليمن وهي التي ذكر الله في القرآن: {لقد كان لسبإ في مسكنهم آية}، حتى بلغ: {ذلك جزيناهم بما كفروا}"[4].

قال النحاس:" قرأ أبو عمرو:«لقد كان لسبإ» بغير صرف جعله اسما للقبيلة، وهو اختيار أبي عبيد واستدل على أنه اسم قبيلة أن بعده في مسكنهم ولو كان كما كان لكان في مساكنها"[5].

الثاني : اسم قبيلة.

واختلف من قال بهذا هل هو اسم امرأة أو رجل على قولين:

أحدهما : أنه اسم امرأة نسبت القبيلة إليها لأنها أمهم. حكاه الماوردي[1].

---

(١) اخرجه الطبري: ٣٧٢٠٣٧٣/٢٠.

(٢) صفوة التفاسير: ٥٠٥/٢.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٦٢٤٢):ص٢٨٦٤/٩، و(١٦٢٥٤):ص٢٨٦٦/٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٤١):ص٢٨٦٤/٩.

(٥) إعراب القرآن: ٢٣١/٣-٢٣٢، وانظر تيسير الداني ١٤٦.

الثاني : أنه رجل. قاله مقاتل[٢]، واختاره الواحدي[٣]، وهو قول الأكثرين[٤].
قال مقاتل:" وهو رجل بن يشخب[٥] بن يعرب بن قحطان"[٦].
قال ابن كثير:" قال علماء النسب ، منهم محمد بن إسحاق : اسم سبأ : عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان"[٧].
قال السمعاني:" أكثر أهل التفسير على أن سبأ اسم رجل، ونسبت القبيلة إليه، كما أن تميما اسم رجل، ونسبت القبيلة إليه"[٨].
قال النحاس:" هو في الأصل اسم رجل جاء بذلك التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم"[٩].
عن ثابت بن سعيد عن أبيه: "أن فروة بن مسيك المرادي، حدثه أنه سأل رسول الله ﷺ عن سبأ فقال: يا رسول الله ما سبأ؟ أرجل أم جبل أم واد؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا، بل رجل ولد عشرة فتشاءم أربعة، وتيامن ستة، تشاءم لخم، وجذام، وعاملة، وغسان، وتيامن حمير، ومذحج، والأزد، وكندة، والأشعريون، وأنمار التي منها بجيلة»[١٠].
وفي رواية عن عبد العزيز بن يحيى، قال : "كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بأفريقية فقال يومًا : ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها. فقال علي بن رباح : كلا قد حدثني فلان أن فروة بن مُسَيك الغُطَيفي قدم على رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، إن سبأ قوم كان لهم عز في الجاهلية ، وإني أخشى أن يرتدّوا عن الإسلام ، أفأقاتلهم ؟ فقال : "ما أمرت فيهم بشيء بعد". فأنزلت هذه الآية : {لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ } الآيات ، فقال له رجل : يا رسول الله ، ما سبأ ؟ فذكر مثل هذا الحديث الذي قبله : أن رسول الله ﷺ سُئل عن سبأ : ما هو ؟ أبلد ، أم رجل ، أم امرأة ؟ قال : "بل رجل ، وَلَد له عَشَرَة فسكن اليمن منهم ستة ، والشام أربعة ، أما اليمانيون : فمذحج ، وكندة ، والأزد ، والأشعريون ، وأنمار ، وحمير غير ما حلها. وأما الشام : فلخم ، وجذام ، وغسان ، وعاملة"[١١].
قال ابن كثير:" كانت سبأ ملوكَ اليمن وأهلها، وكانت التبابعة منهم ، وبلقيس - صاحبة سليمان – منهم.. وإنما سمي سبأ لأنه أول من سبأ في العرب ، وكان يقال له : الرائش ؛ لأنه

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤٤٣/٤.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٣.
(٣) انظر التفسير البسيط: ١٨/ ٣٣٩.
(٤) انظر: تفسير السمعاني: ٣٢٤/٤.
(٥) وحكاه الواحدي عنه بلفظ:" هو رجل من يشجب بن يعرب بن قحطان". انظر: التفسير البسيط: ٣٣٩/١٨.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥٠٥/٦.
(٨) تفسير السمعاني: ٣٢٤/٤.
(٩) إعراب القرآن: ٢٣١/٣.
(١٠) المعجم الكبير للطبراني(٨٣٨):ص٣٢٦/١٨، والمستدرك على الصحيحين(٣٥٨٦):ص٤٦٠/٢[سكت عنه الذهبي في التلخيص].
(١١) قال ابن كثير: ٥٠٥/٦:" فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة ، والسورة مكية كلها ، والله أعلم".

أول من غنم في الغزو فأعطى قومه ، فسمي الرائش ، والعرب تسمي المال : ريشا ورياشا. وذكروا أنه بشَّر برسول الله ﷺ في زمانه المتقدم"[١].

قال ابن الجوزي:" قال المفسرون: المراد بـ«سبإ» -ها هنا-: القبيلة التي هم من أولاد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان"[٢].

قال أبوعبيدة:" ينوّن «سبأ» بعضهم لأنه يجعله اسم أب، ويهمزه وبعضهم لا ينون فيه بجعله اسم أرض"[٣].

قوله تعالى:{جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} [سبأ : ١٥]، أي:" بستانان عن يمين وشمال"[٤].

قال الطبري:" يعني: بستانان كانا بين جبلين، عن يمين من أتاهما وشماله"[٥].

قال مقاتل:" جنتان أحدهما عن يمين الوادي والأخرى عن شمال الوادي، واسم الوادي العرم"[٦].

قال قتادة:" كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكتلها على رأسها فتمشي بين جبلين، فيمتلىء مكتلها، وما مست بيدها، فلما طغوا بعث الله عليهم دابة، يقال لها «جرذ» فنقبت عليهم فغرقتهم، فما بقي لهم إلا أثل، وشيء من سدر قليل"[٧].

قال ابن زيد:" ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط، ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية، وإن كان الركب ليأتون وفي ثيابهم القمل والدواب، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموت الدواب، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج، وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئا بيده، قال: والسد يسقيها"[٨].
يسقيها"[٨].

قوله تعالى:{كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ} [سبأ : ١٥]، أي:" كلوا من رزق ربكم، واشكروا له نعمه عليكم"[٩].

قال الطبري:أي:" الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما، {واشكروا له} على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك"[١٠].

قال الصابوني:"أي: وقلنا لهم على لسان الرسل: كلوا من فضل الله وإنعامه واشكروا ربكم على هذه النعم"[١١].

قوله تعالى:{بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ} [سبأ : ١٥]، أي:" فإن بلدتكم كريمة التربة حسنة الهواء، وربكم غفور لكم"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠٤/٦-٥٠٦. [باختصار]

(٢) زاد المسير: ٤٩٤/٣.

(٣) مجاز القرآن: ١٤٦/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٥) تفسير الطبري: ٣٧٦/٢٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/ ٥٢٩.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٧٦/٢٠-٣٧٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٠.

(١١) صفوة التفاسير: ٥٠٥/٢.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

قال الطبري:" بلدة ليست بسبخة، لم يكن فيها شيء مؤذ؛ الهمج والدبيب والهوام، ورب غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه"[١].

قال السمعاني:" أي:[بلدة] طيبة الهواء، عذبة الماء، كثيرة الفواكه، ورب غفور للذنوب إن شكرتم نعمه"[٢].

قال قتادة:" وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته"[٣].

فإن قيل: "أي فائدة لتخصيصهم بهذا، والله غفور لكل العباد؟

والجواب عنه: أن مغفرة الرب مع طيب البلدة على تلك الغاية لم تكن إلا لهم"[٤].

القرآن

{فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ (١٦) ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ (١٧)} [سبأ : ١٦-١٧]

التفسير:

فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل، فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرَّب السد وأغرق البساتين، وبدَّلناهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتَيْ أكل خمط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأَثْل وهو شجر شبيه بالطَّرْفاء لا ثمر له، وقليل من شجر النَّبْق كثير الشوك. ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نِعَمَ الله، وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجَحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلا بمثل.

قوله تعالى:{فَأَعْرَضُوا} [سبأ : ١٦]، أي:" فأعرضوا عن أمر الله وشكره وكذبوا الرسل"[٥].

قال الطبري: يقول:" فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها"[٦].

قال السمعاني:" أي: فأعرضوا عن شكر النعم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم ، وعدلوا إلى عبادة الشمس ، كما قال هدهد سليمان : { وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ. إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ. وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَدُونَ } [النمل : ٢٢ ، ٢٤]"[٨].

قال وهب بن منبه: "لقد بعث الله إلى سبأ ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم"[٩].

قال السدي:" بعث إلى سبأ اثنا عشر نبيا فسمى تبع لكثرة من تبعه"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٧٧/٢٠.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٢٥/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٧٧/٢٠.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٢٥/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٠.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٢٥/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٧/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٧٨/٢٠.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٦٢٤٣):ص٢٨٦٤/٩.

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} [سبأ : ١٦]، أي:" فأرسلنا عليهم السيل الجارف الشديد الذي خرَّب السد وأغرق البساتين"[١].

قال الطبري: يقول:" فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذي كان يحبس عنهم السيول، وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس"[٢].

قال الفراء:" فلما أعرضوا وجحدوا الرسل بثق الله عليهم المسناة، فغرقت أرضهم ودفن بيوتهم الرمل"[٣].

عن مجاهد:" أن ذلك السيل الذي أرسل عليهم من العرم كان ماء أحمر أتى الله به من حيث شاء هو شق السد وهدمه، وحفر بطن الوادي عن الجنتين، فارتفعتا وغار عنهما الماء فيبستا"[٤].

واختلفوا في العرم على أربعة أقوال:

أحدها: أنه اسم الوادي. قاله ابن عباس[٥]، وقتادة[٦]، والضحاك[٧]، وعطاء[٨].

قال ابن عباس:"واد كان باليمن، كان يسيل إلى مكة، وكانوا يسقون وينتهي سيلهم إليه"[٩].

قال قتادة:" ذكر لنا أن «سيل العرم» واد كانت تجتمع إليه مسايل من أودية شتى، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه، ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئا"[١٠].

قال الضحاك:" واد يدعى العرم، وكان إذا مطر سالت أودية اليمن إلى العرم، واجتمع إليه الماء فعمدت سبأ إلى العرم فسدوا ما بين الجبلين، فحجزوه بالصخر والقار، فانسد زمانا من الدهر، لا يرجون الماء، يقول: لا يخافون"[١١].

الثاني: أن«العرم»: المسنأة التي تحتبس الماء، وهذا قول المغيرة بن حكيم[١٢]، ومجاهد[١٣]، والسدي[١٤]، وعمرو بن شرحبيل[١]، والفراء[٢]، والمبرد[٣]، وأبي عبيدة[٤]، وابن قتيبة[٥].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري: ٣٧٨/٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٣٥٨/٢.

(٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/ ٧٥٣.

(٥) أانظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨٩١):ص٣١٦٦/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٨٠/٢٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(١٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨٩٠):ص٣١٦٦/١٠.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٨٨٨):ص٣١٦٥/١٠-٣١٦٦.

قال السدي:" كان أهل سبأ أعطوا ما لم يعطه أحد من أهل زمانهم، فكانت المرأة على رأسها المكتل فتريد حاجتها، فلا تبلغ مكانها الذي تريد حتى يمتلأ مكتلها من أنواع الفاكهة، فأجمعوا ذلك فكذبوا رسلهم، وقد كان السيل يأتيهم من مسيرة عشرة أيام حتى يستقر في واديهم، فيجمع الماء من تلك السيول والجبال في ذلك

قال أبوعبيدة:" {سَيْلَ الْعَرِمِ}: واحدها:«عرمة»، وهو بناء مثل المشار يحبس به الماء ببناء فيشرف به على الماء فى وسط الأرض ويترك فيه سبيل للسفينة فتلك: العرمات، واحدها: عرمة، و«المشار» بلسان العجم. قال الأعشى[٦]:

وفى ذاك للمؤتسى إسوة ... ومأرب قفّى عليها العرم

رخام بناه لهم حمير ... إذا جاش دقّاعه لم يرم

أي: حبسه. وقال آخر[٧]:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما"[١].

الوادي، وكان قد حفروه بمسناة وهم يسمون المسناة عرم- وكان يفتحون إذا شاؤوا من ذلك الماء، فيسقون جنانهم إذا شاؤوا، فلما غضب الله عليهم، وأذن في هلاكهم، دخل رجل إلى جنته- وهو عمر بن عامر فيما بلغنا، وكان كاهنا فنظر إلى جرزة تنقل أولادها من بطن الوادي إلى أعلى الجبل فقال: ما نقلت هذه أولادها من هاهنا إلا وقد حضر أهل هذه البلاد عذاب ويقدر أنها خرقت ذلك العرم فلقبت لقبا فسال ذلك اللقب ماء إلى جنته، فأمر عمر بن عامر بذلك اللقب فسد فأصبح وقد انفجر بأعظم ما كان، فأمر به أيضا فسد ثم انفجر بأعظم ما كان، فلما رأى ذلك دعا ابن أخيه فقال: إذ أنا جلست العشية فيء نادي قومي فائتني فقل علام تحبس علي مالي؟ فإني سأقول: ليس لك عندي مال ولا ترك أبوك شيئا وإنك لكاذب، فإذا أنا كذبتك فكذبني واردد علي مثل ما قلت لك فإذا فعلت ذلك فإني سأشتمك، فاشتمني، فإذا أنت شتمتني لطمتك، فإذا أنا لطمتك فقم فالطمني قال: ما كنت لأستقبلك بذلك يا عم! قال: بلى فافعل فإني أريد بها صلاحك. وصلاح أهل بيتك فقال الفتى: نعم، حيث عرف هو عمه، فجاء فقال:

ما أمر به حتى لطمه، فتناوله الفتى فلطمه فقال الشيخ: يا معشر بني فلان ألطم فيكم؟ لأسكنت في بلد لطمني فيه فلان أبدا، لم يبتاع مني فلما عرف القوم منه الجد أعطوه فنظر إلى أفضلهم عطية، فأوجب له البيع، فدعا بالمال فنقده وتحمل هو وبنوه من ليلته، فتفرقوا".

(١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٣/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن: ٣٥٨/٢.

(٣) انظر: الكامل: ٢٠٧/٣، وقال:" العرمة: كالسكر، وجمعها عرم". ثم استشهد بقول النابغة الجعدي:

وقل النابغة الجعدي:

من سبأ الحاضرين مأرب إذ ... يبنون من دون سيله العرما

وانظر البيت في: "ديوانه" ص ١٣٤، "الكتاب" ٣/ ٢٥٣، "جمهرة اللغة" ص ٧٧٣، "سمط الآلئ" ص ١٨، "اللسان" ١/ ٣٩٦ مادة: (عرم).

(٤) انظر: مجاز القرآن: ١٤٦/٢-١٣٧.

(٥) انظر: غريب القرآن: ٣٥٥.

(٦)ديوان الأعشى: ٩٣، وسيرة ابن هشام: ١/ ١٤، وتفسير الطبري: ٣٧٨/٢٠، والبيت الأول في معجم البلدان (مأرب) وبلا نسبة في لسان العرب (قفا) ، وتهذيب اللغة ٩/ ٣٢٧.

(٧)اختلفوا فى غرو هذا البيت بعضهم نسبوه إلى النابغة الجعدي وبعضهم إلى أمية ابن أبى الصلت وهو فى ديوان أمية بن أبى الصلت رقم ٥١ وفى ملحق ديوان الأعشى أيضا ص ٢٥٨ وانظره فى الكتاب ٢/ ٢٦ والسيرة ص ٩ والشعراء ص ١٦٢ والكامل للمبرد ص ٦١١ والجمهرة ٣/ ٢٠٥، ٣٨٨ والسمط ص ١٨ واللسان والتاج (عرم) والقرطبي ١٤/ ٢٨٣.

قال مجاهد:" هي: المنسأة التي يجتمع فيه الماء ثم ينشف"[٢].
قال مجاهد:"«العرم» بالحبشة، وهي المسناة التي يجتمع فيها الماء ثم ينبثق"[٣].
روي عن أبي ميسرة، قوله: "{فأرسلنا عليهم سيل العرم}، قال: المسناة بلحن اليمن"[٤].
قال يحيى بن سليمان الجعفي: "المسناة هي التي يسميها أهل مصر الجسر فكانوا يفتحونها إذا شاؤوا فإذا رويت جنتهم سدوها"[٥].

قال يحيى بن سليمان:" هذا الذي يسمونه الجسر يحبس به الماء، وكان سدا قد جعل في موضع الوادي تجتمع فيه المياه. وذكروا أنه إنما نقبه دابة يقال له الخلد، ليس له عينان، له نابان يحفر بهما الأرض"[٦].

قال السمعاني:"وقد كانوا بنوا المسناة بالصخر والقار بينه وبين الماء، وجعلوا على المسناة أبوابا تفتح وتسد، فإذا احتاجوا إلى الماء فتحوا، وإذا استغنوا سدوا"[٧].

قال الفراء:" كانت مسناة كانت تحبس الماء على ثلاثة أبواب منها، فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول، ثم الثاني، ثم الآخر، فلا بنفد حتى يثوب الماء من السنة المقبلة. وكانوا أنعم قوم عيشا"[٨].

وذكر النقاش: "أنه كان ذلك من عمل بلقيس، وكانت جعلت على المسناة اثني عشرة مخرجا، يخرج منها اثنا عشر نهرا، وكانت المسناة سدا بين جبلين، والمياه وراء السد تجتمع من السيول"[٩].

وعن هب، قال أبي: "فسألت المغيرة بن حكيم عن «العرم»، فقال: هو بكلام حمير المسناة، فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من وراء السد، وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة، فجعلت فيها اثني عشر مخرجا على عدة أنهارهم، فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة، وأمرت بالبعر فألقي فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض، فلم تزل تضيق تلك الأنهار، وترسل البعر في الماء حتى خرج جميعا معا، فكانت تقسمه بينهم على ذلك، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان"[١٠].

قال المغيرة بن حكيم: "لما ملكت بلقيس، جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم، قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكها وانطلقت إلى قصر لها وتركتهم، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها، فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبت فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت: إنكم لا تطيعونني وليست لكم عقول، ولا تطيعوني، قالوا: فإنا نطيعك، وإنا لم نجد فينا خيرا بعدك، فجاءت فأمرت بواديهم، فسد بالعرم"[١١].

---

(١) مجاز القرآن: ٢/١٤٦-١٣٧.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٨٩٠):ص١٠/٣١٦٦.

(٣)الدر المنثور ٦/ ٦٩٠، وغريب القرآن وتفسيره لليزيدي ص ٣٠٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٧٩.

(٥) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٣/٢٣٢.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٥٣.

(٧) تفسير السمعاني: ٤/٣٢٦.

(٨) معاني القرآن: ٢/٣٥٨.

(٩) نقلا عن تفسير السمعاني: ٤/٣٢٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٧٩.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٣٧٩.

الثالث: أن «العرم»: هو اسم الجرذ، وهو الفأرة، وقيل: كان اسم الخلد، وسلطه الله تعالى على المسناة حتى نقبها، ودخل الماء وغرق البلد والبساتين.

وقال ابن الأعرابي: "العرم والبر من أسماء الفأرة، ومنه قولهم: فلان لا يعرف هرا من برا أي: السنور من الفأرة"(١).

قال الراغب:" قيل: «العرم»: الجرذ الذكر، ونسب إليه السيل من حيث إنه نقب المسناة"(٢).

وذكر أبو الحسين بن فارس في تفسيره: "أن القوم كانوا قد سمعوا أن هلاك بلدهم بالفأر من كهانهم، فجاءوا بالسنانير وربطوها عند كل جرف في المسناة، فجاءت فأرة حمراء كبيرة وساورت السنور وهزمته ودخلت في الجرف، وتغلغلت المسناة حتى نقبتها وخرقتها"(٣).

الرابع : أن «العرم»: هو السيل الشديد، أي: أرسلنا عليهم السيل الشديد. وهذا قول ابن عباس(٤)، ومجاهد(٥).

قال الراغب:" العرامة: شراسة وصعوبة في الخلق، وتظهر بالفعل، يقال: عرم فلان فهو عارم، وعرم: تخلق بذلك، ومنه: عرام الجيش، وقوله تعالى: {فأرسلنا عليهم سيل العرم}[سبأ: ١٦] ، قيل: أراد سيل الأمر العرم "(٦).

قال الواحدي:" فأكثر المفسرين على أن العرم: السكر(٧) والمسناة، وهي التي تحبس الماء"(٨).

وقال ابن عباس:"وكان السبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لي جرذا ابتعثه الله على سدهم، فثقب فيه ثقبا"(٩).

ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خراب جنتيهم، على قولين:

أحدهما: أن السيل لما وجد عملا في السد عمل فيه، ثم فاض الماء على جناتهم؛ فغرقها وخرب أرضهم وديارهم. قاله قتادة(١٠)، والضحاك(١١)، وابن زيد، ووهب بن منبه(١٢).

قال قتادة:" لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد، فثقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم، وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم"(١٣).

---

(١) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٢٦/٤.

(٢) المفردات: ٥٦٢.

(٣) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٢٦/٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧٩/٢٠.

(٦) المفردات: ٥٦٢.

(٧)قال في "اللسان" ٤/ ٣٧٥: سكر النهر يسكره سكرًا، سد فاه، وكل شق سد فقد سكر، والسكر ما سد به، والسكر: أيضًا المسناة. اهـــ والمسناة بلغة أهل اليمن.

(٨) التفسير البسيط: ٣٤٣/١٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٣٨١/٢٠.

(١٣)أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

قال الضحاك: "لما طغوا وبغوا، يعني سبأ، بعث الله عليهم جرذا فخرق عليهم السد فأغرقهم الله"[1].

قال ابن زيد: "بعث الله عليه جرذا وسلطه على الذي كان يحبس الماء الذي يسقيها، فأخرب في أفواه تلك الحجارة وكل شيء منها من رصاص وغيره، حتى تركها حجارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس، واقتلع تلك الجنتين، فذهب بهما، وقرأ {فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين}، قال: ذهب بتلك القرى والجنتين"[2].

قال وهب بن منبه اليماني: "كان لهم، يعني لسبأ، سد، قد كانوا بنوه بنيانا أبدا، وهو الذي كان يرد عنهم السيل إذا جاء أن يغشى أموالهم، وكان فيما يزعمون في علمهم من كهانتهم، أنه إنما يخرب عليهم سدهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة، فلما جاء زمانه وما أراد الله بهم من التغريق، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرة من تلك الهرر فساورتها، حتى استأخرت عنها أي الهرة، فدخلت في الفرجة التي كانت عندها، فغلغلت في السد فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على الأموال فاحتملها فلم يبق منها إلا ما ذكره الله، فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر"[3].

الثاني: أن الماء الذي كانوا يعمرون به جناتهم سال إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، فبذلك خربت جناتهم. وهذا قول ابن عباس[4].

قال ابن عباس:" بعث الله عليهم، يعني على العرم، دابة من الأرض فثقبت فيه ثقبا، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، وأبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط، وذلك حين عصوا، وبطروا المعيشة"[5].

قال الطبري:" والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم، أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم"[6].

قوله تعالى:{وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ} [سبأ : ١٦]، أي:" وبدَّلناهم بجنتيهم المثمرتين جنتين ذواتَيْ أكل خمط، وهو الثمر المر الكريه الطعم، وأَثْل وهو شجر شبيه بالطَّرْفاء لا ثمر له، وقليل من شجر النَّبْق كثير الشوك"[7].

قال الطبري:" وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك، والأراك هو الخمط، والأثل: فإنه يقال له: الطرفاء، وقيل: شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها، وقيل: إنها السمر، وشيء من سدر قليل"[8].

قال ابن كثير:" فهذا الذي صار أمر تَيْنك الجنتين إليه ، بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة ، والظلال العميقة والأنهار الجارية ، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسّدْر ذي الشوك الكثير والثمر القليل"[9].

---

(١)أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٢)أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٣٨١/٢٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٢، ٣٨٤. [باختصار]

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

قال ابن قتيبة:" «الخمط»: شجر العضاه. وهي: كل شجرة ذات شوك، و «الأثل»: شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه"[1].
قال أبو عبيدة:" «الخمط»: كل شجرة ذى شوك والأكل هو الجنى"[2].
قال ابن عباس:" أبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط، والخمط: الأراك"[3].
قال ابن عباس:" الأثل: الطرفاء"[4].
قال الحسن ومجاهد:" الخمط: الأراك"[5].
قال قتادة:" الخمط: الأراك، وأكله: بريره"[6].
قال الضحاك:" بدلهم الله بجنان الفواكه والأعناب، إذ أصبحت جناتهم خمطا وهو الأراك"[7].
قال ابن زيد:" أذهب تلك القرى والجنتين، وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خمط، قال: فالخمط: الأراك، قال: جعل مكان العنب أراكا، والفاكهة أثلا وشيئا من سدر قليل"[8].
قال قتادة:" بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شر الشجر بأعمالهم"[9].
قوله تعالى:{ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا} [سبأ : ١٧]، أي:" ذلك التبديل من خير إلى شر بسبب كفرهم، وعدم شكرهم نِعَمَ الله"[10].
قال الطبري: يقول:" هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخربت جناتهم، جزاء منا على كفرهم بنا، وتكذيبهم رسلنا"[11].
قال ابن كثير:" وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله ، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل"[12].
قوله تعالى:{وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ} [سبأ : ١٧]، أي:" وما نعاقب بهذا العقاب الشديد إلا الجَحود المبالغ في الكفر، يجازى بفعله مثلا بمثل"[13].
قال الطبري: يقول:" وهل يجازى إلا الكفور لنعمة الله"[14].
قال ابن كثير:" أي : عاقبناهم بكفرهم"[15].
عن مجاهد: "{وهل نجازي}: نعاقب"[1].

---

(١) غريب القرآن: ٣٥٦.
(٢) مجاز القرآن: ١٤٧/٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٨٢/٢٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٨٤/٢٠.
(٥) رواه عنهما الطبري: ٣٨٢/٢٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٨٣/٢٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٠.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٠.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

قال الحسن البصري :"صدق الله العظيم. لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور"(٢).

وقال طاوس: "يجازى ولا يغفر له؛ والمؤمن لا يناقش الحساب"(٣).

قال ابن خيرة: "جزاء المعصية الوهن في العبادة ، والضيق في المعيشة ، والتعسر في اللذة. قيل : وما التعسر في اللذة ؟ قال : لا يصادف لذة حلالا إلا جاءه مَنْ يُنَغِّصه إياها"(٤).

قال قتادة:" إن الله تعالى إذا أراد بعبده كرامة تقبل حسناته، وإذا أراد بعبده هوانا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة. قال: وذكر لنا أن رجلا بينما هو في طريق من طريق المدينة، إذ مرت به امرأة، فأتبعها بصره، حتى أتى على حائط، فشج وجهه، فأتى نبي الله ووجهه يسيل دما، فقال: يا نبي الله فعلت كذا وكذا، فقال له نبي الله: «إن الله إذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا، وإذا أراد الله بعبد هوانا أمسك عليه ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة، كأنه عير أبتر»"(٥).

القرآن

{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨)} [سبأ : ١٨]

التفسير:

وجعلنا بين أهل «سبأ» -وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها -وهي «الشام» - مُدنًا متصلة يُرى بعضها من بعض، وجعلنا السير فيها سيرًا مقدَّرًا من منزل إلى منزل لا مشقة فيه، وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أيِّ وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدوًّا، ولا جوعًا ولا عطشًا.

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً} [سبأ : ١٨]، أي:" وجعلنا بين أهل «سبأ» -وهم «باليمن» - والقرى التي باركنا فيها -وهي «الشام» - مُدنًا متصلة يُرى بعضها من بعض"(٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم: وجعلنا بين بلدهم وبين القرى التى باركنا فيها وهي الشأم، قرى متصلة، وهي قرى عربية"(٧).

قال ابن كثير:" يذكر تعالى ما كانوا فيه من الغِبْطة والنعمة ، والعيش الهني الرغيد ، والبلاد الرخية ، والأماكن الآمنة ، والقرى المتواصلة المتقاربة ، بعضها من بعض ، مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها ، بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حَمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمرا ، ويَقيل في قرية ويبيت في أخرى ، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم"(٨).

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٠.

(٢) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

(٣) نقلا عن غريب القرآن لابن قتيبة: ٣٥٦.

(٤) رواه ابن ابي حاتم كما تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٣٨٥/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٦.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٨/٦-٥٠٩.

قال الحسن:" قرى متواصلة، قال: كان أحدهم يغدو فيقيل في قرية ويروح فيأوي إلى قرية أخرى. قال: وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها، ثم تمتهن بمغزلها، فلا تأتى بيتها حتى يمتلىء من كل الثمار"[١].

عن معمر، قوله: {التي باركنا فيها}، قال :"هي قرب الشام"[٢].

عن مجاهد، قوله: {التي باركنا فيها}، قال: " هي قرى الشام"[٣].

واخرج الطبري عن مجاهد، وقتادة، في قوله: {القرى التي باركنا فيها}، قالا: "الشأم"[٤].

عن قتادة: "{قرى ظاهرة}، أي: متواصلة"[٥].

عن مجاهد: "{قرى ظاهرة}، قال: السروات"[٦].

عن مجاهد: {قرى ظاهرة}، قال:" كل يوم هم على ماء"[٧].

قال سعيد بن جبير:" هي قرى عربية ، وهي القرى التي ما بين مأرب ، والشام"[٨].

عن ابن عباس، قوله:" {قرى ظاهرة}، يعني: قرى عربية بين المدينة والشام"[٩]. وروي عن الضحاك مثله[١٠].

وعن ابن عباس، قوله:"{ وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة}، قال:الأرض التي باركنا فيها: هي الأرض المقدسة"[١١].

قال ابن زيد:" كان بين قريتهم وقرى الشأم قرى ظاهرة، قال: إن كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها، تروح من قرية وتغدوها، وتبيت في قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشأم"[١٢].

قوله تعالى:{وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} [سبأ : ١٨]، أي:" وجعلنا السير فيها سيرًا مقدَّرًا من منزل إلى منزل لا مشقة فيه"[١٣].

قال ابن قتيبة: أي: جعلنا ما بين القرية والقرية مقدارا واحدا"[١٤].

قال الطبري: يقول:" وجعلنا بين قراهم والقرى التي باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل إلى منزل وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا فى قرية ولا يغدون إلا من قرية"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٦-٣٨٧.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤١١):ص٣/٦٢.

(٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤١١):ص٣/٦٢.

(٤) تفسير الطبري: ٣٨٦/٢٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٧.

(٧) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤١٢):ص٣/٦٢.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤١٣):ص٣/٦٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٧.

(١٠) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(١١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٧.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(١٤) غريب القرآن: ٣٥٦.

(١٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٧.

قوله تعالى:{سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} [سبأ : ١٨]، أي:" وقلنا لهم: سيروا في تلك القرى في أيِّ وقت شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون عدوًّا، ولا جوعًا ولا عطشًا"(١).

قال الطبري: "يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم والقرى التي باركنا فيها ليالي وأياما آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا، ولا من أحد ظلما"(٢).

عن ابن زيد، قوله: "{وأياما آمنين}، قال: ليس فيها خوف"(٣).

قال قتادة:" لا يخافون ظلما ولا جوعا، وإنما يغدون فيقيلون، ويروحون فيبيتون في قرية أهل جنة ونهر، حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها، وتمتهن بيدها، فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئا، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم"(٤).

القرآن

{فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩)} [سبأ : ١٩]

التفسير:

فبطغيانهم ملُّوا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قُرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا، وظلموا أنفسهم بكفرهم فأهلكناهم، وجعلناهم عبرًا وأحاديث لمن يأتي بعدهم، وفَرَّقناهم كل تفريق وخربت بلادهم، إن فيما حل «بسبأ» لَعبرة لكل صبَّار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى.

قوله تعالى:{فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا} [سبأ : ١٩]، أي:" فبطغيانهم ملُّوا الراحة والأمن ورغد العيش، وقالوا: ربنا اجعل قُرانا متباعدة؛ ليبعد سفرنا بينها، فلا نجد قرى عامرة في طريقنا"(٥).

قال الطبري: يقول:" فقالوا: يا ربنا باعد بين أسفارنا؛ فاجعل بيننا وبين الشأم فلوات ومفاوز، لنركب فيها الرواحل، ونتزود معنا فيها الأزواد، وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية، ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل للقائلين: {وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال : ٣٢]، أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة"(٦).

قال ابن كثير:" وذلك أنهم بَطروا هذه النعمة، وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل والسير في الحَرُور والمخاوف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض ، من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، مع أنهم كانوا في عيش رغيد في مَنّ وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ؛ ولهذا قال لهم : { أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ } [البقرة : ٦١] ، وقال تعالى : { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا } [القصص : ٥٨] ، وقال تعالى : { وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٧-٣٨٨.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٨.

(٤)أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٨ .

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٨٩.

رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل : ١١٢]"[١].

قال أبو مالك:" كانت لهم قرى متصلة باليمن، كان بعضها ينظر إلى بعض، فبطروا ذلك، وقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا، قال: فأرسل الله عليهم سيل العرم، وجعل طعامهم أثلا وخمطا وشيئا من سدر قليل"[٢].

قال ابن عباس:" فإنهم بطروا عيشهم، وقالوا: لو كان جنى جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيه، فمزقوا بين الشأم وسبأ، وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط، وأثل وشيء من سدر قليل"[٣].

عن ابن زيد، قوله:"{فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا}، حتى نبيت في الفلوات والصحاري، {فظلموا أنفسهم}"[٤].

قال قتادة:" بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله، قال الله: {وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث}"[٥].

وقرأه قوم: «ربنا بعّد بين أسفارنا»"[٦].

قوله تعالى:{وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} [سبأ : ١٩]، أي:" وظلموا أنفسهم بكفرهم وجحودهم النعمة"[٧].

قال ابن كثير:" أي : بكفرهم"[٨].

قال الطبري:" وكان ظلمهم اياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله"[٩].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ} [سبأ : ١٩]، أي:" وجعلناهم عبرًا وأحاديث لمن يأتي بعدهم"[١٠].

قال ابن قتيبة: أي: عظة ومعتبرا"[١١].

قال الطبري:" يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل في السب، فيقال: تفرق القوم أيادي سبا، وأيدي سبا إذا تفرقوا وتقطعوا"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : جعلناهم حديثا للناس ، وَسمَرًا يتحدثون به من خبرهم ، وكيف مكر الله بهم ، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد هاهنا وهاهنا"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٨٩.

(٦) مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٤٧/٢.

(٧) صفوة التفاسير: ٥٠٦/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٦.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(١١) غريب القرآن: ٣٥٦.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٠.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٠٩/٦.

قال الفراء:" صاروا مثلا عند العرب. والعرب تقول: تفرقوا أيادي سبا وأيدي سبا قال الشاعر[١]:

عينا ترى الناس إليها نيسبا ... من صادر ووارد أيدي سبا"[٢].

إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، سمعت أبي يقول :" سمعت عكرمة يحدث بحديث أهل سبأ ، قال : { لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ} إلى قوله : { فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ } وكانت فيهم كهنة ، وكانت الشياطين يسترقون السمع ، فأخبروا الكهنة بشيء من أخبار السماء ، فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال ، وإنه خُبّر أن زوال أمرهم قد دنا ، وأن العذاب قد أظلهم. فلم يدر كيف يصنع ؛ لأنه كان له مال كثير من عقار ، فقال لرجل من بنيه - وهو أعزهم أخوالا - : إذا كان غدا وأمرتك بأمر فلا تفعل، فإذا انتهرتك فانتهرني ، فإذا تناولتك فالطمني. فقال : يا أبت ، لا تفعل ، إن هذا أمر عظيم ، وأمر شديد ، قال : يا بني ، قد حدث أمر لا بد منه. فلم يزل به حتى وافاه على ذلك. فلما أصبحوا واجتمع الناس ، قال : يا بني ، افعل كذا وكذا. فأبى ، فانتهره أبوه ، فأجابه ، فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه ، فوثب على أبيه فلطمه ، فقال : ابني يلطمني ؟ عَلَيّ بالشفرة. قالوا : وما تصنع بالشفرة ؟ قال : أذبحه. قالوا : تذبح ابنك. الطمه أو اصنع ما بدا لك. قال : فأبى ، قال : فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم ذلك ، فجاء أخواله فقالوا : خذ منا ما بدا لك. فأبى إلا أن يذبحه. قالوا : فلتموتن قبل أن تذبحه. قال : فإذا كان الحديث هكذا فإني لا أرى أن أقيم ببلد يحال بيني وبين ولدي فيه ، اشتروا مني دوري ، اشتروا مني أرضي ، فلم يزل حتى باع دوره وأرضيه وعقاره ، فلما صار الثمن في يده وأحرزه ، قال : أي قوم ، إن العذاب قد أظلكم ، وزوال أمركم قد دنا ، فمن أراد منكم دارا جديدا ، وجملا شديدا ، وسفرا بعيدا ، فليلحق بعمان. ومن أراد منكم الخَمْر والخَمير والعَصير - وكلمة ، قال إبراهيم : لم أحفظها - فليلحق ببصْرَى ، ومن أراد الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل ، المقيمات في الضحل ، فليلحق بيثرب ذات نخل. فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان. وخرجت غسان إلى بصرى. وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل. قال : فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان : هذا مكان صالح ، لا نبغي به بدلا. فأقاموا به ، فسموا لذلك خزاعة ، لأنهم انخزعوا من أصحابهم ، واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة ، وتوجه أهل عمان إلى عمان ، وتوجهت غسان إلى بصرى"[٣].

قوله تعالى:{وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} [سبأ : ١٩]، أي:" وفَرَّقناهم كل تفريق وخربت بلادهم"[٤].

قال الطبري:" يقول: وقطعناهم في البلاد كل مقطع"[٥].

قال أبو عبيدة:" أي: قطعناهم وفرقناهم"[٦].

---

(١)هو دكين الراجز. والنيسب: الطريق المستقيم الواضح يريد سالكين هذا الطريق. وفى اللسان (نسب) عن ابن برى أن الذي فى رجز دكين:

ملكا ترى الناس إليه نيسبا ... من داخل وخارج أيدى سبا

ويروى: من صادر أو وراد.

(٢) معاني القرآن: ٢/٣٥٨.

(٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٦/٥٠٩-٥١٠، قال ابن كثير:" هذا أثر غريب عجيب ، وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم".

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٠.

(٦) مجاز القرآن: ٢/١٤٧.

قال ابن قتيبة: فرقناهم في كل وجه. ولذلك قالت العرب للقوم إذا أخذوا في وجوه مختلفة: تفرقوا أيدي سبا .و«أيدي»[1]، بمعنى: مذاهب وطرق"[2].

قال عامر الشعبي: "أما غسان فقد لحقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان"[3].

قال ابن إسحاق:" يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا، فرأى في كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون؛ فقال لهم: إني قد علمت أنكم ستمزقون، فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود، قال: فكانت وادعة بن عمرو، ومن كان منكم ذا هم مدن وأمرد عن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم بارق، ومن كان منكم يريد عيشا آينا وحرما آمنا فليلحق بالأرزين فكانت خزاعة، ومن كان يريد الراسيات في الوحل المطعمات في المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار، ومن كان يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوسى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم ومن كان منهم بالعراق، قال ابن إسحاق: قد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر، وكانت كاهنة، فرأت في كهانتها ذلك، والله أعلم أي ذلك كان، قال: فلما تفرقوا، نزلوا على كهانة عمران بن عامر"[4].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ : ١٩]، أي:" إن فيما حل «بسبأ» لَعبرة لكل صبَّار على المكاره والشدائد، شكور لنعم الله تعالى"[5].

قال الطبري: يقول:" إن في تمزيقناهم كل ممزق لآيات، يقول: لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه"[6].

قال قتادة:" كان مطرف يقول: نعم العبد الصبارالشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر"[7].

فوائد الآيات:[١٥-١٩]:

١- التحذير من الإعراض عن دين الله فإنه متى حصل لأمة نزلت بها النقم وسلبها الله النعم. وكم هذه الحال مشاهدة هنا وهناك لا بين الأمم والشعوب فحسب بل حتى بين الأفراد.

٢- التحذير من كفر النعم بالإسراف فيها وصرفها في غير مرضاة الله واهبها عز وجل.

٣- خطر الحسد وأنه داء لا دواء له، والعياذ بالله يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

٤- فضيلة الصبر والشكر وعلو شأن الصبور الشكور.

القرآن

{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٠)} [سبأ : ٢٠]

التفسير:

---

(١)اللسان ١/٨٧-٨٨.

(٢) غريب القرآن: ٣٥٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٠-٣٩١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩١.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩١.

ولقد ظن إبليس ظنًا غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدَّق ظنه عليهم، فأطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} [سبأ : ٢٠]، أي:" ولقد ظن إبليس ظنًا غير يقين أنه سيضل بني آدم، وأنهم سيطيعونه في معصية الله، فصدَّق ظنه عليهم"[١].

قال الطبري: يقول:" ولقد ظن إبليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط عقوبة منا لهم، ظنا غير يقين، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله فصدق ظنه عليهم بإغوائه إياهم"[٢].

قال السعدي:" يحتمل أن قصة سبأ، انتهت عند قوله: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ}، ثم ابتدأ فقال: {وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ} أي: على جنس الناس، فتكون الآية عامة في كل من اتبعه"[٣].

عن ابن عباس، أنه قرأ :{ولقد صدق عليهم إبليس ظنه}، مشددة، وقال: ظن ظنا فصدق ظنه"[٤].

قال مجاهد:" يقول: صدق إبليس ظنه فيهم حيث جاء أمرهم على ما ظن"[٥].

قال الحسن:" ظن ظنه ولم يقل ذلك بعلم، يقول: فصدق ظنه فيهم"[٦].

قال قتادة:" والله ما كان إلا ظنا ظنه ، فنزل الناس عند ظنه"[٧].

قال قتادة:" قال الله: ما كان إلا ظنا ظنه، والله لا يصدق كاذبا ولا يكذب صادقا"[٨].

قال ابن الجوزي:" صدقه في ظنه أنه ظن بهم أنهم يتبعونه إذ أغواهم، فوجدهم كذلك. وإنما قال: ولأضلنهم ولأمنينهم بالظن، لا بالعلم"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ} [سبأ : ٢٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه لما أُهْبِطَ آدم من الجنة ومعه حواء ، وهبط إبليس ، قال إبليس أما إذ أصيب من الأبوين ما أصبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ظناً من إبليس ، فأنزل الله تعالى:{وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ}. قاله الحسن[١٠].

وقال الحسن:" فقال عند ذلك إبليس : "لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح ، أعدُه وأُمَنّيه وأخدعه". فقال الله : «وعزتي لا أحجب عنه التوبة ما لم يُغَرغِر بالموت ، ولا يدعوني إلا أجبته ، ولا يسألني إلا أعطيته ، ولا يستغفرني إلا غفرت له»"[١١].

الثاني : أن إبليس إذ قال : خُلِقْتُ من نار وخلق آدم من طين والنار تحرق كل شيء، لأحتنكن ذريته إلا قليلاً ، فصدق ظنه عليه ، قاله ابن عباس[١٢]، ومقاتل[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٢) تفسير الطبري ٣٩٢/٢٠.

(٣) تفسير السعدي: ٦٧٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٢.

(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٦/٢.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٥٦/٢.

(٧) اخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٣٩١):ص٥٦/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٢.

(٩) زاد المسير: ٤٩٦/٣.

(١٠) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(١١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(١٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٤٧/٤، والقرطبي في التفسير: ٢٩٢/١٤-٢٩٣.

الثالث : أنه قال : يا رب أرأيت هؤلاء القوم الذين كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم عليّ لا تجد أكثرهم شاكرين ، وكان ذلك ظنا منه بغير علم، فصدق عليهم ظنه ، قاله ابن زيد[٢].
الرابع : أنه ظن أنه إن أغواهم أجابوه وإن أضَلّهم أطاعوه فصدق ظنه فاتبعوه قاله الكلبي[٣].
وقرئ:«ولقد صدق» بتخفيف الدال، بمعنى: ولقد صدق عليهم ظنه[٤].
قوله تعالى:{فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [سبأ : ٢٠]، أي:" فأطاعو إبليس وعصوا ربهم إلا فريقًا من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله"[٥].
قال الطبري: يقول:" أطاعوه وعصوا ربهم إلا فريقا من المؤمنين بالله فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس"[٦].
قال السمعاني:" يعني: إلا كل المؤمنين، هكذا قاله أكثر أهل التفسير؛ لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين، وقد قال الله تعالى: {إن عبادي ليس لك عليهم سلطان}، يعني: المؤمنين وعن بعضهم: إلا فريقا من المؤمنين: خواص المؤمنين؛ وهم الذين يطيعون الله ولا يعصونه"[٧].
قال الزمخشري:" وقلل المؤمنين بقوله: {إلا فريقا}، لأنهم قليل بالإضافة إلى الكفار، كما قال {لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء : ٦٢]، {وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} [الأعراف : ١٧]"[٨].

القرآن

{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ (٢١)} [سبأ : ٢١]

التفسير:

وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار مِن قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز مَن يصدِّق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك. وربك على كل شيء حفيظ، يحفظه ويجازي عليه.
قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ} [سبأ : ٢١]، أي:" وما كان لإبليس على هؤلاء الكفار مِن قهر على الكفر، ولكن حكمة الله اقتضت تسويله لبني آدم؛ ليظهر ما علمه سبحانه في الأزل؛ لنميز مَن يصدِّق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو في شك من ذلك، وقيل: إلا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب"[٩].

---

(١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣١/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٢.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٤٧/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.
(٦) تفسير الطبري ٣٩٢/٢٠.
(٧) تفسير السمعاني: ٣٣٠/٤.
(٨) الكشاف: ٥٧٩/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤٣٠.

قال الطبري: يقول:" وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها إلا بتسليطناه عليهم؛ ليعلم حزبنا وأولياؤنا من يصدق بالبعث والثواب والعقاب {ممن هو منها في شك} فلا يوقن بالمعاد، ولا يصدق بثواب ولا عقاب"(١).

قال الزمخشري:" وما كان له عليهم من تسليط واستيلاء بالوسوسة والاستغواء إلا لغرض صحيح وحكمة بينة، وذلك أن يتميز المؤمن بالآخرة من الشاك فيها، وعلل التسليط بالعلم والمراد ما تعلق به العلم"(٢).

قال ابن كثير:" أي : إنما سلطناه عليهم ليظهرَ أمر مَنْ هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء ، فيُحسِنَ عبادة ربه عز وجل في الدنيا ، ممن هو منها في شك"(٣).

قال السمعاني:" {وما كان له عليهم من سلطان} أي: من سلطان على المؤمنين، وقوله: {إلا لنعلم} معناه: لكي نعلم {من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك} أي: لنعلم المؤمن من الكافر علم وقوع، وقد علم علم الغيب، وقد بينا هذا من قبل. قال ابن فارس: هذا على عادة كلام العرب مع الجهلة، فإنك لو قلت: السكين تقطع اللحم، أو اللحم يقطع السكين، وقد علم قطعا أن السكين هو الذي يقطع اللحم، ولكن يخرج الكلام على خطاب الجاهل، وتقرير الأمر له"(٤).

قال يحيى:" وإنما جحد المشركون الآخرة ظنا منهم، وذلك منهم على الشك"(٥).

قال الحسن: "والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط، إلا أماني وغرورا دعاهم إليها"(٦).

قال قتادة:" وإنما كان بلاء ليعلم الله المؤمن من الكافر"(٧).

وقرئ: «ليعلم»، على البناء للمفعول(٨).

قوله تعالى:{وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ} [سبأ : ٢١]، أي:" وربك على كل شيء حفيظ، يحفظه ويجازي عليه"(٩).

قال الطبري: يقول:" وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها {حفيظ} لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا في الدنيا من خير وشر"(١٠).

قال السمعاني:" أي: رقيب"(١١).

قال يحيى:" حتى يجازيهم في الآخرة"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : ومع حفظه ضَلّ من ضَلّ من اتباع إبليس ، وبحفظه وكلاءته سَلِم مَنْ سلم من المؤمنين أتباع الرسل"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ٣٩٣/٢٠.

(٢) الكشاف: ٥٧٩/٣.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٣٠/٤.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٥٧/٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٣.

(٨) انظر: الكشاف: ٥٧٩/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٣.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٣٠/٤.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٥٧/٢.

قال السعدي:" يحفظ العباد، ويحفظ عليهم أعمالهم، ويحفظ تعالى جزاءها، فيوفيهم إياها، كاملة موفرة"[٢].

القرآن

{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ (٢٢)} [سبأ : ٢٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء لله فعبدتموهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقصدوهم في حوائجكم، فإنهم لن يجيبوكم، فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض، وليس لهم شِرْكة فيهما، وليس لله من هؤلاء المشركين معين على خلق شيء، بل الله -سبحانه وتعالى- هو المتفرد بالإيجاد، فهو الذي يُعْبَدُ وحده، ولا يستحق العبادة أحد سواه.

قوله تعالى:{قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [سبأ : ٢٢]، أي:" قل -أيها الرسول- للمشركين: ادعوا الذين زعمتموهم شركاء لله فعبدتموهم من دونه من الأصنام والملائكة والبشر، واقصدوهم في حوائجكم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : من الآلهة التي عبدت من دونه"[٤].

قال الطبري: يقول:" فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاء لها إذ شكرانا، وذاك فعلنا بسبأ الذين فعلنا بهم، إذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون؛ لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز"[٥].

قال الزمخشري:" قل لمشركي قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الأصنام والملائكة وسميتموهم باسمه كما تدعون الله، والتجئوا إليهم فيما يعروكم كما تلتجئون إليه، وانتظروا استجابتهم لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون أن يستجيب لكم ويرحمكم"[٦].

قال السعدي:" أي: {قُلْ} يا أيها الرسول، للمشركين بالله غيره من المخلوقات، التي لا تنفع ولا تضر، ملزما لهم بعجزها، ومبينا لهم بطلان عبادتها: {ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ} أي: زعمتموهم شركاء لله، إن كان دعاؤكم ينفع، فإنهم قد توفرت فيهم أسباب العجز، وعدم إجابة الدعاء من كل وجه"[٧].

قوله تعالى:{لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ} [سبأ : ٢٢]، أي:" فهم لا يملكون وزن نملة صغيرة في السموات ولا في الأرض"[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(٢) تفسير السعدي: ٦٧٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(٥) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(٦) الكشاف: ٥٧٩/٣.

(٧) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٠.

قال الطبري: يقول:" إنهم لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع، فكيف يكون إلها من كان كذلك"[1].

قال السعدي: أي:" على وجه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك"[2].

قال الزمخشري:" يريد: أنهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن أحوال الربوبية، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى"[3].

قوله تعالى:{وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ} [سبأ : ٢٢]، أي:" وليس لتلك الآلهة شركة مع الله لا خلقاً ولا ملكاً ولا تصرفاً"[4].

قال الطبري: يقول:" ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة، لأن الأملاك في المملوكات لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسوما، وإما مشاعا، يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة في السماوات ولا في الأرض، لا مشاعا ولا مقسوما، فكيف يكون من كان هكذا شريكا لمن له ملك جميع ذلك"[5].

قال ابن كثير:" أي : لا يملكون شيئا استقلالا ولا على سبيل الشركة "[6].

قال السعدي:" أي: لتلك الآلهة الذين زعمتم {فِيهِمَا} أي: في السماوات والأرض، {مِنْ شِرْكٍ} أي: لا شرك قليل ولا كثير، فليس لهم ملك، ولا شركة ملك"[7].

قال قتادة:" يقول: ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض"[8].

قوله تعالى:{وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ} [سبأ : ٢٢]، أي:" وليس له تعالى من الآلهة معينٌ يُعينه في تدبير أمرهما، بل هو وحده الخالق لكل شيء، المنفرد بالإيجاد والإعدام"[9].

قال الطبري:" يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه معين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مشاعا ولا مقسوما، فيقال: هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم يكن له ملك شيء منه"[10].

قال ابن كثير:" أي : وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور ، بل الخلق كلهم فقراء إليه ، عبيد لديه "[11].

قال قتادة:" {وما له منهم} من الذين يدعون من دون الله، {من ظهير} من عون بشيء"[12].

قال السعدي:" بقي أن يقال: ومع ذلك، فقد يكونون أعوانا للمالك، ووزراء له، فدعاؤهم يكون نافعا، لأنهم - بسبب حاجة الملك إليهم - يقضون حوائج من تعلق بهم، فنفى تعالى هذه

---

(١) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(٢) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٣) الكشاف: ٥٧٩/٣.

(٤) صفوة التفاسير: ٥٠٧/٢.

(٥) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦.

(٧) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٥.

(٩) صفوة التفاسير: ٥٠٧/٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٩٤/٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥١٣/٦-٥١٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٥.

المرتبة فقال: {وَمَا لَهُ} أي: لله تعالى الواحد القهار {مِنْهُمْ} أي: من هؤلاء المعبودين {مِنْ ظَهِيرٍ} أي: معاون ووزير يساعده على الملك والتدبير"[١].

القرآن

{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٢٣)} [سبأ : ٢٣]

التفسير:

ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له. ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أُرعدوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق، وهو العليُّ بذاته وقهره وعلوِّ قدْره، الكبير على كل شيء.

قوله تعالى:{وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ} [سبأ : ٢٣]، أي:" ولا تنفع شفاعة الشافع عند الله تعالى إلا لمن أذن له"[٢].

قال الطبري: يقول:" ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة، يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا إلا لمن أذن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه ليقربكم إلى الله زلفى وليشفع لكم عند ربكم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترئ أحد أن يشفع عنده تعالى في شيء إلا بعد إذنه له في الشفاعة ، كما قال تعالى : { مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلا بِإِذْنِهِ } [البقرة : ٢٥٥] ، وقال : { وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى } [النجم : ٢٦] ، وقال : { وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ } [الأنبياء : ٢٨]"[٤].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ} [سبأ : ٢٣]، أي:" ومن عظمته وجلاله عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السماوات كلامه أُرعدوا من الهيبة، حتى يلحقهم مثل الغشي، فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضًا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق"[٥].

قال الطبري:" معنى الكلام: لا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له أن يشفع عنده، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه إذنه، حتى إذا فزع عن قلوبهم فجلي عنها، وكشف الفزع عنهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحق"[٦].

قال المراغي:" أي: يقف الناس منتظرين الإذن بالشفاعة وجلين حتى إذا أذن للشافعين وأزيل الفزع عن قلوب المنتظرين قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم في الإذن بالشفاعة؟ قالوا

---

(١) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٥١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٠.

قال ربنا القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى. والآيات تدل على أن المشفوع لهم هم المؤمنون، والكافرون بمعزل عن موقف الاستشفاع"[1].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ} [سبأ : ٢٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: جلي عن قلوبهم الفزع، قاله ابن عباس[2]، وقتادة[3].

وقال قطرب : "أخرج ما فيها من الخوف"[4].

وقال أبو عبيدة:" نفّس الفزع عن قلوبهم وطيّر عنها"[5].

وقال ابن قتيبة:" خفف عنها الفزع"[6].

الثاني : كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة ، قاله مجاهد[7].

الثالث : أنهم دعوا فاستجابوا من قبورهم مأخوذ من الفزع الذي هو الدعاء والاستصراخ، فسمي الداعي فزعاً والمجيب فزعاً. حكاه الماوردي وأبو حيان[8]، قال زهير[9]:

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم ... طوال الرماح لا قصار ولا عُزْلُ

الرابع : وهو تفسير قراءة الحسن : «حتى فرغ عن قلوبهم»[10]، بالغين معجمة، وفي معناها وجهان:

الأول: يعني: فرغ ما فيها ما فيها من الشك والتكذيب. قاله الحسن[11]، وروي عن ابن زيد نحوه[12].

الثاني: يعني:صارت فارغة من الفزع الذي كان حل بها. ذكره الطبري[13]، وابن قتيبة[14].

قال الطبري:" ذُكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك «فُزِعَ» بمعنى: كشف الله الفزع عنها"[15].

واختلف أهل التفسير في الموصوفين بهذه الصفة من هم؟ وما السبب الذي من أجله فزع عن قلوبهم؟، وفيه أقوال:

أحدها: أن الذي فزع عن قلوبهم هم الملائكة، وذلك من غشية تصيبهم عند سماعهم الله تعالى بالوحي. وهذا قول ابن مسعود[16]، وابن عباس[17]، ومسروق[1]، وسعيد[2]، وقتادة[3]،

---

(١) تفسير المراغي: ٧٨/٢٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٦.

(٤) نقلا عن: النكت والعيون:٤٤٨/٤.

(٥) مجاز القرآن: ١٤٧/٢.

(٦) غريب القرآن: ٣٥٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٥-٣٩٦.

(٨) انظر: النكت والعيون:٤٤٨/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٤٦/٨.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٤٨/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٤٦/٨، وتفسير الالوسي: ٣١٢/١١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٠٠/٢٠.

(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦، وانظر: النكت والعيون:٤٤٨/٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٩-٤٠٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٠.

(١٤) انظر: غريب القرآن: ٣٥٧.

(١٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٠.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٦-٣٩٧.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٨.

والكلبي[٤]، ومقاتل[٥]، وبه قال الطبري[٦]، ابن عطية[٧]، وأبو حيان[٨]، والثعالبي[٩]، وابن كثير[١٠].

قال الطبري:" بالصواب القول الذي ذكره الشعبي عن ابن مسعود لصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم بتأييده"[١١].

قال ابن كثير:" وهذا أيضا مقام رفيع في العظمة. وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي ، سمع أهل السموات كلامه ، أرْعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي، {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم } أي : زال الفزع عنها، فإذا كان كذلك يسأل بعضهم بعضا : ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم ، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؛ ولهذا قال : { قَالُوا الْحَقّ } أي : أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان.. وقد اختار ابن جرير القول الأول : أن الضمير عائد على الملائكة هذا هو الحق الذي لا مرية فيه ، لصحة الأحاديث فيه والآثار "[١٢].

قال الثعالبي:" إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل، أو الأمر يأمر الله به، سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة لله تبارك وتعالى"[١٣].

قال ابن عطية:" وتظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن هذه الآية أعني قوله {حتى إذا فزع عن قلوبهم}، إنما هي الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وبالأمر يأمر به سمعت كجر سلسلة الحديد على صفوان فتفزع عند ذلك تعظيما وهيبة، وقيل خوف أن تقوم الساعة فإذا فزع ذلك فزع عن قلوبهم أي أطير الفزع عنها وكشف فيقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال ربكم فيقول المسئولون قال الحق وهو العلي الكبير وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله: {الذين زعمتم} [سبأ: ٢٢] لم تتصل لهم هذه الآية بما قبلها فلذلك اضطرب المفسرون في تفسيرها"[١٤].

قال عبدالله بن مسعود:" إن الوحي إذا قضى في زوايا السماء، قال: مثل وقع الفولاذ على الصخرة، قال: فيشفقون لا يدرون ما حدث فيفزعون، فإذا مرت بهم الرسل: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}"[١٥].

---

(١) انظر: تفسيرالطبري: ٢٠/ ٣٩٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٧.

(٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٤٢٠):ص٣/٦٤.

(٤) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٤٢٠):ص٣/٦٤.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٢/٣.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٠.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٤١٨/٤.

(٨) انظر: البحر المحيط: ٥٤٣/٨.

(٩) انظر: الجواهر الحسان: ٣٧٣/٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥١٥/٦.

(١١) تفسير الكبري: ٤٠٠/٢٠. وانظر: خبر ابن مسعود في المصدر نفسه: ٣٩٦/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥١٥/٦.

(١٣) الجواهر الحسان: ٣٧٣/٤.

(١٤) المحرر الوجيز: ٤١٨/٤، وانظر: البحر المحيط: ٥٤٣/٨.

(١٥) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٨-٣٩٩.

وقال ابن مسعود:" إذا حدث أمر عند ذي العرش سمع من دونه من الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا: {ماذا قال ربكم} ؟ قال: فيقول: من شاء قال الحق وهو العلي الكبير"[١].

قال ابن عباس:" لما أوحى الله تعالى ذكره إلى محمد ﷺ دعا الرسول من الملائكة فبعث بالوحي، سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا أن الله لا يقول إلا حقا وأنه منجز ما وعد، قال ابن عباس: وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خروا سجدا، فلما رفعوا رءوسهم: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس {قل من يرزقكم من السماوات ... } إلى قوله: {في ضلال مبين}"[٢].

قال سعيد:" ينزل الأمر من عند رب العزة إلى السماء الدنيا؛ فيفزع أهل السماء الدنيا، حتى يستبين لهم الأمر الذي نزل فيه، فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحق وهو العلي الكبير، فذلك قوله: {حتى إذا فزع عن قلوبهم ... }، الآية"[٣].

عن ابي هريرة، إن نبي الله ﷺ، قال : "إذا قضى الله الأمرَ في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خُضعانًا لقوله ، كأنه سلسلة على صفوانَ ، فإذا فُزّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحقّ ، وهو العلي الكبير فيسمعها مُسْتَرِق السمع ، ومسترق السمع - هكذا بعضه فوق بعض - ووصف سفيان بيده - فَحَرّفها وبَدّد بين أصابعه - فَيسمع الكلمة ، فيلقيها إلى مَنْ تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى مَنْ تحته ، حتى يلقيَها على لسان الساحر أو الكاهن ، فَربما أدركه الشّهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كَذْبَة ، فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء"[٤].

عن النواس بن سَمْعان، قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا أراد الله أن يوحي بأمره تكلم بالوحي ، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة - أو قال : رعدة - شديدة ؛ من خوف الله ، فإذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا ، فيكون أول مَنْ يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، فيمضي به جبريل على الملائكة ، كلما مَرّ بسماء سماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول : قال : الحقّ ، وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله من السماء والأرض"[٥].

وقال مقاتل:" وذلك أن أهل السموات من الملائكة لم يكونوا سمعوا صوت الوحي ما بين زمن عيسى ومحمد- ﷺ- وكان بينهما قريب من ستمائة عام، فلما نزل الوحي على محمد- ﷺ- سمعوا صوت الوحي كوقع الحديد على الصفا، فخروا سجدا مخافة القيامة، إذ هبط جبريل على أهل كل سماء فأخبرهم أنه الوحي، فذلك قوله- عز وجل-: {حتى إذا فزع عن قلوبهم} تجلى الفزع عن قلوبهم قاموا من السجود قالوا فتسأل الملائكة بعضها بعضا ماذا قال جبريل عن ربكم؟ {قالوا الحق}، يعنى: الوحى"[٦].

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٨.

(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٧.

(٤)صحيح البخاري برقم (٤٨٠٠) وسنن أبي داود برقم (٣٩٨٩) وسنن الترمذي برقم (٣٢٢٣) وسنن ابن ماجه برقم (١٩٤).

(٥) تفسير الطبري (٢٠/٣٩٧-٣٩٨،) والتوحيد لابن خزيمة ص (٩٥) ورواه ابن عاصم في السنة برقم (٥١٥) من طريق محمد بن عوف ، عن نعيم بن حماد ، به.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٢.

قال الزجاج:" وتفسير هذا أن جبريل عليه السلام كان لما نزل إلى محمد - ﷺ - بالوحي ظنت الملائكة أنه نزل لشيء من أمر الساعة فتفزعت لذلك، فلما انكشف عنها الفزع: {قالوا ماذا قال ربكم}، فسألت لأي شيء ينزل جبريل؟ {قالوا الحق}، أي: قالوا قال الحق"(١).

الثاني : أن الموصوفين هم الشفعاء من الملائكة والأنبياء، والمعنى: حتى إذا زال الفزع والخوف عن قلوب الشفعاء، من الملائكة والأنبياء، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في أمر الشفاعة؟ فأجابوهم بقولهم: قد أذن فيها للمؤمنين. ذكره الزمخشري(٢)، والقرطبي(٣)، واختاره الصابوني(٤). ويدخل هذا القول في عموم القول الأول.

قال الزمخشري:" يفهم من هذا الكلام، من أن ثم انتظارا للإذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعاء، هل يؤذن لهم أو لا يؤذن؟ وأنه لا يطلق الإذن إلا بعد ملي من الزمان، وطول من التربص، ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز وجل: {رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ : ٣٧]، {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨، كأنه قيل: يتربصون ويتوقفون كليا فزعين وهلين، {حتى إذا فزع عن قلوبهم}، أي: كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في إطلاق الإذن: تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق أى القول الحق، وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى"(٥).

قال القرطبي:" إن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله، كما قال:{وهم من خشيته مشفقون} [الأنبياء: ٢٨] والمعنى: أنه إذا أذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع في تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير، فإذا سري عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالإذن: {ماذا قال ربكم}، أي: ماذا أمر الله به، فيقولون لهم: {قالوا الحق}، هو أنه أذن لكم في الشفاعة للمؤمنين"(٦).

الثالث : أن الموصوفين بذلك هم الملائكة، إنما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة. وهذا قول قتادة(٧).

قال قتادة:" يوحي الله إلى جبرائيل فتفرق الملائكة، أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}"(٨).

الرابع: أن ذلك من فعل ملائكة السماوات إذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة. وهذا القول حكاه الضحاك عن ابن مسعود(٩).

قال الضحاك:" زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون إلى الأرض يكتبون أعمالهم، إذا أرسلهم الرب فانحدروا سمع لهم صوت شديد، فيحسب الذين هم أسفل منهم

---

(١) معاني القرآن: ٢٥٣/٤.

(٢) انظر: الكشاف: ٥٨٠/٣.

(٣) تفسير القرطبي: ٣٩٥/١٤.

(٤) صفوة التفاسير: ٥٠٧/٢.

(٥) الكشاف: ٥٨٠/٣.

(٦) تفسير القرطبي: ٣٩٥/١٤.

(٧)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٩ .

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٩.

(٩)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٩ .

من الملائكة أنه من أمر الساعة، فخروا سجدا، وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم"[١].

الخامس: أن الموصوفين بذلك هم المشركون، وإنما يفزع الشيطان عن قلوبهم، فيقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم. وهذا قول ابن زيد[٢].

قال ابن زيد:" فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم، وما كان يضلهم: {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير} قال: وهذا في بني آدم، وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الإقرار"[٣].

وقال السعدي:" يحتمل أن الضمير في هذا الموضع، يعود إلى المشركين، لأنهم مذكورون في اللفظ، والقاعدة في الضمائر، أن تعود إلى أقرب مذكور، ويكون المعنى: إذا كان يوم القيامة، وفزع عن قلوب المشركين، أي: زال الفزع، وسئلوا حين رجعت إليهم عقولهم، عن حالهم في الدنيا، وتكذيبهم للحق الذي جاءت به الرسل، أنهم يقرون، أن ما هم عليه من الكفر والشرك، باطل، وأن ما قال الله، وأخبرت به عنه رسله، هو الحق فبدا لهم ما كانوا يخفون من قبل وعلموا أن الحق لله، واعترفوا بذنوبهم"[٤].

قال ابن عاشور:" التفزيع يحصل لهم بانكشاف إجمالي يلهمونه فيعلمون بأن الله أذن بالشفاعة ثم يتطلبون التفصيل بقولهم: «ماذا قال ربكم» ليعلموا من أذن له ممن لم يؤذن له، وهذا كما يكرر النظر ويعاود المطالعة من ينتظر القبول، أو هم يتساءلون عن ذلك من شدة الخشية فإنهم إذا فزع عن قلوبهم تساءلوا لمزيد التحقق بما استبشروا به فيجابون أنه قال الحق. فضمير «قالوا ماذا قال ربكم» عائد على بعض مدلول قوله: «لمن أذن له». وهم الذين أذن للشفعاء بقبول شفاعتهم منهم وهم يوجهون هذا الاستفهام إلى الملائكة الحافين، وضمير«قالوا الحق» عائد إلى المسئولين وهم الملائكة، ويظهر أن كلمة الحق وقعت حكاية لمقول الله بوصف يجمع متنوع أقوال الله تعالى حينئذ من قبول شفاعة في بعض المشفوع فيهم ومن حرمان لغيرهم كما يقال: ماذا قال القاضي للخصم؟ فيقال: قال الفصل. فهذا حكاية لمقول الله بالمعنى. هذا هو المعنى الذي يقتضيه نظم الآية ويلتئم مع معانيها. وقد ذهبت في تفسيرها أقوال كثير من المفسرين طرائق قددا، وتفرقوا بددا بددا"[٥].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ : ٢٣]، أي:" وهو العليُّ بذاته وقهره وعلوِّ قدْره، الكبير على كل شيء"[٦].

قال الطبري:" {وهو العلي} على كل شيء {الكبير} الذي لا شيء دونه"[٧].

فوائد الآيات:[٢٠-٢٣]:

١- بيان أن إبليس صدق ظنّه في بني آدم وأنهم سيتبعونه ويغويهم.

٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله ولا يستحق العبادة سواه.

٣- بيان بطلان دعاء غير الله إذ المدعو كائنا من كان لا يملك مثقال ذرة في الكون لا بالاستقلال ولا بالشركة، وليس لله تعالى من ظهير أي ولا معينين يمكن التوسل بهم، وأخيراً والشفاعة لا تتم إلا بإذنه ولمن رضي له بها. ولذلك بطل دعاء غير الله ومن دعا غير الله من

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٣٩٩-٤٠٠.

(٤) تفسير السعدي: ٦٧٨.

(٥) التحرير والتنوير: ١٨٩/٢٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٠.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٠.

ملك أو نبي أو وليّ أو غيرهم فقد ضل الطريق وأشرك بالله في أعظم عبادة وهي الدعاء، والعياذ بالله تعالى.

القرآن

{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤)} [سبأ : ٢٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: مَن يرزقكم من السماوات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك؟ فإنهم لا بدَّ أن يُقِرُّوا بأنه الله، وإن لم يُقِرُّوا بذلك فقل لهم: الله هو الرزاق، وإنَّ أحد الفريقين منا ومنكم لعلى هدى متمكن منه، أو في ضلال بيِّن منغمس فيه.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [سبأ : ٢٤]، أي:" قل -أيها الرسول- للمشركين: مَن يرزقكم من السماوات بالمطر، ومن الأرض بالنبات والمعادن وغير ذلك؟"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السماوات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحًا لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مقررًا تفرُّدَه بالخلق والرزق، وانفراده بالإلهية أيضا ، فكما كانوا يعترفون بأنه لا يرزقهم من السماء والأرض - أي : بما ينزل من المطر وينبت من الزرع - إلا الله ، فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره"(٣).

قوله تعالى:{قُلِ اللَّهُ} [سبأ : ٢٤]، أي:" أي قل لهم: الله الرازق لا آلهتكم"(٤).

قال الطبري:"ترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، فقل: الذي يرزقكم ذلك الله"(٥).

قوله تعالى:{وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ : ٢٤]، أي:" وإنَّ أحد الفريقين منا ومنكم لعلى هدى متمكن منه، أو في ضلال بيِّن منغمس فيه"(٦).

قال الطبري: يقول:" وإنَّا أو إياكم أيها القوم لعلى هدى أو في ضلال مبين: يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنكم على ضلال أو هدى"(٧).

قال يحيى:" أي: أن أحد الفريقين نحن وأنتم {لعلى هدى أو في ضلال مبين}"(٨).

قال ابن كثير:" هذا من باب اللف والنشر ، أي : واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق ، لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال ، بل واحد منا مصيب ، ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد ، فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله"(٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٢) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٤) صفوة التفاسير: ٥٠٨/٢.

(٥) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٧) تفسير الطبري: ٤٠١/٢٠.

(٨) تفسير يحيى بنسلام: ٧٦٠/٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

قال قتادة:" قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد"[1].

وروي عن عكرمة وزياد بن أبي مريم في قوله: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}، قال: إنا لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين"[2].

القرآن

{قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٢٥)} [سبأ : ٢٥]

التفسير:

قل: لا تُسألون عن ذنوبنا، ولا نُسأل عن أعمالكم؛ لأننا بريئون منكم ومِن كفركم.

قوله تعالى:{قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا} [سبأ : ٢٥]، أي:" قل: لا تؤاخذون على ما ارتكبنا من إجرام"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال، لا تسألون أنتم عمَّا أجرمنا نحن من جرم"[4].

قوله تعالى:{وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ} [سبأ : ٢٥]، أي:" ولا نؤاخذ نحن بما اقترفتم، وإنما يعاقب كل إنسان بجريرته"[5].

قال الطبري: يقول:" ولا نسأل نحن عما تعملون أنتم من عمل"[6].

قال ابن كثير في الآية:" معناه التبري منهم ، أي : لستم منا ولا نحن منكم ، بل ندعوكم إلى الله وإلى توحيده وإفراد العبادة له ، فإن أجبتم فأنتم منا ونحن منكم ، وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم بُرآء منا ، كما قال تعالى : { وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ } [يونس : ٤١] ، وقال : { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ. لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ. وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ. وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ. لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [سورة الكافرون]"[7].

القرآن

{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ (٢٦)} [سبأ : ٢٦]

التفسير:

قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل، وهو الفتَّاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يُقْضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية.

قوله تعالى:{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ} [سبأ : ٢٦]، أي:" قل: ربنا يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يقضي بيننا بالعدل"[8].

قال الطبري: أي:" قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يقضي بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي منَّا من الضال"[1].

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٠١.

(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٠١.

(٣) صفوة التفاسير: ٥٠٨/٢.

(٤) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٥) صفوة التفاسير: ٥٠٨/٢.

(٦) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣١.

قال القرطبي:" يريد يوم القيامة، يقضي فيثيب المهتدي ويعاقب الضال"[2].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، يجمع بين الخلائق في صعيد واحد ، ثم يفتح بيننا بالحق ، أي : يحكم بيننا بالعدل ، فيجزي كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر. وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية ، كما قال تعالى : { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ. فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ. وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ } [الروم : ١٤ - ١٦]"[3].

عن قتادة، قوله:"{قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا}، يوم القيامة، {ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا}، أي: يقضي بيننا"[4].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ} [سبأ : ٢٦]، أي:" وهو الفتَّاح الحاكم بين خلقه، العليم بما ينبغي أن يُقْضى به، وبأحوال خلقه، لا تخفى عليه خافية"[5].

قال الطبري: "يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافيه، ولا يحتاج إلى شهود تعرفه المحق من المبطل"[6].

قال ابن كثير:" أي : الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور "[7].

عن ابن عباس، قوله: "{وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ}، يقول: القاضي"[8].

قال القرطبي:" {وهو الفتاح} أي: القاضي بالحق {العليم} بأحوال الخلق. وهذا كله منسوخ بآية السيف"[9].

القرآن

{قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢٧)} [سبأ : ٢٧]

التفسير:

قل: أروني بالحجة والدليل الذين ألحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئًا؟ ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه.

قوله تعالى:{قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ} [سبأ : ٢٧]، أي:" قل: أروني بالحجة والدليل الذين ألحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء له في العبادة، هل خلقوا شيئًا؟"[10].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أروني أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات"[11].

قال يحيى:" يعني: أوثانهم ما نفعوكم وأجابوكم به"[1].

---

(١) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٢) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٦) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥١٧/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(٩) تفسير القرطبي: ٣٠٠/١٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣١.

(١١) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

قال ابن كثير:" أي : أروني هذه الآلهة التي جعلتموها لله أندادا وصيَّرتموها له عدْلا"[٢].
قال القرطبي:" يكون{أروني} هنا من رؤية القلب، فيكون{شركاء} المفعول الثالث، أي: عرفوني الأصنام والأوثان التي جعلتموها شركاء لله عز وجل، وهل شاركت في خلق شي، فبينوا ما هو؟ وإلا فلم تعبدونها. ويجوز أن تكون من رؤية البصر، فيكون{شركاء} حالا [٣].
قوله تعالى:{كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [سبأ : ٢٧]، أي:" ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه"[٤].
قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: كذبوا ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكًا، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه"[٥].
قال ابن كثير:" أي : ليس له نظير ولا نَديد ، ولا شريك ولا عديل ، ولهذا قال : { بَلْ هُوَ اللَّهُ } : أي : الواحد الأحد الذي لا شريك له { الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } أي : ذو العزة التي قد قهر بها كل شيء ، وَغَلَبت كل شيء ، الحكيم في أفعاله وأقواله ، وشرعه وقدره ، تعالى وتقدس"[٦].
قال القرطبي:" {كلا}، أي: ليس الأمر كما زعمتم. وقيل: إن{كلا}، رد لجوابهم المحذوف، كأنه قال: أروني الذين ألحقتم به شركاء. قالوا: هي الأصنام. فقال كلا، أي ليس له شركاء: {بل هو الله العزيز الحكيم}"[٧].
قال يحيى:" أي: لم ينفعوكم ولم يجيبوكم ولا ينفعونكم ولا أنفسهم"[٨].

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨)} [سبأ : ٢٨]

التفسير:

وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشرًا بثواب الله، ومنذرًا عقابه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه.
قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ : ٢٨]، أي:" وما أرسلناك -أيها الرسول- إلا للناس أجمعين مبشرًا بثواب الله، ومنذرًا عقابه"[٩].
قال الطبري:يقول: " وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين؛ العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيرًا من أطاعك، ونذيرًا من كذبك"[١٠].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٦٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥١٧.
(٣) تفسير القرطبي: ١٤/٣٠٠.
(٤) التفسير الميسر: ٤٣١.
(٥) تفسير الطبري ٢٠/٤٠٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥١٧-٥١٨.
(٧) تفسير القرطبي: ١٤/٣٠٠.
(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٦٠.
(٩) التفسير الميسر: ٤٣١.
(١٠) تفسير الطبري ٢٠/٤٠٥.

قال ابن كثير:" أي : إلا إلى جميع الخلق من المكلفين ، كقوله تعالى : { قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا } [الأعراف : ١٥٨] ، { تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا } [الفرقان : ١]. { بَشِيرًا وَنَذِيرًا } أي: تبشر مَنْ أطاعك بالجنة ، وتنذر مَنْ عصاك بالنار"[١].

قال قتادة:" أرسل الله محمدًا إلى العرب والعجم، فأكرمُهُم على الله أطوعهم له"[٢].

قال قتادة:" ذكر لنا نبي الله ﷺ قال:«أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبشة»"[٣].

عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : "أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر. وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل. وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي. وأعطيت الشفاعة. وكان النبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى الناس عامة"[٤].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ : ٢٨]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحق، فهم معرضون عنه"[٥].

قال الطبري:يقول: يقول:" {وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ} أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر"[٦].

قال ابن كثير:" { وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } ، كقوله تعالى : { وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ } [يوسف : ١٠٣] ، { وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } [الأنعام : ١١٦]"[٧].

قال القرطبي:" {ولكن أكثر الناس لا يعلمون} ما عند الله وهم المشركون، وكانوا في ذلك الوقت أكثر من المؤمنين عددا"[٨].

القرآن

{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٩)} [سبأ : ٢٩]

التفسير:

ويقول هؤلاء المشركون مستهزئين: متى هذا الوعد الذي تَعِدوننا أن يجمعنا الله فيه، ثم يقضي بيننا، إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به؟

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥١٨/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠.

(٣)أخرجه الطبري: ٤٠٥/٢٠،و أخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٨٥/١) ، والحاكم (٤٥٤/٣، رقم ٥٧١٥) وتعقبه الذهبى بأن فيه عمارة بن زادان وقال: عمارة واه، ضعفه الدارقطنى. وأخرجه أيضا: الطبرانى (٢٩/٨، رقم ٧٢٨٨) ، قال الهيثمى (٣٠٥/٩) : رجاله رجال الصحيح غير عمارة بن زادان وهو ثقة وفيه خلاف. وابن عدى (١٦٦/٧، ترجمة ٢٠٧٢).

(٤)صحيح البخاري برقم (٣٣٥) وصحيح مسلم برقم (٥٢١).

(٥) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٦) تفسير الطبري ٤٠٥/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥١٨/٦.

(٨) تفسير القرطبي: ٣٠١/١٤.

قال الطبري: يقول:" ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه {مَتَى هَذَا الْوَعْدُ} جائيًا، وفي أي وقت هو كائن {إِنْ كُنْتُمْ} فيما تعدوننا من ذلك {صَادِقِينَ} أنه كائن"[١].

قال البيضاوي:" ويقولون من فرط جهلهم: متى هذا الوعد يعنون المبشر به والمنذر عنه أو الموعود بقوله: {يجمع بيننا ربنا}. {إن كنتم صادقين}، يخاطبون به رسول الله ﷺ والمؤمنين"[٢].

قال السمعاني :" يعني: القيامة"[٣].

قال القرطبي:" يعني: موعدكم لنا بقيام الساعة"[٤].

القرآن

{قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ (٣٠)} [سبأ : ٣٠]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: لكم ميعاد هو آتيكم لا محالة، وهو ميعاد يوم القيامة، لا تستأخرون عنه ساعة للتوبة، ولا تستقدمون ساعةً قبله للعذاب. فاحذروا ذلك اليوم، وأَعِدُّوا له عدته.

قال الطبري: " قال الله لنبيه: {قُلْ} لهم يا محمد {لَكُمْ} أيها القوم {مِيعَادُ يَوْمٍ} هو آتيكم {لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ} إذا جاءكم {سَاعَةً} فتنظروا للتوبة والإنابة {وَلا تَسْتَقْدِمُونَ} قبله بالعذاب لأن الله جعل لكم ذلك أجل"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لكم ميعاد مؤجل معدود محرر ، لا يزداد ولا ينتقص ، فإذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ، كما قال تعالى : { إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ } [نوح : ٤] ، وقال { وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأجَلٍ مَعْدُودٍ. يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ } [هود : ١٠٤ ، ١٠٥]"[٦].

قال القرطبي:أي:" فلا يغرنكم تأخيره. والميعاد: الميقات. ويعني بهذا الميعاد: وقت البعث وقيل وقت حضور الموت، أي: لكم قبل يوم القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي. وقيل: أراد بهذا اليوم يوم بدر، لأن ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى"[٧].

قال السمعاني في الآية:"قد فسر هذا بيوم البعث، وقد فسر بيوم الموت، وكلاهما صحيح"[٨].

قال البيضاوي، الأية:" جواب تهديد جاء مطابقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والإنكار"[٩].

فوائد الآيات:[٢٤-٣٠]:

١- مشروعية التلطف مع الخصم فسحاً له في مجال التفكير لعله يثوب إلى رشده.

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/٤٠٦.

(٢) تفسير البيضاوي: ٤/٢٤٧.

(٣) تفسير السمعاني: ٤/٣٣٤.

(٤) تفسير القرطبي: ١٤/٣٠١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/٤٠٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥١٩.

(٧) تفسير القرطبي: ١٤/٣٠١.

(٨) تفسير السمعاني: ٤/٣٣٤.

(٩) تفسير البيضاوي: ٤/٢٤٧.

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء وتنويع الأسلوب الدعوي في ذلك.
٣- تقرير عقيدة النبوة المحمدية، وعموم رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الناس كافة.
٤- يوم القيامة مقرر الساعة واليوم فلا يصح تقديمه ولا تأخيره بحال.

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)} [سبأ : ٣١]

التفسير:

وقال الذين كفروا: لن نصدِّق بهذا القرآن ولا بالذي تَقَدَّمَه من التوراة والإنجيل والزبور، فقد كذَّبوا بجميع كتب الله. ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب، يتراجعون الكلام فيما بينهم، كل يُلْقي بالعتاب على الآخر، لرأيت شيئًا فظيعاً، يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون-: لولا أنتم أضللتمونا عن الهدى لكنا مؤمنين بالله ورسوله.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [سبأ : ٣١]، أي:" وقال الذين كفروا: لن نصدِّق بهذا القرآن ولا بالذي تَقَدَّمَه من التوراة والإنجيل والزبور، فقد كذَّبوا بجميع كتب الله"[١].

قال الطبري:"يقول:" {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا} من مشركي العرب {لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ} الذي جاءنا به محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه"[٢].

قال الفراء:" {لا بالذي بين يديه} : التوراة لما قال أهل الكتاب: صفة محمد في كتابنا كفر أهل مكة بالقرآن وبالذي بين يديه: الذي قبله التوراة"[٣].

قال الزجاج:" يعنون: لا نؤمن بما أتى به محمد - ﷺ - ولا بالكتب المتقدمة"[٤].

قال قتادة:" قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتب والأنبياء"[٥].

قال الزمخشري:" {الذي بين يديه}: ما نزل قبل القرآن من كتب الله: يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة رسول الله ﷺ في كتبهم، فأغضبهم ذلك وقرنوا إلى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله عز وجل في الكفر، فكفروا بها جميعا. وقيل: {الذي بين يديه}: يوم القيامة، والمعنى: أنهم جحدوا أن يكون القرآن من الله تعالى، وأن يكون لما دل عليه من الإعادة للجزاء حقيقة"[٦].

قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [سبأ : ٣١]، أي:" ولو ترى -أيها الرسول- إذ الظالمون محبوسون عند ربهم للحساب"[٧].

قال السمعاني:" أي: محبوسون عند ربهم"[٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٦.

(٣) معاني القرآن: ٢/٣٦٢.

(٤) معاني القرآن: ٤/٢٥٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٠٦.

(٦) الكشاف: ٣/٥٨٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٨) تفسير السمعاني: ٤/٣٣٤.

قال الزمخشري:" أخبر عن عاقبة أمرهم ومآلهم في الآخرة فقال لرسوله عليه الصلاة والسلام أو للمخاطب: ولو ترى في الاخرة موقفهم"[١].

قوله تعالى:{يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ} [سبأ : ٣١]، أي:" يتراجعون الكلام فيما بينهم، كل يُلْقي بالعتاب على الآخر"[٢].

قال الطبري:يقول:" يتلاومون، يحاور بعضهم بعضًا"[٣].

قال السمعاني:" أي: يجادل بعضهم بعضا"[٤].

قال الزمخشري:أي:" وهم يتجاذبون أطراف المحادثة ويتراجعونها بينهم، لرأيت العجيب، فحذف الجواب"[٥].

قوله تعالى:{يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} [سبأ : ٣١]، أي:" يقول المستضعفون للذين استكبروا -وهم القادة والرؤساء الضالون المضلون-: لولا أنتم أضللتمونا عن الهدى لكنا مؤمنين بالله ورسوله"[٦].

قال الطبري:" يقول المستضعفون، كانوا في الدنيا، للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته"[٧].

قال السمعاني:" {يقول الذين} أي: استحقروا، وهم الأتباع {للذين} تجبروا، وهم القادة والأشراف: لولا أنكم كنتم قادتنا ورؤساءنا لآمنا بالله وبرسوله"[٨].

قال ابن كثير:" {الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا } منهم وهم الأتباع { لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا } وهم قادتهم وسادتهم : { لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ } أي : لولا أنتم تصدونا ، لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به"[٩].

قال الزمخشري:" المستضعفون: هم الأتباع، والمستكبرون: هم الرءوس والمقدمون"[١٠].

القرآن

{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢)} [سبأ : ٣٢]

التفسير:

قال الرؤساء للذين استُضعِفوا: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟ بل كنتم مجرمين إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم مختارين.

قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ} [سبأ : ٣٢]، أي:" قال الرؤساء للذين استُضعِفوا: أنحن منعناكم من الهدى بعد إذ جاءكم؟"[١].

---

(١) الكشاف: ٥٨٤/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٦.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٣٤/٤.

(٥) الكشاف: ٥٨٤/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٦.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٣٤/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٦.

(١٠) الكشاف: ٥٨٤/٣.

قال الطبري:" {قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله {لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} فيها فكانوا أتباعًا لأهل الضلالة منهم إذ قالوا لهم {لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ} : {أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى} ومنعناكم من اتباع الحق {بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ} من عند الله يبين لكم"[٢].

قال الزمخشري:" كأنهم قالوا: أنحن أجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد إذ جاءكم بعد أن صممتم على الدخول في الإيمان وصحت نياتكم في اختياره؟"[٣].

قال ابن كثير:" أي : نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنَّا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان"[٤].

قوله تعالى:{بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ} [سبأ : ٣٢]، أي:" بل كنتم مجرمين إذ دخلتم في الكفر بإرادتكم مختارين"[٥].

قال الطبري: "فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله"[٦].

قال الزمخشري:أي:" بل أنتم منعتم أنفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى وأطعتم آمر الشهوة دون آمر النهى، فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا"[٧].

قال السمعاني:" أي: الجرم كان لكم في اتباعكم أهواءكم"[٨].

قال ابن كثير:أي:"خالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الأنبياء ، لشهوتكم واختياركم لذلك"[٩].

القرآن

{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)} [سبأ : ٣٣]

التفسير:

وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة، وأسرَّ كُلٌّ من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أُعدَّ لهم، وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا، لا يعاقَبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا.

قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا} [سبأ : ٣٣]، أي:" وقال المستضعفون لرؤسائهم في الضلال: بل تدبيركم الشر لنا في الليل والنهار هو الذي أوقعنا في التهلكة، فكنتم تطلبون منا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء في العبادة"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٧.

(٣) الكشاف: ٥٨٤/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٧.

(٧) الكشاف: ٥٨٤/٣.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥١٩/٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٢.

قال الطبري: يقول:" {وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا} من الكفرة بالله في الدنيا، فكانوا أتباعًا لرؤسائهم في الضلالة {لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا} فيها، فكانوا لهم رؤساء {بَلْ مَكْرُ} كم لنا بـ{اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} صدنا عن الهدى حين تأمروننا أن نكفر بالله{وَنَجْعَلَ لَهُ} أمثالا وأشباهًا في العبادة والألوهة"[١].

قال ابن كثير:" أي : بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا ، وتَغُرّونا وتُمَنّونا ، وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شيء ، فإذا جميع ذلك باطل وكَذبٌ ومَيْن، {إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا }أي نظراء وآلهة معه ، وتقيموا لنا شُبَهًا وأشياءَ من المحال تضلونا بها"[٢].

قال السمعاني:" أي: مكركم بنا في الليل والنهار، وقيل: بل مكر الليل والنهار معناه: طول الأمل، وطول الأمل هو مكر الليل والنهار على طريق المجاز"[٣].

قال الزجاج:"{بل مكر الليل والنهار}، معناه: بل مكركم في الليل والنهار، {ونجعل له أندادا}: أشباها"[٤].

قال الفراء:" { المكر ليس لليل ولا للنهار}، إنما المعنى: بل مكركم بالليل والنهار. وقد يجوز أن نضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونا كالفاعلين، لأن العرب تقول: نهارك صائم، وليلك نائم، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو في المعنى للآدميين، كما تقول: نام ليلك وعزم الأمر، إنما عزمه القوم. فهذا مما يعرف معناه فتتسع به العرب"[٥].

قال الزمخشري:" لما أنكر المستكبرون بقولهم: «أنحن صددناكم» أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وأثبتوا بقولهم: «بل كنتم مجرمين» أن ذلك بكسبهم واختيارهم، كر عليهم المستضعفون بقولهم: «بل مكر الليل والنهار» فأبطلوا إضرابهم بإضرابهم، كأنهم قالوا: ما كان الإجرام من جهتنا، بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا ونهارا، وحملكم إيانا على الشرك واتخاذ الأنداد"[٦].

قال ابن زيد:" يقول: بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله"[٧].

عن سعيد بن جبير: "{بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}، قال: مرُّ الليل والنهار"[٨].

عن قتادة، قوله:"{وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا}، شركاء"[٩].

وقرئ في الشاذ: «بل مكر الليل والنهار»، أي: كرور الليل والنهار"[١٠].

قوله تعالى:{وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ} [سبأ : ٣٣]، أي:" وأسرَّ كُلٌّ من الفريقين الحسرة حين رأوا العذاب الذي أُعدَّ لهم"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٠٧.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥١٩-٥٢٠.

(٣) تفسير السمعاني: ٤/٣٣٥.

(٤) معاني القرآن: ٤/٢٥٤.

(٥) معاني القرآن: ٢/٣٦٢.

(٦) الكشاف: ٣/٥٨٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٠٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٠٨.

(٩) اخرجه الطبري: ٢٠/٤٠٩.

(١٠) تفسير السمعاني: ٤/٣٣٥.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

قال الطبري:" يقول: وندموا على ما فرطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب الله الذي أعده لهم"[١].

قال الزجاج:" أسروها بينهم. أقبل بعضهم يلوم بعضا، ويعرف بعضهم بعضا الندامة"[٢].

قال ابن كثير:"أي : الجميع من السادة والأتباع ، كُلٌّ نَدم على ما سَلَف منه"[٣].

عن قتادة: "{وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ} بينهم، {لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ}"[٤].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا} [سبأ : ٣٣]، أي:" وجعلنا السلاسل في رقاب الكفار زيادةً على تعذيبهم بالنار"[٥].

قال الطبري:" وغلت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم"[٦].

قال ابن كثير:" هي السلاسل التي تجمع أيديهم مع أعناقهم"[٧].

قال السمعاني:" هو فرع من عذاب أهل النار"[٨].

قوله تعالى:{هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سبأ : ٣٣]، أي:" لا يعاقَبون بهذا العقاب إلا بسبب كفرهم بالله وعملهم السيئات في الدنيا"[٩].

قال الطبري:يقول:" ما يفعل الله ذلك بهم إلا ثوابًا لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها، ومكافأة لهم عليها"[١٠].

قال السمعاني:" أي: يعملون من الكفر والمعاصي"[١١].

قال ابن كثير:" أي : إنما نجازيكم بأعمالكم، كُلٌّ بحسبه ، للقادة عذاب بحسبهم ، وللأتباع بحسبهم { قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لا تَعْلَمُونَ } [الأعراف : ٣٨]"[١٢].

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : "إن جهنم لما سيق إليها أهلها تَلَقَّاهم لهبها ، ثم لَفَحَتْهُم لفحةً فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب"[١٣].

عن الحسن بن يحيى الخُشَني قال : ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا سلسلة ولا قيد ، إلا اسم صاحبها عليه مكتوب. قال : فحدثته أبا سليمان - يعني : الداراني ، رحمة الله

---

(١) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٢) معاني القرآن: ٢٥٥/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.

(٤) اخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٥) صفوة التفاسير: ٥٠٩/٢.

(٦) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(١١) تفسير السمعاني: ٣٣٥/٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.

(١٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦، ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٨٤٨) "مجمع البحرين" وأبو نعيم في الحلية (٣٦٣/٤) من طرق عن محمد بن سليمان الأصبهاني ، به. وقال الهيثمي في المجمع (٣٨٩/١٠) : "وفيه محمد بن سليمان الأصبهاني وهو ضعيف".

عليه- فبكى ثم قال : ويحك. فكيف به لو جمع هذا كله عليه ، فجعل القيد في رجليه ، والغُلّ في يديه والسلسلة في عنقه ، ثم أدخل النار وأدخل المغار ؟!"[1].

فوائد الآيات:[٣١-٣٣]:

١- تشابه الظلمة والمجرمين فالعرب المشركون كانوا يركنون إلى أهل الكتاب يحتجون بما عندهم على الرسول والمؤمنين، ولما وجدوا التوراة والإنجيل يقرران عقيدة البعث والجزاء والنبوة تبرأوا منهما وقالوا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالتوراة والإنحيل. واليهود كانوا يحتجون بالتوراة على المسلمين ولما وجدوا التوراة تقرر ما يقرره القرآن تركوا الاحتجاج بالتوراة وأخذوا يحتجون بالسحر كما تقدم في البقرة في قوله تعالى {وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ، وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ} .

٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض كامل لموقف من مواقف يوم القيامة، ومشهد من مشاهده.

٣- بطلان احتجاج الناس بعمل العلماء أو الحكماء وأشراف الناس إذا كان غير موافق لشرع الله تعالى وما جاء به رسله من الحق والدين الصحيح.

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٣٤)} [سبأ : ٣٤]

التفسير:

وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو الى توحيد الله وإفراده بالعبادة، إلا قال المنغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إنَّا بالذي جئتم به -أيها الرسل- جاحدون.

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ} [سبأ : ٣٤]، أي:" وما أرسلنا في قرية من رسول يدعو الى توحيد الله وإفراده بالعبادة"[2].

قال الطبري: يقول:" وما بعثنا إلى أهل قرية نذيرًا ينذيرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا"[3].

قوله تعالى:{إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} [سبأ : ٣٤]، أي:" إلا قال المنغمسون في اللذات والشهوات من أهلها: إنَّا بالذي جئتم به -أيها الرسل- جاحدون"[4].

قال الطبري: يقول:" إلا قال كبراؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له: إنَّا بما أرسلتم به من النذارة، وبعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد، كافرون"[5].

قال مقاتل:" {مترفوها}: أغنياؤها وجبابرتها"[6].

قال قتادة:" هم رؤوسهم وقادتهم في الشر"[7].

قال ابن كثير:" هم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة"[1].

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٠/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٣) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٥) تفسير الطبري: ٤٠٩/٢٠.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٠٩/٢٠.

قال الزمخشري:" «مترفوها»: الذين أترفتهم النعمة، أى أبطرتهم فلا يحبون إلا الشهوات والملاهي، ويعافون مشاق الدين وتكاليفه"(٢).

قال يحيى:" «المترفون»: أهل السعة والنعمة، [قالوا]: {إنا بما أرسلتم به كافرون}، فاتبعهم على ذلك السفلة، فجحدوا كلهم"(٣).

عن أبي رَزِين قال : "كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر ، فلما بعث النبي ﷺ كتب إلى صاحبه يسأله : ما فعل ؟ فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش ، إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم. قال : فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال : دلني عليه - قال : وكان يقرأ الكتب ، أو بعض الكتب - قال : فأتى النبي ﷺ فقال : إلام تدعو ؟ قال : "إلى كذا وكذا". قال : أشهد أنك رسول الله. قال : "وما علمك بذلك ؟" قال : إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه رُذَالة الناس ومساكينهم. قال : فنزلت هذه الآية: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ }الآيات، قال : فأرسل إليه النبي ﷺ: «إن الله قد أنزل تصديق ما قلت»"(٤).

قال ابن كثير:" وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل ، قال فيها : وسألتك : أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم فزعمت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل"(٥).

القرآن

{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٣٥)} [سبأ : ٣٥]

التفسير:

وقالوا: نحن أكثر منكم أموالا وأولادًا، والله لم يعطنا هذه النعم إلا لرضاه عنا، وما نحن بمعذَّبين في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله تعالى:{وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا} [سبأ : ٣٥]، أي:" وقالوا: نحن أكثر منكم أموالا وأولادًا، والله لم يعطنا هذه النعم إلا لرضاه عنا"(٦).

قال الطبري: يقول:" وقال أهل الأستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرًا لأنبيائنا ورسلنا: نحن أكثر أموالا وأولادًا"(٧).

قال مقاتل:" وقالوا أيضا لفقراء المسلمين: أهؤلاء خير منا أم هم أولى بالله منا {نحن أكثر أموالا وأولادا}"(٨).

قال يحيى:" قالوا ذلك للأنبياء والمؤمنين يعيرونهم بالفقر وبقلة المال"(٩).

قال ابن كثير:" أي : افتخروا بكثرة الأموال والأولاد ، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم واعتنائه بهم ، وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ، ثم يعذبهم في الآخرة ، وهيهات لهم ذلك، قال الله : { أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لا يَشْعُرُونَ

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦.

(٢) الكشاف: ٢٤٥/٤.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٣/٢.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦، ورواه ابن أبي شيبة وابن المنذر كما في الدر المنثور (٧٠٤/٦) ووقع في الدر : "ابن زيد" بدل : "أبو رزين".

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢١/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٠.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٣/٢.

} [المؤمنون : ٥٥ ، ٥٦] وقال : { فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } [التوبة : ٥٥] ، وقال تعالى : { ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا. وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا. وَبَنِينَ شُهُودًا. وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا. ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ. كَلا إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا. سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا} [المدثر : ١١ - ١٧]، وقد أخبر الله عن صاحب تينك الجنتين : أنه كان ذا مال وولد وثمر ، ثم لم تُغن عنه شيئا ، بل سُلب ذلك كله في الدنيا قبل الآخرة"[١].

قال الزمخشري:" هذه تسلية لرسول الله ﷺ مما منى به[٢] من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به، والمنافسة بكثرة الأموال والأولاد، والمفاخرة وزخارفها، والتكبر بذلك على المؤمنين، والاستهانة بهم من أجله، وقولهم: {أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا} [مريم : ٧٣]، وأنه لم يرسل قط إلى أهل قرية من نذير إلا قالوا له مثل ما قال لرسول الله ﷺ أهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ} [سبأ : ٣٥]، أي:" وما نحن بمعذَّبين في الدنيا ولا في الآخرة"[٤].

قال الطبري: يقول:" وما نحن في الآخرة بمعذبين، لأن الله لو لم يكن راضيًا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده"[٥].

قال الزمخشري:" قاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا، واعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم، فعلى قياسهم ذلك قالوا: {وما نحن بمعذبين}، أرادوا أنهم أكرم على الله من أن يعذبهم، نظرا إلى أحوالهم في الدنيا"[٦].

القرآن

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)} [سبأ : ٣٦]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: إن ربي يوسِّع الرزق في الدنيا لمن يشاء مِن عباده، ويضيِّق على مَن يشاء، لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختبارًا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [سبأ : ٣٦]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: إن ربي يوسِّع الرزق في الدنيا لمن يشاء مِن عباده، ويضيِّق على مَن يشاء، لا لمحبة ولا لبغض، ولكن يفعل ذلك اختبارًا"[٧].

قال الطبري:" يقول الله لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: قل لهم يا محمد {إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ} من المعاش والرياش في الدنيا {لِمَنْ يَشَاءُ} من خلقه {وَيَقْدِرُ} فيضيق على من يشاء لا

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢١-٥٢٢.

(٢)أي: ابتلى به.

(٣) الكشاف: ٣/٥٨٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٠.

(٦) الكشاف: ٣/٥٨٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٢.

لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه، ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت، ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء"[١].

قال ابن كثير:" أي : يعطي المال لمن يحب ومَنْ لا يحب ، فيفقر مَنْ يشاء ويغني مَنْ يشاء ، وله الحكمة التامة البالغة ، والحجة الدامغة القاطعة"[٢].

قال الزمخشري:" قد أبطل الله تعالى حسبانهم بأن الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب ما يراه من المصالح، فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع، وربما عكس، وربما وسع عليهما وضيق عليهما، فلا ينقاس عليه أمر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق"[٣].

وقرئ: «يقدر»، بالتشديد والتخفيف[٤].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ : ٣٦]، أي:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك اختبار لعباده؛ لأنهم لا يتأملون"[٥].

قال الطبري:يقول:" وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارًا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت لمن قدر عليه"[٦].

قال مقاتل:" كفار مكة {لا يعلمون} أن البسط والقتر بيد الله- عز وجل-"[٧].

قال يحيى:" يعني: جماعة المشركين لا يعلمون"[٨].

القرآن

{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ (٣٧)} [سبأ : ٣٧]

التفسير:

وليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربى، وترفع درجاتكم، لكن مَن آمن بالله وعمل صالحًا فهؤلاء لهم ثواب الضعف من الحسنات، فالحسنة بعشر أمثالها إلى ما يشاء الله من الزيادة، وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان.

قوله تعالى:{وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى} [سبأ : ٣٧]، أي:" وليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا قربى، وترفع درجاتكم"[٩].

قال الطبري:يقول:" وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم، بالتي تقربكم منَّا قربة"[١٠].

قال يحيى:" يقوله للمشركين، و«الزلفى»: القرابة"[١١].

قال ابن كثير:" أي : ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ، ولا اعتنائنا بكم"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٢/٦.

(٣) الكشاف: ٥٨٦/٣.

(٤) انظر: الكشاف: ٥٨٦/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٠.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٤/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١١.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٤/٢.

عن مجاهد، قوله: "{عِنْدَنَا زُلْفَى}، قال: قربى"[٢].

قال ابن زيد:" قالوا: نحن أكثر أموالا وأولادًا، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى، {إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا}، قال: وهذا قول المشركين لرسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وأصحابه، قالوا: لو لم يكن الله عنا راضيًا لم يعطنا هذا، كما قال قارون: لولا أن الله رضِيَ بي وبحالي ما أعطاني هذا، قال: {أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُون ... } إلى آخر الآية"[٣].

قال قتادة:" لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وإن الكافر قد يعطى المال، وربما حبس عن المؤمن. وقال جل ثناؤه: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى}"[٤].

وروى ليث عن طاوس أنه كان يقول: "اللهم ارزقني الإيمان والعمل، وجنبني المال والولد، فإني سمعت فيما أوحيت:{وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا}"[٥].

قال القرطبي:" قول طاوس فيه نظر، والمعنى والله أعلم: جنبني المال والولد المطغيين أو اللذين لا خير فيهما، فأما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا!"[٦].

عن أبي هريرة، قال:" جاء رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله مالي أرى لونك منكفئا؟ قال: الخمص فانطلق الأنصاري إلى رحله فلم يجد فيه شيئا، فخرج يطلب فإذا هو بيهودي يسقي نخلا له، فقال الأنصاري لليهودي: أسقي لك؟ قال: نعم كل دلو بتمرة واشترط عليه الأنصاري أن لا يأخذ فيه خدرة ولا تارزة ولا حشفة، ولا يأخذ إلا جيدة فاستقى له بنحو من صاعين تمرا، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فقال: " من أين لك هذا؟ " فأخبره الأنصاري وكان يسأل عن الشيء إذا أتي به، فأرسل إلى نسائه بصاع، وأكل هو وأصحابه صاعا، وقال للأنصاري: أتحبني؟ قال: نعم والذي بعثك بالحق لأحبك، قال: " إن كنت تحبني فأعد للبلاء تجفافا، فوالذي نفسي بيده للبلاء أسرع إلى من يحبني من الماء الجاري من قلة الجبل إلى حضيض الأرض "، ثم قال:"اللهم فمن أحبني فارزقه العفاف والكفاف، ومن أبغضني فأكثر ماله وولده"»[٧].

عن أبي هريرة، قال : قال رسول الله ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ، ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"[٨].

قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبأ : ٣٧]، أي:" لكن من آمن وعمل صالحا فإيمانهم وعملهم يقربانهم منى"[٩].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢٢/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٠-٤١١.

(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١١.

(٥) نقلا عن تفسير القرطبي: ٣٠٥/١٤.

(٦) تفسير القرطبي: ٣٠٥/١٤.

(٧)أخرجه البيهقى فى شعب الإيمان (١٧٤/٢، رقم ١٤٧٥) ، وابن عساكر (١١٥/٤) قال ابن عساكر: قال البيهقى: عبد الله بن سعيد غير قوى فى الحديث.

(٨)المسند (٥٣٩/٢) وصحيح مسلم برقم (٢٥٦٤) وسنن ابن ماجه برقم (٤١٤٣).

وعن الحسن مرسلا:«ولكن ينظر إلى قولكم وإلى أعمالكم». رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٤/٢.

(٩) تفسير المراغي: ٨٩/٢٢.

قال الزمخشري:" المعنى: أن الأموال لا تقرب أحدا إلا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله، والأولاد لا تقرب أحدا إلا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة"[(١)].

قال السعدي:أي:" وإنما الذي يقرب منه زلفى، الإيمان بما جاء به المرسلون، والعمل الصالح الذي هو من لوازم الإيمان"[(٢)].

قال يحيى:" أي: ليس القربة عندنا إلا لمن آمن {وعمل صالحا}"[(٣)].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} [سبأ : ٣٧]، قولان:

أحدهما: أن هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن من آمن وعمل صالحا[(٤)].

الثاني: أن معنى الآية {إلا من آمن وعمل صالحا} فأولئك تقربهم أموالهم وأولادهم إلى طاعة الله. وهذا قول ابن زيد[(٥)]، واختيار الزجاج[(٦)].

قال الزجاج:"أي: ما تقرب الأموال إلا من آمن وعمل بها في طاعة الله"[(٧)].

قال ابن زيد، قوله:"{إلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا} قال: لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين، وقرأ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}، فالحسنى: الجنة، والزيادة: ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به، كما حاسب الآخرين"[(٨)].

قال السمعاني: الثاني" أظهر القولين"[(٩)].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا} [سبأ : ٣٧]، أي:" فهؤلاء لهم ثواب الضعف من الحسنات"[(١٠)].

قال الطبري:" يقول: فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب، بالواحدة عشر"[(١١)].

قال ابن زيد:" بأعمالهم الواحد عشر، وفي سبيل الله بالواحد سبعمائة"[(١٢)].

قال السمعاني:" «المضاعفة»: هو أنه يجزي بالواحد عشرا إلى سبعمائة"[(١٣)].

قال الزجاج:" «الضعف» -ههنا- يحتاج إلى تفسير، ولا أعلم أحدا فسره تفسيرا بينا. و«جزاء الضعف» -ههنا- عشر حسنات، تأويله: فأولئك لهم جزاء الضعف الذي أعلمناكم مقداره، وهو قوله: {من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها}"[(١٤)].

---

(١) الكشاف: ٥٨٦/٣.

(٢) تفسير السعدي: ٦٨١.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٤/٢.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٣٦/٤.

(٥) انظر: الطبري: ٢٠/ ٤١٢.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٥٥/٤.

(٧)معاني القرآن: ٢٥٥/٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٢.

(٩) تفسير السمعاني: ٣٣٦/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٢.

(١٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٢.

(١٣) تفسير السمعاني: ٣٣٧/٤.

(١٤)معاني القرآن: ٢٥٥/٤.

قوله تعالى:{وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ : ٣٧]، أي:" وهم في أعالي الجنة آمنون من العذاب والموت والأحزان"[١].

قال الطبري:" يقول: وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله"[٢].

قال يحيى:" يعني: غرف الجنة، {آمنون} من النار، ومن الموت، ومن الخروج منها، ومن الأحزان ومن الأسقام"[٣].

القرآن

{وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (٣٨)} [سبأ : ٣٨]

التفسير:

والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبين، هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ} [سبأ : ٣٨]، أي:" والذين يسعون في إبطال حججنا، ويصدون عن سبيل الله مشاقين مغالبين"[٤].

قال الطبري: يقول:" والذين يعملون في حججنا وآي كتابنا، يبتغون إبطاله ويريدون إطفاء نوره معاونين، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا"[٥].

قال البيضاوي: أي:" بالرد والطعن فيها، مسابقين لأنبيائنا أو ظانين أنهم يفوتوننا"[٦].

قال البغوي: اي:"{الذين}يعملون في إبطال حجتنا، معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا"[٧].

قال مقاتل:" يقول: عملوا بالتكذيب بالقرآن مثبطين عن الإيمان بالقرآن"[٨].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ} [سبأ : ٣٨]، أي:" هؤلاء في عذاب جهنم يوم القيامة، تحضرهم الزبانية، فلا يخرجون منها"[٩].

قال الطبري: "يعني: في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة"[١٠].

قال ابو الليث السمرقندي:" يعني: في النار معذبون"[١١].

قال قتادة:" "محضرون في العذاب"[١٢].

قال الكلبي:"{ مُحْضَرُونَ}: مدخلون"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٢.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٥/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٣.

(٦) تفسير البيضاوي: ٢٤٩/٤.

(٧) تفسير البغوي: ٤٠٢/٦.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٣.

(١١) بحر العلوم: ٩٣/٣.

(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٥/٢.

(١٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٥/٢.

القرآن

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (٣٩)} [سبأ : ٣٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسِّع الرزق على مَن يشاء من عباده، ويضيِّقه على مَن يشاء؛ لحكمة يعلمها، ومهما أَعْطَيتم من شيء فيما أمركم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب، وهو -سبحانه- خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعَوا في الأسباب التي أمركم بها.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} [سبأ : ٣٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المغترين بالأموال والأولاد: إن ربي يوسِّع الرزق على مَن يشاء من عباده، ويضيِّقه على مَن يشاء؛ لحكمة يعلمها"[١].

قال الطبري:يقول:" قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل محنة واختبارًا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : بحسب مَا لَه في ذلك من الحكمة ، يبسط على هذا من المال كثيرا ، ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدًا ، وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركها غيره ، كما قال تعالى : { انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلا } [الإسراء : ٢١] أي : كما هم متفاوتون في الدنيا : هذا فقير مدقع ، وهذا غني مُوَسَّع عليه ، فكذلك هم في الآخرة : هذا في الغُرفات في أعلى الدرجات ، وهذا في الغَمَرَات في أسفل الدركات. وأطيب الناس في الدنيا كما قال رسول الله ﷺ : «قد أفلح مَنْ أسلم ورُزق كَفَافا ، وقَنَّعه الله بما آتاه»[٣]"[٤].

قال الفخر الرازي:فيه" إشارة إلى أن نعيم الآخرة لا ينافي نعمة الدنيا، بل الصالحون قد يحصل لهم في الدنيا النعم مع القطع بحصول النعيم لهم في العقبى بناء على الوعد، قطعا لقول من يقول: إذا كانت العاجلة لنا والآجلة لهم فالنقد أولى، فقال هذا النقد غير مختص بكم، فإن كثيرا من الأشقياء مدقعون، وكثير من الأتقياء ممتعون"[٥].

قوله تعالى:{وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} [سبأ : ٣٩]، أي:" ومهما أَعْطَيتم من شيء فيما أمركم به فهو يعوضه لكم في الدنيا بالبدل، وفي الآخرة بالثواب"[٦].

قال الطبري:" يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم"[٧].

قال ابن كثير:" أي : مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم ، فهو يخلفه عليكم في الدنيا بالبدل ، وفي الآخرة بالجزاء والثواب"[٨].

قال سعيد بن جبير:" ما كان في غير إسراف ولا تقتير"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٣.

(٣)صحيح مسلم برقم (١٠٥٤).

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٢-٥٢٣.

(٥) مفاتيح الغيب: ٢٥/٢١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٣.

في الحديث: يقول الله تعالى : أنْفق أنْفق عليك" [٢].
وفي الحديث : أن ملكين يَصيحان كل يوم ، يقول أحدهما : "اللهم أعط مُمْسِكا تَلَفًا" ، ويقول الآخر : "اللهم أعط منفقا خَلَفًا"[٣].
وقال رسول الله ﷺ: "أنفق بلالا ولا تخش من ذي العرش إقلالا"[٤].
قوله تعالى:{وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} [سبأ : ٣٩]، أي:" وهو -سبحانه- خير الرازقين، فاطلبوا الرزق منه وحده، واسعَوا في الأسباب التي أمركم بها"[٥].
قال الطبري:" يقول: وهو خير من قيل إنه يرزق ووصف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال: فلان يرزق أهله وعياله"[٦].
قال مكحول: "بلغني عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «ألا إن بعدكم زمان عضوض ، يعض الموسر على ما في يده حذار الإنفاق». ثم تلا هذه الآية : { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ }"[٧].
وقال مجاهد : " إذا كان في يد أحدكم ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولا تناول هذه الآية: { وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}"[٨].
وفي رواية:" لا يتأول أحدكم هذه الآية:{أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ}، يعني: أن يسرف في ماله فينفقه، فإن الرزق مقسوم"[١].

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٣.

(٢)رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦٨٤) ومسلم في صحيحه برقم (٩٩٣) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(٣)رواه البخاري في صحيحه برقم (١٤٤٢) ومسلم في صحيحه برقم (١٠١٠) من حديث أبي هريرة ، رضي الله عنه.

(٤)) جاء عن جماعة من الصحابة ، فرواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٠/١) من طريق قيس بن الربيع عن أبي حصين ، عن يحيي بن وثاب ، عن مسروق عن ابن مسعود ، رضى الله عنه ، وقيس بن الربيع ضعفوه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٢/١) ، وأبو يعلى في مسنده (٤٢٩/١٠) وأبو نعيم في الحلية (٢٨٠/٢) عن هشام بن حسان عن محمد بن سيربن عن أبي هريرة ، رضى الله عنه. ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٥٩/١) من طريق أبي إسحاق عن مسروق عن بلال ، رضي الله عنه ، وفيه ابن زبالة وهو ضعيف.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٢.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٣.

(٧) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٦، وذكره السيوطي في الدر (٧٠٧/٦) وقال : "أخرج أبو يعلى وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف فذكره".

وفي رواية في آخره:" وَيَنْهَل شرار الخلق يبايعون كل مضطر ، ألا إن بيع المضطرين حرام ، [ألا إن بيع المضطرين حرام المسلم أخو المسلم. لا يظلمه ولا يخذله ، إن كان عندك معروف ، فَعُد به على أخيك ، وإلا فلا تَزده هلاكا إلى هلاكه".

قال ابن كثير:" هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وفي إسناده ضعف".

انظر: تفسير ابن كثير: ٥٢٣/٦، ووذكره الحافظ ابن حجر في المطالب العالية (٢٦١/١) وعزاه لأبي يعلى في مسنده.

(٨) أخرجه سفيان الثوري في التفسير(٧١: ٨٥):ص٥٩/١.

فوائد الآيات:[٣٤-٣٩]:
١- بيان سنة الله في الأمم والشعوب وأنهم ما أتاهم من رسول إلا كفر به الأغنياء والكبراء.
٢- بيان اغترار المترفين بما آتاهم الله من مال وولد ظانين أن ذلك من رضا الله تعالى عليهم.
٣- بيان الحكمة في التوسعة على بعض والتضييق على بعض، وأنها الامتحان والابتلاء فلا تدل على حبّ الله ولا على بغضه للعبد.
٤- بيان ما يقرب إلى الله ويدني منه وهو الإيمان والعمل الصالح ومن ذلك الإنفاق في سبيل الله لا كثرة المال والولد كما يظن المغرورون المفتتنون بالمال والولد.
٥- بيان حكم الله فيمن يحارب الإسلام ويريد إبطاله وأنه محضر في جهنم لا محالة.
٦- بيان وعد الله تعالى بالخلف لكل من أنفق في سبيله مالاً.

القرآن

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠)} [سبأ : ٤٠]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة، ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدهم: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون مِن دوننا؟

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [سبأ : ٤٠]، أي:" واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله المشركين والمعبودين من دونه من الملائكة"[٢].

قال الطبري: يقول:" ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعًا"[٣].

قال ابن الجوزي:" يعني: المشركين"[٤].

وقال مقاتل:" يعني: الملائكة ومن عبدها، يجمعهم جميعا في الآخرة"[٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ} [سبأ : ٤٠]، أي:" ثم يقول للملائكة على وجه التوبيخ لمن عبدهم: أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون مِن دوننا؟"[٦].

قال الطبري: يقول:" ثم نقول للملائكة: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟"[٧].

قال مقاتل:" يعني: عن أمركم عبدوكم؟"[٨].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق ، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى ، فيقول للملائكة : { أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ } ؟ أي : أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم ؟ كما قال في سورة الفرقان : { أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ } [الفرقان : ١٧] ، وكما يقول لعيسى : { أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ } [المائدة : ١١٦]"[٩].

---

(١) تفسير سفيان الثوري(٧٨٤: ٦: ٧):ص٢٤٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(٤) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

عن السدي، قوله: {أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون}، قال:" يعني: يطيعون في الشرك"[1].
قال ابن الجوزي:" هذا استفهام تقرير وتوبيخ للعابدين"[2].
قال قتادة:" استفهام كقوله لعيسى:{ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ}"[3].

القرآن

{قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)} [سبأ : ٤١]

التفسير:

قالت الملائكة: ننزهك يا ألله عن أن يكون لك شريك في العبادة، أنت وليُّنا الذي نطيعه ونعبده وحده، بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين، أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون.

قوله تعالى:{قَالُوا سُبْحَانَكَ} [سبأ : ٤١]، أي:" قالت الملائكة: ننزهك يا ألله عن أن يكون لك شريك في العبادة"[4].

قال الطبري: يقول:" فتتبرأ منهم الملائكة {قَالُوا سُبْحَانَكَ} ربنا؛ تنزيهًا لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد"[5].

قال ابن الجوزي:" أي: تنزيها لك مما أضافوه إليك من الشركاء"[6].

قال ابن كثير:" أي : تعاليتَ وتقدست عن أن يكون معك إله"[7].

قال مقاتل:" فنزهت الملائكة ربها- عز وجل- عن الشرك"[8].

قال يحيى:" ينزهون الله عما قال المشركون"[9].

قوله تعالى:{أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} [سبأ : ٤١]، أي:" أنت وليُّنا الذي نطيعه ونعبده وحده"[10].

قال الطبري: أي: "{أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ} لا نتخذ وليًّا دونك"[11].

قال ابن الجوزي:" أي:أنت ولينا من دونهم أي: نحن نتبرأ إليك منهم، ما توليناهم ولا اتخذناهم عابدين، ولسنا نريد وليا غيرك"[12].

قال ابن كثير:" أي : نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء"[13].

قال يحيى:" أي: أنا لم نكن نواليهم على عبادتهم إيانا"[1].

---

(١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٧/٢.

(٢) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(٦) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(١٢) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

قوله تعالى:{بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ} [سبأ : ٤١]، أي:" بل كان هؤلاء يعبدون الشياطين"[٢].

قال مقاتل:" بل أطاعوا الشيطان فى عبادتهم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء ، { بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ } يعنون : الشياطين؛ لأنهم هم الذين يزينون لهم عبادة الأوثان ويضلونهم أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ } ، كما قال تعالى:{ إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا } [النساء : ١١٧]"[٤].

وقال يحيى:" أي: الشياطين من الجن هي التي دعتهم إلى عبادتنا ولم ندعهم إلى عبادتنا، فهم بطاعتهم الشياطين عابدون لهم كقوله: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس: ٦٠] وكقوله: {إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا إِنَاثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلا شَيْطَانًا مَرِيدًا} [النساء: ١١٧]"[٥].

عن مجاهد، قوله:{بل كانوا يعبدون الجن}، قال: "الشيطان"[٦].

قوله تعالى:{أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سبأ : ٤١]، أي:" أكثرهم بهم مصدقون ومطيعون"[٧].

قال الطبري:"يقول: أكثرهم بالجن مصدقون، يزعمون أنهم بنات الله، تعالى الله عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا"[٨].

قال مقاتل:"مصدقين بالشيطان"[٩].

قال ابن الجوزي:" أي: مصدقون لهم فيما يخبرونهم من الكذب أن الملائكة بنات الله"[١٠].

قال يحيى:" يعني: المشركين بالشياطين مصدقون بما وسوس إليهم من عبادة من عبدوا فعبدوهم. وقوله عز وجل: {أكثرهم} جماعتهم"[١١].

القرآن

{فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (٤٢)} [سبأ : ٤٢]

التفسير:

ففي يوم الحشر لا يملك المعبودون للعابدين نفعًا ولا ضرًّا، ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون.

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٦٧/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(١٠) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٧/٢.

قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا} [سبأ : ٤٢]، أي:" ففي يوم الحشر لا يملك المعبودون للعابدين نفعًا ولا ضرًّا"(١).

قال الطبري: يقول:" فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعًا ينفعونكم به، ولا ضرًّا ينالونكم به أو تنالونهم به"(٢).

قال يحيى:" {فاليوم} ، يعني: يوم القيامة. {لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا}: الشياطين والكفار"(٣).

قال ابن الجوزي:" يعني: العابدين والمعبودين نفعا بالشفاعة ولا ضرا بالتعذيب"(٤).

قال ابن كثير:" أي : لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان ، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكُرَبكم ، اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا"(٥).

قال مقاتل:" لا تقدر الملائكة على أن تسوق إلى من عبدها نفعا، ولا تقدر على أن تدفع عنهم سوءا"(٦).

قوله تعالى:{وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ} [سبأ : ٤٢]، أي:" ونقول للذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي: ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون"(٧).

قال الطبري:"يقول: ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له {ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا} في الدنيا {تُكَذِّبُونَ} فقد وردتموها"(٨).

قال ابن كثير:" {وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا } - وهم المشركون - { ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ } أي : يقال لهم ذلك ، تقريعا وتوبيخا"(٩).

قال مقاتل:" يأمر الله الخزنة أن تقول للمشركين من أهل مكة: {ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون}"(١٠).

قال يحيى:" وهم جميعا قرناء في النار: الشياطين ومن أضلوا، يلعن بعضهم بعضا، ويبرأ بعضهم من البعض"(١١).

فوائد الآيات:[٤٠-٤٢]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض أحوالها.

٢- أن من كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين كانوا يعبدون الشياطين إذ هي التي زينت لهم الشرك. أما الملائكة والأنبياء والأولياء فلم يرضوا بذلك منهم فضلاً عن أن يأمروهم به.

٣- بيان توبيخ أهل النار بتكذيبهم في الدنيا بالآخرة وكفرهم بوجود نار يعذبون بها يوم القيامة.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٨/٢.

(٤) زاد المسير: ٥٠٢/٣.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٤/٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٦/٣.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٨/٢.

القرآن

{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٤٣)} [سبأ : ٤٣]

التفسير:

وإذا تتلى على كفار «مكة» آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آباؤكم، وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -يا محمد- إلا كذب مختلق، جئتَ به من عند نفسك، وليس مِن عند الله، وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح.

قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ} [سبأ : ٤٣]، أي:" وإذا تتلى على كفار «مكة» آيات الله واضحات قالوا: ما محمد إلا رجل يرغب أن يمنعكم عن عبادة الآلهة التي كان يعبدها آباؤكم"[١].

قال الطبري: يقول:" وإذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بيِّنات، يقول: واضحات أنهن حق من عندنا، قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمدًا، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباوكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم"[٢].

قال ابن كثير:"يعنون أن دين آبائهم هو الحق ، وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل - عليهم وعلى آبائهم لعائن الله - "[٣].

قال يحيى:" {قالوا ما هذا}، يعنون: محمدا ﷺ"[٤].

قال السعدي:" أي: هذا قصده، حين يأمركم بالإخلاص لله، لتتركوا عوائد آبائكم، الذين تعظمون وتمشون خلفهم، فردوا الحق، بقول الضالين، ولم يوردوا برهانا، ولا شبهة، فأي شبهة إذا أمرت الرسل بعض الضالين، باتباع الحق، فادَّعوا أن إخوانهم، الذين على طريقتهم، لم يزالوا عليه؟ وهذه السفاهة، ورد الحق، بأقوال الضالين، إذا تأملت كل حق رد، فإذا هذا مآله لا يرد إلا بأقوال الضالين من المشركين، والدهريين، والفلاسفة، والصابئين، والملحدين في دين الله، المارقين، فهم أسوة كل من رد الحق إلى يوم القيامة"[٥].

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى} [سبأ : ٤٣]، أي:" وقالوا: ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -يا محمد- إلا كذب مختلق، جئتَ به من عند نفسك، وليس مِن عند الله"[٦].

قال الطبري: يقول:"وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلا كذب مختلق متخرص"[٧].

قال السعدي:" ولما احتجوا بفعل آبائهم، وجعلوها دافعة لما جاءت به الرسل، طعنوا بعد هذا بالحق، {وَقَالُوا مَا هَذَا إِلا إِفْكٌ مُفْتَرًى}، أي: كذب افتراه هذا الرجل، الذي جاء به"[٨].

قال ابن كثير:" يعنون : القرآن"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٦٨/٢.

(٥) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٥.

(٨) تفسير السعدي: ٦٨٢.

قال القرطبي:" يعنون: القرآن، أي: ما هو إلا كذب مختلق"[٢].
قوله تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [سبأ : ٤٣]، أي:" وقال الكفار عن القرآن لما جاءهم: ما هذا إلا سحر واضح"[٣].
قال الطبري: يقول:" وقال الكفار لمحمدًا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، لما بعثه الله نبيًّا: ما هذا إلا سحر مبين، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر"[٤].
قال السعدي:" أي: سحر ظاهر بيّن لكل أحد، تكذيبا بالحق، وترويجا على السفهاء"[٥].
قال القرطبي:" فتارة قالوا سحر، وتارة قالوا إفك. ويحتمل أن يكون منهم من قال سحر ومنهم من قال إفك"[٦].

القرآن
{وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ (٤٤)} [سبأ : ٤٤]
التفسير:
وما أنزلنا على الكفار مِن كُتُب يقرؤونها قبل القرآن فتدلهم على ما يزعمون من أن ما جاءهم به محمد سحر، وما أرسلنا إليهم قبلك -أيها الرسول- من رسول ينذرهم بأسنا.
قوله تعالى:{وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا} [سبأ : ٤٤]، أي:" وما أنزلنا على الكفار مِن كُتُب يقرؤونها قبل القرآن فتدلهم على ما يزعمون من أن ما جاءهم به محمد سحر"[٧].
قال الطبري: يقول:" وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم لما جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين، بما يقولون من ذلك كتبًا يقرءونها"[٨].
قال الزمخشري: أي:" وما آتيناهم كتبا يدرسونها فيها برهان على صحة الشرك"[٩].
قال ابن كثير:" أي : ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن"[١٠].
عن قتادة، قوله: "{ومَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا}، أي: يقرءونها"[١١].
قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} [سبأ : ٤٤]، أي:" وما أرسلنا إليهم قبلك -أيها الرسول- من رسول ينذرهم بأسنا"[١٢].
قال الطبري:" يقول: وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبي ينذرهم بأسنا عليه"[١٣].
قال الزمخشري: أي:" ولا أرسلنا إليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب إن لم يشركوا"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.
(٢) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.
(٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٥.
(٥) تفسير السعدي: ٦٨٢.
(٦) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٥.
(٩) الكشاف: ٥٨٩/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٦.
(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٦.

قال ابن كثير: أي :" وما أرسل إليهم نبيًا قبل محمد ﷺ ، وقد كانوا يَوَدّون ذلك ويقولون : لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب ، لكنا أهدى من غيرنا ، فلما مَنَّ الله عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه"[٢].

قال قتادة:" ما أنزل الله على العرب كتابًا قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبيًّا قبل محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٣].

قال الزجاج في الآية:" يعنى: به مشركو العرب بمكة لم يكونوا أصحاب كتب ولا بعث بنبي قبل محمد - ﷺ -"[٤].

قال القرطبي في الآية:" أي: لم يقرءوا في كتاب أوتوه بطلان ما جئت به، ولا سمعوه من رسول بعث إليهم، كما قال:{أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون} [الزخرف: ٢١]، فليس لتكذيبهم وجه يتشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول أهل الكتاب وإن كانوا مبطلين: نحن أهل كتاب وشرائع ومستندون إلى رسل من رسل الله"[٥].

القرآن

{وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٤٥)} [سبأ : ٤٥]

التفسير:

وكذَّب الذين من قبلهم كعاد وثمود رسلنا، وما بلغ أهل «مكة» عُشرَ ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر وغير ذلك من النعم، فكذبوا رسلي فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكاري عليهم وعقوبتي إياهم؟

قوله تعالى:{وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [سبأ : ٤٥]، أي:" وكذَّب الذين من قبلهم كعاد وثمود رسلنا"[٦].

قال الطبري:" يقول: وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا"[٧].

قال ابن كثير: "أي : من الأمم"[٨].

قال القرطبي :" أي: كذب قبلهم أقوام كانوا أشد من هؤلاء بطشا وأكثر أموالا وأولادا وأوسع عيشا، فأهلكتهم كثمود وعاد"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ} [سبأ : ٤٥]، أي:" وما بلغ أهل «مكة» عُشرَ ما آتينا الأمم السابقة من القوة، وكثرة المال، وطول العمر وغير ذلك من النعم"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم"[١].

---

(١) الكشاف: ٥٨٩/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٦.

(٤) معاني القرآن: ٢٥٦/٤.

(٥) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٦.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.

(٩) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٣.

قال الزجاج :" أي: عشر الذي آتينا من قبلهم من القوة والقدرة [٢].
قال القرطبي:" قيل: ما أعطى الله تعالى من قبلهم معشار ما أعطاهم من العلم والبيان والحجة والبرهان"[٣].
قال الزمخشري: " وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا أولئك من طول الأعمار وقوة الأجرام وكثرة الأموال"[٤].
وحكي النقاش:"ما بلغ الذين من قبلهم معشار شكر ما أعطيناهم"[٥].
قال ابن كثير:هو " كما قال تعالى : { وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ } [الأحقاف : ٢٦] ، { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً } [غافر : ٨٢] ، أي : وما دفع ذلك عنهم عذاب الله ولا رده ، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله"[٦].
عن ابن عباس، قوله: "{وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ}، من القوة في الدنيا"[٧].
قال ابن عباس:" يقول: ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم"[٨].
قال قتادة:" يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك"[٩].
قال ابن زيد:" ما بلغ هؤلاء، أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، معشار ما آتينا الذين من قبلهم، وما أعطيناهم من الدنيا، وبسطنا عليهم"[١٠].
قال الجوهري :" معشار الشيء: عشره"[١١].
قال الماوردي:" المعشار: هو عشير العشير ، والعشير عشر العشر ، فيكون جزءاً من ألف جزء ، وهو الأظهر ، لأن المراد به المبالغة في التقليل"[١٢].
قوله تعالى:{فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [سبأ : ٤٥]، أي:" فكذبوا رسلي فيما جاؤوهم به فأهلكناهم، فانظر -أيها الرسول- كيف كان إنكاري عليهم وعقوبتي إياهم؟"[١٣].
قال الطبري:" يقول: فكذبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم، فانظر يا محمد كيف كان نكير، يقول: كيف كان تغييري بهم وعقوبتي"[١٤].
قال الزمخشري: " فحين كذبوا رسلهم جاءهم إنكارى بالتدمير والاستئصال، ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون، فما بال هؤلاء؟"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٦.
(٢) معاني القرآن: ٢٥٦/٤.
(٣) تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.
(٤) الكشاف: ٥٨٩/٣.
(٥) نقلا عن النكت والعيون: ٤٥٥/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦.
(٧) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٦.
(٨) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٦.
(٩) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٦-٤١٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٧.
(١١) نقلا عن : تفسير القرطبي: ٣١٠/١٤.
(١٢) النكت والعيون: ٤٥٥/٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٣.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٧.

قال ابن كثير: " أي : فكيف كان نكالي وعقابي وانتصاري لرسلي"[2].
قال السعدي:" قد أعلمنا ما فعل بهم من النكال، وأن منهم من أغرقه، ومنهم من أهلكه بالريح العقيم، وبالصيحة، وبالرجفة، وبالخسف بالأرض، وبإرسال الحاصب من السماء، فاحذروا يا هؤلاء المكذبون، أن تدوموا على التكذيب، فيأخذكم كما أخذ من قبلكم، ويصيبكم ما أصابهم"[3].

القرآن
{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)} [سبأ : ٤٦]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا، ثم تتفكروا في حال صاحبكم رسول الله ﷺ وفيما نسب إليه، فما به من جنون، وما هو إلا مخوِّف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها.
قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} [سبأ : ٤٦]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المكذبين المعاندين: إنما أنصح لكم بخصلة واحدة"[4].
قال ابن كثير: " يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون : { إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ } أي : إنما آمركم بواحدة "[5].
قال السعدي:" {قُلْ} يا أيها الرسول، لهؤلاء المكذبين المعاندين، المتصدين لرد الحق وتكذيبه، والقدح بمن جاء به: {إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} أي: بخصلة واحدة، أشير عليكم بها، وأنصح لكم في سلوكها، وهي طريق نصف، لست أدعوكم بها إلى اتباع قولي، ولا إلى ترك قولكم، من دون موجب لذلك"[6].
وفي قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ} [سبأ : ٤٦]، أقوال:
أحدها : يعني: بطاعة الله عز وجل ، قاله مجاهد[7]، وبه قال الطبري[8].
قال الطبري: يقول:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: إنما أعظكم أيها القوم بواحدة وهي طاعة الله"[9].
الثاني : بالا إله إلا الله ، قاله السدي، ومقاتل[10]، ويحيى بن سلام[11].
قال مقاتل:" بكلمة واحدة كلمة الإخلاص"[12].

---

(١) الكشاف: ٣/٥٨٩.
(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٥.
(٣) تفسير السعدي: ٦٨٢.
(٤) التفسير الميسر: ٤٣٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٥.
(٦) تفسير السعدي: ٦٨٢.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٧.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٧.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٧.
(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٦٩.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٧.

قال الزجاج:" أي:أعظكم بأن توحدوا الله وأن تقولوا لا إله إلا الله مخلصا، وقد قيل واحدة في الطاعة، والطاعة تتضمن التوحيد والإخلاص"[1].
الثالث : المعنى: إنما أعظكم بخصلة واحدة، ثم بينها فقال: {أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى}. وهذا قول قتادة[2].
عن قتادة، قوله:"{قل إنما أعظكم بواحدة}، يقول بواحدة: {أن تقوموا لله مثنى وفرادى}، فهذه واحدة وعظهم بها"[3].
الرابع: بالقرآن، لأنه يجمع كل المواعظ. أفاده الماوردي[4].
قوله تعالى:{أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى} [سبأ : ٤٦]، أي:"وهي أن تنهضوا في طاعة الله اثنين اثنين وواحدًا واحدًا"[5].
قال الطبري:" يقول: وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، {وفُرادَى} فرادى"[6].
قال ابن كثير: " أي : تقوموا قياما خالصًا لله ، من غير هوى ولا عصبية ، فيسأل بعضكم بعضا : هل بمحمد من جنون ؟ فينصح بعضكم بعضا ، { ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا } أي : ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ، ويتفكر في ذلك"[7].
قال الزجاج:" أي: أعظكم بطاعة الله لأن تقوموا لله منفردين ومجتمعين"[8].

---

(١) معاني القرآن: ٢٥٦/٤.

(٢) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٤٢٦):ص٦٥/٣.

(٣) أخرجه عبدالرزاق(٢٤٢٦):ص٦٥/٣.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥٥/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٧.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦. ثم قال ابن كثير:" هذا معنى ما ذكره مجاهد ، ومحمد بن كعب ، والسُّدِّيّ ، وقتادة ، وغيرهم ، وهذا هو المراد من الآية.
فأما الحديث الذي رواه ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا صدقة بن خالد ، حدثنا عثمان بن أبي العاتكة ، عن علي بن يزيد ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : "أعطيت ثلاثا لم يعطهن مَن قبلي ولا فخر : أحلت لي الغنائم ، ولم تحل لمن قبلي ، كانوا قبلي يجمعون غنائمهم فيحرقونها. وبُعثت إلى كل أحمر وأسود ، وكان كل نبي يبعث إلى قومه ، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا ، أتيمم بالصعيد ، وأصلي حيث أدركتني الصلاة ، قال الله : { أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى } وأعنت بالرعب مسيرة شهر بين يدي" – فهو حديث ضعيف الإسناد ، وتفسير الآية بالقيام في الصلاة في جماعة وفرادى بعيد ، ولعله مقحم في الحديث من بعض الرواة ، فإن أصله ثابت في الصحاح وغيرها والله أعلم. [تفسير ابن كثير: ٥٢٥/٦-٥٢٦].
والحديث:" أخرجه الدارمى (٣٧٤/١، رقم ١٣٨٩) ، وعبد بن حميد (ص ٣٤٩، رقم ١١٥٤) ، والبخارى (١٢٨/١، رقم ٣٢٨) ، ومسلم (٣٧٠/١، رقم ٥٢١) ، والنسائى (٢٠٩/١، رقم ٤٣٢) ، وأبو عوانة (٣٣٠/١، رقم ١١٧٣) ، وابن حبان (٣٠٨/١٤، رقم ٦٣٩٨)".

(٨) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

قال الفراء:" أي: يكفيني منكم أن يقوم الرجل منكم وحده، أو هو وغيره"[١].
عن مجاهد: "{أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى}، قال: واحدًا واثنين"[٢].
قال قتادة:" رجلا ورجلين"[٣].
قال السعدي:" أي: تنهضوا بهمة، ونشاط، وقصد لاتباع الصواب، وإخلاص لله، مجتمعين، ومتباحثين في ذلك، ومتناظرين، وفرادى، كل واحد يخاطب نفسه بذلك، فإذا قمتم لله، مثنى وفرادى، استعملتم فكركم، وأجلتموه، وتدبرتم أحوال رسولكم، هل هو مجنون، فيه صفات المجانين من كلامه، وهيئته، وصفته؟ أم هو نبي صادق، منذر لكم ما يضركم، مما أمامكم من العذاب الشديد؟ فلو قبلوا هذه الموعظة، واستعملوها، لتبين لهم أكثر من غيرهم، أن رسول الله ﷺ، ليس بمجنون، لأن هيئاته ليست كهيئات المجانين، في خنقهم، واختلاجهم، ونظرهم، بل هيئته أحسن الهيئات، وحركاته أجل الحركات، وهو أكمل الخلق، أدبا، وسكينة، وتواضعا، ووقارا، لا يكون إلا لأرزن الرجال عقلا. ثم إذا تأملوا كلامه الفصيح، ولفظه المليح، وكلماته التي تملأ القلوب، أمنا، وإيمانا، وتزكى النفوس، وتطهر القلوب، وتبعث على مكارم الأخلاق، وتحث على محاسن الشيم، وترهب عن مساوئ الأخلاق ورذائلها، إذا تكلم رمقته العيون، هيبة وإجلالا وتعظيما، فهل هذا يشبه هذيان المجانين، وعربدتهم، وكلامهم الذي يشبه أحوالهم؟ فكل من تدبر أحواله ومقصده استعلام هل هو رسول الله أم لا؟ سواء تفكر وحده، أو مع غيره، جزم بأنه رسول الله حقا، ونبيه صدقا، خصوصا المخاطبين، الذي هو صاحبهم يعرفون أول أمره وآخره"[٤].
قوله تعالى:{ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ} [سبأ : ٤٦]، أي:" ثم تتفكروا في حال صاحبكم رسول الله ﷺ وفيما نسب إليه، فما به من جنون"[٥]
قال الفراء:" ثم تنفكروا هل جربتم على محمد كذبا أو رأوا به جنونا ففي ذلك ما يتيقنون أنه بنى"[٦].
قال الزجاج:" المعنى: ثم تتفكروا فتعلموا أن النبي - ﷺ - ما هو بمجنون كما تقولون، والجنة الجنون"[٧].
قال النحاس:" أي: يقوم أحدكم وحده ويشاور غيره فيقول هل علمت أن هذا الرجل كذب قط أو سحر أو كهن أو شعر ثم تتفكروا بعد ذلك فإنه يعلم أن ما جاء به من عند الله جل وعز ويقال إن من تحير في أمر ثم شاور فيه ثم فكر بعد ذلك تبين له الحق واعتبر"[٨].
قال ابن قتيبة في الآية:" تأويله أن المشركين قالوا: إن محمدا مجنون وساحر، وأشباه هذا من خرصهم، فقال الله جل وعز لنبيه ﷺ: قل لهم: اعتبروا أمري بواحدة، وهي أن تنصحوا لأنفسكم، ولا يميل بكم هوى عن حق، فتقوموا لله وفي ذاته، مقاما يخلو فيه الرجل منكم بصاحبه فيقول له: هلم فلنتصادق، هل رأينا بهذا الرجل جنة قط أو جرينا عليه كذبا؟ فهذا موضع قيامهم مثنى. ثم ينفرد كل واحد عن صاحبه فيفكر وينظر ويعتبر. فهذا موضع قيامهم فرادى. فإن في

---

(١) معاني القرآن: ٣٦٤/٢.
(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٨.
(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤١٨.
(٤) تفسير السعدي: ٦٨٢.
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٣.
(٦) معاني القرآن: ٣٦٤/٢.
(٧) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.
(٨) معاني القرآن: ٤٢٣/٥.

ذلك ما دلهم على أنه نذير. وكل من تحير في أمر قد اشتبه عليه واستبهم، أخرجه من الحيرة فيه: أن يسأل ويناظر، ثم يفكر ويعتبر"(١).

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ} [سبأ : ٤٦]، أي:" وما هو إلا مخوِّف لكم، ونذير من عذاب جهنم قبل أن تقاسوا حرها"(٢).

قال الطبري:" يقول: ما محمد إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها"(٣).

قال الزجاج:" أي: ينذركم أنكم إن عصيتم لقيتم عذابا شديدا"(٤).

عن ابن عباس قال : "صَعدَ النبي ﷺ الصفا ذات يوم ، فقال : "يا صباحاه". فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : ما لك ؟ فقال : "أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يُصَبّحكم أو يُمَسّيكم ، أما كنتم تصدقوني ؟" قالوا : بلى. قال : "فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب : تبا لك! ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله : { تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ } المسد"(٥).

وعن عبد الله بن بريدة ، عن أبيه قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ يوما فنادى ثلاث مرات فقال : "أيها الناس ، أتدرون ما مثلي ومثلكم ؟" قالوا : الله ورسوله أعلم. قال : "إنما مثلي ومثلكم مثلُ قوم خافوا عدوا يأتيهم ، فبعثوا رجلا يتراءى لهم ، فبينما هو كذلك أبصر العدو ، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه ، فأهوى بثوبه : أيها الناس ، أوتيتم. أيها الناس ، أوتيتم - ثلاث مرات"(٦).

فوائد الآيات:[٤٣-٤٦]:

١- بيان عناد المشركين وسخف عقولهم وهبوطهم الفكري.

٢- ضعف كفار قريش وتشددهم وعتوهم إذا قيسوا بالأمم السابقة فإنهم لا يملكون من القوة نسبة واحد إلى ألف إذ المعشار هو عشر عشر العشر.

٣- تقرير النبوة المحمدية وإثباتها وذلك ينفي الجِنّة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإثبات أنه نذير.

القرآن

{قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٤٧)} [سبأ : ٤٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جئتكم به من أجر فهو لكم، ما أجري الذي أنتظره إلا على الله المطَّلِع على أعمالي وأعمالكم، لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع، كلٌّ بما يستحقه.

قوله تعالى:{قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ} [سبأ : ٤٧]، أي:" قل -أيها الرسول- للكفار: ما سألتكم على الخير الذي جئتكم به من أجر فهو لكم"(٧).

قال الطبري:يقول:" قل يا محمد لقومك المكذبيك، الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جُعْلٍ على إنذاريكم عذاب الله، وتخويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم

---

(١) تاويل مشكل القرآن: ١٩١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٨.

(٤) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

(٥)صحيح البخاري برقم (٤٨٠١).

(٦)المسند (٣٤٨/٥).

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.

بالإيمان بالله، والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهموني، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم"[1].

قال الزجاج:" معناه: ما سألتكم من أجر على الرسالة أؤديها إليكم، والقرآن الذي أتيتكم به من عند الله - فهو لكم – وتأويله: أني إنما أنذركم وأبلغكم الرسالة ولست أجر إلى نفسي عرضا من أعراض الدنيا"[2].

قال ابن كثير:" أي : لا أريد منكم جُعلا ولا عَطاء على أداء رسالة الله إليكم ، ونصحي إياكم ، وأمركم بعبادة الله"[3].

قال السعدي:" وثَمَّ مانع للنفوس آخر عن اتباع الداعي إلى الحق، وهو أنه يأخذ أموال من يستجيب له، ويأخذ أجرة على دعوته. فبين الله تعالى نزاهة رسوله ﷺ عن هذا الأمر فقال: {قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ} أي: على اتباعكم للحق {فَهُوَ لَكُمْ} أي: فأشهدكم أن ذلك الأجر - على التقدير - أنه لكم"[4].

عن قتادة، قوله: "{قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ}، أي: جُعل {فَهُوَ لَكُمْ}، يقول: لم أسألكم على الإسلام جعلا"[5].

قوله تعالى:{إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ} [سبأ : ٤٧]، أي:" ما أجري الذي أنتظره إلا على الله"[6].

قال الطبري:" يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلا على الله"[7].

قال الزجاج:" أي: إنما أطلب ثواب الله بتأدية الرسالة"[8].

قال ابن كثير:" أي : إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله"[9].

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [سبأ : ٤٧]، أي:" هو تعالى رقيب وحاضر على أعمالي وأعمالكم، لا يخفى عليه شيء وسيجازي الجميع، كلٌّ بما يستحقه"[10].

قال الطبري:" يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها"[11].

قال ابن كثير:" أي : عالم بجميع الأمور ، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم ، وما أنتم عليه"[12].

قال السعدي:" أي: محيط علمه بما أدعو إليه، فلو كنت كاذبا، لأخذني بعقوبته، وشهيد أيضا على أعمالكم، سيحفظها عليكم، ثم يجازيكم بها"[1].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٨-٤١٩.

(٢) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٦.

(٤) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٥) اخرجه الطبري:٢٠/ ٤١٩.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٧) تفسير الطبري: ٤١٩/٦.

(٨) معاني القرآن: ٢٥٧/٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٦.

(١٠) انظر: التفسير الميسر: ٤٣٣.[بتصرف]

(١١) تفسير الطبري: ٤١٩/٦.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٦.

القرآن

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٤٨)} [سبأ : ٤٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه، والله علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} [سبأ : ٤٨]، أي:" قل -أيها الرسول- لمن أنكر التوحيد ورسالة الإسلام: إن ربي يقذف الباطل بحجج من الحق، فيفضحه ويهلكه"(٢).

قال الطبري:" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {قُلْ} يا محمد لمشركي قومك {إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ} وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(٣).

قال الزجاج:" معنى: «يقذف بالحق» أي: يأتي بالحق ويرمي بالحق، كما قال - جل وعز -: {بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ} [الأنبياء : ١٨]"(٤).

قال ابن كثيرهو:" كقوله تعالى : { يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ } [غافر : ١٥]. أي : يرسل الملك إلى مَنْ يشاء من عباده من أهل الأرض"(٥).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ}، أي: بالوحي"(٦).

قوله تعالى:{عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [سبأ : ٤٨]، أي:" والله علام الغيوب، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء"(٧).

قال الطبري:" يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مَظْهَر لها، وما لم يكن مما هو كائن"(٨).

قال ابن كثيرهو:" فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض"(٩).

قال السعدي:أي:" الذي يعلم ما تنطوي عليه القلوب، من الوساوس والشبه، ويعلم ما يقابل ذلك، ويدفعه من الحجج"(١٠).

قال ابن زيد:" يزهق الله الباطل، ويثبت الله الحق الذي دمغ به الباطل، يدمغ بالحق على الباطل، فيهلك الباطل ويثبت الحق، فذلك قوله: {قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلامُ الْغُيُوبِ}"(١١).

القرآن

{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ (٤٩)} [سبأ : ٤٩]

---

(١) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٩.

(٤) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٣.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(١١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٠.

التفسير:
قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله، وذهب الباطل واضمحلَّ سلطانه، فلم يبق للباطل شيء يبدؤه ويعيده.

قوله تعالى:{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ} [سبأ : ٤٩]، أي:" قل -أيها الرسول-: جاء الحق والشرع العظيم من الله "[١].

قال الطبري:" يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله"[٢].

قال الزجاج:" أي: قل جاء أمر الله الذي هو الحق"[٣].

قال السعدي:" أي: ظهر وبان، وصار بمنزلة الشمس، وظهر سلطانه"[٤].

قال النحاس:" التقدير: جاء صاحب الحق، أي: الكتاب الذي فيه البراهين والحجج الحق"[٥].

قال ابن كثيرهو:" أي : جاء الحق من الله والشرع العظيم ، وذهبَ الباطل وزهق واضمحل ، كقوله : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ [فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ } [الأنبياء : ١٨] ، ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح ، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة ، جعل يَطعنُ الصنم بسِيَة قَوْسِه ، ويقرأ : { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا } ، { قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ }[٦]"[٧].

عن قتادة، قوله: "{قُلْ جَاءَ الْحَقُّ}، أي: القرآن"[٨].

قوله تعالى:{وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ} [سبأ : ٤٩]، أي:" ذهب الباطل بالمرَّة فلم يبق له شيء يبدؤه ويعيده"[٩].

قال ابن فورك:أي:" أن الحق إذا جاء أذهب الباطل فلن يبق له بقية يبدئ بها ولا يعيد"[١٠].

قال الثعلبي:" يعني: ذهب الباطل وزهق فلم تبق له بقية يبدي بها ولا يعيد"[١١].

قال السعدي:" أي: اضمحل وبطل أمره، وذهب سلطانه، فلا يبدئ ولا يعيد"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة"[١٣].

وقال الحسن: "{وما يبدئ الباطل} لأهله خيرا {وما يعيد}، أي: بخير الآخرة"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٩.

(٣) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

(٤) تفسير السعدي: ٦٨٣.

(٥) إعراب القرآن: ٢٤٢/٣.

(٦)صحيح البخاري برقم (٢٤٧٨ ، ٤٢٨٧) وصحيح مسلم برقم (١٧٨١) وسنن الترمذي برقم (٣١٣٨) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٨).

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٨) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.[بتصرف]

(١٠) تفسير ابن فورك: ١٥٥/٢.

(١١) الكشف والبيان: ٩٤/٨.

(١٢) تفسير السعدي: ٦٨٣.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

قال مقاتل:" يقول: ما يبدئ الشيطان الخلق فيخلقهم وما يعيد خلقهم في الآخرة فيبعثهم بعد الموت والله- جل وعز- بفعل ذلك"[٢].

وقال الضحاك: "الباطل: الآلهة، وقال: {وما يبدئ وما يعيد}، أي: ما يحيى وما يميت"[٣].

قال الطبري:" يقول: وما ينشىء الباطل خلقًا، ولا يعيده حيًّا بعد فنائه، والباطل هو فيما فسره أهل التأويل: إبليس"[٤].

قال الزجاج:" الباطل: -ههنا-: إبليس، والمعنى: وما يعيد إبليس وما يفيد، أي: لا يخلق ولا يبعث، والله - عز وجل - الخالق والباعث، ويجوز أن يكون الباطل صاحب الباطل وهو إبليس"[٥].

قال قتادة" و«الباطل»: إبليس، أي: ما يخلق إبليس أحدًا ولا يبعثه"[٦].

قال ابن كثير:"وهذا [أي: ان الباطل هو إبليس] وإن كان حقًّا ولكن ليس هو المراد هاهنا. والله أعلم"[٧].

قال القشيري في الآية:" الباطل على ممر الأيام لا يزيد إلا زهوقا، والحق على ممر الأيام لا يزداد إلا قوة وظهورا"[٨].

القرآن

{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ (٥٠)} [سبأ : ٥٠]

التفسير:

قل: إن مِلْت عن الحق فإثم ضلالي على نفسي، وإن استقمت عليه فبوحي الله الذي يوحيه إليَّ، إن ربي سميع لما أقول لكم، قريب ممن دعاه وسأله.

قوله تعالى:{قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي} [سبأ : ٥٠]، أي:" قل: إن مِلْت عن الحق فإثم ضلالي على نفسي"[٩].

قال الطبري: يقول:" قل يا محمد لقومك: إن ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق، إنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضره"[١٠].

قال البيضاوي: أي:" قل إن ضللت عن الحق، فإن وبال ضلالي عليها لأنه بسببها إذ هي الجاهلة بالذات والأمارة بالسوء"[١١].

---

(١) حكاه عنه ابن فورك في التفسير: ٢/!٥٥.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٨/٣.

(٣) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٢/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤١٩.

(٥) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٨) لطائف الإشارات: ١٨٨/٣.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٠.

(١١) تفسير البيضاوي: ٢٥١/٤.

قال ابن كثير: أي : " ومَنْ ضل فإنما يضل من تلقاء نفسه، ، كما قال عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه ، لما سئل عن تلك المسألة في المفوَضة : أقول فيها برأيي ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله بريئان منه[(1)]"[(2)].

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي- ﷺ- لقد ضللت حين تركت دين آبائك، {فإنما أضل على نفسي}، إنما ضلالتي على نفسي"[(3)].

قال السعدي:" لما تبين الحق بما دعا إليه الرسول، وكان المكذبون له، يرمونه بالضلال، أخبرهم بالحق، ووضحه لهم، وبين لهم عجزهم عن مقاومته، وأخبرهم أن رميهم له بالضلال، ليس بضائر الحق شيئا، ولا دافع ما جاء به. وأنه إن ضل - وحاشاه من ذلك، لكن على سبيل التنزل في المجادلة - فإنما يضل على نفسه، أي: ضلاله قاصر على نفسه، غير متعد إلى غيره"[(4)].

قوله تعالى:{وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} [سبأ : ٥٠]، أي:" وإن استقمت عليه فبوحي الله الذي يوحيه إليَّ"[(5)].

قال الطبري: يقول: وإن استقمت على الحق فبوحي الله الذي يوحِي إلي، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى"[(6)].

قال ابن كثير:" أي : الخير كله من عند الله ، وفيما أنزله الله عز وجل من الوحي والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد"[(7)].

قال البيضاوي: " فإن الاهتداء بهدايته وتوفيقه"[(8)].

قال السعدي:" فليس ذلك من نفسي، وحولي، وقوتي، وإنما هدايتي بما {يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي} فهو مادة هدايتي، كما هو مادة هداية غيري"[(9)].

قوله تعالى:{إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} [سبأ : ٥٠]، أي:" إن ربي سميع لما أقول لكم، قريب ممن دعاه وسأله"[(10)].

قال الطبري:" يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد، فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد"[(11)].

قال ابن كثير: " أي : سميع لأقوال عباده ، قريب مجيب دعوة الداعي إذا دعاه"[(12)].

قال البيضاوي: أي:" يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله وإن أخفاه"[(13)].

---

(١)) انظر الأثر في المسند (٤٧٧/١).

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٨/٣.

(٤) تفسير السعدي: ٦٨٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(٨) تفسير البيضاوي: ٢٥١/٤.

(٩) تفسير السعدي: ٦٨٣.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٠-٤٢١.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٧/٦.

(١٣) تفسير البيضاوي: ٢٥١/٤.

قال مقاتل:" {سميع} الدعاء، {قريب}الإجابة"[١].
قال السعدي:" إن ربي {سَمِيعٌ} للأقوال والأصوات كلها {قَرِيبٌ} ممن دعاه وسأله وعبده"[٢].
وفي الحديث:«إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا قريبا مجيبا»[٣].

القرآن
{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٥١)} [سبأ : ٥١]
التفسير:
ولو ترى -أيها الرسول- إذ فَزِعَ الكفار حين معاينتهم عذاب الله، لرأيت أمرًا عظيمًا، فلا نجاة لهم ولا مهرب، وأُخذوا إلى النار من موضع قريب التناول.
قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ} [سبأ : ٥١]، أي:" ولو ترى -أيها الرسول- إذ فَزِعَ الكفار حين معاينتهم عذاب الله، لرأيت أمرًا عظيمًا، فلا نجاة لهم ولا مهرب"[٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ولو ترى يا محمد إذ فزعوا"[٥].
قال ابن كثير:" ولو ترى - يا محمد - إذ فَزِع هؤلاء المكذبون يوم القيامة ، { فَلا فَوْتَ } أي : فلا مفر لهم ، ولا وزر ولا ملجأ"[٦].
قال القرطبي:" ذكر أحوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه إلى معرفة الحق، والمعنى: لو ترى إذا فزعوا في الدنيا عند نزول الموت أو غيره من بأس الله تعالى بهم"[٧].
قال الزجاج:" هذا في وقت بعثهم، أي: فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يفوتوا "[٨].
واختلف أهل التفسير في فزعهم، على خمسة اقوال:
أحدها : فزعهم يوم القيامة ، قاله مجاهد[٩]، ابن معقل[١٠].
وقال مجاهد:" حين عاينوا عذاب الله"[١١].
الثاني : فزعهم في الدنيا حين عند نزول نقمة الله بهم. قاله ابن عباس[١٢]، وقتادة[١٣]، والضحاك[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٨/٣.
(٢) تفسير السعدي: ٦٨٣.
(٣)النسائي في السنن الكبرى برقم (١١٤٢٧) وصحيح البخاري برقم (٤٢٠٥) وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).
(٢٧٠٤).
(٤) التفسير الميسر: ٤٣٤.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢١.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.
(٧) تفسير القرطبي: ٣١٤/١٤.
(٨) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.
(٩) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٩):ص١١/١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢١.
(١٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٤٢٩):ص٦٦/٣.

قال ابن عباس:" هذا من عذاب الدنيا"[٢].

الثالث : هو الجيش الذي يخسف بهم في البيداء فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي أصحابه، فيفزعوا فهذا هو فزعهم ، قاله سعيد بن جبير[٣]، ومقاتل[٤].

حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب، قال: "فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين؛ جيشًا إلى المشرق، وجيشًا إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخربون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشأم، فتخرج راية هذا من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ :{وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلا فَوْتَ ... } الآية، ولا ينفلت منهم إلا رجلان؛ أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول[٥]:

... ... وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ الْيَقِينُ

الرابع : هو فزعهم يوم بدر حين ضربت أعناقهم فلم يستطيعوا فراراً من العذاب ولا رجوعاً إلى التوبة ، قاله السدي[٦]، وابن زيد[٧].

وقال ابن زيد:" هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين"[٨].

الخامس : هو فزعهم يوم القيامة حين يخرجوون من قبورهم. قاله الحسن[٩].

وقال ابن قتيبة:" أي: عند البعث"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢١.

(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٢.

(٤)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٨/٣-٥٣٩ .

(٥)هذا عجز بيت من الوافر. وصدره: تُسَائل عن حُصْينٍ كلَّ ركْبٍ

(مجمع الأمثال الميداني ١: ٣٤) والشطر الثاني من الأمثال الثائرة. وله قصة مطولة ذكرها الميداني خلاصتها: أن حصين بن عمرو بن معاوية بن كلاب والأخنس بن شريق الجهني خرج لما يخرج له الفتيان الصعاليك؛ ليغيرا ويكسبا ويغنما، فلما غنما بعض الشيء عدا الجهني على صاحبه فقتله، ثم رجع إلى قومه جهينة، وأخبرهم بالذي صنع بصاحبه، وقال أبياتًا من الشعر تتضمن القصة -ويلوح لي أن هذه القصة موضوعة- ولهذا يروى المثل: "وعند جهينة الخبر اليقين" كما في (الاقتضاب شرح أدب الكتاب) لابن السيد البطليوسي. وأما استشهاد المؤلف به في قصة السفياني، فيدل على أن جهينة كانت قبيلة مشهورة بتتبع أخبار العرب ومعرفة الأحداث؛ حتى كان عندها علم كل شيء. ولكثرة ذلك فيها نسب إليها العلم بما يقع من الأحداث المستقبلة.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥٨/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢١.

(٨) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٣-٤٢٤.

قال الطبري:" والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من قومه، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبرًا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرًا لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله {فَلا فَوتَ} يقول: فلا سبيل حينئذٍ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هربًا، وينجوا من عذابنا"[2].

وفي قوله تعالى:{فَلَا فَوْتَ} [سبأ : ٥١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : فلا نجاة ، قاله ابن عباس[3].

الثاني : فلا هرب. قاله الضحاك[4]. وهو معنى قول مجاهد[5].

قال مجاهد:"يوم القيامة {فلا فوت} فلم يفوتوا ربك"[6].

الثالث : فلا سبق ، قاله قتادة[7].

قال يحيى بن سلام:" لا يفوت أحد منهم دون أن يهلك بالعذاب"[8].

قال الزجاج:" أي: فلا فوت لهم، لا يمكنهم أن يفوتوا"[9].

قوله تعالى:{وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} [سبأ : ٥١]، أي:" وأُخذوا إلى النار من موضع قريب التناول"[10].

قال الطبري:" يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه"[11].

قال ابن كثير:" أي : لم يكونوا يُمنعون في الهرب بل أخذوا من أول وهلة"[12].

وفي قوله تعالى:{وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ} [سبأ : ٥١]، وجوه من التفسير:

أحدها : من تحت أقدامهم ، قاله مجاهد[13]، وعطية العوفي[14]، مقاتل[15]، وحكاه يحيى بن سلام سلام عن بعضهم[16].

---

(١) غريب القرآن: ٣٥٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٤.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٠٦):ص١٠/٣١٦٨.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٠٦):ص١٠/٣١٦٨.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٨.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٧٠.

(٩) معاني القرآن: ٤/٢٥٨.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٨.

(١٣)انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٩.

(١٤) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٨.

(١٥)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٩ .

(١٦) انظر/ تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٧١.

الثاني : يعني قتلهم يوم بدر ، قاله عبد الرحمن بن زيد[١].

قال ابن زيد:" هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرًا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم، أهل بدر من المشركين"[٢].

الثالث : هو جيش السفياني ، قاله سعيد بن جبير[٣]، وحكاه الماوردي عن ابن عباس[٤].

قال ابن كثير:" حكى ابن جرير عن بعضهم قال : إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة في أيام بني العباس ، ثم أورد في ذلك حديثا موضوعا بالكلية. ثم لم ينبه على ذلك ، وهذا أمر عجيب غريب منه"[٥].

الرابع : عذاب الدنيا، قاله ابن عباس[٦]، والضحاك[٧].

عن ابن عباس، قوله: "{وَلَوْ تَرَى إِذْ فُزِعُوا فَلا فَوْتَ ... }، الى آخر الآية، قال: هذا من عذاب الدنيا"[٨].

الخامس : حين خرجوا من القبور ، قاله الحسن[٩].

وقال الحسن:" وأي شيء أقرب من أن كانوا في بطن الأرض فإذا هم على ظهرها"[١٠].

قال الواحدي:" يعني القبور، وحيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه، ولا يفوتونه"[١١].

السادس : هو يوم القيامة ، قاله مجاهد ايضا[١٢]، والقاسم بن نافع[١٣].

وقال يحيى بن سلام:" النفخة الآخرة"[١٤].

السابع : في أسرِّ ما كانوا فيه نفوساً ، وأقوى ما كانوا عليه أملاً لأنه أقرب بلاء من نعمه. أفاده الماوردي[١٥].

قال ابن كثير:" الصحيح : أن المراد بذلك يوم القيامة ، وهو الطامة العظمى ، وإن كان ما ذكر متصلا بذلك"[١٦].

---

(١)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢١

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢١.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٢.

(٤)انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٩.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٨.

(٦)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢١

(٧)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢١

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٠/ ٤٢٣-٤٢٤، وتفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٧١، والنكت والعيون: ٤/٤٥٩.

(١٠) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٧١.

(١١) التفسير الوسيط: ٣/٤٩٩.

(١٢) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٩):ص١/١١ .

(١٣)انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٩.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٧١.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٩.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٨.

القرآن

{وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٢)} [سبأ : ٥٢]

التفسير:

وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله، وكيف لهم تناول الإيمان في الآخرة ووصولهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها.

قوله تعالى:{وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ} [سبأ : ٥٢]، أي:" وقال الكفار -عندما رأوا العذاب في الآخرة-: آمنا بالله وكتبه ورسله"[١].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة يقولون : آمنا بالله وبكتبه ورسله، كما قال تعالى : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [السجدة : ١٢]"[٢].

قوله تعالى:{وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٢]، أي:" وكيف لهم تناول الإيمان في الآخرة ووصولهم له من مكان بعيد؟ قد حيل بينهم وبينه، فمكانه الدنيا، وقد كفروا فيها"[٣].

قال ابن كثير:" أي : وكيف لهم تعاطي الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة ، وهي دار الجزاء لا دار الابتلاء ، فلو كانوا آمنوا في الدنيا لكان ذلك نافعهم ، ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان ، كما لا سبيل إلى حصول الشيء لمن يتناوله من بعيد"[٤].

وفي معنى:«التناوش»، أقوال:

أحدها : هو الرجعة، قاله ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]. والضحاك[٧]، ومقاتل[٨]، ومنه قول الشاعر[٩]:

تَمَنَّى أَنْ تَؤُوْبَ إليَّ مَيٌّ ... وليس إلى تناوُشِها سبيلُ

عن أبي إسحاق عن التميمي قال: قلت لابن عباس: أرأيت قول الله :{وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ}، قال: يسألون الرد وليس بحين رد"[١٠].

وقال ابن عباس:"فكيف لهم بالرد"[١١].

وقال سعيد:" التناوب"[١٢].

قال مقاتل:" الرجعة إلى التوبة بعيد منهم لأنه لا يقبل منهم"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٢٨/٦.

(٥) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٧.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٨.

(٨) انظر: تفسير ممقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣.

(٩) البيت بلا نسبة في النكت والعيون: ٤٥٩/٤، والمحرر الوجيز: ٤٢٧/٤، والبحر المحيط في التفسير: ٥٦٦/٨، وغيرها.

(١٠) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٧.

(١١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٧.

(١٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٧.

الثاني : هو التوبة، قاله الحسن[٢]، وأبو مالك[٣]، والسدي[٤].

قال ابن زيد:" هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم، وقرأ :{وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ ... } الآية، قال: التناوش: التناول، وأنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها في الدنيا، قال: وهذا بعد الموت في الآخرة"[٥].

وعن ابن زيد: قوله: "{وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ} بعد القتل، {وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} وقرأ :{وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} قال: ليس لهم توبة، وقال: عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة، فيقبلها الله منهم، فأبوا، أو يعرضون التوبة بعد الموت، قال: فهم يعرضونها في الآخرة خمس عرضات، فيأبى الله أن يقبلها منهم، قال: والتائب عند الموت ليست له توبة {وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا ... } الآية، وقرأ: {رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُون}"[٦].

الثالث : هو التناول، قاله مجاهد[٧]، الفراء[٨]، وابو عبيدة[٩]، والزجاج[١٠]، ومنه قول الشاعر[١١]:

فهى تنوش الحوض نوشا من علا ... نوشا به تقطع أجواز الفلا

قال الفراء:" وتناوش القوم في القتال: إذا تناول بعضهم بعضا ولم يتدانوا كل التداني"[١٢].

قال الزجاج:" التناؤش: التناول، أي: فكيف لهم أن يتناولوا ما كان مبذولا لهم وكان قريبا منهم، فكيف يتناولونه حين بعد عنهم"[١٣].

الرابع: أن التناوش تناول التوبة. قاله قتادة[١٤].

قال النحاس:" هذا أبينها يقال: ناش ينوش، إذا تناول.. والمعنى: ومن أين لهم تناول التوبة {من مكان بعيد}، أي: يبعد منه تقبل التوبة"[١٥].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣.

(٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٧/٥.

(٣) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٧/٥.

(٤) حكاه عنه الماوردي في لنكت والعيون: ٤٥٩/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٧-٤٢٨.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٨.

(٧) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٨/٥.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٣٦٥/٢.

(٩) انظر: مجاز القرآن: ١٥٠/٢.

(١٠) انظر: معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

(١١) البيت لغيلان بن حريث كما فى اللسان (نوش) والضمير فى «فهى» للابل. وقوله: «من علا» أي من فوق يريد أنها عالية الأجسام طوال الأعناق. وهذا النوش الذي ترتوى به يعينها على قطع الفلوات. والأجواز جمع جوز وهو الوسط.

البيت في معاني القرآن للفراء: ٣٦٥/٢.

(١٢) معاني القرآن: ٣٦٥/٢.

(١٣) معاني القرآن: ٢٥٨/٤.

(١٤) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٢٨/٥.

(١٥)معاني القرآن: ٤٢٨/٥ .

وفي قوله تعالى:{مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٢]، أقوال:
أحدها : من الآخرة إلى الدنيا ، قاله مجاهد[١].
الثاني : ما بين الآخرة والدنيا ، رواه القاسم بن نافع[٢].
الثالث : هو طلبهم الأمر من حيث لا ينال، قاله الحسن[٣].
الرابع : بعيد عليهم لاستحالته عندهم. حكاه الماوردي[٤].

القرآن
{وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣)} [سبأ : ٥٣]
التفسير:
وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل، ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد.

قوله تعالى:{وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٣]، أي:" وقد كفروا بالحق في الدنيا، وكذبوا الرسل"[٥].

قال الطبري:" يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم، ومعاينتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله وبمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبما جاءهم به من عند الله"[٦].

قال ابن كثير:" أي : كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة ، وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا بالرسل ؟"[٧].

قال مقاتل:" وقد كفروا به بالقرآن من قبل نزول العذاب حين بعث الله- عز وجل- محمدا- ﷺ- "[٨].

عن قتادة، قوله:{ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْل}،" أي: بالإيمان في الدنيا"[٩].

قوله تعالى:{وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٣]، أي:" ويرمون بالظن من جهة بعيدة عن إصابة الحق، ليس لهم فيها مستند لظنهم الباطل، فلا سبيل لإصابتهم الحق، كما لا سبيل للرامي إلى إصابة الغرض من مكان بعيد"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمدًا من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ : ٥٣]، ثلاثة وجوه من التفسير:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٨.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٩.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٩.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٥٩.
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٤.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٨.
(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٢٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٣٩.
(٩) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٢٩.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٤.
(١١) تفسير الطبري: ٠٢/ ٤٢٩.

أحدها : معناه: يرجمون بالظن ويقولون في الدنيا لا بعث ولا جنة ولا نار ، قاله الحسن[١]، وقتادة[٢].

قال الزجاج:" أي: كانوا يرجمون ويرمون بالغيب، وترجيمهم أنهم كانوا يظنون أنهم لا يبعثون"[٣].

الثاني : أنه طعنهم في القرآن ، قاله ابن زيد[٤].

الثالث : أنه طعنهم في رسول الله-ﷺ- بأنه شاعر أو ساحر أو كاهن، قاله مجاهد[٥]، وسماه قذفاً لخروجه عن غير حق[٦].

القرآن

{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ (٥٤)} [سبأ : ٥٤]

التفسير:

وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا، كما فعل الله بأمثالهم من كفرة الأمم السابقة، إنهم كانوا في الدنيا في شَكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، مُحْدِث للريبة والقلق، فلذلك لم يؤمنوا.

قوله تعالى:{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]، أي:" وحيل بين الكفار وما يشتهون من التوبة والعودة إلى الدنيا ليؤمنوا"[٧].

قال الطبري: يقول:" وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب، فقالوا: آمنَّا به {وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} حينئذٍ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون، ولا سبيل لهم إليه"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} [سبأ : ٥٤]، وجوه:

أحدها : حيل بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا، قاله مجاهد[٩].

قال الزجاج:" المعنى: من الرجوع إلى الدنيا، والإيمان"[١٠].

الثاني : بينهم وبين الإيمان بالله، قاله الحسن[١١].

الثالث : بينهم وبين التوبة ، قاله السدي[١٢].

الرابع : بينهم وبين طاعة الله تعالى ، قاله قتادة[١٣]، وخليد[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٦٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٩.

(٣) معاني القرآن: ٤/٢٥٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٩.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٢٩.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٦٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٠.

(١٠) معاني القرآن: ٤/٢٥٩.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٦٠، وتفسير ابن كثير: ٦/٥٢٩.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٠.

قال قتادة:" كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا"[٢].

الخامس : بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد أو زهرة الدنيا. قاله مجاهد أيضا[٣].

وقال ابن زيد:" في الدنيا التي كانوا فيها والحياة"[٤].

السادس: حيل بين المؤمن وبين العمل ، وبين الكافر وبين الإيمان ، قاله يزيد بن أبي يزيد .

قال الطبري:" لأن يكون قوله: {وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ} خبرًا عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرًا عن غيره"[٥].

روي عن ابن عباس في قول الله عز وجل :"{ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } إلى آخر الآية ، قال : كان رجل من بني إسرائيل فاتحًا - أي فتح الله له مالا - فمات فورثه ابن له تافه - أي : فاسد - فكان يعمل في مال الله بمعاصي الله. فلما رأى ذلك إخوان أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه ، فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ، ثم رحل فأتى عينا ثجاجَة فسرَح فيها ماله ، وابتنى قصرًا. فبينما هو ذات يوم جالس إذ شمَلت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرَجا - أي : ريحًا - فقالت : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا امرؤ من بني إسرائيل قالت : فلك هذا القصر ، وهذا المال ؟ قال : نعم. قالت : فهل لك من زوجة ؟ قال : لا. قالت : فكيف يَهْنيك العيش ولا زوجة لك ؟ قال : قد كان ذلك. فهل لك من بَعل ؟ قالت : لا. قال : فهل لك إلى أن أتزوجك ؟ قالت : إني امرأة منك على مسيرة ميل ، فإذا كان غد فتزوّد زاد يوم وأتني ، وإن رأيت في طريقك هولا فلا يَهُولنَّكَ. فلما كان من الغد تزود زاد يوم ، وانطلق فانتهى إلى قصر ، فقرع رتاجه ، فخرج إليه شاب من أحسن الناس وجهًا وأطيبهم أرَجًا - أي : ريحًا - فقال : من أنت يا عبد الله ؟ فقال : أنا الإسرائيلي. قال فما حاجتك ؟ قال : دعتني صاحبة هذا القصر إلى نفسها. قال : صدقت ، قال فهل رأيت في طريقك هولا ؟ قال : نعم ، ولولا أنها أخبرتني أن لا بأس عليّ ، لهالني الذي رأيت ؛ أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا بكلبة فاتحة فاها ، ففزعت ، فَوَثَبت فإذا أنا من ورائها ، وإذا جراؤها ينبحن في بطنها. فقال له الشاب : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، يقاعد الغلام المشيخة في مجلسهم ويَبُزّهم حديثهم.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا بمائة عنز حُفَّل ، وإذا فيها جَدْي يمصّها ، فإذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئًا ، فتح فاه يلتمس الزيادة. فقال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، ملك يجمع صامت الناس كلّهم ، حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئًا فتح فاه يلتمس الزيادة.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بشجر ، فأعجبني غصن من شجرة منها ناضر ، فأردت قطعة ، فنادتني شجرة أخرى : "يا عبد الله ، مني فخذ". حتى ناداني الشجر أجمع : "يا عبد الله ، منا فخذ". قال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، يقل الرجال ويكثر النساء ، حتى إن الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا برجل قائم على عين ، يغرف لكل إنسان من الماء ، فإذا تَصَدعوا عنه صَبّ في جَرّته فلم تَعلَق جَرته من الماء بشيء. قال : لست تدرك هذا ، هذا يكون في آخر الزمان ، القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصي الله.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل إذا أنا بعنز وإذا بقوم قد أخذوا بقوائمها ، وإذا رجل قد أخذ بقرنيها ، وإذا رجل قد أخذ بذَنَبها ، وإذا رجل قد ركبها ، وإذا رجل يحلبها. فقال :

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٦٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣١.

(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣١.

أما العنز فهي الدنيا ، والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها ، وأما الذي قد أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقًا ، وأما الذي أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه ، وأما الذي ركبها فقد تركها. وأما الذي يحلبها فَبخٍ بخٍ ، ذهب ذلك بها.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، وإذا أنا برجل يمْتح على قَليب ، كلما أخرج دلوه صبَّه في الحوض ، فانساب الماء راجعًا إلى القليب. قال : هذا رجل رَدّ الله عليه صالح عمله ، فلم يقبله.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا برجل يبذُر بذرًا فيستحصد ، فإذا حنطة طيبة.

قال : هذا رجل قبل الله صالح عمله ، وأزكاه له.

قال : ثم أقبلت حتى إذا انفرج بي السبيل ، إذا أنا برجل مستلق على قفاه ، قال : يا عبد الله ، ادن مني فخذ بيدي وأقعدني ، فوالله ما قعدت منذ خلقني الله فأخذت بيده ، فقام يسعى حتى ما أراه. فقال له الفتى : هذا عمْر الأبعد نَفَد ، أنا ملك الموت وأنا المرأة التي أتتك...أمرني الله بقبض روح الأبعد في هذا المكان ، ثم أصيره إلى نار جهنم قال : ففيه نزلت هذه : { وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ } الآية"[١].

قال ابن كثير:" هذا أثر غريب، وفي صحته نظر ، وتنزيل هذه الآية عليه وفي حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا ، كما جرى لهذا المغرور المفتون ، ذهب يطلب مراده فجاءه الموت فجأة بغتة ، وحيل بينه وبين ما يشتهي"[٢].

قوله تعالى:{كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]، أي:" كما فعل الله بأمثالهم من كفرة الأمم السابقة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : كما جرى للأمم الماضية المكذبة للرسل ، لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم ، { فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } [غافر : ٨٤ ، ٨٥]"[٤].

قال السمعاني:" الأشياع: جمع شيعة، وهم الفرق"[٥].

وفي قوله تعالى:{كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ} [سبأ : ٥٤]، وجوه:

أحدها : أنهم أوائلهم من الأمم الخالية قبل هؤلاء، قاله مقاتل[٦].

الثاني : أنه أصحاب الفيل حين أرادوا خراب الكعبة ، قاله الضحاك[٧].

الثالث : هم أمثالهم من الكفار الذين لم يقبل الله سبحانه منهم التوبة عند المعاينة. وهذا قول ابن زيد[٨].

وعن مجاهد: {كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ}، قال: كما فعل بالكفار من قبلهم"[٩].

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٢٩/٦-٥٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٦.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٤٣/٤.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٩/٣-٥٤٠.

(٧) انظر النكت والعيون: ٤٦٠/٤، وتفسير السمعاني: ٣٤٣/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٢.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩١٢):ص١٠،٣١٦٩، والطبري: ٢٠/ ٤٣٢. باختلاف يسير.

قال الثعلبي:" أي: أهل دينهم وموافقهم من الأمم الماضية حين لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت البأس"[1].

وقال الزجاج:" {كما فعل} بمن كان مذهبه مذهبهم"[2].

قال الطبري: معناه: "فعلنا بهؤلاء المشركين؛ فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سخط الله بهم، ومعاينتهم بأسه، كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم؛ فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضربائهم"[3].

عن ابن عمر رضي الله عنه:" أنه شرب ماءا باردا فبكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: ذكرت آية في كتاب الله: {وحيل بينهم وبين ما يشتهون}، فعرفت أن أهل النار لا يشتهون إلا الماء البارد، وقال الله: {أفيضوا علينا من الماء}"[4].

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ} [سبأ : ٥٤]، أي:" إنهم كانوا في الدنيا في شَكٍّ من أمر الرسل والبعث والحساب، مُحْدِث للريبة والقلق، فلذلك لم يؤمنوا"[5].

قال السمعاني:" أي: في شك مرتابين"[6].

قال ابن كثير:" أي : كانوا في الدنيا في شك وريبة ، فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب"[7].

قال الطبري:يقول:" وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الإيمان؛ إنهم كانوا قبل في الدنيا في شك، من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وعبادة الأوثان، أن الله مهلكهم، ومحلٌّ بهم عقوبته في عاجل الدنيا، وآجل الآخرة قبل نزوله بهم، مريب يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه، من قولهم: قد أراب الرجل إذا أتى ريبة وركب فاحشة، كما قال الراجز[8]:

يا قَومُ مَا لِي وأَبَا ذُؤَيبِ؟ ... كنتُ إذَا أَتَوْتُهُ من غَيبِ

يَشُمُّ عِطْفِي وَيُبُزّ ثَوْبِي ... كأنَّما أرَبْتُهُ بِرَيْبِ

يقول: كأنما أتيت إليه ريبة"[9].

وقال مقاتل:" {إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ} من العذاب بأنه غير نازل بهم في الدنيا، {مريب}، يعنى: بمريب أنهم لا يعرفون شكهم"[10].

قال الزجاج:" فقد أعلمنا الله جل وعز أنه يعذب على الشك، وقد قال قوم من الضلال أن - الشاكين لا شيء عليهم، وهذا كفر ونقض للقرآن لأن الله - جل وعز - قال: {وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ} [ص : ٢٧] "[11].

---

(١) الكشفو البيان: ٩٦/٨.

(٢) معاني القرآن: ٢٥٩/٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣١.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩١٣):ص٣١٦٩/١٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٤٣/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٣١/٦.

(٨)هذه الأبيات الرجز من المشطور، أنشدها صاحب (اللسان: أتي).

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٢.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٠/٣.

(١١) معاني القرآن: ٢٥٩/٤.

قال قتادة:" إياكم والشك والريبة، فإنه من مات على شك بعث عليه، ومن مات على يقين بعث عليه"[1].
فوائد الآيات:[٤٧-٥٤]:
١- دعوة الله تعالى ينبغي أن لا يأخذ الداعي عليها أجراً، ويحتسب أجره على الله عز وجل.
٢- بيان صدق الله تعالى في قوله جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد إذ ما هو إلاّ سنيّات والإسلام ضارب بجرانه في الجزيرة فلا دين فيها إلا الإسلام.
٣- الإيمان الاضطراري لا ينفع صاحبه كإيمان من رأى العذاب.
٤- الشك كفر ولا إيمان مع رؤية العذاب.

«آخر تفسير سورة (سبأ)، والحمد لله وحده»

(١) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩١٤):ص١٠/٣١٦٩.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «فاطر»

سورة «فاطر»: هي السورة «الخامسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الثالثة والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الفرقان»[1]، عدد آياتها خمس وأربعون عند الأكثرين، وعند الشاميين ست. وكلماتها سبعمائة وسبعون. وحروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثة وثلاثون[2].

والمختلف فيها سبع آيات؛ {الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيد} [فاطر : ٧]، {جَدِيدٍ} [فاطر : ١٦]، {النُّورُ} [فاطر : ٢٠]، {الْبَصِيرُ} [فاطر : ١٩]، {مَنْ فِي الْقُبُور} [فاطر : ٢٢]، {أَنْ تَزُولَا} [فاطر : ٤١]، {تَبْدِيلًا } [فاطر : ٤٣]، وفواصل آياتها :«زاد من بز»[3].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة فاطر»:**

اشتهرت تسميتها باسم «سورة فاطر»، وكتبت في كثير من المصاحف وكتب التفسير، ووجه تسميتها «سورة فاطر» أن هذا الوصف وقع في طالعة السورة، ولم يقع في أول سورة غيرها[4].

قال القاسمي:" وتسمى هذه السورة سورة «فاطر» لذكر هذا الاسم الجليل والنعت الجميل في طليعتها"[5].

- **ثانيا:- اسمها الإجتهادي: «سورة الملائكة»:**

ووجه تسميتها «سورة الملائكة» أنه ذكر في أولها صفة الملائكة، ولم يقع في سورة أخرى.

قال القاسمي:" سميت بذلك لما جاء فيها من خلق الملائكة، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد، الدال على عجيب صنعه تعالى وباهر قدرته"[6].

وقال المهايمي: سميت بها لاشتمالها على بيان تفصيل رسالتهم، من جهة أخذهم الفيض عن الله، وإيصاله إلى خلقه، من جهة أو جهتين أو ثلاث أو أكثر، ليشعر أن الرسالة العامة لهم، إذا كانت كذلك، فكيف الرسالة الخاصة؟ مثل إنزال القرآن. فيجوز أن يكون له جهات كثيرة. وقد روي أنه كان لجبريل ستمائة جناح"[7].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[8]، وقتادة[9]، ومقاتل[10]، ويحيى بن سلام[1].

---

(١) انظر: الكشاف:٥٩٥/٣.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٨٦.

(٣)انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٥) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٦) محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٧) نقلا عن: محاسن التأويل: ١٥٨/٨.

(٨) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والبخاري وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٩) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣/٧، وعزاه إلى عبد الرزاق وابن المنذر.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٩/٣.

قال ابن الجوزي:" هي مكية بإجماعهم"[2].
قال القرطبي:" سورة فاطر مكية في قول الجميع"[3].
قال **الفيروزآبادى**:" السورة مكية إجماعا"[4].

الثاني: أنها مكية إلا آيتين: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللَّهِ} [فاطر: ٢٩] الآية: {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ} [فاطر: ٣٢] الآية. حكاه الطبرسي عن الحسن[5].

مناسبة سورة«فاطر» مع سورة «سبأ»:

ومناسبتها لما قبلها: إنه لما ذكر سبحانه في آخر سابقتها هلاك المشركين وإنزالهم منازل العذاب- لزم المؤمنين حمده تعالى وشكره كما جاء في قوله: {فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام : ٤٥][6].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

اشتملت السورة على المقاصد التالية:

١- إثبات تفرد الله تعالى بالإلهية، فافتتحت بما يدل على أنه مستحق الحمد على ما أبدع من الكائنات، الدال إبداعها على تفرده تعالى بالإلهية.
٢- إثبات صدق الرسول ﷺ فيما جاء به، وأنه جاء به الرسل من قبله.
٣- إثبات البعث والدار الآخرة.
٤- تذكير الناس بإنعام الله عليهم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد، وما يعبد المشركون من دونه لا يغنون عنهم شيئاً، وقد عبدهم الذين من قبلهم، فلم يغنوا عنهم من الله شيئاً.
٥- تثبيت النبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه من صد لدعوته ورفض لرسالته.
٦- كشف نوايا قريش في الإعراض عن اتباع الإسلام؛ لأنهم احتفظوا بعزتهم.
٧- إنذار قريش -ومن كان على شاكلتها- أن يحل بهم ما حل بالأمم المكذبة قبلهم.
٨- الثناء على الذين تلقوا دعوة الإسلام بالتصديق وبضد حال المكذبين.
٩- تذكير الذين أعرضوا عن دعوة الإسلام بأنهم كانوا يودون أن يرسل الله إليهم رسولاً، فلما جاءهم رسول تكبروا واستنكفوا واستكبروا وعتوا عتواً كبيراً.
١٠- بينت السورة أنه لا مفر للذين أعرضوا عن دعوة الإسلام من حلول العذاب عليهم، فقد شاهدوا آثار الأمم المكذبين من قبلهم، وأن لا يغتروا بإمهال الله إياهم؛ فإن الله لا يخلف وعده.
١١- التحذير من غرور الشيطان، والتذكير بعداوته لنوع الإنسان.
١٢- بيان موقف الخلق من القرآن؛ فمنهم ظالم لنفسه باتباع هواه، وارتكاب الذنوب والمعاصي، ومنهم مقتصد في عبادة ربه، ومنهم سابق بالخيرات مسارع لنيل الدرجات.
١٣- المنة على العباد بحفظ السماء والأرض عن تخلخل الأركان والزوال، فهو سبحانه المتحكم بأمرهما والمسير لشأنهما.

---

(١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٤/٢.
(٢) زاد المسير: ٥٠٥/٣.
(٣) تفسير القرطبي: ٣١٨/١٤.
(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٦/١.
(٥) نقلا عن روح المعاني()تفسير الالوسي: ٣٣٤/١١.
(٦) انظر: تفسير المراغي:٥٥/٢٢.

١٤- عقوبة الذين يمكرون في الدنيا المكر بهم في الآخرة؛ إذ الجزاء من جنس العمل.
١٥- الإخبار بأنه سبحانه لو عامل عباده بالعدل، لم يَسْلَم من عذابه أحد من الإنس والجان، لكنه سبحانه وتعالى عاملهم بإحسانه وفضله[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثلاث أبواب من الجنة أن ادخل من أي الأبواب شئت»[٢].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

(٢) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٩٧/٨، والمستغفري في الفضائل(٨٦٣):ص٥٩٠/٢، الواحدي في التفسير الوسيط(٧٧١): ٥٠٠/٣. وقد مرّ أن هذ حديث موضوع لا يثبت بحال.

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١)} [فاطر : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، خالق السماوات والأرض ومبدعهما، جاعل الملائكة رسلا إلى مَن يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه، ومِن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به، يزيد الله في خلقه ما يشاء. إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء.

قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ١]، أي:" الثناء على الله بصفاته التي كلُّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، خالق السماوات والأرض ومبدعهما"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السماوات السبع والأرض"[٢].

قال يحيى:" قوله: {الحمد للَّهِ فَاطِرِ السماوات والأرض} يعني: جميع الأَرض"[٣].

قال الزمخشري:" {فاطر السماوات}: مبتدئها ومبتدعها"[٤].

عن قتادة، قوله:{فاطر السماوات والأرض}، قال: خالق السماوات والأرض"[٥].

قال الضحاك:" كل شيء في القرآن فاطر السماوات والأرض فهو خالق السموات والأرض"[٦].

وقال ابن عباس:" بديع السموات والأرض"[٧].

قال ابن عباس:" كنت لا أدري ما«فاطر السماوات والأرض»، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه:«أنا فَطَرتها»، يقول: أنا ابتدأتها"[٨].

قوله تعالى:{جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا} [فاطر : ١]، أي:" جاعل الملائكة رسلا إلى مَن يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه"[٩].

قال الطبري:" {جَاعِلِ الْمَلائِكَةَ رُسُلا} إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : بينه وبين أنبيائه"[١١].

عن السدي:"{جاعل الملائكة رسلا}، قال: إلى العباد"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٤.

(٣)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٤٨.

(٤) الكشاف: ٥٩٥/٣.

(٥) أخرجه الطبري(١٣١١٣):ص٣٨٣/١١.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩١٧):ص٣١٧٠/١٠.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩١٦):ص٣١٧٠/١٠.

(٨) أخرجه الطبري(١٣١١١):ص٣٨٣/١١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٤.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٣٢/٦.

قوله تعالى:{أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ} [فاطر : ١]، أي:" ومِن عظيم قدرة الله أن جعل الملائكة أصحاب أجنحة مثنى وثلاث ورباع تطير بها؛ لتبليغ ما أمر الله به"[٢].

قال الطبري:" يقول: أصحاب أجنحة يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعًا { مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ } أي : منهم مَنْ له جناحان ، ومنهم مَنْ له ثلاثة ومنهم مَنْ له أربعة ، ومنهم مَنْ له أكثر من ذلك"[٤].

قال قتادة:" قال: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة"[٥].

عن شقيق بن سلمة، قال: "سمعت ابن مسعود يقول: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «رأيت جبريل على سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح»، قال سألت عاصما عن الأجنحة؟، فأبى أن يخبرني، قال: فأخبرني بعض أصحابه أن الجناح ما بين المشرق والمغرب"[٦].

قوله تعالى:{يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ} [فاطر : ١]، أي:" يزيد الله في خلقه ما يشاء"[٧].

قال الطبري:" وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحب، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر وله القدرة والسلطان"[٨].

عن السدي :"{يزيد في الخلق ما يشاء}: يزيد في أجنحتهم وخلقهم ما يشاء"[٩].

قال الزمخشري:" أى: يزيد في خلق الأجنحة، وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته. والأصل الجناحان، لأنهما بمنزلة اليدين، ثم الثالث والرابع زيادة على الأصل، وذلك أقوى للطيران وأعون عليه. فإن قلت: قياس الشفع من الأجنحة أن يكون في كل شق نصفه، فما صورة الثلاثة؟ قلت: لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة. أو لعله لغير الطيران، فقد مربى في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بها أجسادهم، وجناحان يطيرون بهما في الأمر من أمور الله، وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله.. والآية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق: من طول قامة، واعتدال صورة، وتمام في الأعضاء، وقوة في البطش، وحصافة في العقل[١٠]، وجزالة في الرأى، وجراءة في القلب، وسماحة في النفس، وذلاقة في اللسان[١١]، ولباقة في التكلم[١٢]، وحسن تأن في مزاولة الأمور، وما أشبه ذلك مما لا يحيط به الوصف"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩١٨):ص١٠/٣١٧٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٥٣٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣٤.

(٦) مسند أحمد(٣٨٦٢):ص٤/٦٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٢٠):ص١٠/٣١٧٠.

(١٠)«وحصافة» أى: إحكام. أفاده الصحاح.

(١١)«وذلاقة» أى: حدة وطلاقة، أفاده الصحاح.

(١٢)«ولباقة في التكلم» أى حذق. أفاده الصحاح.

(١٣) الكشاف: ٣/٥٩٥.

وروي عن الزهري، قوله: "{يزيد في الخلق ما يشاء}، قال: حسن الصوت"[١].
وقرئ في الشاذ : «يَزِيدُ فِي الحلق»، بالحاء المهملة[٢].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [فاطر : ١]، أي:" إن الله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء"[٣].
قال الطبري:" يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى"[٤].

القرآن
{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٢)} [فاطر : ٢]
التفسير:
ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى. وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وَفْق حكمته.
قوله تعالى:{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر : ٢]، أي:" ما يفتح الله للناس من رزق ومطر وصحة وعلم وغير ذلك من النعم، فلا أحد يقدر أن يمسك هذه الرحمة، وما يمسك منها فلا أحد يستطيع أن يرسلها بعده سبحانه وتعالى"[٥].
قال الطبري: يقول: " مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده؛ فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأن الأمور كلها إليه وله"[٦].
عن قتادة: "{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ}، أي: من خير {فَلَا مُمْسِكَ لَهَا}: فلا يستطيع أحد حبسها"[٧].
قال ابن عباس:" يقول: ليس لك من الأمر شيء"[٨].
وقال ابن عباس:" ما يفتح الله للناس من باب توبة فلا مرسل له من بعده وهم لا يتوبون"[٩].
عن السدي:" {ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها}، قال: المطر"[١٠].
قال الزمخشري:" استعير «الفتح» للإطلاق والإرسال. ألا ترى إلى قوله: {فلا مرسل له من بعده} مكان «لا فاتح له»، يعنى: أى: شيء يطلق الله من رحمة أى من نعمة رزق أو

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٢١):ص١٠/٣١٧٠.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/٥٣٢.
(٣) التفسير الميسر: ٤٣٤.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٦.
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٤.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٦-٤٣٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣٧، وابن أبي حاتم(١٧٩٢٤):ص١٠/٣١٧١.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٢٣):ص١٠/٣١٧١.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٢٢):ص١٠/٣١٧١.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٢٥):ص١٠/٣١٧١.

مطر أو صحة أو أمن أو غير ذلك من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها. وتنكيره «الرحمة» للإشاعة والإبهام، كأنه قال: من أية رحمة كانت سماوية أو أرضية، فلا أحد يقدر على إمساكها وحبسها، وأى شيء يمسك الله فلا أحد يقدر على إطلاقه"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا مانع لما أعطى ، ولا معطي لما منع"[٢].

عن ورَّاد - مولى المغيرة بن شعبة - قال : "كتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة : اكتب لي بما سمعتَ من رسول الله ﷺ. فدعاني المغيرة فكتبت إليه : إني سمعت رسول الله ﷺ إذا انصرف من الصلاة قال : «لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجَدّ" ، وسمعته ينهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال وإضاعة المال ، وعن وأد البنات ، وعقوق الأمهات ، ومَنْع وهَات»"[٣].

وعن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول : "سمع الله لمن حمده ، اللهم ربنا لك الحمد ، ملء السماء والأرض وملء ما شئت من شيء بعد. اللهم ، أهلَ الثناء والمجد. أحقّ ما قال العبد ، وكلنا لك عبد. اللهمّ لا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت ، ولا ينفع ذا الجَدّ منك الجدّ"[٤].

عن ابن وهب، قال: "سمعت مالكا يحدث أن أبا هريرة رضي الله، عنه كان إذا أصبح في الليلة التي يمطرون فيها وتحدث مع أصحابه، قال: مطرنا الليلة بنوء الفتح ثم يتلو :{مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا}"[٥].

قوله تعالى:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [فاطر : ٢]، أي:" وهو العزيز القاهر لكل شيء، الحكيم الذي يرسل الرحمة ويمسكها وَفْق حكمته"[٦].

قال الطبري:" يقول: وهو العزيز في نِقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحًا، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة"[٧].

القرآن

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٣)} [فاطر : ٣]

التفسير:

يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم، فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك. لا إله إلا هو وحده لا شريك له، فكيف تُصْرَفون عن توحيده وعبادته؟

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ} [فاطر : ٣]، أي:" يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم"[١].

---

(١) الكشاف: ٣/٥٩٥.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٣٢.

(٣)المسند (٤/٢٥٤) وصحيح البخاري برقم (٨٤٤) وصحيح مسلم برقم (٥٩٣).

(٤)صحيح مسلم برقم (٤٧٧).

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٢٦):ص١٠/٣١٧١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٧.

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم من قريش: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ} التي أنعمها {عَلَيْكُمْ} بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط"[٢].

قال السدي:" الرزق من السماء: المطر، ومن الأرض: النبات"[٣].

قال القرطبي:" معنى هذا الذكر: الشكر"[٤].

قال الزمخشري:" ليس المراد بذكر النعمة ذكرها باللسان فقط، ولكن به وبالقلب، وحفظها من الكفران والغمط [٥]وشكرها بمعرفة حقها والاعتراف بها وطاعة موليها. ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه: اذكر أيادى عندك. يريد: حفظها وشكرها والعمل على موجبها، والخطاب عام للجميع لأن جميعهم مغمورون في نعمة الله"[٦].

قوله تعالى:{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ٣]، أي:" فلا خالق لكم غير الله يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالماء والمعادن وغير ذلك"[٧].

قال الطبري: يقول:" وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السماوات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها {يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأرْضِ} فتعبدوه دونه"[٨].

قال ابن كثير:" ينبه تعالى عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له ، كما أنه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فَليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره من الأصنام والأنداد والأوثان"[٩].

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [فاطر : ٣]، أي:" لا إله إلا هو وحده لا شريك له"[١٠].

قال الطبري:" يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السماوات والأرض القادر على كل شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئًا سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه، فله فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالألوهة"[١١].

قوله تعالى:{فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [فاطر : ٣]، أي:" فكيف تُصْرَفون عن توحيده وعبادته؟"[١٢].

قال الطبري:" يقول: فأي وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون"[١٣].

قال الزمخشري:أي:" فمن أي وجه تصرفون عن التوحيد إلى الشرك؟"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٧.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٢٧):ص١٠/٣١٧١.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٢١/١٤.

(٥)«وحفظها من الكفران والغمط» أي: الاحتقار. أفاده الصحاح.

(٦) الكشاف: ٥٩٧/٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٧.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٤.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٨.

(١٤) الكشاف: ٥٩٨/٣.

قال ابن كثير:" أي : فكيف تؤفكون بعد هذا البيان ، ووضوح هذا البرهان ، وأنتم بعد هذا تعبدون الأنداد والأوثان ؟"[١].

عن ابن عباس، قوله: {تؤفكون}، قال: تكذبون"[٢].

قال الحسن:" أنى تصرفون"[٣].

قال القرطبي:" الأفك –بالفتح- وهو الصرف، يقال: ما أفكك عن كذا، أي ما صرفك عنه. وقيل: من الإفك –بالكسر- وهو الكذب، ويرجع هذا أيضا إلى ما تقدم، لأنه قول مصروف عن الصدق والصواب، أي: من أين يقع لكم التكذيب بتوحيد الله"[٤].

فوائد الآيات:[١-٣]:

١- وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه.

٢- تقرير الرسالة والنبوة لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بإخباره أنه جاعل الملائكة رسلاً.

٣- وجوب اللجوء إلى الله تعالى في طلب الخير ودفع الضر فإنه بيده خزائن كل شيء.

٤- وجوب ذكر النعم ليكون ذلك حافزاً على شكرها بطاعة الله ورسوله.

٥- تقرير التوحيد بالأدلة العقلية التي لا ترد.

٦- العجب من حال المشركين يقرون بانفراد الله تعالى بخلقهم ورزقهم ويعبدون معه غيره.

القرآن

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤)} [فاطر : ٤]

التفسير:

وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد كُذِّب رسل مِن قبلك، وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} [فاطر : ٤]، أي:" وإن يكذبك قومك -أيها الرسول- فقد كُذِّب رسل مِن قبلك"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله، من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم"[٦].

قال ابن كثير:" يقول : وإن يكذبك - يا محمد - هؤلاء المشركون بالله ويخالفوك فيما جئتهم به من التوحيد ، فلك فيمن سلف قبلك من الرسل أسوة ، فإنهم كذلك جاؤوا قومهم بالبينات وأمروهم بالتوحيد فكذبوهم وخالفوهم"[٧].

عن قتادة :"{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ}، يعزي نبيه كما تسمعون"[٨].

قال يحيى:" يعزيه بذلك ويأمره بالصبر"[٩].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٦.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٦٨):ص١٣٥٣/٤.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٦٧):ص١٣٥٣/٤.

(٤) تفسير القرطبي: ٣٢١/١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٨.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٦-٥٣٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣٩.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٧٧/٢.

قال الزجاج:" هذا تأس للنبي - ﷺ - أعلمه الله أنه قد كذبت رسل من قبله، وأعلمه أنه نصرهم فقال جل وعز، {فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام : ٣٤]"(١).

عن الحسن، أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده ما أحد من هذه الأمة أصابه من الجهد في الله الذي أصابني»(٢).

قوله تعالى:{وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [فاطر : ٤]، أي:" وإلى الله تصير الأمور في الآخرة، فيجازي كلا بما يستحق"(٣).

قال الطبري: يقول " وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمُعجِل بهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك والإقرار بنبوتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك، ومنجيك وأتباعك من ذلك، سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا"(٤).

قال الزجاج:" المعنى: الأمر راجع إلى الله في مجازاة من كذب، ونصرة من كذب من رسله"(٥).

قال النحاس:" أي: الأمور مرجعها إلى الله جل وعز فيجازي من كذب وينصر من كذب من رسله"(٦).

قال ابن كثير:" أي : وسنجزيهم على ذلك أوفر الجزاء"(٧).

القرآن

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (٥) إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦)} [فاطر : ٥-٦]

التفسير:

يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت، فلا تخدعنَّكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها، ولا يخدعنَّكم بالله الشيطان. إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه، إنما يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة.

قوله تعالى:{يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ} [فاطر : ٥]، أي:" يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والثواب والعقاب حق ثابت"(٨).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك، حق، فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله"(٩).

---

(١) معاني القرآن: ٤/٢٦٣.

(٢) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٧٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٨.

(٥) معاني القرآن: ٤/٢٦٣.

(٦) إعراب القرآن: ٣/٢٤٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٣٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٩.

قال الزجاج:" أي: ما وعدكم الله من مجازاة فحق"[١].
قال السمعاني:" يعني: وعد القيامة حق"[٢].
قال ابن كثير:" أي : المعاد كائن لا محالة"[٣].
قوله تعالى:{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [فاطر : ٥]، أي:" فلا تخدعنَّكم الحياة الدنيا بشهواتها ومطالبها"[٤].
قال الطبري: يقول: فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان"[٥].
قال الزجاج:" أي: وإن كان لكم حظ في الدنيا يغض من دينكم فلا تؤثروا ذلك الحظ"[٦].
الحظ"[٦].
قال الزمخشري:اي:" فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله"[٧].
قال ابن كثير:" أي : العيشة الدنيئة بالنسبة إلى ما أعد الله لأوليائه وأتباع رسله من الخير العظيم فلا تَتَلَهَّوا عن ذلك الباقي بهذه الزهرة الفانية"[٨].
قال سعيد بن جبير: "غرور الحياة الدنيا أن يشغل الإنسان بنعيمها وفتنتها عن عمل الآخرة حتى يقول:{يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} [الفجر: ٢٤]"[٩].
وفي الأثر: "أن الله تعالى ما أعطي أحدا شيئا من الدنيا إلا اغترارا، وما زوى من أحد شيئا من الدنيا إلا اختبارا"[١٠].
قوله تعالى:{وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [فاطر : ٥]، أي:" ولا يخدعنَّكم بالله الشيطان"[١١].
قال الطبري: "يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأماني، ويعدكم من الله العدات الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله"[١٢].
قال السمعاني:" أي: لا يغرنكم الغرور، وهو الشيطان"[١٣].
قال الزجاج:" الغرور: الشيطان"[١٤].
قال ابن كثير:" {الْغَرُورُ }: هو الشيطان"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٢٦٣/٤.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٤٥/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٩.

(٦) معاني القرآن: ٢٦٣/٤.

(٧) الكشاف: ٥٩٩/٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

(٩) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٥/٣.

(١٠) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٣٤٥/٤.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٩.

(١٣) تفسير السمعاني: ٣٤٥/٤.

(١٤) معاني القرآن: ٢٦٣/٤.

عن ابن عباس، قوله: "{وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}، يقول: الشيطان"[2].
قال الحسن: "من الغرور أن تعمل المعصية، وتتنمى على الله المغفرة"[3].
قال سعيد بن جبير: الغرور بالله جلّ وعزّ أن يكون الإنسان يعمل المعاصي ثم يتمنّى على الله جلّ وعزّ المغفرة"[4]. قال النحاس:"هذا أحسن ما قيل فيه"[5].
ويقرأ:«الغرور» بضم الغين، وهي: الأباطيل[6].
قوله تعالى:{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا} [فاطر : ٦]، أي:" إن الشيطان لبني آدم عدو، فاتخذوه عدوًّا ولا تطيعوه"[7].
قال الطبري: يقول: " {إِنَّ الشَّيْطَانَ} الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله {لَكُمْ عَدُوٌّ}، فأنزلوه من أنفسكم منزلة العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته"[8].
قال ابن كثير:" أي: عادوه بطاعة الله"[9].
قال السمعاني:" أي: لا يغرنكم الغرور، وهو الشيطان"[10].
قال قتادة:" فإنه لحق على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله"[11].
قال الزمخشري:" «الغرور»: الشيطان لأن ذلك ديدنه، أخبرنا الله عز وجل أن الشيطان لنا عدو مبين، واقتص علينا قصته وما فعل بأبينا آدم عليه السلام، وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده، ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا، فوعظنا عز وجل بأنه كما علمتم عدوكم الذي لا عدو أعرق في العداوة منه، وأنتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في عقائدكم وأفعالكم، ولا يوجدن منكم إلا ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم"[12].
قوله تعالى:{إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [فاطر : ٦]، أي:" إنما الشيطان يدعو أتباعه إلى الضلال؛ ليكونوا من أصحاب النار الموقدة"[13].
قال الطبري: فإنه إنما يدعو حزبه، يعني شيعته ومن أطاعه، إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها"[14].
قال السمعاني:"{إنما يدعو} أتباعه ليكونوا في السعير، و«السعير» هو النار المتوقدة"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٣٩.
(٣) حكاه عنه السمعاني في التفسير: ٣٤٥/٤.
(٤) حكاه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٤٥/٣.
(٥)إعراب القرآن: ٢٤٥/٣ .
(٦) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٦٣/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤٣٥.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٩.
(٩) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.
(١٠) تفسير السمعاني: ٣٤٥/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٠.
(١٢) الكشاف: ٥٩٩/٣.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٣٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٣٩.

قال ابن كثير:" أي : إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير ، فهذا هو العدو المبين. فنسأل الله القوي العزيز أن يجعلنا أعداء الشيطان، وأن يرزقنا اتباع كتابه ، والاقتفاء بطريق رسوله ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير. وهذه كقوله : { وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا } [الكهف : ٥٠]"[٢].

عن قتادة:"{إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ}، وحزبه: أولياؤه {لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، أي: ليسوقهم إلى النار فهذه عداوته"[٣].

عن ابن زيد، قوله:"{إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}. وقال: هؤلاء حزبه من الإنس، يقول: أولئك حزب الشيطان، والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نزلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ}"[٤].

قال الزمخشري:" ثم لخص سر أمره وخطأ من اتبعه بأن غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته: هو أن يوردهم مورد الشقوة والهلاك، وأن يكونوا من أصحاب السعير. ثم كشف الغطاء وقشر اللحاء[٥]، ليقطع الأطماع الفارغة والأماني الكاذبة، فبنى الأمر كله على الإيمان والعمل وتركهما"[٦].

وقال بعض العلماء : "وتحت هذا الخطاب نوع لطيف من العتاب كأنه يقول : إنما عاديت إبليس من أجل أبيكم ومن أجلكم ، فكيف يحسن بكم أن توالوه ؟ بل اللائق بكم أن تعادوه وتخالفوه ولا تطاوعوه"[٧].

القرآن

{الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (٧)} [فاطر : ٧]

التفسير:

الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة، والذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة.

قوله تعالى:{الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ٧]، أي:" الذين جحدوا أن الله هو وحده الإله الحق وجحدوا ما جاءت به رسله لهم عذاب شديد في الآخرة"[٨].

قال الطبري:" {الَّذِينَ كَفَرُوا} بالله ورسوله {لَهُمْ عَذَابٌ} من الله {شَدِيدٌ} وذلك عذاب النار"[٩].

قال ابن كثير:" لأنهم أطاعوا الشيطان وعَصَوا الرحمن"[١٠].

---

(١) تفسير السمعاني:٣٤٥/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٠.

(٥)في الصحاح: اللحاء- ممدود-: قشر الشجر.

(٦) الكشاف: ٥٩٩/٣.

(٧)حكاه ابن كثير في التفسير: ٥٣٤/٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [فاطر : ٧]، أي:" والذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا الصالحات لهم عفو من ربهم وتجاوز عن ذنوبهم بعد سترها عليهم، ولهم أجر كبير، وهو الجنة"[١].

قال الطبري:" يقول: والذين صدقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ} من الله لذنوبهم {وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وذلك الجنة"[٢].

قال ابن كثير:" {لَهُمْ مَغْفِرَةٌ } أي : لما كان منهم من ذنب ، { وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } على ما عملوه من خير "[٣].

عن قتادة: "{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ}، وهي الجنة"[٤].

قال البيضاوي: الآية:" وعيد لمن أجاب دعاءه ووعد لمن خالفه وقطع للأماني الفارغة، وبناء للأمر كله على الإيمان والعمل الصالح وقوله"[٥].

فوائد الآيات:[٤-٧]:

١- تسلية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدخل فيها كل دعاة الحق إذا كذّبوا وأوذوا فعليهم أن يصبروا.

٢- تقرير البعث والجزاء المتضمن له وعد الله الحق.

٣- التحذير من الاغترار بالدنيا أي من طول العمر وسعة الرزق سلامة البدن.

٤- التحذير من الشيطان ووجوب الاعتراف بعداوته، ومعاملته معاملة العدو فلا يقبل كلامه ولا يستجاب لندائه ولا يخدع بتزيينه للقبيح والشر.

٥- بيان جزاء أولياء الرحمن أعداء الشيطان، وجزاء أعداء الرحمن أولياء الشيطان.

القرآن

{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٨)} [فاطر : ٨]

التفسير:

أفمن حسَّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسنًا جميلا كمَن هداه الله تعالى، فرأى الحسن حسنًا والسيئ سيئًا؟ فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء، فلا تُهْلك نفسك حزنًا على كفر هؤلاء الضالين، إن الله عليم بقبائحهم وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء.

قوله تعالى:{أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا} [فاطر : ٨]، أي:" أفمن حسَّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسنًا جميلا كمَن هداه الله تعالى، فرأى الحسن حسنًا والسيئ سيئًا؟"[٦].

قال الطبري:يقول:" أفمن حسَّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسنًا فحسب سيىء ذلك حسنًا، وظن أن قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له"[٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٠.

(٥) تفسير البيضاوي: ٢٥٤/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤١.

قال يحيى: "كمن آمن وعمل صالحا، أي: لا يستويان، وهذا على الاستفهام، وفيه إضمار"[١].

قال الفراء:" يقول: شبه عليه عمله، فرأى سيئه حسنا"[٢].

قال قتادة والحسن: "الشيطان زيَّن لهم"[٣].

قال الزجاج:" الجواب ههنا على ضربين:

أحدهما: يدل عليه: {فلا تذهب نفسك عليهم حسرات}. ويكون المعنى: أفمن زين له سوء عمله فأضله الله ذهبت نفسك عليه حسرة.

ويجوز أن يكون الجواب محذوفا ويكون المعنى: أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله، ويكون دليله: {فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء}"[٤].

عن أبي قلابة:" أنه سئل، عن هذه الآية: {أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا}، أهم عمالنا هؤلاء الذين يصنعون؟ قال: ليس هم. إن هؤلاء ليس أحدهم يأتي شيئا مما لا يحل له إلا قد عرف أن ذلك حرام عليه. إن أتى الزنا فهو حرام، أو قتل النفس فهو حرام، إنما أولئك أهل الملل. اليهود، والنصارى، والمجوس، وأظن الخوارج منهم، لأن الخارجي يخرج بسيفه على جميع أهل البصرة، وقد عرف أنه ليس ينال حاجته منهم، وأنهم سوف يقتلونه، ولولا أنه من دينه ما فعل ذلك"[٥].

عن عبد الله بن الديلمي قال أتيت عبد الله بن عمرو وهو في حائط بالطائف يقال له: الوهط قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ فقد اهتدى ومن خطأه منه ضل، فلذلك أقول جف القلم على ما علم الله عز وجل» ثم قال: حدثني يحيى بن عبدك القزويني حدثنا حسان بن حشان البصري، ثنا إبراهيم بن بشير، ثنا يحيى بن معن، ثنا إبراهيم القرشي، عن سعيد بن شرحبيل، عن زيد بن أبي أوفى قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «الحمد لله الذي يهدي من الضلالة، ويلبس الضلالة على من أحب»"[٦].

وقرئت: «فلا تذهب نفسك»، بضم التاء وجزم الباء ونصب النفس[٧].

قوله تعالى:{فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [فاطر : ٨]، أي:" فإن الله يضل من يشاء من عباده، ويهدي من يشاء"[٨].

قال الطبري:يقول:" يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحق في ذلك، ويوفق من يشاء للإيمان به واتباعك والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد"[٩].

قوله تعالى:{فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ} [فاطر : ٨]، أي:" فلا تُهْلك نفسك حزنًا على كفر هؤلاء الضالين"[١٠].

---

(١) تفسيريحيى بن سلام: ٢/٧٧٨.

(٢) معاني القرآن: ٢/٣٦٦.

(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤١.

(٤) معاني القرآن: ٤/٢٦٤.

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٣١):ص١٠/٣١٧٢.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٣٢):ص١٠/٣١٧٢-٣١٧٣.

(٧) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٤٢٦٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤١.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٥.

قال الطبري:"يقول: فلا تهلك نفسك حزنًا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك"[١].
قال يحيى: " لا تحسر عليهم إذ لم يؤمنوا كقوله: { وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ} [النحل : ١٢٧/ النمل : ٧٠] "[٢].
قال قتادة: " أي: لا يحزنك ذلك عليهم"[٣].
قال ابن زيد:" الحسرات الحزن، وقرأ قول الله :{يَاحَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ}"[٤].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} [فاطر : ٨]، أي:" إن الله عليم بقبائحهم وسيجازيهم عليها أسوأ الجزاء"[٥].
قال الطبري: يقول:" إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم"[٦].

القرآن
{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ (٩)} [فاطر : ٩]
التفسير:
واللهُ هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحابًا، فسقناه إلى بلد جدب، فينزل الماء فأحيينا به الأرض بعد يُبْسها فتخضر بالنبات، مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة.
قوله تعالى:{وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا} [فاطر : ٩]، أي:" واللهُ هو الذي أرسل الرياح فتحرك سحابًا"[٧].
قال الطبري: يقول:" والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث"[٨].
قال أبو عبيدة:" أي: تجمع وتجيء به وتخرجه"[٩].
قال قتادة:" يرسل الرياح فتسوق السحاب"[١٠].
قوله تعالى:{فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ} [فاطر : ٩]، أي:" فسقنا السحاب الذي يحمل الغيث إلى بلدٍ مجدب قاحل"[١١].
قال الطبري: " يقول: فسقناه إلى بلد مجدب الأهل، محل الأرض، داثر لا نبت فيه ولا زرع"[١٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤١.
(٢) تفسيريحيى بن سلام: ٧٧٨/٢.
(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤١.
(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤١.
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٥.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٢.
(٧) التفسير الميسر: ٤٣٥.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٢.
(٩) مجاز القرآن: ١٥٢/٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٣.
(١١) صفوة التفاسير: ٥٢٠/٢.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٢.

قوله تعالى:{فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا} [فاطر : ٩]، أي:" فأحيينا به الأرض بعد يُبْسها فتخضر بالنبات"[١].

قال الطبري: " يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل"[٢].

قال قتادة:" فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء"[٣].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر : ٩]، أي:" مثل ذلك الإحياء يحيي الله الموتى يوم القيامة"[٤].

قال الطبري: يقول: "هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها"[٥].

قال الزجاج:" أي: مثل إحياء الأرض، وكذلك بعثكم"[٦].

قال قتادة:" فكذلك يبعثه يوم القيامة"[٧].

قال ابن مسعود:" يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض فينفخ فيه فلا يبقى خلق لله في السموات والأرض إلا ما شاء الله ثم يرسل الله من تحت العرش منيا كمني الرجال، فتنبت أجسامهم ولحمانهم من ذلك الماء كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ عبد الله رضي الله عنه: {اللَّهُ الَّذِي [يرسل] أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ}يكون بين النفختين ما شاء الله، ثم يقول ملك فينفخ فيه فتنطلق كل نفس إلى جسدها، « فتدخل فيه»[٨]"[٩].

عن أبى رزينة العقيلي رضي الله، عنه قال: "قلت: يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى؟ قال: أما مررت بأرض مجدبة، ثم مررت بها مخصبة تهتز خضراء؟ قال: بلى، قال: كذلك يحي الله الموتى وكذلك النشور"[١٠].

القرآن

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (١٠)} [فاطر : ١٠]

التفسير:

من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فلله العزة جميعًا، فمن اعتز بالمخلوق أذلَّه الله، ومن اعتز بالخالق أعزه الله، إليه سبحانه يصعد ذكره والعمل

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٢.

(٦) معاني القرآن: ٤/٢٦٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٣.

(٨) الزيادة في رواية الطبري: ٢٠/٤٤٣.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٣٥):ص١٠/٣١٧٣، والطبري الطبري: ٢٠/ ٤٤٣. [باختلاف يسير في الالفاظ].

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٣٦):ص١٠/ ٣١٧٣.

الصالح يرفعه. والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد، ومكر أولئك يَهْلك ويَفْسُد، ولا يفيدهم شيئًا.

قوله تعالى:{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} [فاطر : ١٠]، أي:" من كان يطلب عزة في الدنيا أو الآخرة فليطلبها من الله، ولا تُنال إلا بطاعته، فلله العزة جميعًا"[١].

قال الطبري: يقول:" من كان يريد العزة فبالله فليتعزز، فلله العزة جميعًا، دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان"[٢].

قال الزجاج:" أي من كان يريد بعبادته غير الله العزة فلله العزة جميعا، أي: في حال اجتماعها، أي يجتمع له في الدنيا والآخرة"[٣].

قال مجاهد، قوله: "{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ}، قال: بعبادة الأوثان {فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا} قال: فلي: فليتعزز بطاعة الله"[٤].

عن قتادة، قوله: "{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}، يقول: فليتعزز بطاعة الله"[٥].

الله"[٥].

قوله تعالى:{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر : ١٠]، أي:" إليه سبحانه يصعد ذكره"[٦].

قال الطبري:يقول:" إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه"[٧].

قال مقاتل:" يقول: إلى الله- عز وجل- يصعد في السماء التوحيد"[٨].

قال الزجاج:" أي إليه يصل الكلم الذي هو توحيد الله، وهو قول لا إله ألا الله"[٩].

عن شهر بن حوشب:"{إليه يصعد الكلم الطيب}، قال: القرآن"[١٠].

عن مطر:" {إليه يصعد الكلم الطيب}، قال: الدعاء"[١١].

قوله تعالى:{وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ} [فاطر : ١٠]، أي:" أن العمل الصالح يرفع الكلم الطيب"[١٢].

قال الطبري:" ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه والانتهاء إلى ما أمر به"[١٣].

قال مقاتل:" يقول: شهادة ألا إله إلا الله ترفع العمل الصالح إلى الله- عز وجل- في السماء"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ٤٤٤/٢٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٦٤/٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٣٧):ص٣١٧٣/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٣-٤٤٤.

(٦) التفسير الميسر ٤٣٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٤.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٣/٣.

(٩) معاني القرآن: ٢٦٥/٤.

(١٠)أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٣٨):ص٣١٧٤/١٠ .

(١١)أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٣٩):ص٣١٧٤/١٠ .

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٤٥/٢٠. وهو قول مجاهد وشهر بن حوشب كما سيأتي.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٤.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٣/٣.

قال الزجاج:" المعنى: إذا وحد الله وعجل بطاعته ارتفع ذلك إلى الله، والله - عز - وجل - يرتفع إليه كل شيء ويعلم كل شيء. ولكن المعنى فيه ههنا العمل الصالح هو الذي يرفع ذكر التوحيد حتى يكون مثبتا للموحد حقيقة التوحيد. والضمير في {يرفعه} يجوز أن يكون أحد ثلاثة أشياء، وذلك قول أهل اللغة جميعا، فيكون والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب، ويجوز أن يكون والعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب، أي: لا يقبل العمل الصالح إلا من موحد، والقول الثالث: أن يرفعه الله عز وجل"[1].

قال مجاهد، والضحاك، وشهر بن حوشب:" العمل الصالح يرفع الكلام الطيب"[2].

قال الحسن وقتادة: "لا يقبل الله قولا إلا بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه"[3].

عن ابن عباس، قوله: "{إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}، قال: الكلام الطيب: ذكر الله، والعمل الصالح: أداء فرائضه، فمن ذكر الله سبحانه في أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله، ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به"[4].

عن المخارق بن سليم، قال: "قال لنا عبد الله: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله {وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ}"[5].

قال كعب:" قال كعب: إن لسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، لدويًّا حول العرش كدوي النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح في الخزائن"[6].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} [فاطر : ١٠]، أي:" والذين يكتسبون السيئات لهم عذاب شديد"[7].

قال الطبري: يقول:" والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم"[8].

قال أبو عبيدة: أي: "يكسبون ويجترحون"[9].

قال الزجاج:" المعنى: مكر الذين يمكرون بالنبي - ﷺ -"[10].

عن قتادة، قوله:" {والذين يمكرون السيئات}، قال: يعملون السيئات"[11]، قال:" هؤلاء أهل الشرك"[12].

---

(١) معاني القرآن: ٤/٢٦٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٤٥. عن مجاهد وشهر بن حوشب، وقول شهر بن حوشب"الكلم الطيب". وأخرج وأخرج ابن ابي حاتم(١٧٩٤١):ص١٠/٣١٧٤ قول الضحاك.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٥.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٤٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٤٤-٤٤٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٤٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٨) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٤٥-٤٤٦.

(٩) مجاز القرآن: ٢/١٥٢.

(١٠) معاني القرآن: ٤/٢٦٥.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٤٣):ص١٠/ ٣١٧٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٦.

قوله تعالى:{وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ} [فاطر : ١٠]، أي:" ومكر أولئك يَهْلك ويَفْسُد، ولا يفيدهم شيئًا"[١].

قال الطبري:" يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب؛ لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله"[٢].

قال الزجاج:" أي يفسد، وقد بين ما مكرهم في سورة الأنفال، في قوله: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوك} [الأنفال : ٣٠]. ففسد جميع مكرهم فجعل الله كلمة نبيه وأوليائه العليا، وأيديهم العالية بالنصر والحجة"[٣].

قال ابن قتيبة:" {يبور}، أي: يبطل"[٤].

عن ابن زيد، قوله:{ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُور}، قال:" بار فلم ينفعهم ولم ينتفعوا به، وضرهم"[٥].

عن قتادة: "{وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ}، أى: يفسد"[٦].

قال السدي:" يهلك، فليس له ثواب في الآخرة"[٧].

قال شهر بن حوشب:" هم أصحاب الرياء"[٨].

القرآن

{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١)} [فاطر : ١١]

التفسير:

واللهُ خلق أباكم آدم من تراب، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، ثم جعلكم رجالا ونساءً. وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه، وما يعمَّر من مُعَمَّر، فيطول عمره، ولا يُنْقَص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، قبل أن تحمل به أمُّه وقبل أن تضعه. قد أحصى الله ذلك كله، وعلمه قبل أن يخلقه، لا يُزاد فيما كتب له ولا يُنْقَص. إن خَلْقكم وعِلْم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ} [فاطر : ١١]، أي:" واللهُ خلق أباكم آدم من تراب"[٩].

قال الطبري:" يعني بذلك: أنه خلق أباهم آدم من تراب؛ فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقًا"[١٠].

قال قتادة:" يعني آدم"[١١].

---

(١) التفسيرالميسر: ٤٣٥.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٦.

(٣) معاني القرآن: ٤/٢٦٥.

(٤) غريب القرآن: ٣٦٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٦.

(٧)أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٤٤):ص١٠/٣١٧٤ .

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٦.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

(١١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

قوله تعالى:{ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ} [فاطر : ١١]، أي:" ثم خلق ذريته من ماءٍ مهين وهو المنيُّ الذي يُصبُّ في الرحم"[١].

قال الطبري:" يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة"[٢].

قال قتادة:"يعني: ذريته"[٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا} [فاطر : ١١]، أي:" ثم جعلكم رجالا ونساءً"[٤].

قال الطبري:" يعني: أنه زوج منهم الأنثى من الذكر"[٥].

قال قتادة:" فزوج بعضكم بعضًا"[٦].

قوله تعالى:{وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ} [فاطر : ١١]، أي:" وما تحمل أنثى في بطنها من جنين، ولا تلد إلاَّ بعلمه تعالى"[٧].

قال الطبري: يقول:" ما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلا وهو عالم بحملها إياه ووضعها وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك"[٨].

قوله تعالى:{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} [فاطر : ١١]، أي:" وما يعمَّر من مُعَمَّر، فيطول عمره، ولا يُنْقَص من عمره إلا في كتاب عنده، وهو اللوح المحفوظ، لا يُزاد فيما كتب الله ولا يُنقص"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ} [فاطر : ١١]، وجهان من التفسير:

أحدهما: معناه:ما يزاد عمر معمر حتى يدركه الهرم، ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب، يعني: هذا مكتوب في اللوح المحفوظ ومفروغ منه فلا يكون فيه زيادة ونقص. والهاء في قوله:{من عمره} يرجع إلى آخر. وهذا المعنى في رواية العوفي عن ابن عباس[١٠]، وبه قال مجاهد[١١]، والضحاك[١٢]، واختاره الفراء[١٣]. وقال:هذا" أشبه بالصواب"[١٤]، كما اختاره النحاس[١٥]، وقال: وهو" أحسنها وأشبهها بظاهر التنزيل"[١٦].

---

(١) صفوة التفاسير: ٥٢١/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

(٧) صفوة التفاسير: ٥٢١/٢.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

(٩) انظر: التفسير الميسر: ٤٣٥، وصفوة التفاسير: ٥٢١/٢.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٧.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٥١):ص٣١٧٥/١٠.

(١٢) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن:٤٤٣/٥-٤٤٤.

(١٣) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.

(١٤) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.

(١٥) انظر: معاني القرآن:٤٤٣/٥.

(١٦) معاني القرآن: ٤٤٣/٥.

قال الفراء:" ومثله في الكلام: عندي درهم ونصفه يعني: نصف آخر. فجاز أن يكنى عنه بالهاء لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول. فكنى عنه ككناية الأول"[1].

قال ابن كثير:" أي : ما يعطى بعض النطف من العمر الطويل يعلمه ، وهو عنده في الكتاب الأول ، { وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ } الضمير عائد على الجنس ، لا على العين ؛ لأن العين الطويل للعمر في الكتاب وفي علم الله لا ينقص من عمره ، وإنما عاد الضمير على الجنس"[2].

الجنس"[2].

قال ابن عباس:" يقول: ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له، وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه، وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه فذلك قوله: {وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ} يقول: كل ذلك في كتاب عنده"[3].

قال أبو معاذ:" من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر، أو يعمر أنقص من ذلك، فكل بالغ أجله الذي قد قضى له، كل ذلك في كتاب"[4].

عن ابن زيد، قوله: "{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلا فِي كِتَابٍ}، قال: ألا ترى الناس؛ الإنسان يعيش مائة سنة، وآخر يموت حين يولد؟ فهذا هذا"[5].

وعن ابن زيد، قوله: "{ولا ينقص من عمره}، قال: ما لفظت الأرحام من الأولاد من غير تمام"[6].

عن مجاهد:" {وما يعمر من معمر} إلا كتب الله له أجله في بطن أمه {ولا ينقص من عمره} يوم تضعه أمه بالغا ما بلغ، يقول: لم يخلق الناس كلهم على عمر واحد. لذا عمر ولذا عمر هو أنقص من عمر هذا وكل ذلك مكتوب لصاحبه بالغا ما بلغ"[7].

قال قتادة:" أما العمر فمن بلغ ستين سنة، وأما الذي ينقص من عمره فالذي يموت قبل أن يبلغ ستين سنة"[8].

عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: "قال رسول الله ﷺ:« يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين ليلة فيقول: أي رب أشقي أم سعيد؟ أذكر أم أنثى؟ فيقول الله ... ويكتبان ثم يكتب عمله، ورزقه وأجله وأثره ومصيبته، ثم تنطوي الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص منها»"[9].

الثاني: معناه: ما يطول عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فيُنقَص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب، قد أحصاه وعلمه. و«الهاء» على هذا التفسير للمعمر الأول. وهذا المعنى في رواية ابن جبير عن ابن عباس[10]، وبه قال عكرمة[11]، وأبو مالك[1] في آخرين.

---

(١) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦:٥٣٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٧-٤٤٨.

(٤)اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٨ .

(٥)اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٨ .

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٥٧):ص١٠/٣١٧٦.

(٧) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٥١):ص١٠/٣١٧٥.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٥٥):ص١٠/٣١٧٦.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٥٨):ص١٠/٣١٧٦.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٠٨/٣.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨١/٢.

عن أَبي مالك في هذه الآية: "{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلا فِي كِتَابٍ}، قال: ما يقضي من أيامه التي عددت له إلا في كتاب"[2].

قال أبو مالك:" ليس يوم يسلبه من عمره إلا في كتاب كل يوم في نقصان"[3].

قال سعيد بن جبير:"مكتوب في أول الصحيفة عمره كذا وكذا، ثم يكتب في أسفل ذلك: ذهب يوم كذا وكذا، ومضى يوم كذا حتى يأتي على أجله"[4].

قال حسان بن عطية:" كل ما ذهب من يوم وليلة فهو نقصان من عمره"[5].

قال السدي:" ليس من مخلوق إلا كتب الله له عمره جملة فكل يوم يمر به أو ليلة يكتب: نقص من عمر فلان كذا وكذا. حتى يستكمل بالنقصان عدة ما كان له من أجل مكتوب فعمره جميعا في كتاب ونقصانه في كتاب"[6].

عن عكرمة، قال: "{وما يعمر من معمر ولا ينقص}: من عمر آخر"[7].

وقال عكرمة:"ما من يوم يعمر في الدنيا إلا ينقص من أجله"[8].

قال عطاء الخراساني:" لا يذهب من عمر إنسان يوم ولا شهر ولا ساعة إلا ذلك مكتوب محفوظ معلوم"[9].

قال الزجاج:" وتأويل الآية: أن الله جل وعز قد كتب عمر كل معمر وكتب يعمر كذا وكذا سنة وكذا وكذا شهرا، وكذا وكذا يوما، وكذا وكذا ساعة، فكل ما نقص من عمره من سنة أو شهر أو يوم أو ساعة كتب ذلك حتى يبلغ أجله"[10].

قال الطبري:" وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب التأويل الأول، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل"[11].

قال الشوكاني:" والأولى أن يقال: ظاهر النظم القرآني أن تطويل العمر وتقصيره: هما بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل، وأسباب تقتضي التقصير.

فمن أسباب التطويل: ما ورد في صلة الرحم عن النبي ﷺ ونحو ذلك. ومن أسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله عز وجل، فإذا كان العمر المضروب للرجل مثلا سبعين سنة، فقد يزيد الله له عليها إذا فعل أسباب الزيادة، وقد ينقصه منها إذا فعل أسباب النقصان، والكل في كتاب مبين فلا تخالف بين هذه الآية، وبين قوله سبحانه: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، ويؤيد هذا قوله سبحانه: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد : ٣٩]"[12].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٤٨):ص١٠/٣١٧٥.

(٤) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٨١، وأخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٤٩):ص١٠/٣١٧٥، بلفظ:«ثم يكتب في أسفل ذلك: يوم ذلك يومان حتى يأتي على آخر عمره »

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٥٠):ص١٠/٣١٧٥.

(٦) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٥٣):ص١٠/٣١٧٥-٣١٧٦.

(٧) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٨١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٤٧):ص١٠/٣١٧٥.

(٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٥٤):ص١٠/٣١٧٦.

(١٠) معاني القرآن: ٤/٢٦٥-٢٦٦.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٨-٤٤٩.

(١٢) فتح القدير: ٤/٣٩٢-٣٩٣.

قال كعب الأحبار:" لما طعن عمر بن الخطاب لو دعا الله لزاد في أجله، فأنكر ذلك عليه المسلمون، وقالوا: إن الله عز وجل يقول: {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، فقال: وإن الله تعالى يقول: {وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ}، قال الزهري نرى أنه يؤخر ما لم يحضر الأجل فإذا حضر الإجل لم يزد في العمر ولم يقع تأخير"(١).

وفي رواية :"فقال: هذا إذا حضره الأجل، فأما قبل ذلك فيجوز أن يزاد وينقص، وقرأ هذه الآية"(٢).

قال النحاس:" وقيل في معنى الآية: إنه يكون أن يحكم أن عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع وتسعون إن عصى فأيهما بلغ فهو في كتاب"(٣).

قال السمعاني:"وهذا جائز"(٤).

وروي ن أبي الدرداء رضي الله، عنه قال: "ذكرنا، عند رسول الله ﷺ فقال: «إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده، فيلحقه دعاؤهم في قبره، فذلك زيادة العمر»(٥).

قوله تعالى:{إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر : ١١]، أي:" إن خَلْقكم وعِلْم أحوالكم وكتابتها في اللوح المحفوظ سهل يسير على الله"(٦).

قال الطبري: يقول:" إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويل ذلك وقصيره، لا يتعذر عليه شيء منه"(٧).

قال السمعاني: "أي: هين"(٨).

قال النحاس:" أي: إحصاء طويل الأعمار وقصيرها لا يتعذر عليه"(٩).

فوائد الآيات:[٨-١١]:

١- التحذير من اتباع الهوى والاستجابة للشيطان فإن ذلك يؤدي بالعبد إلى أن يصبح يرى الأعمال القبيحة حسنة ويومها يحرم هداية الله فلا يهتدي أبداً وهذا ينتج عن الإدمان على المعاصي والذنوب.

٢- عملية إحياء الأرض بعد موتها دليل واضح على بعث الناس أحياء بعد موتهم.

١- مطلب العزة مطلب غال، وهو طاعة الله ورسوله ولا يعز أحد عزاً حقيقيا بدون طاعة الله ورسوله.

٢- علم الله المتجلي في الخلق والتدبير يضاف إليه قدرته تعالى التي لا يعجزها شيء بهما يتم الخلق والبعث والجزاء.

٣- تقرير البعث والجزاء وتقرير كتاب المقادير وهو اللوح المحفوظ.

القرآن

---

(١) رواه النحاس في معاني القرآن: ٤٤٥/٥.

(٢) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٥١/٤.

(٣) معاني القرآن: ٤٤٦/٥.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٥١/٤.

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٤٢):ص٣١٧٤/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٥.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٩.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٥١/٤.

(٩) معاني القرآن: ٤٤٦/٥.

{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢)} [فاطر : ١٢]

التفسير:

وما يستوي البحران: هذا عذب شديد العذوبة، سَهْلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة، ومن كل من البحرين تأكلون سمكًا طريًّا شهيَّ الطَّعم، وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمَرْجان تَلْبَسونها، وترى السفن فيه شاقات المياه؛ لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها. وفي هذا دلالة على قدرة الله ووحدانيته؛ ولعلكم تشكرون لله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم.

قوله تعالى:{وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [فاطر : ١٢]، أي:" وما يستوي البحران: هذا عذب شديد العذوبة، سَهْلٌ مروره في الحلق يزيل العطش، وهذا ملح شديد الملوحة"[١].

قال الطبري: يقول:" وما يعتدل البحران فيستويان؛ أحدهما عذب فرات، والفرات: هو أعذب العذب، وهذا ملح أجاج يقول: والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر، والأجاج: المر وهو أشد المياه ملوحة"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى منبها على قدرته العظيمة في خلقه الأشياء المختلفة : وخلق البحرين العذب الزلال، وهو هذه الأنهار السارحة بين الناس ، من كبار وصغار ، بحسب الحاجة إليها في الأقاليم والأمصار ، والعمران والبراري والقفار ، وهي عذبة سائغ شرابها لمن أراد ذلك ، { وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } ، وهو البحر الساكن الذي تسير فيه السفن الكبار ، وإنما تكون مالحة زُعَاقًا مُرَّة ، ولهذا قال : { وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ } ، أي : مُرّ"[٣].

قال الزجاج:" «الفرات»: المبالغ في العذوبة، و«الأجاج»: الشديد المرارة، و«الأجاج»: أيضا الشديد الحرارة"[٤].

عن قتادة، قوله: "{وهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ}، والأجاج: المر"[٥].

عن سنان بن سلمة: "أنه سأل ابن عباس، عن ماء البحر فقال: بحران لا يضرك فمن أيهما توضأت ماء البحر وماء الفرات"[٦].

قوله تعالى:{وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا} [فاطر : ١٢]، أي:" ومن كل من البحرين تأكلون سمكًا طريًّا شهيَّ الطَّعم"[٧].

قال الطبري: " يقول: ومن كل البحار تأكلون لحمًا طريًّا، وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج"[٨].

قال ابن كثير:" يعني : السمك"[٩].

عن قتادة، قوله: "{وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا}، أي: منهما جميعًا"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٥٣٩-٥٤٠.

(٤) معاني القرآن: ٤/٢٦٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٤٩.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٠):ص١٠/٣١٧٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٩.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠.

عن السدي، قوله: "{وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا}، قال: السمك"[2].
قوله تعالى:{وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا} [فاطر : ١٢]، أي:" وتستخرجون زينة هي اللؤلؤ والمَرْجان تَلْبَسونها"[3].
قال الطبري: "يعني: الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج"[4].
عن قتادة، قوله: "{وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}، هذا اللؤلؤ"[5].
عن السدي، قوله: ""{وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا}، قال: اللؤلؤ من البحر الأجاج"[6].
قال الزجاج:" وإنما تستخرج الحلية من الملح دون العذب، إلا أنهما لما كانا مختلط ين العذب والملح، جاز أن يقال تستخرجون الحلية – وهي اللؤلؤ والمرجان وما أشبه ذلك منهما - كما قال: {يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]"[7].
قوله تعالى:{وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ} [فاطر : ١٢]، أي:" وترى السفن فيه شاقات المياه"[8].
قال الطبري: يقول:" وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها"[9].
قال ابن كثير:" أي : تمخره وتشقه بحيزومها ، وهو مقدمها المُسَنَّم الذي يشبه جؤجؤ الطير - وهو : صدره "[10].
قال الزجاج:" المعنى: في مواخر تشق الماء"[11].
قال ابن قتيبة:" أي: جواري. ومخرها: خرقها للماء"[12].
قال الفراء:" مخرها: خرقها للماء إذا مرت فيه، واحدها: ماخرة"[13].
قال أبو عبيدة:"{ مَواخِرَ فِيهِ}: من مخرت الماء، أي: شقّته بجآجئها"[14].
وقال النحاس:" {وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَواخِرَ}، أي: في الملح خاصة، ولولا ذلك لقال: «فيهما»، وقد مخرت السفينة تمخر وتمخر، إذا شقّت الماء، كما قال طرفة[15]:
يشقّ حباب الماء حيزومها بها ... كما قسم التّرب المفايل باليد"[16].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.
(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦١):ص١٠/٣١٧٧.
(٣) التفسير الميسر: ٤٣٦.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٩.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦١):ص١٠/٣١٧٧.
(٧) معاني القرآن: ٤/٢٦٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤٣٦.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٤٩.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠.
(١١) معاني القرآن: ٤/٢٦٦.
(١٢) غريب القرآن: ٣٦٠.
(١٣) معاني القرآن: ٢/٣٦٨.
(١٤) مجاز القرآن: ١/٣٥٧.
(١٥)الشاهد لطرفة بن العبد في ديوانه ٢٠، ولسان العرب (حبب) و (فيل) ، وكتاب العين ٣/ ٣٢، ومقاييس اللغة ٢/ ٢٨، والمخصّص ٩/ ١٤٩، وتهذيب اللغة ٤/ ١٠، وتاج العروس (فأل) ، و (حبب) و (فيل).
(١٦) إعراب القرآن: ٣/٢٤٩.

عن ابن عباس، قوله: "{وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ}، يقول: جواريَ"[1].
عن قتادة، قوله: "{وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ}، فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة"[2].
وقال مجاهد : "تمخر الريح السفن ، ولا يمخر الريح من السفن إلا العظام"[3].
قوله تعالى:{لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر : ١٢]، أي:" لتبتغوا من فضله من التجارة وغيرها"[4].
قال الطبري:" يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم، ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم"[5].
قال ابن كثير:" أي : بأسفاركم بالتجارة ، من قطر إلى قطر ، وإقليم إلى إقليم"[6].
قوله تعالى:{وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [فاطر : ١٢]، أي:" ولكي تشكروا لله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم"[7].
قال الطبري: يقول:" وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي"[8].
قال ابن كثير:" أي: تشكرون ربكم على تسخيره لكم هذا الخلق العظيم ، وهو البحر ، تتصرفون فيه كيف شئتم ، وتذهبون أين أردتم ، ولا يمتنع عليكم شيء منه ، بل بقدرته قد سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، الجميع من فضله ومن رحمته"[9].
قال الإمام الشافعي:" في الآية دلالتان:
إحداهما: أن البحر العذب والمالح، وأن صيدهما مذكور ذكرا واحدا فكل ما
صيد في ماء عذب، أو بحر، قليل أو كثير مما يعيش في الماء للمحرم حلال، وحلال اصطياده، وإن كان في الحرم؛ لأن حكمه حكم صيد البحر الحلال للمحرم لا يختلف، ومن خوطب بإحلال صيد البحر وطعامه عقل أنه إنما أحل له ما يعيش في البحر من ذلك، وأنه أحل كل ما يعيش في مائه؛ لأنه صيده وطعامه عندنا: ما ألقى وطفا عليه - والله أعلم - ولا أعلم الآية تحتمل إلا هذا المعنى.
ثانيهما: أو يكون طعامه في دواب تعيش فيه فتؤخذ بالأيدي بغير
تكلف، كتكلف صيده، فكان هذا داخلا في ظاهر جملة الآية - والله أعلم –"[10].

القرآن

{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣)} [فاطر : ١٣]

التفسير:

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.

(٣) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٦/٥٤٠.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠.

(٧) انظر: التفسير الميسر: ٤٣٦.[بتصرف بسيط]

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠.

(١٠) تفسير الإمام الشافعي: ٣/١٢٢٠.

واللهُ يدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقَدْر ما نقص من الليل، ويُدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقَدْر ما نقص من النهار، وذلل الشمس والقمر، يجريان لوقت معلوم، ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله، والذين تعبدون من دون الله ما يملكون مِن قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النَّواة.

قوله تعالى:{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [فاطر : ١٣]، أي:" واللهُ يدخل من ساعات الليل في النهار، فيزيد النهار بقَدْر ما نقص من الليل، ويُدخل من ساعات النهار في الليل، فيزيد الليل بقَدْر ما نقص من النهار"(١).

قال الطبري:يقول:" يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها"(٢).

قال ابن كثير:" وهذا أيضًا من قدرته التامة وسلطانه العظيم ، في تسخيره الليل بظلامه والنهار بضيائه ، ويأخذ من طول هذا فيزيده في قصر هذا فيعتدلان. ثم يأخذ من هذا في هذا ، فيطول هذا ويقصر هذا ، ثم يتقارضان صيفًا وشتاء"(٣).

عن قتادة، قوله: "{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}، زيادة هذا فى نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا"(٤).

عن ابن عباس، قوله: "{يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} يقول: هو انتقاص أحدهما من الآخر"(٥).

قوله تعالى:{وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى} [فاطر : ١٣]، أي:" وذلل الشمس والقمر، يجريان لوقت معلوم"(٦).

قال الطبري:" يقول: وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم؛ لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار، كل ذلك يجري لوقت معلوم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : والنجوم السيارات ، والثوابت الثاقبات بأضوائهن أجرام السموات ، الجميع يسيرون بمقدار معين ، وعلى منهاج مقنن محرر ، تقديرًا من عزيز عليم. { كُلٌّ يَجْرِي لأجَلٍ مُسَمًّى }، أي : إلى يوم القيامة"(٨).

قال قتادة:" أجل معلوم، وحد لا يقصر دونه ولا يتعداه"(٩).

قال النحاس:" قيل: «الأجل المسمّى»، -هاهنا-: القيامة، لأنها عند الله جلّ وعزّ مسمّاة لوقت معلوم"(١٠).

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ} [فاطر : ١٣]، أي:" ذلكم الذي فعل هذا هو الله ربكم له الملك كله"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥١.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠.

(٩) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥١.

(١٠) إعراب القرآن: ٣/٢٤٩.

قال الطبري:" يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه"[٢].

قال ابن كثير:" أي : الذي فعل هذا هو الرب العظيم ، الذي لا إله غيره"[٣].

عن قتادة، قوله: "{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ}، أي: هو الذي يفعل هذا"[٤].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ} [فاطر : ١٣]، أي:" والذين تعبدون من دون الله ما يملكون مِن قطمير، وهي القشرة الرقيقة البيضاء تكون على النَّواة"[٥].

قال الطبري:يقول:" والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل، الذي لا يشبهه ملك، صفته ما يملكون قشر نواة فما فوقها"[٦].

قال ابن كثير:" { وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} أي : من الأنداد والأصنام التي هي على صورة من تزعمون من الملائكة المقربين، لا يملكون من السموات والأرض شيئًا ، ولا بمقدار هذا القطمير"[٧].

عن ابن عباس، قوله:{مِنْ قِطْمِيرٍ}، قال:"القطمير: القشر"[٨]. وفي لفظ:"الجلد الذي يكون على ظهر النواة"[٩].

قال قتادة:" القطمير: القشرة التي على رأس النواة"[١٠].

قال عطية:" القطمير: قشر النواة"[١١].

عن جويبر عن بعض أصحابه في قوله:"{مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ}، قال: هو القِمَع الذي يكون على التمرة"[١٢].

وقال مجاهد:" لفافة النواة كسحاة البيضة"[١٣]. وفي لفظ:" لفافة النواة كشحاة البصلة"[١٤].

قال ابن قتيبة:" القطمير: الفوفة التي تكون في النواة. وفي التفسير: أنه الذي بين قمع الرطبة وبين النواة. وهو من الاستعارة في قلة الشيء وتحقيره"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠.

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٤٥١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٠-٥٤١.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٢):ص١٠/٣١٧٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٢.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٢.

(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٣):ص١٠/٣١٧٧.

(١٥) غريب القرآن: ٣٦٠.

قال الزجاج:« القطمير»:" هي لفافة النواة، و«النقير»: النقرة في ظهر النواة، و«الفتيل»: الذي في وسط النواة"[1].

القرآن

{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)} [فاطر : ١٤]

التفسير:

إن تدعوا -أيها الناس- هذه المعبودات من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، ولو سمعوا على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يتبرؤون منكم، ولا أحد يخبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير.

قوله تعالى:{إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي:" إن تدعوا -أيها الناس- هذه المعبودات من دون الله لا يسمعوا دعاءكم"[2].

قال الطبري: يقول:" إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم؛ لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون"[3].

قال ابن كثير:" يعني : الآلهة التي تدعونها من دون الله لا يسمعون دعاءكم؛ لأنها جماد لا أرواح فيها"[4].

عن السدي، قوله: "{إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم}، قال: هي الآلهة لا تسمع دعاء من دعاها وعبدها من دون الله تعالى"[5].

قوله تعالى:{وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي:" ولو سمعوا على سبيل الفرض ما أجابوكم"[6].

قال الطبري: "يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم؛ لأنها ليست ناطقة، وليس كل سامع قولا متيسرًا له الجواب عنه، يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قدرة له على ضركم، وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم"[7].

قال ابن كثير:" أي : لا يقدرون على ما تطلبون منها"[8].

عن قتادة، قوله: "{إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، أي: ما قبلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه"[9].

عن السدي، قوله: "{ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ}، قال: ولو سمعت الآلهة دعاءكم ما استجابوا لكم بشيء من الخير"[10].

---

(١) معاني القرآن: ٢٦٦/٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٥):ص٣١٧٧/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٣.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٥):ص٣١٧٧/١٠.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} [فاطر : ١٤]، أي:" وفي الآخرة حين ينطقهم الله يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكًا في الدنيا"[٢].

قال النحاس:" أي: يقولون: ما كانوا إيّانا يعبدون"[٣].

قال ابن كثير:" أي : يتبرؤون منكم ، كما قال تعالى : { وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ } [الأحقاف : ٥ ، ٦] ، وقال : { وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا } [مريم : ٨١ ، ٨٢]"[٤].

عن قتادة :"{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ} إياهم ولا يرضون ولا يقرون به"[٥].

عن السدي، قوله: ""{وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ}، قال: بعبادتكم إياهم"[٦].

قوله تعالى:{وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر : ١٤]، أي:" ولا أحد يخبرك -أيها الرسول- أصدق من الله العليم الخبير"[٧].

قال الطبري:" ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عَبَدَتها يوم القيامة؛ من تبرؤها منهم، وكفرها بهم، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم، وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه ، مثلُ خبير بها"[٩].

عن قتادة، قوله: "{وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}، والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة"[١٠].

فوائد الآيات:[١٢-١٤]:

١- تقرير ربوبية الله المستلزمة لألوهيته.
٢- بيان مظاهر القدرة والعلم والحكمة وبها تقرر ربوبيته تعالى وألوهيته لعباده.
٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر يوم القيامة وبراءة الآلهة من عابديها.
٤- بيان عجز الآلهة عن نفع عابديها في الدنيا وفي الآخرة.
٥- تقرير صفات الكمال لله تعالى من الملك والقدرة والعلم، والخبرة التامة الكاملة وبكل شيء.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (١٥)} [فاطر : ١٥]

---

(١) صفوة التفاسير: ٥٢٢/٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٣.

(٣) إعراب القرآن: ٢٤٩/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٥):ص٣١٧٧/١٠.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٤.

التفسير:
يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين، وهو سبحانه الغنيُّ عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كلِّ حال.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ} [فاطر : ١٥]، أي:" يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في كل شيء، لا تستغنون عنه طرفة عين"[١].

قال الطبري: يقول:" يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُنْجِح لديه حوائجكم"[٢].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى بغنائه عما سواه ، وبافتقار المخلوقات كلها إليه ، وتذللها بين يديه ، فهم محتاجون إليه في جميع الحركات والسكنات"[٣].

قال الزجاج:" فقير الله، أي: الذي لم يجعل فقره وفاقته إلا إلى الله مخلصا في ذلك"[٤].

قال سهل بن عبدالله:" يعني: أنتم إليه في أنفسكم، فإن الله تعالى لما خلق الخلق حكم لعباده بالفقر إليه، وهو الغني، فمن ادعى الغنى حجب عن الله عز وجل، ومن أظهر فقره إليه أوصل الله فقره بغناه، فينبغي للعبد أن يكون مفتقرا إليه في السر، منقطعا عن غيره، حتى تكون عبوديته محضة، إذ العبودية المحضة هي الذل والخضوع.

فقيل له: وكيف يفتقر إليه؟ قال: إظهار الفقر في ثلاث: فقرهم القديم، وفقرهم في حالهم، وفقرهم في موت أنفسهم من تدبيرهم ومن لم يكن كذلك فهو مدع في فقره. وقال: الفقير الصادق الذي لا يسأل ولا يرد ولا يحبس. وقال عمر بن عبد العزيز -رضي الله عنه-: «صفة أولياء الله عز وجل ثلاثة أشياء: الثقة بالله تعالى في كل شيء، والفقر إليه في كل شيء، والرجوع إليه من كل شيء»"[٥].

قال السعدي:" يخاطب تعالى جميع الناس، ويخبرهم بحالهم ووصفهم، وأنهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:

فقراء في إيجادهم، فلولا إيجاده إياهم، لم يوجدوا.

فقراء في إعدادهم بالقوى والأعضاء والجوارح، التي لولا إعداده إياهم [بها] ، لما استعدوا لأي عمل كان.

فقراء في إمدادهم بالأقوات والأرزاق والنعم الظاهرة والباطنة، فلولا فضله وإحسانه وتيسيره الأمور، لما حصل [لهم] من الرزق والنعم شيء.

فقراء في صرف النقم عنهم، ودفع المكاره، وإزالة الكروب والشدائد. فلولا دفعه عنهم، وتفريجه لكرباتهم، وإزالته لعسرهم، لاستمرت عليهم المكاره والشدائد.

فقراء إليه في تربيتهم بأنواع التربية، وأجناس التدبير.

فقراء إليه، في تألههم له، وحبهم له، وتعبدهم، وإخلاص العبادة له تعالى، فلو لم يوفقهم لذلك، لهلكوا، وفسدت أرواحهم، وقلوبهم وأحوالهم.

فقراء إليه، في تعليمهم ما لا يعلمون، وعملهم بما يصلحهم، فلولا تعليمه، لم يتعلموا، ولولا توفيقه، لم يصلحوا.

فهم فقراء بالذات إليه، بكل معنى، وبكل اعتبار، سواء شعروا ببعض أنواع الفقر أم لم يشعروا، ولكن الموفق منهم، الذي لا يزال يشاهد فقره في كل حال من أمور دينه ودنياه،

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٥٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.[بتصرف بسيط]

(٤) معاني القرآن: ١١٢/٢.

(٥) تفسير التستري: ١٢٩.

ويتضرع له، ويسأله أن لا يكله إلى نفسه طرفة عين، وأن يعينه على جميع أموره، ويستصحب هذا المعنى في كل وقت، فهذا أحرى بالإعانة التامة من ربه وإلهه، الذي هو أرحم به من الوالدة بولدها"(١).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ} [فاطر : ١٥]، أي:" وهو سبحانه الغنيُّ عن الناس وعن كل شيء من مخلوقاته، الحميد في ذاته وأسمائه وصفاته، المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بالناس منه، فله الحمد والشكر على كلِّ حال"(٢).

قال الطبري: يقول:" {وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ} عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء؛ منكم ومن غيركم، {الْحَمِيدُ}، يعني: المحمود على نعمه؛ فإن كل نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكل حال"(٣).

قال ابن كثير:" أي : هو المنفرد بالغنى وحده لا شريك له ، وهو الحميد في جميع ما يفعله ويقوله ، ويقدره ويشرعه"(٤).

قال السعدي:" أي: الذي له الغنى التام من جميع الوجوه، فلا يحتاج إلى ما يحتاج إليه خلقه، ولا يفتقر إلى شيء مما يفتقر إليه الخلق، وذلك لكمال صفاته، وكونها كلها، صفات كمال، ونعوت وجلال. ومن غناه تعالى، أن أغنى الخلق في الدنيا والآخرة، الحميد في ذاته، وأسمائه، لأنها حسنى، وأوصافه، لكونها عليا، وأفعاله لأنها فضل وإحسان وعدل وحكمة ورحمة، وفي أوامره ونواهيه، فهو الحميد على ما فيه، وعلى ما منه، وهو الحميد في غناه الغني في حمده"(٥).

القرآن

{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٦)} [فاطر : ١٦]

التفسير:

إن يشأ الله يهلكُّم أيها الناس، ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده.

قوله تعالى:{إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ} [فاطر : ١٦]، أي:" إن يشأ الله يهلكُّم أيها الناس"(٦).

قال الطبري: يقول:" إن يشأ يهلككم أيها الناس ربكم، لأنه أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم"(٧).

قال ابن كثير:" أي : لو شاء لأذهبكم أيها الناس"(٨).

قوله تعالى:{وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ} [فاطر : ١٦]، أي:" ويأت بقوم آخرين يطيعونه ويعبدونه وحده"(٩).

قال الطبري: "يقول: ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عمَّا نهاهم عنه"(١٠).

---

(١) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٣) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٥٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٥) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٤.

قال ابن كثير: أي : " وأتى بقوم غيركم"[١].

قال قتادة:" أي: ويأت بغيركم"[٢].

قال السعدي في الآية": يحتمل أن المراد: إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بغيركم من الناس، أطوع لله منكم، ويكون في هذا تهديد لهم بالهلاك والإبادة، وأن مشيئته غير قاصرة عن ذلك.

ويحتمل أن المراد بذلك، إثبات البعث والنشور، وأن مشيئة الله تعالى نافذة في كل شيء، وفي إعادتكم بعد موتكم خلقا جديدا، ولكن لذلك الوقت أجل قدره الله، لا يتقدم عنه ولا يتأخر، ويدل على المعنى الأخير، ما ذكره بعده في قوله: {وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى}"[٣].

القرآن

{وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٧)} [فاطر : ١٧]

التفسير:

وما إهلاككم والإتيان بخلق سواكم على الله بممتنع، بل ذلك على الله سهل يسير.

قال الطبري:" يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك"[٤].

قال ابن كثير: أي : " وما هذا عليه بصعب ولا ممتنع"[٥].

قال السعدي:" أي: بممتنع، ولا معجز له"[٦].

القرآن

{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (١٨)} [فاطر : ١٨]

التفسير:

ولا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى، وإن تَسْأل نفسٌ مثقَلَة بالخطايا مَن يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يَحمل عنها شيئًا، ولو كان الذي سألتْه ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما. إنما تحذِّر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب، وأدَّوا الصلاة حق أدائها. ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر لنفسه. وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [فاطر : ١٨]، أي:" ولا تحمل نفس مذنبة ذنب نفس أخرى"[٧].

قال يحيى:" لا يحمل أحد ذنب آخر"[٨].

قال الطبري: يقول:" ولا تحمل آثمة إثم أخرى غيرها"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٤.

(٣) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.

(٦) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٣/٢.

قال ابن كثير: " أي : يوم القيامة "[٢].
قال السعدي:" أي: في يوم القيامة كل أحد يجازى بعمله، ولا يحمل أحد ذنب أحد"[٣].
قال ابن عباس:" يقول: يكون عليه وزر لا يجد أحدًا يحمل عنه من وزره شيئًا"[٤].
وقال السدي: يعني: لا تحمل حاملة ذنب نفس أخرى"[٥].
قوله تعالى:{وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [فاطر : ١٨]، أي:" وإن تَسْأل نفسٌ مثقَلَة بالخطايا مَن يحمل عنها من ذنوبها لم تجد من يَحمل عنها شيئًا، ولو كان الذي سألتْه ذا قرابة منها من أب أو أخ ونحوهما"[٦].
قال الفراء:" يقول: إن دعت داعية ذات ذنوب قد أثقلتها إلى ذنوبها ليحمل عنها شيء من الذنوب لم تجد ذلك. ولو كان الذي تدعوه أبا أو ابنا"[٧].
قال ابن قتيبة:" يقول: إن دعت نفس ذات ذنوب قد أثقلتها ذنوبها ليحمل عنها شيء منها لم تجد ذلك؛ {ولو كان} من تدعوه {ذا قربى}"[٨].
قال الطبري: يقول:" وإن تسأل ذاتُ ثِقَل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئًا منها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ"[٩].
قال ابن كثير: " أي : وإن تدع نفس مثقلة بأوزارها إلى أن تُسَاعَد على حمل ما عليها من الأوزار أو بعضه،{ لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ} ولو كان قريبًا إليها ، حتى ولو كان أباها أو ابنها ، كل مشغول بنفسه وحاله ، كما قال تعالى : { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } [عبس : ٣٤ - ٣٧]"[١٠].
عن ابن عباس، قوله:" {وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ} يكون عليه وزر لا يجد أحدا يحمل، عنه من وزره شيئا"[١١].
عن قتادة: "{وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا} إلى ذنوبها، {لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى}، أي: قريب القرابة منها، لايحمل من ذنوبها شيئًا، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئا"[١٢].
قال عطاء الخراساني:" إن تدع نفس مثقلة من الخطايا ذا قرابة أو غير ذي قرابة لا يحمل، عنها من خطاياها شيء"[١٣].
قال عبد الكريم بن الحارث: "يمر الوالد بولده يوم القيامة وهو يحمل ما عليه فيقول لابنه: يا بني، ادن مني خفف عني مما أحمل، فيقول ابنه: إليك عني يا أبتاه، فإن علي ما شغلني

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.
(٣) تفسير السعدي: ٦٨٧.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٥.
(٥) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٣/٢.
(٦) التفسير الميسر: ٤٣٦.
(٧) معاني القرآن: ٣٦٨/٢.
(٨) غريب القرآن: ٣٦٠.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٤١/٦.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٧):ص٣١٧٨/١٠.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٥.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٦):ص٣١٧٧/١٠.

وأثقلني؛ فهذا تفسير قول الله تبارك وتعالى:{وإن تدع مثقلة إلى حملها ولا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى}"[1].

قال عكرمة:" إن الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا رب سل هذا لم كان يغلق بابه دوني، وإن الكافر ليتعلق بالمؤمن يوم القيامة فيقول له: يا مؤمن إن لي، عندك يدا قد عرفت كيف كنت في الدنيا وقد احتجت إليك اليوم فلا يزال المؤمن يشفع له إلى ربه حتى يرده إلى منزلة دون منزلة وهو في النار، وأن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بني أي والد كنت لك؟ فيثني خيرا فيقول: يا بني إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول له ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت؟ ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا، ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانة، أي زوج كنت لك؟ فتثني خيرا فيقول لها: فإني أطلب إليك حسنة واحدة تهبيها لي، لعلي أنجو مما ترين قالت:
ما أيسر ما طلبت! لكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخوفت يقول الله: وإن تدع مثقلة إلى حملها ... ويقول الله: {يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ} [لقمان : ٣٣] ، و {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ(٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ} [عبس : ٣٤-٣٥]"[2].

قوله تعالى:{إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ} [فاطر : ١٨]، أي:" إنما تحذِّر -أيها الرسول- الذين يخافون عذاب ربهم بالغيب"[3].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنباتهم عن الله، فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك ويتعظون بمواعظك، لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون"[4].

قال مقاتل: "{إنما تنذر}، المؤمنين {الذين يخشون ربهم بالغيب}: آمنوا به ولم يروه"[5].
يروه"[5].

عن قتادة، قوله:"{إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ}، أي: يخشون النار «والحساب»[6]"[7].

قال السعدي:" أي: هؤلاء الذين يقبلون النذارة وينتفعون بها، أهل الخشية لله بالغيب، أي: الذين يخشونه في حال السر والعلانية، والمشهد والمغيب.."[8].

قوله تعالى:{وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [فاطر : ١٨]، أي:" وأدَّوا الصلاة حق أدائها"[9].

قال مقاتل: " أتموا الصلاة المكتوبة"[10].

قال الطبري:" يقول: وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم"[11].

---

(١) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢١٣):ص١٠٨/٢.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٦٧):ص٣١٧٨/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(٤) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٠.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٥/٣.

(٦) زيادة في رواية ابن ابي حاتم(١٧٩٧٠):ص٣١٧٨/١٠.

(٧) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٦.

(٨) تفسير السعدي: ٦٨٧.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٦.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٥/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٤٥٦/٢٠.

قال السعدي: اي: "وأهل إقامة الصلاة، بحدودها وشروطها وأركانها وواجباتها وخشوعها، لأن الخشية لله تستدعي من العبد العمل بما يخشى من تضييعه العقاب، والهرب مما يخشى من ارتكابه العذاب، والصلاة تدعو إلى الخير، وتنهى عن الفحشاء والمنكر"(١).
قوله تعالى:{وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ} [فاطر : ١٨]، أي:" ومن تطهر من الشرك وغيره من المعاصي فإنما يتطهر لنفسه"(٢).
قال مقاتل: " ومن صلح فصلاحه لنفسه"(٣).
قال الطبري: يقول: "ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته. فإنما يتطهر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه الذي أعده لأهل الكفر به"(٤).
قال السعدي:" أي: ومن زكى نفسه بالتنقِّي من العيوب، كالرياء والكبر، والكذب والغش، والمكر والخداع والنفاق، ونحو ذلك من الأخلاق الرذيلة، وتحلَّى بالأخلاق الجميلة، من الصدق، والإخلاص، والتواضع، ولين الجانب، والنصح للعباد، وسلامة الصدر من الحقد والحسد وغيرهما من مساوئ الأخلاق، فإن تزكيته يعود نفعها إليه، ويصل مقصودها إليه، ليس يضيع من عمله شيء"(٥).
قال قتادة:" أي: من يعمل صالحًا فإنما يعمله لنفسه"(٦).
قال السمعاني:" معنى «التزكي» -ها هنا-: هو العمل الصالح"(٧).
قوله تعالى:{وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} [فاطر : ١٨]، أي:" وإلى الله سبحانه مآل الخلائق ومصيرهم، فيجازي كلا بما يستحق"(٨).
قال السمعاني:" أي: المرجع"(٩).
قال الطبري: " يقول: وإلى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، وبركم وفاجركم، وهو مجازٍ جميعكم بما قدم من خير وشر على ما أهل منه"(١٠).
قال السعدي:" فيجازي الخلائق على ما أسلفوه، ويحاسبهم على ما قدموه وعملوه، ولا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها"(١١).
فوائد الآيات:[١٥-١٨]:
١- بيان فقر العباد إلى ربهم وحاجتهم إليه وإزالة فقرهم وسد حاجتهم يكون باللجوء إليه والاطراح بين يديه يعبدونه ويسألونه.
٢- بيان عدالة الله تعالى يوم القيامة.
٣- بيان صعوبة الموقف في عرصات القيامة لا سيما عند وضع الميزان ووزن الأعمال.

---

(١) تفسير السعدي: ٦٨٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٣٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٥.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/٤٥٦.
(٥) تفسير السعدي: ٦٨٧.
(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٦.
(٧) تفسير السمعاني: ٤/٣٥٤.
(٨) التفسير الميسر: ٤٣٦.
(٩) تفسير السمعاني: ٤/٣٥٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/٤٥٦.
(١١) تفسير السعدي: ٦٨٧.

٤- بيان أن الإنذار والتخويف من عذاب الله لا ينتفع به غير المؤمنين الصالحين.
٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء يوم القيامة.
٦- تقرير حقيقة وهي أن من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

القرآن

{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ (١٩) وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ (٢٠) وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (٢١) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (٢٢) إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ (٢٣) إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ (٢٤)} [فاطر : ١٩-٢٤]

التفسير:

وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه، وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان، ولا الظل ولا الريح الحارة، وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر. إن الله يسمع مَن يشاء سماع فَهْم وقَبول، وما أنت -أيها الرسول- بمسمع مَن في القبور، فكما لا تُسمع الموتى في قبورهم فكذلك لا تُسمع هؤلاء الكفار لموت قلوبهم، إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه. إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشرًا بالجنة مَن صدَّقك وعمل بهديك، ومحذرًا مَن كذَّبك وعصاك النار. وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذرها عاقبة كفرها وضلالها.

قوله تعالى:{وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [فاطر : ١٩]، أي:" وما يستوي الأعمى عن دين الله، والبصير الذي أبصر طريق الحق واتبعه"[١].

قال الفراء:" فالأعمى هاهنا الكافر، والبصير المؤمن"[٢].

قال ابن قتيبة:" مثل للكافر والمؤمن"[٣].

قال السدي: "يعني: بصر القلب بالإيمان وهو المؤمن"[٤].

قال الزجاج:" هذا مثل ضربه الله للمؤمنين والكافرين، المعنى: لا يستوي الأعمى عن الحق وهو الكافر، والبصير بالحق وهو المؤمن الذي يبصر رشده"[٥].

قال الطبري: يقول:" {وَمَا يَسْتَوِي الأعْمَى} عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمدا صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم {وَالْبَصِيرُ} الذي قد أبصر فيه رشده؛ فاتبع محمدًا وصدقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به"[٦].

قوله تعالى:{وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ} [فاطر : ٢٠]، أي:" وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان"[٧].

قال الطبري: "يقول: وما تستوي ظلمات الكفر ونور الإيمان"[٨].

قال الفراء:" الظلمات: الكفر، والنور: الإيمان"[٩].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) معاني القرآن: ٢/٣٦٩.

(٣) غريب القرآن: ٣٦١.

(٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٨٤.

(٥) معاني القرآن: ٤/٢٦٧.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٧.

(٩) معاني القرآن: ٢/٣٦٩.

قال ابن قتيبة:"مثل للكفر والإيمان"(١).

قال الزجاج:" الظلمات: الضلالات، والنور: الهدي"(٢).

قوله تعالى:{وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ} [فاطر : ٢١]، أي:" وما يستوي الظل، والريح الحارة"(٣).

قال الفراء:" الظل: الجنة، والحرور: النار"(٤).

قال ابن قتيبة:" مثل للجنة والنار"(٥).

قال الطبري: "{وَلا الظِّلُّ} قيل: ولا الجنة، {وَلا الْحَرُورُ} قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار، والحرور بمنزلة السموم، وهي الرياح الحارة"(٦).

قال الزجاج:" المعنى: لا يستوي أصحاب الحق الذين هم في ظل من الحق، ولا أصحاب الباطل الذين هم في حرور أي في حر دائم ليلا ونهارا. و«الحرور»: استيقاد الحر ولفحه بالنهار وبالليل. و«السموم»: لا يكون إلا بالنهار"(٧).

قال النحاس:" قيل: الحرور لا يكون إلّا بالليل، والسموم يكون بالنهار. وقيل: الحرور يكون فيهما. وهذا أصحّ القولين، لأن الحرور فعول من الحرّ، وفيه معنى التكثير أي الحرّ المؤذي"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ} [فاطر : ٢٢]، أي:" وما يستوي أحياء القلوب بالإيمان، وأموات القلوب بالكفر"(٩).

قال الفراء:" الأحياء: المؤمنون، والأموات: الكفار"(١٠).

قال ابن قتيبة:" مثل للعقلاء والجهال"(١١).

قال الزجاج:" الأحياء هم المؤمنون، والأموات الكافرون، ودليل ذلك قوله: {أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ} [النحل : ٢١]"(١٢).

قال الطبري: " يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال، وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان والكافر والكفر"(١٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : كما لا تستوي هذه الأشياء المتباينة المختلفة ، كالأعمى والبصير لا يستويان ، بل بينهما فرق وبون كثير ، وكما لا تستوي الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ، كذلك لا تستوي الأحياء ولا الأموات ، وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين وهم الأحياء

---

(١) غريب القرآن: ٣٦١.

(٢) معاني القرآن: ٤/٢٦٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٤) معاني القرآن: ٢/٣٦٩.

(٥) غريب القرآن: ٣٦١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٧.

(٧) معاني القرآن: ٤/٢٦٧-٢٦٨.

(٨) إعراب القرآن: ٣/٢٥١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٠) معاني القرآن: ٢/٣٦٩.

(١١) غريب القرآن: ٣٦١.

(١٢) معاني القرآن: ٤/٢٦٨.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٧.

، وللكافرين وهم الأموات ، كقوله تعالى : { أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا } [الأنعام : ١٢٢] ، وقال تعالى : { مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالأعْمَى وَالأصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا } [هود : ٢٤] فالمؤمن سميع بصير في نور يمشي ، على صراط مستقيم في الدنيا والآخرة ، حتى يستقر به الحال في الجنات ذات الظلال والعيون ، والكافر أعمى أصم ، في ظلمات يمشي ، لا خروج له منها ، بل هو يتيه في غَيّه وضلاله في الدنيا والآخرة ، حتى يفضي به ذلك إلى الحرور والسموم والحميم ، { وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ لا بَارِدٍ وَلا كَرِيمٍ } [الواقعة : ٤٣ ، ٤٤]"[١].

عن ابن عباس، قوله: "{وَمَا يَسْتَوِي الأعْمَى وَالْبَصِيرُ ... }، الآية، قال: هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية؛ يقول: وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات، فهو مثل أهل المعصية، ولا يستوي البصير ولا النور ولا الظل والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة"[٢].

عن قتادة، قوله: "{وَمَا يَسْتَوِي الأعْمَى ... }، الآية، خلقًا فضل بعضه على بعض؛ فأما المؤمن فعبد حي الأثر، حي البصر، حي النية، حي العمل، وأما الكافر فعبد ميت؛ ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل"[٣].

قال ابن زيد:" هذا مثل ضربه الله؛ فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه ولا هذا الأعمى، وقرأ: {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ}، قال: الهدى الذي هداه الله به ونور له، هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيًّا وجعل الكافر ميتًا ميت القلب {أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ}، قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء؟"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ} [فاطر : ٢٢]، أي:" إن اله يسمع من يشاء إسماعه دعوة الحق، فيحبّبه بالإيمان ويشرح صدره للإسلام، وما أنت يا محمد بمسمع هؤلاء الكفار، لأنهم أموات القلوب لا يدركون ولا يفقهون"[٥].

قال الطبري: يقول:" كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه"[٦].

قال ابن كثير:" { إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ } أي: يهديهم إلى سماع الحجة وقبولها والانقياد لها { وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ } أي : كما لا يسمع وينتفع الأموات بعد موتهم وصيرورتهم إلى قبورهم ، وهم كفار بالهداية والدعوة إليها ، كذلك هؤلاء المشركون الذين كُتِب عليهم الشقاوة لا حيلةَ لك فيهم ، ولا تستطيع هدايتهم"[٧].

قال قتادة:" كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع"[٨].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/٤٤٢-٤٤٣.

(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٧-٤٥٨.

(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٨.

(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٨.

(٥) صفوة التفاسير: ٢/٥٢٥.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٩.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٤٤٣.

(٨) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٥٩.

قوله تعالى:{إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ} [فاطر : ٢٣]، أي:" إن أنت إلا نذير لهم غضب الله وعقابه"[١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يرسلك ربك إليهم إلا لتبلغهم رسالته، ولم يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه، فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فإن ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس؛ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات إن هم لم يستجيبوا لك"[٢].

قال ابن كثير:" أي : إنما عليك البلاغ والإنذار ، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء"[٣].

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [فاطر : ٢٤]، أي:" إنا أرسلناك بالحق، وهو الإيمان بالله وشرائع الدين، مبشرًا بالجنة مَن صدَّقك وعمل بهديك، ومحذرًا مَن كذَّبك وعصاك النار"[٤].

قال الطبري: :" يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ) يا محمد {بِالْحَقِّ} وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده، مبشرًا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة، {وَنَذِيرًا} تنذر الناس مَن كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة"[٥].

قال ابن كثير:" أي : بشيرًا للمؤمنين ونذيرًا للكافرين"[٦].

قوله تعالى:{وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر : ٢٤]، أي:" وما من أمة من الأمم إلا جاءها نذير يحذرها عاقبة كفرها وضلاله"[٧].

قال ابن قتيبة:" أي: سلف فيها نبي"[٨].

قال الطبري: يقول:" يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله"[٩].

قال ابن كثير:" أي : وما من أمة خلت من بني آدم إلا وقد بعث الله إليهم النُّذر ، وأزاح عنهم العلل ، كما قال تعالى : { إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ } [الرعد : ٧] ، وكما قال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ } الآية [النحل : ١٣٦]"[١٠].

قال قتادة:" كل أمة كان لها رسول"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٩.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٤٤٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٥٩-٤٦٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٤٤٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) غريب القرآن: ٣٦١.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٤٤٣.

(١١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

قال الزمخشري:" الأمة: الجماعة الكثيرة، قال الله تعالى: {وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاس} [القصص : ٢٣]، ويقال لأهل كل عصر: أمة، وفي حدود المتكلمين: الأمة هم المصدقون بالرسول ﷺ دون المبعوث إليهم، وهم الذين يعتبر إجماعهم، والمراد هاهنا: أهل العصر"[١].

القرآن

{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (٢٥)} [فاطر : ٢٥]

التفسير:

وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذَّب الذين مِن قبلهم رسلهم الذين جاؤوهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم، وجاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر.

قوله تعالى:{وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [فاطر : ٢٥]، أي:" وإن يكذبك هؤلاء المشركون فقد كذَّب الذين مِن قبلهم رسلهم"[٢].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم"[٣].

قال ابن الجوزي:" معناه: لست بأول رسول كذب"[٤].

قال قتادة:" يعزي نبيه"[٥].

قوله تعالى:{جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ} [فاطر : ٢٥]، أي:" جائتهم رسلهم بالمعجزات الواضحات الدالة على نبوتهم"[٦].

قال الطبري: " جاءتهم رسلهم بحجج من الله واضحة، وبالزبر يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله"[٧].

قال ابن كثير:" {بِالْبَيِّنَاتِ}، هي : المعجزات الباهرات ، والأدلة القاطعات"[٨].

قال مقاتل:" {بِالْبَيِّنَاتِ}، بالآيات التي كانوا يصنعون ويخبرون بها"[٩].

قال الزمخشري:" {بِالْبَيِّنَاتِ}، بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات"[١٠].

قوله تعالى:{وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} [فاطر : ٢٥]، أي:" وجاؤوهم بالكتب المجموع فيها كثير من الأحكام، وبالكتاب المنير الموضح لطريق الخير والشر"[١١].

قال أبو سليمان في قوله:{والكتاب المنير}: "يعني به الكتاب النيرة بالبراهين والحجج"[١].

---

(١) الكشاف: ٦٠٨/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

(٤) زاد المسير: ٣٥٥/١.

(٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٧٢):ص٣١٧٩/١٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٧.[بتصرف]

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٦.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٦/٣.

(١٠) الكشاف: ٦٠٩/٣.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٧.[بتصرف]

قال الطبري: " يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله، وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق"[٢].

قال ابن كثير:" {وَبِالزُّبُرِ} وهي الكتب ، {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، أي : الواضح البين"[٣].

قال مقاتل:" {وَبِالزُّبُرِ}، وبالأحاديث التي كانت قبلهم من المواعظ، {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، المضيء الذي فيه أمره ونهيه"[٤].

عن قتادة، قوله: "{بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ}، أي: الكتب، {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ}، يضعف الشيء وهو واحد"[٥].

قال الزمخشري:" {وَبِالزُّبُرِ}، وبالصحف {وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ} نحو التوراة والإنجيل والزبور. لما كانت هذه الأشياء في جنسهم أسند المجيء بها إليهم إسنادا مطلقا، وإن كان بعضها في جميعهم: وهي البينات، وبعضها في بعضهم: وهي الزبر والكتاب. وفيه مسلاة لرسول الله ﷺ"[٦].

قال السمعاني:" وذكر «الكتاب» بعد «الزبر» على طريق التأكيد"[٧].

القرآن

{ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (٢٦)} [فاطر : ٢٦]

التفسير:

ثم أَخَذْت الذين كفروا بأنواع العذاب، فانظر كيف كان إنكاري لعملهم وحلول عقوبتي بهم؟

قوله تعالى:{ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [فاطر : ٢٦]، أي:" ثم أَخَذْت الذين كفروا بأنواع العذاب"[٨].

قال الطبري: يقول: " ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا وأصروا على جحودهم"[٩].

قال ابن كثير:" أي : ومع هذا كله كَذّب أولئك رسلَهم فيما جاؤوهم به ، فأخذتهم ، أي : بالعقاب والنكال"[١٠].

قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ} [فاطر : ٢٦]، أي:" فانظر كيف كان إنكاري لعملهم وحلول عقوبتي بهم؟"[١١].

قال الطبري: " يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم وحلول عقوبتي بهم"[١٢].

قال القرطبي:" أي: كيف كانت عقوبتي لهم"[١].

---

(١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣٥٥/١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٦.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٦/٣-٥٥٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

(٦) الكشاف: ٦٠٩/٣.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٥٥/٤-٣٥٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٦.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٠.

قال ابن كثير:" أي : فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيما شديدًا بليغا ؟"[٢].

عن قتادة:" {فكيف كان نكير}، قال: شديد. والله لقد عجل لهم عقوبة الدنيا ثم صيرهم إلى النار"[٣].

وأثبت ورش عن نافع وشيبة الياء في:«نكيري»، حيث وقعت في الوصل دون الوقف. وأثبتها يعقوب في الحالين، وحذفها الباقون في الحالين[٤].

فوائد الآيات:[١٩-٢٦]:

١- استحسان ضرب الأمثال للكشف عن الحال وزيادة البيان.

٢- الكفار عمى لا بصيرة لهم، وأموات لا حياة فيهم، والدليل عدم انتفاعهم بحياتهم ولا بأسماعهم ولا أبصارهم.

٣- تقرير نبوة الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتأكيد رسالته.

٤- تسلية الدعاة ليتدرّعوا بالصبر ويلتزموا الثبات.

٥- بيان سنة الله في المكذبين الكافرين وهي أخذهم عند حلول أجلهم.

القرآن

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧)} [فاطر : ٢٧]

التفسير:

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجارًا في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفًا ألوانها، منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك؟ وخَلَقْنا من الجبال طرائق بيضًا وحمرًا مختلفًا ألوانها، وخلقنا من الجبال جبالا شديدة السواد.

قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا} [فاطر : ٢٧]، أي:" ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء، فسقينا به أشجارًا في الأرض، فأخرجنا من تلك الأشجار ثمرات مختلفًا ألوانها"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثًا فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانها: يقول: فسقيناه أشجارًا في الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها؛ منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها"[٦].

قال ابن كثير:" يقول تعالى منبها على كمال قدرته في خلقه الأشياء المتنوعة المختلفة من الشيء الواحد ، وهو الماء الذي ينزله من السماء ، يخرج به ثمرات مختلفا ألوانها ، من أصفر وأحمر وأخضر وأبيض ، إلى غير ذلك من ألوان الثمار ، كما هو المشاهد من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها ، كما قال تعالى في الآية الأخرى : { وَفِي الأرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [الرعد : ٤]"[٧].

---

(١) تفسير القرطبي: ٣٤١/١٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٤٤٣/٦.

(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٧٢):ص٣١٧٩/١٠.

(٤) انظر: تفسير القرطبي: ٣٤١/١٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٤٢/٦.

عن قتادة، قوله:" {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا}، أحمر وأخضر وأصفر"[1].

قوله تعالى:{وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا} [فاطر : ٢٧]، أي:" وخَلَقْنا من الجبال طرائق بيضًا وحمرًا مختلفًا ألوانها"[2].

قال الطبري:" يقول :"ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدتها جدة"[3].

قال ابن كثير:" أي : وخلق الجبال كذلك مختلفة الألوان ، كما هو المشاهد أيضا من بيض وحمر ، وفي بعضها طرائق - وهي : الجُدَد ، جمع جُدّة - مختلفة الألوان أيضا"[4].

قال ابن قتيبة:" «الجدد»: الخطوط والطرائق تكون في الجبال فبعضها بيض وبعضها حمر وبعضها"[5].

قال الفراء:" {جُدَدٌ بِيضٌ}، الْخُطط والطرق تكون فِي الجبال كالعُروق، بيض وسُود وحمر، واحدها: جُدّة. وقال امرؤ القيس، يصف الحمار[6]:

كأنّ سَرَاتَيه وجُدَّةُ مَتْنِه ... كنائِن يجري فوقَهنّ دَلِيص

والجُدّة: الْخُطّة السوداء فِي متن الحمار"[7].

قال مقاتل:" يعني بـ«الجدد»: الطرائق التي تكون في الجبال منها أبيض وأحمر ومنها"[8].

عن قتادة، قوله:" {وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ}، أي: طرائق بيض {وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا} أي: جبال حمر وبيض"[9].

عن الضحاك، قوله:"{وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ}، طرائق بيض وحمر وسود"[10].

قوله تعالى:{وَغَرَابِيبُ سُودٌ} [فاطر : ٢٧]، أي:" وخلقنا من الجبال جبالا شديدة السواد"[11].

قال الطبري:" العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد"[12].

قال مقاتل:" يعني: الطوال السود"[13].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦١.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٤٣/٦.

(٥) غريب القرآن: ٣٦١.

(٦)لامرئ القيس في: "شرح ديوانه" ص ١٢٤، "تهذيب اللغة" ١٠/ ٤٥٨، "اللسان" ٣/ ١٠٨ (جدد)، ٧/ ٣٧ (دلص)، ، و"معاني القرآن وإعرابه" للزجاج ٤/ ٢٦٩. وسراته: هو أعلى ظهره، وجدة ظهره: العلامة يخالف لونها لون جلده، والكنائن: هي الخطوط البيض بظهره.

(٧) معاني القرآن: ٣٦٩/٢.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٧/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦١.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٧/٣.

قال ابن قتيبة:" «غرابيب»: جمع: غربيب، وهو: الشديد السواد. يقال: أسود غربيب"[1].
قال الواحدي:" وهو الشديد السواد الذي يشبه لونه لون الغراب، يقال: أسود غربيب وغرابي"[2].
قال عكرمة: الغرابيب : الجبال الطوال السود"[3].
عن ابي مالك، قوله:" {وَغَرَابِيبُ سُودٌ}، قال: جبال سود"[4].
عن ابن عباس، قوله:{وَغَرَابِيبُ سُودٌ}، قال:" الشديد السواد"[5].
عن قتادة، قوله:" {وَغَرَابِيبُ سُودٌ}، هو الأسود، يعني: لونه"[6].

القرآن

{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)} [فاطر : ٢٨]

التفسير:

وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الثمار والجبال. إنما يخشى اللهَ ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماءُ به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء، ومنها اختلاف هذه المخلوقات مع اتحاد سببها، ويتدبرون ما فيها من عظات وعبر. إن الله عزيز قويٌّ لا يغالَب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم.

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ} [فاطر : ٢٨]، أي:" وخلقنا من الناس والدواب والإبل والبقر والغنم ما هو مختلف ألوانه كذلك، فمن ذلك الأحمر والأبيض والأسود وغير ذلك كاختلاف ألوان الثمار والجبال"[7].

قال ابن كثير:" كذلك الحيوانات من الأناسي والدواب - وهو : كل ما دب على قوائم - والأنعام ، من باب عطف الخاص على العام. كذلك هي مختلفة أيضا ، فالناس منهم بربر وحُبُوش وطُمَاطم في غاية السواد ، وصقالبة وروم في غاية البياض ، والعرب بين ذلك ، والهنود دون ذلك ؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى : { وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ } [الروم : ٢٢]. وكذلك الدواب والأنعام مختلفة الألوان ، حتى في الجنس الواحد ، بل النوع الواحد منهن مختلف الألوان ، بل الحيوان الواحد يكون أبلق ، فيه من هذا اللون وهذا اللون ، فتبارك الله أحسن الخالقين"[8].

قال الفراء:"قوله: {كَذَلِكَ} من صلة :«الثمرات». واختلاف ألوانها، أي: من الناس وغيرهم كالأول"[9].

---

(١) غريب القرآن: ٣٦١.

(٢) التفسير البسيط: ١٨/٤١٩.

(٣) حكاه عنه ابن كثير في التفسير: ٦/٥٤٤.

(٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٧٥):ص١٠/٣١٧٩.

(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٧٤):ص١٠/٣١٧٩.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٤.

(٩) معاني القرآن: ٢/٣٦٩.

قال الطبري: {كَذلِكَ}، أي:" كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك"[1].
قال يحيى:" أي: كما اختلفت ألوان ما ذكر من الثمار والجبال"[2].
قال أبو مالك:" كذلك اختلاف الناس والدواب والأنعام كاختلاف الجبال"[3].
قال قتادة:"كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك"[4].
قال الضحاك:"وكذلك الناس مختلف ألوانهم"[5].
عن ابن عباس قال : «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : أيصبغ ربك ؟ قال : "نعم صبغا لا يُنفَض ، أحمر وأصفر وأبيض»"[6].
قوله تعالى:{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر : ٢٨]، أي:" إنما يخشى اللهَ ويتقي عقابه بطاعته واجتناب معصيته العلماءُ به سبحانه، وبصفاته، وبشرعه، وقدرته على كل شيء"[7].
قال يحيى:" ثم استأنف فقال: {إنما يخشى الله من عباده العلماء}، وهم المؤمنون"[8].
قال الطبري: يقول:" إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته؛ فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه"[9].
قال مقاتل:" فيها تقديم، يقول: أشد الناس لله- عز وجل- خيفة أعلمهم بالله- تعالى"[10].
عن ابن عباس، قوله: "{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير"[11].
قال ابن كثير:" أي : إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به ؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى - كلما كانت المعرفة به أتمّ والعلم به أكمل ، كانت الخشية له أعظم وأكثر"[12].
قال الشوكاني:أي: " إنما يخشاه سبحانه بالغيب العالمون به، وبما يليق به من صفاته الجليلة وأفعاله الجميلة، فهو سبحانه قد عين في هذه الآية أهل خشيته، وهم العلماء به وتعظيم قدرته"[13].
قال أبو مالك:" ثم قال: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}، فلا فضل لما قبلها"[1].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.
(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٧٥):ص١٠/٣١٧٩-٣١٨٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.
(٦)مسند البزار برقم (٢٩٤٤) "كشف الأستار" وقال الهيثمي في المجمع (١٢٨/٥) : "وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط".
(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.
(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٧/٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٢.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٤/٦.
(١٣) فتح القدير: ٣٩٩/٤.

عن صالح أبي الخليل، قوله: "{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عَبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} قال: أعلمهم بالله أشدهم له خشية"[2].

قال قتادة:" كان يقال: كفى بالرهبة علمًا"[3].

عن عبد الله بن مسعود قال: "ليس العلم رواية الحديث ولكن العلم الخشية"[4]. قال يحيى: نراه أنه، يعني: أنه من خشي الله فهو عالم"[5].

قال مالك بن أنس: "إن العلم ليس بكثرة الرواية إنما العلم نور يقذفه الله في القلب"[6].

قال الحسن: "الإيمان: من خشي الله بالغيب ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما أسخط، ثم تلا: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}"[7].

قال ابن عباس : "العالم بالرحمن مَنْ لم يشرك به شيئا ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، وحفظ وصيته ، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله"[8].

عن أبي حيان التيمي، عن رجل قال: "كان يقال: العلماء ثلاثة عالم بالله، وعالم بأمر الله، وعالم بالله ليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله ليس بعالم بالله، فالعالم بالله وبأمر الله الذي يخشى الله ويعلم الحدود والفرائض، والعالم بالله ليس بعالم بأمر الله: الذي يخشى الله ولا يعلم الحدود: لا الفرائض والعالم بأمر الله ليس بعالم بالله: الذي يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله"[9].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} [فاطر : ٢٨]، أي:" إن الله عزيز قويٌّ لا يغالَب، غفور يثيب أهل الطاعة، ويعفو عنهم"[10].

قال الطبري:يقول:" إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه"[11].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)} [فاطر : ٢٩-٣٠]

---

(١) اخرجه ابن أبي حاتم(١٧٩٧٥):ص١٠/٣١٧٩-٣١٨٠.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٧٩):ص١٠/٣١٨٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٦٣.

(٤) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٨٦.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٨٦.

قال أحمد بن صالح المصري: "معناه : أن الخشية لا تدرك بكثرة الرواية ، وأما العلم الذي فرض الله ، عز وجل ، أن يتبع فإنما هو الكتاب والسنة ، وما جاء عن الصحابة ، رضي الله عنهم ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين ، فهذا لا يدرك إلا بالرواية ويكون تأويل قوله : "نور" يريد به فهم العلم ، ومعرفة معانيه". [نقلا عن تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٥]

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٨١):ص١٠/٣١٨٠.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٨٢):ص١٠/٣١٨٠.

(٨) رواه ابن لَهِيعَة، كما في تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٨٠):ص١٠/٣١٨٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/٤٦٣.

التفسير:
إن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهرًا، هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه؛ ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص، ويضاعف لهم الحسنات من فضله، إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ} [فاطر : ٢٩]، أي:" إن الذين يقرؤون القرآن، ويعملون به"[١].

قال الطبري:يقول:" إن الذين يقرءون كتاب الله الذي أنزله على محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٢].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه"[٣].

قوله تعالى:{وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [فاطر : ٢٩]، أي:" وداوموا على الصلاة في أوقاتها"[٤].

قال الطبري:" يقول: وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها، وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: ويقيموا الصلاة"[٥].

قال يحيى:أي: " المفروضة"[٦].

قوله تعالى:{وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً} [فاطر : ٢٩]، أي:" وأنفقوا مما رزقناهم من أنواع النفقات الواجبة والمستحبة سرًّا وجهرًا"[٧].

قال الطبري:" يقول: وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء وعلانية جهارًا، وإنما معنى ذلك أنهم يؤدون الزكاة المفروضة، ويتطوعون أيضًا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه"[٨].

قال ابن كثير:أي:" الإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلا ونهارا ، سرا وعلانية"[٩].

قال يحيى:" السر التطوع، والعلانية الزكاة المفروضة، يستحب أن تعطى الزكاة المفروضة علانية والتطوع سرا، ويقال: صدقة السر تطوعا أفضل من صدقة العلانية"[١٠].

قال ابن مسعود: "إن فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على العلانية"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٥) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٦/٢-٧٨٧.

(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

قوله تعالى:{يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ} [فاطر : ٢٩]، أي:" هؤلاء يرجون بذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، ألا وهي رضا ربهم، والفوز بجزيل ثوابه"[١].

قال الطبري: يقول: " يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تكسد ولن تهلك، من قولهم: بارت السوق إذا كسدت وبار الطعام"[٢].

قال ابن كثير:" أي : يرجون ثوابا عند الله لا بد من حصوله"[٣].

قال يحيى:" {لَنْ تَبُورَ}: لن تفسد، وهي تجارة الجنة، يعملون للجنة"[٤].

عن السدي:" {لَنْ تَبُورَ}، قال: لن تهلك"[٥].

قال قتادة:" الجنة، لن تبور لا تبيد"[٦].

عبد الله بن بريدة عن أبيه قال:« كنت جالسا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلموا سورة البقرة؛ فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» . قال: ثم سكت ساعة، ثم قال: " تعلموا سورة البقرة، وآل عمران؛ فإنهما الزهراوان يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب. فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن. ثم يقال له: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ، هذا كان، أو ترتيلا»"[٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٧/٢.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٨٤):ص٣١٨١/١٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٨٣):ص٣١٨٠/١٠.

(٧)رواه أحمد(٢٢٩٥٠):ص٤١/٣٨، إسناده حسن في المتابعات والشواهد من أجل بشير بن المهاجر الغنوي، الغنوي، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين، وحسنه الحافظ ابن كثير في "تفسيره" ٦٢/١، ولبعضه شواهد يصح بها. أبو نعيم: هو الفضل بن دكين الملائي.

وأخرجه مطولا ومختصرا أبو عبيد في "فضائل القرآن" ص ٨٤-٨٥، وابن أبي شيبة في "مسنده" كما في "إتحاف الخيرة" (٧٩٧٩) ، وفي "مصنفه" ٤٩٢/١٠-٤٩٣، والدارمي (٣٣٩١) ، ومحمد بن نصر المروزي في "قيام الليل" (٢٠٢) ، وابن الضريس في "فضائل القرآن" (٩٩) ، وابن عدي في "الكامل" ٤٥٤/٢، والحاكم ٥٦٠/١، والواحدي في "الوسيط" ٤١١/١، وأبو محمد البغوي

في "تفسيره" ٣٣/١-٣٤، وفي "شرح السنة" (١١٩٠) وحسنه بإثره - من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين. وبعضهم لم يسق لفظه.

وأخرجه مطولا ومختصرا كذلك البزار (٢٣٠٢ - كشف الأستار) ، والعقيلي في "الضعفاء" ١٤٤/١، والآجري في "أخلاق أهل القرآن" (٢٤) ، وابن عدي ٤٥٤/٢، والحاكم ٥٥٦/١ و٥٦٠ و٥٦٧-٥٦٨، والبيهقي في "شعب الإيمان" (١٩٨٩) و (١٩٩٠) من طرق عن بشير بن المهاجر، به. ورواية الحاكم في الموضع الأخير مختصرة بلفظ: "من قرأ القرآن وتعلمه، وعمل به، ألبس يوم القيامة تاجا من نور، ضوؤه مثل ضوء الشمس، ويكسى والداه حلتين لا تقوم بهما

قوله تعالى:{لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ} [فاطر : ٣٠]، أي:" ليوفيهم الله تعالى ثواب أعمالهم كاملا غير منقوص"[١].

قال الطبري:" يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التى عملوها في الدنيا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ليوفيهم ثواب ما فعلوه"[٣].

قال يحيى:" ثوابهم في الجنة"[٤].

قوله تعالى:{وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر : ٣٠]، أي:" ويضاعف لهم الحسنات من فضله"[٥].

قال الطبري:" يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل"[٦].

قال يحيى:" يضاعف لهم الثواب"[٧].

قال ابن كثير:أي : "ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم"[٨].

قال الحسن: "تضاعف لهم الحسنات، يثابون عليها في الجنة"[٩].

قوله تعالى:{إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر : ٣٠]، أي:" إن الله غفور لسيئاتهم، شكور لحسناتهم، يثيبهم عليها الجزيل من الثواب"[١٠].

قال الطبري:" يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم"[١١].

قال ابن كثير:" { إِنَّهُ غَفُورٌ } أي : لذنوبهم ، { شَكُورٌ } للقليل من أعمالهم"[١٢].

قال قتادة:" إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم"[١٣].

قال قتادة: "كان مطرف إذا مر بهذه الآية: {إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ}، يقول: هذه آية القراء"[١٤].

فوائد الآيات:[٢٧-٣٠]:

١- بيان مظاهر القدرة والعلم الإلهي في اختلاف الألوان والطباع والذوات.

٢- العلم سبيل الخشية فمن لا علم له بالله فلا خشية له إنما يخشى الله من عباده العلماء.

الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن".

(١) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٢) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٧/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(٦) تفسير الطبري: ٤٦٣/٢٠.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٧٨٧/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٧.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٤٥/٦.

(١٣) اخرجه الطبري:٢٠/ ٤٦٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٤.

٣- فضل تلاوة القرآن الكريم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصدقات.
٤- في وصف الله تعالى بالغفور والشكور ترغيب للمذنبين أن يتوبوا، وللعاملين أن يزيدوا.

القرآن

{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ (٣١)} [فاطر : ٣١]

التفسير:

والذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- من القرآن هو الحق المصدِّق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك. إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها.

قوله تعالى:{وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} [فاطر : ٣١]، أي:" والذي أنزلناه إليك -أيها الرسول- من القرآن هو الحق المصدِّق للكتب التي أنزلها الله على رسله قبلك"(١).

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: {وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ} يا محمد وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أوحيت إلى غيرك، يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل"(٢).

عن قتادة، قوله:{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ}، قالل:"للكتب التي خلت قبله"(٣).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ} [فاطر : ٣١]، أي:" إن الله لخبير بشؤون عباده، بصير بأعمالهم، وسيجازيهم عليها"(٤).

قال الطبري:" إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير"(٥).

القرآن

{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)} [فاطر : ٣٢]

التفسير:

ثم أعطينا -بعد هلاك الأمم- القرآن مَن اخترناهم من أمة محمد ﷺ: فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم مقتصد، وهو المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله، أي مسارع مجتهد في الأعمال الصالحة، فَرْضِها ونفلها، ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير.

قوله تعالى:{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر : ٣٢]، أي:" ثم أعطينا -بعد هلاك الأمم- القرآن مَن اخترناهم من أمة محمد ﷺ"(٦).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : ثم جعلنا القائمين بالكتاب العظيم ، المصدق لما بين يديه من الكتب ، الذين اصطفينا من عبادنا ، وهم هذه الأمة، ثم قسمهم إلى ثلاثة أنواع"(٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٤.

(٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٤-٤٦٥.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/٤٦٥.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٦.

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} [فاطر : ٣٢]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنهم الأنبياء ، حكاه ابن عيسى[١].

الثاني : أنهم بنو إسرائيل لقوله عز وجل :{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى ءَادَمَ وَنُوحاً} [آل عمران : ٣٣] الآية . قاله ابن بحر[٢].

الثالث : أنهم أمة محمد [٣]. قاله ابن عباس[٤]، والكلبي[٥].

قال ابن عباس:" هم أمة محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابًا يسيرًا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"[٦].

قال محمد بن الحنفية:" إنها أمة مرحومة، الظالم مغفور له والمقتصد في الجنات عند الله والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله"[٧].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عنى بقوله {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا} الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان، والمعنى: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا؛ فمنهم مؤمنون بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به؛ لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقر بمحمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم وبما جاء به وعمل بما دعاه إليه بما فى القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله"[٨].

قوله تعالى:{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ} [فاطر : ٣٢]، أي:" فمنهم ظالم لنفسه بفعل بعض المعاصي، ومنهم المؤدي للواجبات المجتنب للمحرمات"[٩].

قال ابن كثير:" :{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ}: هو: المفرط في فعل بعض الواجبات ، المرتكب لبعض المحرمات، {وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ}، وهو : المؤدي للواجبات ، التارك للمحرمات ، وقد يترك بعض المستحبات ، ويفعل بعض المكروهات"[١٠].

وفي قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ} [فاطر : ٣٢]، وجهان[١١]:

أحدهما : أن قوله :{فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ}، كلام مبتدأ لا يرجع إلى المصطفين ، وهذا قول من تأول المصطفين الأنبياء ، فيكون من عداهم ثلاثة أصناف على ما بينهم .

الثاني : أنه راجع إلى تفصيل أحوال الذين اصطفينا ، ومعنى الاصطفاء الاختيار وهذا قول من تأول المصطفين غير الأنبياء ، فجعلهم ثلاثة أصناف.

وأما «الظالم لنفسه» -ها هنا-، ففيه أقوال:

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.

(٣) .

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٥.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٥.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٦.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٩.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٦.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.

أحدها : أنهم أهل الصغائر من هذه الأمة، روى عن شهر بن حوشب، :"أن عمر بن الخطاب قال: سابقنا سابق، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له"[١].

وعن عثمان بن عفان: "أنه نزع بهذه الآية قال: إن سابقنا أهل جهاد ألا وإن مقتصدنا ناج أهل حضرنا، ألا وإن ظالمنا أهل بدونا"[٢].

الثاني : أنهم أصحاب المشأمة، قاله مجاهد[٣].

الثالث : أنهم أصحاب الكبائر من أهل التوحيد. قاله مقاتل[٤].

الرابع : أنه المنافق. قاله الحسن[٥]، وقتادة[٦].

قال الحسن:" أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق، سقط هذا"[٧].

وفي رواية" والظالم لنفسه منافق قطع به دونهم"[٨]. قال يحيى:" نراه، يعني: أن المنافق المنافق أقر به المؤمن فلم يدخل في الآية"[٩].

وروي عن الضحاك، ان قرأ:" { {فمنهم ظالم لنفسه} [فاطر: ٣٢] فقال: سقط هذا"[١٠].

قال يحيى:" فلا أدري أيعني ما قال الحسن أنه المنافق أم، يعني به: الجاحد"[١١].

الخامس : أنه الجاحد والمنافق، قاله مجاهد أيضا[١٢].

السادس : أنهم أهل الكتاب، حكاه الماوردي عن الحسن[١٣].

السابع : أنه الكافر. وهذا قول ابن عباس[١٤].

قال ابن كثير:" رُوي عن غير واحد من السلف : أن الظالم لنفسه من هذه الأمة من المصطفين ، على ما فيه من عوج وتقصير، ..وهذا اختيار ابن جرير[١٥] كما هو ظاهر الآية ، وكما جاءت به الأحاديث عن رسول الله ﷺ ، من طرق يشد بعضها بعضا ""[١٦].

الحديث الأول : عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية : "{ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}، قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة»"[١٧].

---

(١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٩١):ص١٠/٣١٨٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري:٤٧٦/٢٠.

(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٨/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٨) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٠/٢.

(١٠) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٠/٢.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٠/٢.

(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩١/٢.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٧٣/٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٨٦):ص١٠/٣١٨١، وتفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٦٩ وما بعدها.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(١٧)المسند (٧٨/٣). قال ابن كثير٥٤٧/٦:" هذا حديث غريب من هذا الوجه وفي إسناده من لم يسمّ ، وقد

قال ابن كثير:"ومعنى قوله : "بمنزلة واحدة" أي : في أنهم من هذه الأمة ، وأنهم من أهل الجنة ، وإن كان بينهم فرق في المنازل في الجنة"[1].

الحديث الثاني : عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "قال الله : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ}، فأما الذين سبقوا فأولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ، وأما الذين اقتصدوا فأولئك يحاسبون حسابا يسيرا ، وأما الذين ظلموا أنفسهم فأولئك الذين يحبسون في طول المحشر ، ثم هم الذين تلافاهم برحمته ، فهم الذين يقولون : { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ }"[2].

الحديث الثالث : عن أسامة بن زيد : "{ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ } الآية ، قال : قال رسول الله ﷺ : «كلهم من هذه الأمة»"[3].

الحديث الرابع : عن عَوْف بن مالك ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : "أمتي ثلاثة أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة ، وثلث يُمَحَّصون ويكشفون ، ثم تأتي الملائكة فيقولون : وجدناهم يقولون : "لا إله إلا الله وحده". يقول الله عز وجل : صدقوا ، لا إله إلا أنا، أدخلوهم الجنة بقولهم : "لا إله إلا الله وحده" واحملوا خطاياهم على أهل النار ، وهي التي قال الله تعالى : { وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالا مَعَ أَثْقَالِهِمْ } [العنكبوت : ١٣] ، وتصديقها في التي فيها ذكر الملائكة ، قال الله تعالى : { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا } فجعلهم ثلاثة أنواع، وهم أصناف كلهم ، فمنهم ظالم لنفسه ، فهذا الذي يكشف ويمحص"[4].

وأما «المقتصد»، ففيه أربعة أقوال:

أحدها : أنه المتوسط في الطاعات وهذا معنى حديث أبي الدرداء ، روى عن أبي الدرداء قال: "قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية فقال: «أما السابق فيدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يحاسب حسابا يسيرا، وأما الظالم فيحبس في طول المحبس ثم يتجاوز الله عنه»[5].

الثاني : أنهم أصحاب الميمنة، قاله مجاهد[6]، وقتادة[7].

وقال الحسن:" وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة"[8].

رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، من حديث شعبة ، به نحوه".

(١) تفسير ابن كثير: ٥٤٧/٦.

(٢)المسند (١٩٨/٥).

(٣)المعجم الكبير (١٦٧/١) وقد وقع في إسناده سقط ، ورواه البيهقي في البعث برقم (٦٤) من طريق محمد بن سعيد ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه عيسى ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، به ، ورواه أيضا برقم (٦٣) من طريق حصين بن نمير عن ابن أبي ليلى ، عن أخيه ، عن أبيه ، عن أسامة بن زيد ، بنحوه.

(٤) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٤٨/٦-٥٤٩، وقال:" غريب جدا". ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٨٠/١٨) من طريق محمد بن عزيز ، به ، وقال الهيثمي في المجمع (٩٦/٧) : "فيه سلامة بن روح وثقه ابن حبان ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله ثقات".

(٥) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٨٧/٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري:٤٧٦/٢٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٦٨/٢٠.

الثالث : أنهم أصحاب الصغائر. وهو قول متأخر[١].
الرابع : أنهم الذين اتبعوا سنن النبي -ﷺ- من بعده ، قاله الحسن[٢].
قال الحسن:" المقتصد رجل سأل عن أثار أصحاب محمد ﷺ فاتبعهم"[٣].
الخامس: أنه الذي عدل في قوله. قاله مقاتل[٤].
قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [فاطر : ٣٢]، أي:" ومنهم مسارع مجتهد في الأعمال الصالحة، فَرْضِها ونفلها، بتوفيق الله وتيسيره"[٥].
قال ابن كثير:" وهو : الفاعل للواجبات والمستحبات ، التارك للمحرمات والمكروهات وبعض المباحات"[٦].
وفي قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [فاطر : ٣٢]، أقوال:
أحدها : أنهم المقربون ، قاله قتادة[٧].
قال مجاهد:" هم السابقون من الناس كلهم"[٨].
قال قتادة:" كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة؛ أما الدنيا فكانوا: مؤمن ومنافق ومشرك، وأما عند الموت فإن الله قال {فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنزلٌ مِنْ حَمِيمٍ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ} وأما في الآخرة فكانوا أزواجًا ثلاثة {فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ}"[٩].
الثاني : أنهم المستكثرون من طاعة الله تعالى ، وهو مأثور[١٠].
الثالث : أنهم أهل المنزلة العليا في الطاعات ، قاله علي بن عيسى[١١].
الرابع : أنهم الذين سبقوا إلى الأعمال الصالحة وتصديق الأنبياء. قاله مقاتل[١٢].
الخامس: أنه من مضى على عهد رسول الله -ﷺ- فشهد له بالجنة[١٣].
وقال الحسن:" السابقون: أصحاب محمد ﷺ"[١٤].
روى عقبة بن صهبان قال : "سألت عائشة عن هذه الآية، فقالت: نعم يا بني، كلهم من أهل الجنة، السابق من مضى على عهد رسول الله ﷺ، فشهد له رسول الله ﷺ بالحياة والرزق،

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.
(٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/٧٠٩٠.
(٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٩٠.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.[بتصرف]
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٤٦.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٤٦٨.
(٨) أخرجه الطبري:٢٠/٤٦٧.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٦٨.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٤.
(١٤) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٩٠.

والمقتصد من اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به، والظالم لنفسه مثلي ومثلك ومن اتبعنا، فألحقت نفسها بنا من أجل الحدث الذي أصابها"[1].

قوله تعالى:{ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ} [فاطر : ٣٢]، أي:" ذلك الإعطاء للكتاب واصطفاء هذه الأمة هو الفضل الكبير"[2].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: سبق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، هو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقتصرًا عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه"[3].

القرآن

{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ (٣٥)} [فاطر : ٣٣-٣٥]

التفسير:

جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه يُحلَّون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ، ولباسهم المعتاد في الجنة حرير أي: ثياب رقيقة. وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حَزَن، إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها. وهو الذي أنزلَنا دار الجنة من فضله، لا يمسنا فيها تعب ولا إعياء.

قوله تعالى:{جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا} [فاطر : ٣٥]، أي:" جنات إقامة دائمة للذين أورثهم الله كتابه"[4].

قال مقاتل:" يدخلونها هؤلاء الأصناف الثلاثة"[5].

قوله تعالى:{يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا} [فاطر : ٣٥]، أي:" كتابه يُحلَّون فيها بأساور الذهب وباللؤلؤ"[6].

قال مقاتل:" بثلاث أسورة"[7].

قوله تعالى:{وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [فاطر : ٣٥]، أي:" ، ولباسهم المعتاد في الجنة حرير"[8].

قوله تعالى:{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} [فاطر : ٣٥]، أي:" وقالوا حين دخلوا الجنة: الحمد لله الذي أذهب عنا كل حَزَن"[9].

وفي قوله تعالى:{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} [فاطر : ٣٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه خوف النار ، قاله ابن عباس[10]، والحسن[1].

---

(١) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٧٩٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧١.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٩٥):ص١٠/٣١٨٣.

عن ابن عباس، قوله:{الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن}، قال:" حزن النار"[٢].

وقال الحسن:" إن المؤمنين قوم ذُلُل ذلَّت والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مَرضَى، وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا :{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} والحَزَنُ، والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار، وأنه من لا يتعزَّ بعزاء الله يقطِّع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه"[٣].

الثاني : أنه حزن الموت ، قاله عطية[٤].

الثالث : تعب الدنيا وهمومها، قاله قتادة[٥].

قال قتادة:" كانوا في الدنيا يعملون وينصبون وهم في خوف، أو يحزنون"[٦].

الرابع : حزن المنّة ، قاله سمُرة[٧].

الخامس : حزن الظالم لما يشاهد من سوء حاله ، قاله ابن زيد[٨].

روي عن ابي الدرداء، قال:"سمعت رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم يقول: "أما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}"[٩].

السادس : حزن الجوع. قاله شمر بن عطية[١٠].

السابع : خوف السلطان ، حكاه الكلبي[١١].

الثامن : الحزن للمعاش وهموم الدُّنْيَا، قاله الشعبي[١٢]، والفراء[١٣].

قال الشعبي:" طلب الخبز في الدنيا، فلا نهتم له كاهتمامنا له في الدنيا طلب الغذاء والعشاء"[١٤].

التاسع : حزن الخبز، قاله شمر[١٥].

وقال شمر:" لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} قال: حزن الخبز"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٢.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٩٥):ص١٠/٣١٨٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٣.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٣.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٥.

(٨)انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٣.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٩٦):ص١٠/٣١٨٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٥.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٩٧):ص١٠/٣١٨٣.

(١٣)انظر: معاني القرآن: ٢/٣٧٠ .

(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٩٧):ص١٠/٣١٨٣.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٣.

وهذا القول ضمن القول السابق، لأن المعنى: همّ العيش في الدنيا، لأن العيش فيها قوامه الطعام والخبز. والله أعلم.
العاشر : حزن القطيعة. قاله سهل بن عبدالله[٢].
الحادي عشر: الحزن بالجنة والنار لأنهم لايدرون إلى أيّهما يصيرون. قاله مقاتل، وحكاه الفراء عن بعضهم[٣].
قال مقاتل:" وقد حبس- الظالم- بعد هؤلاء الصنفين: السابق والمقتصد، ما شاء الله من أجل ذنوبهم الكبيرة، ثم غفرها لهم وتجاوز عنهم فأدخلوا الجنة فلما دخلوها، واستقرت بهم الدار حمدوا ربهم من المغفرة ودخول الجنة وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، لأنهم لا يدرون ما يصنع الله- عز وجل- بهم"[٤].
الثاني عشر: حزن من الذنوب. قاله ابن عباس[٥].
قال ابن عباس:" هم قوم كانوا في الدنيا يخافون الله ويجتهدون له في العبادة سرا وعلانية وفي قلوبهم حزن من ذنوب قد سلفت منهم فهم خائفون أن لا يتقبل منهم هذا الاجتهاد من الذنوب التي سلفت فعندها قالوا :{الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور}"[٦].
الثالث عشر: أنه حزن التباغض والتحاسد لأن أهل الجنة متواصلون لا يتباغضون ولا يتحاسدون. حكاه الماوردي[٧].
قال الطبري:" الصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ} وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن. ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعًا دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنوع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك؛ لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن"[٨].
قال الزجاج:" معنى: {أذهب عنا الحزن}: أذهب عنا كل ما يحزن، من حزن في مقاس، وحزن لعذاب، أو حزن للموت، وقد أذهب الله عن أهل الجنة كل حزن"[٩].
وفي وقت قولهم لذلك قولان[١٠]:
أحدهما : عند إعطاء كتبهم بأيمانهم لأنه أول بشارات السلامة ، فيقولون عندها : {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}.
الثاني : بعد دخول الجنة ، قاله الكلبي ، وهو أشبه لاستقرار الجزاء والخلاص من أهوال القيامة فيقولون ذلك عند أمنهم شكراً .
قال إبراهيم التيمي:" ينبغي لمن يحزن أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا:

---

(١) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٣.
(٢) انظر: تفسير التستري: ١٢٩.
(٣)انظر: معاني القرآن: ٢/٣٧٠ .
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٧٩٩٤):ص١٠/٣١٨٣.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٩٤):ص١٠/٣١٨٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٥.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٤.
(٩) معاني القرآن: ٤/٢٧٠.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤/٤٧٥.

{الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن} وينبغي لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجنة، لأنهم قالوا: {إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين}"[١].

قال الجصاص:" روى بعض السلف قال: من شأن المؤمن الحزن في الدنيا ألا تراهم حين يدخلون الجنة يقولون :{الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن}؟"[٢].

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن»[٣].

قيل لبعض النساك: "ما بال أكثر النساك محتاجين إلى ما في يد غيرهم؟ قال: لأن الدنيا سجن المؤمن، وهل يأكل المسجون إلا من يد المطلق"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ} [فاطر : ٣٥]، أي:" إن ربنا لغفور؛ حيث غفر لنا الزلات، شكور؛ حيث قبل منا الحسنات وضاعفها"[٥].

قال الطبري:" قول تعالى ذكره مخبرًا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدموا في الدنيا من الأعمال"[٦].

قال مقاتل:" {إن ربنا لغفور} للذنوب العظام، {شكور} للحسنات وإن قلت، وهذا قول آخر شكور للعمل الضعيف القليل، فهذا قول أهل الكبائر من أهل التوحيد"[٧].

قال قتادة:" يقول: غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم"[٨].

قال ابن عباس:" غفر لنا العظيم، وشكر لنا القليل من أعمالنا"[٩].

قال شمر:" غفر لهم ما كان من ذنب، وشكر لهم ما كان منهم"[١٠].

قال أبو رافع :"يأتي يوم القيامة العبد بدواوين ثلاثة بديوان فيه النعم، وديوان فيه ذنوبه، وديوان فيه حسناته، فيقال لأصغر نعمة عليه: قومي فاستوفي ثمنك من حسناته، فتقوم فتستوهب تلك النعمة حسناته كلها وتبقى بقية النعم عليه وذنوبه كاملة فمن ثم يقول العبد إذا أدخله الله الجنة: {إن ربنا لغفور شكور}"[١١].

قوله تعالى:{الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ} [فاطر : ٣٥]، أي:" وهو الذي أنزلَنا دار الجنة من فضله"[١٢].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧):ص١٠/٣١٨٣.

(٢) احكام القرآن: ٣/٤٩٠.

(٣)الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» . أخرجه مسلم في كتاب الزهد برقم (٢٩٥٦) ، وأحمد في المسند ٢/ ٣٢٣، وابن ماجة (٤١١٣) .

وفي آخر عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الدنيا سجن المؤمن وسنته، وإذا فارق الدنيا فارق السجن والسنة» . أخرجه أحمد ١/ ٩١٧، والحاكم ٤/ ٣١٥.

(٤) نقلا عن احكام القرآن للجصاص: ٣/٤٩٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٠٠):ص١٠/٣١٨٣-٣١٨٤.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٩٤):ص١٠/٣١٨٣.

(١٠) أخرجه الطبري :٢٠/ ٤٧٤.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٧٩٩٩):ص١٠/٣١٨٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

قال الطبري:" أي: ربنا الذي أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة، فدار المقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها ولا تحول"[١].
قال الزجاج:" أي: أحلنا دار الخلود بتفضله لا بأعمالنا"[٢].
قال الفراء:" {دارَ الْمُقامَةِ}: هي الإقامة. والمقامة: المجلس الَّذِي يُقام فِيهِ. فالمجلس مفتوح لا غير كما قَالَ الشاعر [٣]:
يومانِ يومُ مقاماتٍ وأنديةٍ ... ويومُ سير إلى الأعداء تأويب"[٤].
قال مقاتل:" يعني: دار الخلود أقاموا فيها أبدا لا يموتون ولا يتحولون عنها أبدا"[٥].
قال قتادة:" أقاموا فلا يتحولون ولا يحولون"[٦].
قوله تعالى:{لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} [فاطر : ٣٥]، أي:" لا يمسنا في الجنة تعب ولا إعياء"[٧].
قال مقاتل:" لا يصيبنا في الجنة مشقة في أجسادنا، ولا يصيبنا في الجنة عيا لما كان يصيبهم في الدنيا من النصب في العبادة"[٨].
قال الطبري:" يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع {وَلا يَمَسُّنَا فِيهَا} العناء والإعياء"[٩].
والإعياء"[٩].
قال الزجاج:" اللغوب الإعياء من التعب"[١٠].
عن ابن عباس، قوله: {لغوب}، قال: إعياء"[١١]. وفي رواية:" اللغوب: العناء"[١٢].
قال قتادة:" قد كان القوم ينصبون في الدنيا في طاعة الله وهم قوم جهدهم الله قليلا، ثم أراحهم كثيرا فهنيئا لهم"[١٣].
قال عبد الله بن أبي أوفى :" قال رجل: يا رسول الله، إن النوم مما يقر الله به أعيننا في الدنيا فهل في الجنة من نوم؟ قال: «لا، إن النوم شريك الموت، وليس في الجنة موت، قال: يا رسول الله، فما راحتهم؟ فأعظم ذلك النبي ﷺ وقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة، فنزلت: {ولا يمسنا فيها لغوب}"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٤.
(٢) معاني القرآن: ٤/٢٧١.
(٣)هو سلامة بن جندل، كما فى اللسان (أوب) . والتأويب: سير النهار أجمع .
(٤) معاني القرآن: ٢/٣٧٠.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٠٠):ص١٠/٣١٨٣-٣١٨٤.
(٧) التفسير الميسر: ٤٣٨.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٥٨.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/٤٧٥.
(١٠) معاني القرآن: ٤/٢٧١.
(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٠٢):ص١٠/٣١٨٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٥.
(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٠٠):ص١٠/٣١٨٣-٣١٨٤.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٠١):ص١٠/٣١٨٤.

وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي:«لغوب» - بفتح اللام -[1]. قال الزجاج:" والضم أكثر، ومعنى لغوب شيء يلغب منه، أي: لا نتكلف شيئا نعيا منه"[2].
فوائد الآيات:[٣١-٣٥]:
١- وجوب العمل بالقرآن الكريم عقائد وعبادات وآداباً وأخلاقاً وقضاء وحكماً.
٢- بيان شرف هذه الأمة، وأنه المرحومة فكل من دخل الإسلام بصدق وأدى الفرائض واجتنب المحارم فهو ناج فائز ومن قصر وظلم نفسه بارتكاب الكبائر ومات ولم يشرك بالله شيئاً فهو آئل إلى دخول الجنة راجع إليها بإذن الله.
٣- بيان نعيم أهل الجنة وحلية أهلها وهي الأساور من الذهب واللؤلؤ.
وقد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء"[3].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦)} [فاطر : ٣٦]

التفسير:
والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم الموقدة، لا يُقْضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا، ولا يُخَفَّف عنهم مِن عذابها، ومثل ذلك الجزاء يجزي الله كلَّ من هو مبالغ في الكفر متمادٍ في الكفر مُصِرٍّ عليه.
قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ} [فاطر : ٣٦]، أي:" والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم الموقدة"[4].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {وَالَّذِينَ كَفَرُوا} بالله ورسوله، لهم نار جهنم مخلدين فيها لا حظ لهم في الجنة ولا نعيمها"[5].
قال ابن كثير:" لما ذكر تعالى حال السعداء ، شرع في بيان مآل الأشقياء ، فقال : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ..}"[6].
قوله تعالى:{لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا} [فاطر : ٣٦]، أي:" لا يُقْضى عليهم بالموت، فيموتوا ويستريحوا"[7].
قال الطبري:" يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، فيخفف ذلك عنهم"[8].
قال السدي:" يعني: لا ينزل بهم الموت فيموتوا"[9].
قال ابن كثير:"فهم في حالهم ذلك يرون موتهم راحة لهم ، ولكن لا سبيل إلى ذلك"[1].

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٧١/٤.
(٢) معاني القرآن: ٢٧١/٤.
(٣)أخرجه ابن أبى شيبة (٥٨/١، رقم ٦٠٧) ، ومسلم (٢١٩/١، رقم ٢٥٠) ، وأحمد (٣٧١/٢، رقم ٨٨٢٧) ٨٨٢٧) ، والنسائى فى الكبرى (٩٥/١، رقم ١٤٢) ، وأبو عوانة (٢٠٥/١، رقم ٦٦٦).
(٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٤٣٨.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٥-٤٧٦.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٧٩٣/٢.

وفي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال : «أما أهل النار الذين هم أهلها ، فلا يموتون فيها ولا يحيون»[٢].

عن قتادة: "{لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ}، بالموت {فَيَمُوتُوا}، لأنهم لو ماتوا لاستراحوا"[٣].

قال ابو السوداء:" مساكين أهل النار لا يموتون، لو ماتوا لاستراحوا"[٤].

عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكنَّ ناسًا، أو كما قال، تُصيبهمُ النارُ بذنوبهم، أو قال: بخطاياهم، فَيُمِيتُهم إماتةً حتى إذا صاروا فَحْمًا أذن في الشفاعة، فجيء بهم ضَبَائرَ ضَبَائرَ، فَبُثُّوا على أهل الجنة، فقال: يا أهلَ الجنة أفِيضُوا عليهم فَيَنْبُتُون كما تَنْبُتُ الحبة في حَمِيلِ السيل" فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قد كان بالبادية"[٥].

قوله تعالى:{وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا} [فاطر : ٣٦]، أي:" ولا يُخَفَّف عنهم مِن عذابح النار"[٦].

قال الطبري:المعنى:" ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب"[٧].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ} [فاطر : ٣٦]، أي:" ومثل ذلك الجزاء يجزي الله كلَّ من هو مبالغ في الكفر متمادٍ في الكفر مُصِرٍّ عليه"[٨].

قال الطبري: يقول:" هكذا يكافِىء كل جحود لنعم ربه يوم القيامة؛ بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قدموها في الدنيا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : هذا جزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق"[١٠].

القرآن

{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧)} [فاطر : ٣٧]

التفسير:

وهؤلاء الكفار يَصْرُخون من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا أخرجنا من نار جهنم، وردَّنا إلى الدنيا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر، فيقول لهم: أو لم نُمْهلكم في الحياة قَدْرًا وافيًا من العُمُر، يتعظ فيه من اتعظ، وجاءكم النبي ﷺ، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟ فذوقوا عذاب جهنم، فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله.

قوله تعالى:{وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [فاطر : ٣٧]، أي:" وهؤلاء الكفار يَصْرُخون من شدة العذاب في نار جهنم مستغيثين: ربنا

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦.

(٢)) صحيح مسلم برقم (١٨٥).

(٣) أخرجه الطبري :٤٧٥/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٦.

(٥) أخرجه الطبري :٤٧٦/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٧) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٧٦.

(٨) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٩) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٧٦.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦.

أخرجنا من نار جهنم، وردَّنا إلى الدنيا نعمل صالحًا غير الذي كنا نعمله في حياتنا الدنيا، فنؤمن بدل الكفر"[١].

قال الطبري: يقول:" هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحًا أي: نعمل بطاعتك، {غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} قبلُ من معاصيك"[٢].

قال ابن كثير:" أي : يسألون الرجعة إلى الدنيا ، ليعملوا غير عملهم الأول ، وقد علم الرب ، ﷻ ، أنه لو ردهم إلى الدار الدنيا ، لعادوا لما نهوا عنه ، وإنهم لكاذبون. فلهذا لا يجيبهم إلى سؤالهم ، كما قال تعالى مخبرا عنهم في قولهم : { فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا } [غافر : ١١ ، ١٢] ، أي : لا يجيبكم إلى ذلك لأنكم كنتم كذلك ، ولو رددتم لعدّتم إلى ما نهيتم عنه"[٣].

قوله تعالى:{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} [فاطر : ٣٧]، أي:" فيقول لهم: أو لم نُمْهلكم في الحياة قَدْرًا وافيًا من العُمُر، يتعظ فيه من اتعظ"[٤].

قال ابو عبيدة:" أو لم نعمّركم عمرا يتذكر فيه {مَنْ تَذَكَّرَ}، أي: يتوب ويراجع"[٥].

قال الزجاج:" معناه: أو لم نعمركم العمر الذي يتذكر فيه من تذكر"[٦].

قال ابن كثير:" أي : أوما عشتم في الدنيا أعمارا لو كنتم ممن ينتفع بالحق لانتفعتم به في مدة عمركم ؟"[٧].

قال ابن عباس:"يعني به الشيب"[٨].

وفي قوله تعالى:{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} [فاطر : ٣٧]، وجوه:

أحدها : أنه البلوغ ، قاله الحسن[٩]. لأنه أول زمان التذكر .

الثاني : سبع عشرة سنة. قاله عن علي بن الحسين زين العابدين[١٠].

الثالث: ثماني عشرة سنة. قاله قتادة[١١]، وأبو غالب الشيباني[١٢].

وقال قتادة:" اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر، قال: نزلت وإن فيهم لابن ثمان عشرة سنة"[١٣].

الرابع: عشرون سنة. قاله وهب بن مُنَبِّه[١٤].

الخامس: أربعون سنة ، قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، ومسروق[٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٤٧٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٢/٦-٥٥٣.

(٤) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٥) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.

(٦) معاني القرآن: ٢٧٢/٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(٨) تفسير مجاهد: ٥٥٧.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٧٦/٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(١١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٠٨):ص٣١٨٥/١٠.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٠٨):ص٣١٨٥/١٠.

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٥٣/٦.

قال ابن عباس:" العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ} أربعون سنة"[٤].

قال مسروق:" إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله"[٥].

السادس : ستون سنة ، قاله علي بن أبي طالب[٦]، وابن عباس ورواه مرفوعا[٧].

عن علي رضي الله عنه، قوله: "{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}، قال: العمر الذي عمركم الله به ستون سنة"[٨].

عن ابن عباس:"{أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ}، قال: ستون سنة"[٩].

قال ابن عباس:" العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة"[١٠].

عن ابن عباس قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "إذا كان يومُ القيامةِ نُودِي: أين أبناء الستين، وهو العمر الذي قال الله: {أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}"[١١].

عن أَبي هريرة قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "منْ عَمَّرهُ اللهُ ستين سنةً فَقَد أعذرَ إليهِ في العُمْرِ"[١٢].

السابع : سبعون سنة، لأنه آخر زمان التذكر ، وما بعده هرم . روى عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "لَقدْ أعْذَرَ اللهُ إلَى صاحب السِّتِّين سنة والسَّبعين"[١٣].

قال الطبري: الأشبه بالصواب" إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم خبرًا في إسناده بعض من يجب التثبت في نقله، قول من قال ذلك أربعون سنة، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين"[١٤].

قال ابن كثير:" وذكر بعضهم أن العمر الطبيعي عند الأطباء مائة وعشرون سنة ، فالإنسان لا يزال في ازدياد إلى كمال الستين ، ثم يشرع بعد هذا في النقص والهرم ، كما قال الشاعر[١٥]:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٠٧):ص١٠/٣١٨٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٧.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٧-٤٧٨.

(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٨.

(١٥)يروى البيت:

إذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللذاذة والفتاء

إذَا بَلَغَ الفتَى ستينَ عَاما... فقد ذَهَبَ المَسَرَّةُ والفَتَاءُ

ولما كان هذا هو العمر الذي يعذر الله إلى عباده به ، ويزيح به عنهم العلل ، كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة ، كما ورد بذلك الحديث..عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم مَن يجوز ذلك»[(١)]"[(٢)].

قوله تعالى:{وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} [فاطر : ٣٧]، أي:" وجاءكم النبي ﷺ، ومع ذلك لم تتذكروا ولم تتعظوا؟"[(٣)].

قال ابن زيد:" النذير: النبي، وقرأ: {هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأولَى}"[(٤)]. وروي عن السدي نحوه[(٥)].

وعن عكرمة، قوله: "{وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ}، قال: الشيب"[(٦)].

قال الزجاج:" القول الأول أن النبي - ﷺ – النذير أكثر التفسير عليه"[(٧)].

قال قتادة:"احتج عليهم بالعمر والرسل"[(٨)].

قوله تعالى:{فَذُوقُوا} [فاطر : ٣٧]، أي:" فذوقوا عذاب جهنم"[(٩)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {فَذُوقُوا} نار عذاب جهنم الذي قد صَلِيتموه أيها الكافرون بالله"[(١٠)].

قوله تعالى:{فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} [فاطر : ٣٧]، أي:" فليس للكافرين من ناصر ينصرهم من عذاب الله"[(١١)].

قال الطبري:" يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه"[(١٢)].

قال ابن كثير:" أي : فذوقوا عذابَ النار جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم ، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم مما أنتم فيه من العذاب والنكال والأغلال"[(١٣)].

وهو للربيع بن ضبع في أمالي المرتضى ١/ ٢٥٤، وخزانة الأدب ٧/ ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٥، والدرر ٤/ ٤١، وشرح التصريح ٢/ ٢٧٣، وشرح عمدة الحافظ ص ٥٢٥، والكتاب ١/ ٢٠٨، ٢/ ١٦٢، ولسان العرب (فتا) ، والمقاصد النحوية ٤/ ٤٨١، وهمع الهوامع ١/ ١٣٥، وبلا نسبة في أدب الكاتب ص ٢٩٩، وأوضح المسالك ٤/ ٢٥٥، وجمهرة اللغة ص ١٠٣٢، وشرح الأشموني ٣/ ٦٢٣، وشرح المفصل ٦/ ٢١، ومجالس ثعلب ص ٣٣٣، والمقتضب ٢/ ١٦٩، والمنقوص والممدود ص ١٧.

(١)سنن الترمذي برقم (٣٥٥٠) وسنن ابن ماجه برقم (٤٢٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٥/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٧٨.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠١٠):ص٣١٨٥/١٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠١٢):ص٣١٨٥/١٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٧٢/٤.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٠٨):ص٣١٨٥/١٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٩.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٩.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٦/٦.

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٣٨)} [فاطر : ٣٨]

التفسير:

إن الله مطَّلع على كل غائب في السموات والأرض، وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطَّلع عليكم، وأنتم تُضْمِرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تَعْصوه بما دون ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [فاطر : ٣٨]، أي:" ن الله مطَّلع على كل غائب في السموات والأرض، فلا يخفى عليه شأن من شؤونهما"(١).

قال الطبري:"إن الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه، وما لم تضمروه ولم تنووه مما ستنوونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السماوات والأرض"(٢).

قال مقاتل:" يعلم ما يكون فيهما وغيب ما في قلوبهم: أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه"(٣).

قال الزجاج:" معنى يعلم، وعالم غيب على معنى: قد علم ذلك"(٤).

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [فاطر : ٣٨]، أي:" وإنه عليم بخفايا الصدور، فاتقوه أن يطَّلع عليكم وأنتم تُضْمِرون الشك أو الشرك في وحدانيته، أو في نبوة محمد ﷺ، أو أن تَعْصوه بما دون ذلك"(٥).

قال مقاتل:" بما في القلوب"(٦).

قال الطبري:أي:" فاتقوه أن يطلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو في نبوة محمد، غير الذي تبدونه بألسنتكم، {إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ}"(٧).

قال ابن كثير:" يعلم ما تكنه السرائر وتنطوي عليه الضمائر ، وسيجازي كل عامل بعمله"(٨).

قال القشيري:" أي: عالم بإخلاص المخلصين، وصدق الصادقين، ونفاق المنافقين، وجحد الكافرين"(٩).

القرآن

{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا (٣٩)} [فاطر : ٣٩]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٩.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٩/٣.

(٤) معاني القرآن: ٢٧٢/٤.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٩/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٩.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

(٩) لطائف الإشارات: ٢٠٨/٣.

الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- يَخْلُف بعضكم بعضًا في الأرض، فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرره وكفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضًا وغضبًا، ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضلالا وهلاكًا.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ} [فاطر : ٣٩]، أي:" الله هو الذي جعلكم -أيها الناس- يَخْلُف بعضكم بعضًا في الأرض"[١].

قال الطبري: يقول:" الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم"[٢].

قال الزجاج:" {خلائف} جمع: خليفة، المعنى جعلكم أمة خلفت من قبلها - ورأت وشاهدت فيمن - سلف ما ينبغي أن يعتبر به"[٣].

قال ابن كثير:" أي : يخلف قوم لآخرين قبلهم ، وجيل لجيل قبلهم ، كما قال : { وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأرْضِ } [النمل : ٦٢]"[٤].

قال قتادة:" أمة بعد أمة، وقرنًا بعد قرن"[٥].

قوله تعالى:{فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ} [فاطر : ٣٩]، أي:" فمن جحد وحدانية الله منكم فعلى نفسه ضرره وكفره"[٦].

قال الطبري: يقول:" فمن كفر بالله منكم أيها الناس فعلى نفسه ضر كفره، لا يضر بذلك غير نفسه، لأنه المعاقب عليه دون غيره"[٧].

قال ابن كثير:" أي : فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره"[٨].

قوله تعالى:{وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا} [فاطر : ٣٩]، أي:" ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بغضًا وغضبًا"[٩].

قال الطبري: يقول:" ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدًا من رحمة الله"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله"[١١].

قوله تعالى:{وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا} [فاطر : ٣٩]، أي:" ولا يزيدهم كفرهم بالله إلا ضلالا وهلاكًا"[١٢].

قال الطبري: " يقول: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكا"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٧٩.

(٣) معاني القرآن: ٤/٢٧٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٥٥٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٥٥٨.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٦/٥٥٨.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٣٨.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

قال ابن كثير:" أي :وكلما استمروا في كفرهم خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحَسُن عمله ، ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة ، وزاد أجره وأحبه خالقه وبارئه رب العالمين ، فسبحان المقدر المدبر رب العالمين "(١).

فوائد الآيات:[٣٦-٣٩]:

١- الكافر يعذب أبدا لعلم الله تعالى به وأنه لو عاش آلاف السنين ما أقلع عن كفره ولا حاول أن يتوب منه فلذا يعذب أبداً.

٢- في كون البشرية أجيالا جيلا يذهب وآخر يأتي مجال للعظة والعبرة والعاقل من اعبر بغيره.

٣- الاستمرار على الكفر لا يزيد صاحبه إلا بعداً عن الرحمة ومقتاً عند الله تعالى والمقت أشد الغضب.

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)} [فاطر : ٤٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للمشركين: أخبروني أيَّ شيء خَلَق شركاؤكم من الأرض، أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركًا مع الله في خلق السموات، أم أعطيناهم كتابًا فهم على حجة منه؟ بل ما يَعِدُ الكافرون بعضهم بعضًا إلا غرورًا وخداعًا.

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [فاطر : ٤٠]، أي: "أخبروني عن شأن آلهتكم الأوثان والأصنام، الذين عبدتموهم من دون الله، وأشركتموهم معه في العبادة، بأي شيء استحقوا هذه العبادة؟"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: {قُلْ} يا محمد لمشركي قومك {أَرَأَيْتُمْ} أيها القوم {شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ..}"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين : { أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ } أي : من الأصنام والأنداد"(٤).

قال الزمخشري:" «أروني» بدل من «أرأيتم»: لأن المعنى: أرأيتم أخبرونى، كأنه قال: أخبرونى عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الإلهية والشركة"(٥).

قوله تعالى:{أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ} [فاطر : ٤٠]، أي:" أروني أيَّ شيء خلقوه في هذه الدنيا من المخلوقات حتى عبدتموهم من دون الله؟"(٦).

قال الطبري:" يقول: أروني أي شيء خلقوا من الأرض"(٧).

قال الزمخشري:" أرونى أي جزء من أجزاء الأرض استبدوا بخلقه دون الله"(٨).

قال قتادة:" لا شيء والله خلقوا منها"(٩).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٥٨/٦.

(٢) انظر: الكشاف: ٦١٧/٣، وصفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٥) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٦) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

(٨) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠.

قوله تعالى:{أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [فاطر : ٤٠]، أي:" أم أن لشركائكم الذين تعبدونهم من دون الله شركًا مع الله في خلق السموات"[١].

قال الطبري:" يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السماوات إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئًا"[٢].

قال الزمخشري:" أم لهم مع الله شركة في خلق السماوات"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ليس لهم شيء من ذلك ، ما يملكون من قطمير"[٤].

قال قتادة:" لا والله ما لهم فيها شرك"[٥].

قوله تعالى:{أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ} [فاطر : ٤٠]، أي:" أم أعطيناهم كتابًا فهم على حجة منه؟"[٦].

قال الطبري:" يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتابًا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بينة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي"[٧].

قال الزمخشري:" أم معهم كتاب من عند الله ينطق بأنهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب"[٨].

قال ابن كثير:" أي : أم أنزلنا عليهم كتابا بما يقولون من الشرك والكفر"[٩].

قال قتادة:" يقول: أم آتيناهم كتابًا فهو يأمرهم أن يشركوا"[١٠].

قوله تعالى:{بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا} [فاطر : ٤٠]، أي:" بل ما يَعِدُ الكافرون بعضهم بعضًا إلا غرورًا وخداعًا"[١١].

قال ابن كثير: أي : " ليس الأمر كذلك، بل إنما اتبعوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيهم التي تمنوها لأنفسهم ، وهي غرور وباطل وزور"[١٢].

قال الزمخشري:" {بل إن يعد بعضهم}: وهم الرؤساء، {بعضا}: وهم الأتباع {إلا غرورا}: وهو قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله"[١٣].

قال الطبري:" وذلك قول بعضهم لبعض {مَا نَعْبُدُهُمْ إلا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}، خداعًا من بعضهم لبعض وغرورًا، وإنما تزلفهم آلهتهم من النار، وتقصيهم من الله ورحمته"[١٤].

القرآن

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

(٣) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠.

(٦) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٠.

(٨) الكشاف: ٦١٧/٣.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٨٠/٢٠-٤٨١.

(١١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(١٣) الكشاف: ٦١٧/٣.

(١٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨١.

{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤١)} [فاطر : ٤١]

التفسير:

إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما، ولئن زالت السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده. إن الله كان حليمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} [فاطر : ٤١]، أي:" إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا عن مكانهما"(١).

قال الطبري:" لئلا تزولا من أماكنهما"(٢).

قال ابن كثير: " أي : أن تضطربا عن أماكنهما ، كما قال : { وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الأرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ } [الحج : ٦٥] ، وقال تعالى : { وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأرْضُ بِأَمْرِهِ } [الروم : ٢٥]"(٣).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ أَنْ تَزُولا} من مكانهما"(٤).

قوله تعالى:{وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ} [فاطر : ٤١]، أي:" ولئن زالت السماوات والأرض عن مكانهما ما يمسكهما من أحد من بعده"(٥).

قال الطبري:" يقول: ولو زالتا، ما أمسكهما أحد سواه"(٦).

قال ابن كثير: " أي : لا يقدر على دوامهما وإبقائهما إلا هو"(٧).

قال أبو وائل: "جاء رجل إلى عبد الله فقال: من أين جئت؟ قال: من الشأم. قال: من لَقيتَ؟ قال: لقيتُ كعبًا. فقال: ما حدثك كعب؟ قال: حدثني أن السماوات تدور على منكب ملك. قال: فصدقته أو كذبته؟ قال: ما صدقته ولا كذبته. قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، وكذب كعب، إن الله يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ}"(٨).

قال إبراهيم: "ذهب جُندَب البَجَلي إلى كعب الأحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبد الله: حدثنا ما حدثك. فقال: حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا، والقطب عمود على منكب ملك. قال عبد الله: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك، ثم قال: ما تنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ أَنْ تَزُولا} كفى بها زوالا أن تدور"(٩).

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا} [فاطر : ٤١]، أي:" إن الله كان حليمًا في تأخير العقوبة عن الكافرين والعصاة، غفورًا لمن تاب من ذنبه ورجع إليه"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٤) أخرجه الطبري :٤٨١/٢٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٥٧/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨١-٤٨٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٣٩.

قال الطبري: يقول:" إن الله كان حليمًا عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفورًا لذنوب من تاب منهم، وأناب إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه"[١].

قال ابن كثير: "وهو مع ذلك حليم غفور، أي : يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه، وهو يحلم فيؤخر وينظر ويؤجل ولا يَعْجَل ، ويستر آخرين ويغفر"[٢].

عن أبي هريرة، قال: "سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى ﷺ على المنبر، قال: وقع في نفس موسى: هل ينام الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه ملكا فأرّقه ثلاثا، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة، أمره أن يحتفظ بهما. قال: فجعل ينام وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى، ثم نام نومة فاصطفقت يداه وانكسرت القارورتان. قال: ضرب الله مثلا له أن الله لو كان ينام لم تستمسك السماء والأرض"[٣].

قال ابن كثير:" والظاهر أن هذا الحديث ليس بمرفوع ، بل من الإسرائيليات المنكرة فإن موسى عليه السلام أجَلّ من أن يُجَوّز على الله سبحانه وتعالى النوم ، وقد أخبر الله تعالى في كتابه العزيز بأنه : { الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ } [البقرة : ٢٥٥]. وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القِسْطَ ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ، وعمل النهار قبل الليل ، حجابه النور أو النار ، لو كشفه لأحرقت سبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»[٤]."[٥].

قال ابن كثير:" وروي عن مالك أنه قال : «السماء لا تدور». واحتج بهذه الآية ، وبحديث : «إن بالمغرب بابا للتوبة لا يزال مفتوحا حتى تطلع الشمس منه»[٦]"[٧].

القرآن

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢)} [فاطر : ٤٢]

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٥٧.

(٣) أخرجه الطبري(٥٧٨٠):ص٥/٣٩٤، وابن ابي حاتم(١٨٠١٥):ص١٠/٣١٨٦. وفي سنده إسحق بن أبى إسرائيل-واسمه إبراهيم- بن كما مجرا، أبو يعقوب المروزي" نزيل بغداد. روى عنه البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والنسائى وغيرهم. قال ابن معين: "من ثقات المسلمين، ما كتب حديثا قط عن أحد من الناس، إلا ما خطه هو في ألواحه أو كتابه".

وكرهه أحمد لوقفه في أن القرآن كلام الله غير مخلوق، فتركه الناس حتى كان الناس يمرون بمسجده، وهو فيه وحيد لا يقربه أحد. وقال أبو زرعة: "عندي أنه لا يكذب، وحدث بحديث منكر". مات سنه ٢٤٠. مترجم في التهذيب.

(٤)صحيح مسلم برقم (١٧٩) وليس في صحيح البخاري ، فإن الحافظ ذكره عند تفسير الآية : ٢٥٥ من سورة البقرة فقال : "وفي الصحيح هكذا بالإفراد".

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/٥٥٨.

(٦) انظر: سنن الترمذي برقم (٣٥٣٦) وصحيح ابن خزيمة برقم (١٩٣) والمسند للإمام أحمد (٤/٢٤٠) من من حديث صفوان بن عسال ، رضي الله عنه ، ولفظه عند ابن خزيمة : "إن بالمغرب بابا مفتوحا للتوبة مسيرته سبعون سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها" نحوه.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٥٨.

التفسير:
وأقسم كفار قريش بالله أشد الأَيْمان: لئن جاءهم رسول من عند الله يخوِّفهم عقاب الله ليكونُنَّ أكثر استقامة واتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ ما زادهم ذلك إلا بُعْدًا عن الحق ونفورًا منه.

قوله تعالى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} [فاطر : ٤٢]، أي:" وأقسم كفار قريش بالله أشد الأَيْمان: لئن جاءهم رسول من عند الله يخوِّفهم عقاب الله ليكونُنَّ أكثر استقامة واتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم"[(١)].

قال الطبري: يقول:" وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم، يقول: أشد الإيمان فبالغوا فيها، لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم"[(٢)].

قال الزجاج:" يعني: المشركين، وكانوا حلفوا واجتهدوا {لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم}، أي: من اليهود والنصارى وغيرهم"[(٣)].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن قريش والعرب أنهم أقسموا بالله جهد أيمانهم ، قبل إرسال الرسول إليهم : { لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الأمَمِ } أي : من جميع الأمم الذين أرسل إليهم الرسل.. كقوله تعالى : { أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا } [الأنعام : ١٥٦ ، ١٥٧]، وكقوله تعالى: {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الأوَّلِينَ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ } [الصافات : ١٦٧ - ١٧٠]"[(٤)].

عن مجاهد: {وأقسموا بالله جهد أيمانهم}، قال: هي يمين"[(٥)].

عن أبي هلال:" أنه بلغه أن قريشا كانت تقول: أن الله بعث منا نبيا ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها ولا أسمع لنبيها ولا أشد تمسكا بكتابها منا، فأنزل الله: {لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ} [الصافات : ١٦٨] {لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُم} [الأنعام : ١٥٧]، {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ} [فاطر : ٤٢]، وكانت اليهود تستفتح به على الأنصار فيقولون: إنا نجد نبيا يخرج"[(٦)].

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا} [فاطر : ٤٢]، أي:" فلما جاءهم محمد ﷺ ما زادهم ذلك إلا بُعْدًا عن الحق ونفورًا منه"[(٧)].

قال الطبري:" يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم، ما زادهم مجيئه من الإيمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق، إلا نفورًا وهربًا"[(٨)].

قال الزجاج:"{فلما جاءهم نذير}، وهو محمد - ﷺ -، {ما زادهم إلا نفورا}، إلا أن نفروا عن الحق"[(٩)].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٢.

(٣) معاني القرآن: ٤/٢٧٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٥٥٩.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٤٧٤٩):ص٨/٢٦٢٤.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠١٨):ص١٠/٣١٨٧.

(٧) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٣.

(٩) معاني القرآن: ٤/٢٧٤.

قال ابن كثير:" {فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ } - وهو : محمد ﷺ - بما أنزل معه من الكتاب العظيم ، وهو القرآن المبين، ما ازدادوا إلا كفرًا إلى كفرهم"(١).
عن قتادة، قوله: "{فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ}، وهو محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"(٢).

القرآن

{اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)} [فاطر : ٤٣]

التفسير:

ليس إقسامهم لقَصْد حسن وطلبًا للحق، وإنما هو استكبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيّئ والخداع والباطل، ولا يحيق المكر السيِّئ إلا بأهله، فهل ينتظر المستكبرون الماكرون إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم الذين سبقوهم، فلن تجد لطريقة الله تبديلا ولا تحويلا فلا يستطيع أحد أن يُبَدِّل، ولا أن يُحَوِّل العذاب عن نفسه أو غيره.

قوله تعالى:{اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ} [فاطر : ٤٣]، أي:" ليس إقسامهم لقَصْد حسن وطلبًا للحق، وإنما هو استكبار في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيِّئ والخداع والباطل"(٣).

قال الطبري:" يقول: نفروا استكبارًا في الأرض وخدعة سيئة، وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به. والمكر هاهنا: هو الشرك"(٤).

قال ابن كثير:" أي : استكبروا عن اتباع آيات الله، ومكروا بالناس في صدِّهم إياهم عن سبيل الله"(٥).

قال الزجاج:" {استكبارا} نصب، مفعول له، المعنى: ما زادهم إلا أن نفروا للاستكبار، {ومكر السيئ}، أي: ومكر الشرك"(٦).

عن قتادة: "{وَمَكْرَ السَّيِّئِ}، وهو الشرك"(٧).

قوله تعالى:{وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر : ٤٣]، أي:" ولا يحيط وبال المكر السيىء إلا بمن مكره ودبَّره"(٨).

قال أبو عبيدة:" لا ينزل ولا يجاوز ولا يحيط إلّا بأهله"(٩).

قال الطبري:" يقول: ولا ينزل المكر السيىء إلا بالذين يمكرونه، والمعنى: أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلا بهم"(١٠).

قال السمعاني:" أي: لا تنزل عقوبة المكر السيئ إلا بأهله، وحقيقة المعنى: أن وبال المكر راجع إليهم"(١).

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨٣.
(٣) التفسير الميسر: ٤٣٩.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.
(٦) معاني القرآن: ٢٧٤/٤-٢٧٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨٣.
(٨) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.
(٩) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٤.

قال ابن كثير:" أي : وما يعود وبال ذلك إلا عليهم أنفسهم دون غيرهم"[٢].
قال مقاتل:" مكر السيئ قول الشرك، ولا يدور قول الشرك إلا بأهله"[٣].
عن قتادة: "{وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ}، وهو الشرك"[٤].
عن أبي زكريا الكوفي عن رجل حدثه :" أن رسول الله ﷺ قال : "إياك ومكر السيئ ، فإنه لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، ولهم من الله طالب"[٥].
عن محمد بن كعب القُرَظِي : "ثلاث من فعلهن لم ينجُ حتى ينزل به من مكر أو بغي أو نكث ، وتصديقها في كتاب الله : { وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ }. { إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ } [يونس : ٢٣] ، { فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ } [الفتح : ١٠]"[٦].
قوله تعالى:{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ} [فاطر : ٤٣]، أي:" فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا عادة الله وسنته في الأمم المتقدمة، من تعذيبهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل؟"[٧].
قال الطبري:" فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليم العقاب، يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم"[٨].
قال الزجاج:" المعنى: فهل ينتظرون إلا أن ينزل بهم من العذاب مثل الذي نزل بمن قبلهم"[٩].
قال أبو عبيدة: {إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ}، معناه:" إلّا دأب الأولين وفعلهم وصنيعهم"[١٠].
قال السمعاني:" أي: طريقة الأولين في الإهلاك ونزول العذاب لهم"[١١].
قال ابن كثير:" يعني : عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره"[١٢].
عن قتادة، قوله: "{فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا سُنَّةَ الأوَّلِينَ}، أي: عقوبة الأولين"[١٣].
قوله تعالى:{فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [فاطر : ٤٣]، أي:" فلن تتغير ولن تتبدل سنته تعالى في خلقه"[١٤].
قال أبو عبيدة: " أي: فى خلقه الأولين والآخرين «تبديلا»"[١٥].

---

(١) تفسير السمعاني: ٣٦٤/٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠/٣.
(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨٤.
(٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٩/٦، وهذا مرسل ولم أجد مَنْ أخرجه غير ابن أبي حاتم ، وقد روى ابن المبارك في الزهد برقم (٧٢٥) عن الزهري مرسلا نحوه.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.
(٧) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٤.
(٩) معاني القرآن: ٢٧٦/٤.
(١٠) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.
(١١) تفسير السمعاني: ٣٦٤/٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦.
(١٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨٤.
(١٤) صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢.
(١٥) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.

قال الطبري:" يقول: فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرًا"[١].
قال ابن كثير:" أي: لا تغير ولا تبدل ، بل هي جارية كذلك في كل مكذب"[٢].
قال ابن أبي زمنين:أي:" لا يبدل الله بها غيرها"[٣].
قال المراغي:أي:" لن يجعل الرحمة موضع العذاب"[٤].
قوله تعالى:{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر : ٤٣]، أي:" فلن تجد لطريقة الله تحويلا، فلا يستطيع أحد أن يحوّل العذاب من المكذبين إلى غيرهم"[٥].
قال الطبري:" يقول: ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلا، يقول: لن يغير ذلك ولا يبدله؛ لأنه لا مرد لقضائه"[٦].
قال ابن كثير:" أي : { وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ } [الرعد : ١١] ، ولا يكشف ذلك عنهم ، ويحوله عنهم أحد"[٧].
قال المراغي:أي:" لن يحول العذاب من نفس إلى أخرى"[٨].
قال السمعاني:" المراد من التكرار في قوله: {فَلَنْ تَجِد لسنة الله تبديلا وَلنْ تَجِد لسنة الله تحويلا}: هو التأكيد"[٩].
قال ابن أبي زمنين:" وأخّر عذاب كفار آخر هذه الأمة إلى النفخة الأولى بالاستئصال؛ بها يكون هلاكهم، وقد عذب أوائل مشركي هذه الأمة بالسيف يوم بدر"[١٠].
فوائد الآيات:[٤٠-٤٣]:
١- تقرير التوحيد وإبطال الشرك والتنديد.
٢- بيان أن المشركين لا دليل لهم على صحة الشرك لا من عقل ولا من كتاب.
٣- بيان قدرة الله ولطفه بعباده ورحمته بهم في إمساك السموات والأرض عن الزوال.
٤- بيان كذب المشركين، ورجوعهم عما كانوا يتقالونه بينهم من أنه لو أرسل إليهم رسول لكانوا أهدى من اليهود أو النصارى.
٥- تقرير حقيقة وهي أن المكر السيء عائد على أهله لا على غيرهم وفي هذا يُرى أن ثلاثة على أهلها رواجع، وهي: المكر السيء، والبغي، والنكث، لقوله تعالى: {إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}، وقوله {فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}، وقوله {وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ}.
القرآن
{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)} [فاطر : ٤٤]
التفسير:

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٥٩/٦-٥٦٠.
(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٦/٤.
(٤) تفسير المراغي: ١٤٠/٢٢.
(٥) انظر: صفوة التفاسير: ٥٣٢/٢، والتفسير الوسيط، مجمع البحوث: ٣٣٨/٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥٦٠/٦.
(٨) تفسير المراغي: ١٤٠/٢٢.
(٩) تفسير السمعاني: ٣٦٤/٤.
(١٠) تفسير ابن أبي زمنين: ٣٦/٤.

أو لم يَسِرْ كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب، حين كذبوا الرسل، وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشًا من كفار «مكة» ؟ وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء في السماوات ولا في الأرض، إنه كان عليمًا بأفعالهم، قديرًا على إهلاكهم.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} [فاطر : ٤٤]، أي:" أو لم يَسِرْ كفار «مكة» في الأرض، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وأمثالهم، وما حلَّ بهم من الدمار، وبديارهم من الخراب، حين كذبوا الرسل"(١).

قال الطبري: يقول:" أولم يَسِرْ يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم {فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} من الأمم التي كانوا يمرون بها ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلا لمن بعدهم، فيتعظوا بهم وينزجروا عمَّا هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله"(٢).

قال ابن كثير:" يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بما جئتهم به من الرسالة : سيروا في الأرض ، فانظروا كيف كان عاقبة الذين كذبوا الرسل ؟"(٣).

قال يحيى:" أي: بلى قد ساروا، فلو تفكروا فيما أهلك الله به الأمم فيحذروا أن ينزل بهم ما نزل بهم وكان عاقبة الذين من قبلهم أن {دمر الله عليهم} [محمد: ١٠] ثم صيرهم إلى النار"(٤).

قوله تعالى:{وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً} [فاطر : ٤٤]، أي:" وكان أولئك الكفرة أشد قوة وبطشًا من كفار «مكة»"(٥).

قال الطبري: يقول:" ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل {وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً}، لن يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم"(٦).

قال ابن كثير:" سلبوا ما كانوا فيه من النِّعَم بعد كمال القوة ، وكثرة العدد والعُدَد ، وكثرة الأموال والأولاد ، فما أغنى ذلك شيئا ، ولا دفع عنهم من عذاب الله من شيء ، لما جاء أمر ربك"(٧).

قال قتادة:" يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم"(٨).

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ]، أي:" وما كان الله تعالى ليعجزه ويفوته من شيء في السماوات ولا في الأرض"(٩).

قال الطبري: يقول:" ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدًا، فيسبقونا هربًا في الأرض إذا نحن أردنا هلاكهم؛ لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السماوات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٥٦١.

(٤) يحيى بن سلام: ٢/٧٩٧.

(٥) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٦١.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٨٥.

(٩) التفسير الميسر: ٤٣٩.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٥.

قال ابن كثير:أي:" لا يعجزه شيء ، إذا أراد كونه في السموات والأرض؟"[١].
عن السدي، قوله: "{وما كان الله ليعجزه}، قال: لن يفوته"[٢].
قال الزجاج:" المعنى: ليفوته من شيء من أمر السماوات ولا من أمر الأرض"[٣].
قال أبو عبيدة:" أي: ليسبقه، ولا يفوته ولا يخفى عليه"[٤].
قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا} [فاطر : ٤٤]، أي:" إنه كان عليمًا بأفعالهم، قديرًا على إهلاكهم"[٥].
قال الطبري: يقول:" إن الله كان عليمًا بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة، ومن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آيب، قديرا على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان"[٦].
قال ابن كثير: أي : عليم بجميع الكائنات ، قدير على مجموعها"[٧].

القرآن

{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)} [فاطر : ٤٥]

التفسير:

ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تَدِبُّ عليها، ولكن يُمْهلهم ويؤخر عقابهم إلى وقت معلوم عنده، فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان بعباده بصيرًا، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر.

قوله تعالى:{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥]، أي:" ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب والمعاصي ما ترك على ظهر الأرض من دابة تَدِبُّ عليها"[٨].
قال الطبري:" يقول: ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها"[٩].
قال ابن كثير: "أي : لو آخذهم بجميع ذنوبهم ، لأهلك جميع أهل الأرض ، وما يملكونه من دواب وأرزاق"[١٠].
قال أبو عبيدة:" معنى: «يؤاخذ»: يعاقب ويكافئ"[١١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٣):ص٣١٨٧/١٠.
(٣) معاني القرآن: ٢٧٦/٤.
(٤) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.
(٥) التفسير الميسر: ٤٣٩.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.
(٨) التفسير الميسر: ٤٣٩.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٥-٤٨٦.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.
(١١) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.

قال يحيى:" {ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا} بما عملوا، لحبس عنهم القطر فهلك ما في الأرض من دابة"[١].

عن سعيد بن جبير، قوله: " {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ}[٢]، قال: ما سقاهم المطر"[٣].

قال السدي:" إذا قحط المطر لم يبق في الأرض دابة إلا ماتت"[٤].

قال مقاتل:" لهلكت الدواب من قحط المطر"[٥].

وفي قوله تعالى:{مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥]، ثلاثة أقوال:

أحدها : يعني: جميع الحيوان مما دب ودرج ، قاله ابن مسعود[٦].

قال ابن مسعود:" كاد الجعل إن يعذب في جحره بذنب ابن آدم، ثم قرأ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ}"[٧].

وفي رواية، قال معمر: "بلغني أن ابن مسعود كان يقرأ هذه الآية فيقول: «كاد الجعل أن يهلك بذنب غيره»"[٨].

وفي رواية:" خطيئة ابن آدم قتلت الجُعْل"[٩].

وقال أنس: "إن الضب ليموت هزلا في جحره بذنب ابن آدم"[١٠].

قال قتادة:" قد فعل ذلك زمان نوح"[١١].

وعن أبي سلمة، قال: "سمع أبو هريرة رجلا وهو يقول: إن الظالم لا يضر إلا نفسه، قال: فالتفت إليه فقال: بلى، والله إن الحبارى لتموت في وكرها هزالا بظلم الظالم"[١٢].

عن قتادة: "{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ}: إلا ما حمل نوح في السفينة"[١٣].

الثاني : من الإنس والجن دون غيرهما، لأنهما مكلفان بالعقل ، قاله الكلبي[١٤].

قال الزجاج:" والذي جاء أنه يعنى به الإنس والجن كأنه أشبه، والله أعلم"[١٥].

الثالث : من الناس وحدهم ، قاله ابن جريج[١٦]، وأبو عبيدة[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٧/٢.

(٢)[النحل : ٦١].

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٤٩):ص٢٢٨٧/٧.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٢٥٥٠):ص٢٢٨٧/٧.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢/٣.

(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠١٩):ص٣١٨٧/١٠.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠١٩):ص٣١٨٧/١٠.

(٨) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٥٢):ص٧٣/٣.

(٩) اخرجه الطبري:٢٣١/١٧.

(١٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٧/٨.

(١١) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٥١):ص٧٣/٣.

(١٢) اخرجه الطبري:٢٣١/١٧.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٨٦/٢٠.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٧٩/٤.

(١٥) معاني القرآن: ٢٧٦/٤.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٤٧٩/٤.

قال أبو عبيدة:" معنى «دابة»: -هاهنا- إنسان"[٢].
قال الزمخشري:أي: " من نسمة تدب عليها، يريد بنى آدم"[٣].
قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى} [فاطر : ٤٥]، أي:" ولكن يُمْهلهم ويؤخر عقابهم إلى وقت معلوم عنده"[٤].
قال الطبري:" يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه"[٥].
قال ابن كثير: " أي : ولكن يُنْظرهُم إلى يوم القيامة"[٦].
قال السمعاني:" أي: إلى مدة معلومة"[٧].
قال مقاتل:" إلى الوقت الذي في اللوح المحفوظ"[٨].
قال يحيى:" يعني: المشركين"[٩].
قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا} [فاطر : ٤٥]، أي:" فإذا جاء وقت عقابهم فإن الله كان بعباده بصيرًا، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمورهم، وسيجازيهم بما عملوا من خير أو شر"[١٠].
قال الطبري: يقول:" فإذا جاء أجل عقابهم فإن الله كان بعباده بصيرًا من الذي يستحق أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعًا، ومن كان فيها به مشركًا، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم"[١١].
قال ابن كثير: " فيحاسبهم يومئذ ، ويوفي كل عامل بعمله ، فيجازي بالثواب أهلَ الطاعة ، وبالعقاب أهل المعصية"[١٢].
قال السمعاني:" أي: بصيرا بأعمالهم يجازيهم عليها، الحسنة بالحسنة، والسيئة بالسيئة"[١٣].
قال مقاتل:" لم يزل الله- عز وجل- بعباده بصيرا"[١٤].
فوائد الآيتين:[٤٤-٤٥]:
١- مشروعية السير في الأرض للعبرة لا للتنزه واللهو واللعب.
٢- بيان أن الله لا يعجزه شيء وذلك لعلمه وقدرته وهي حال توجب الترهيب منه تعالى والإنابة إليه.

---

(١) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.
(٢) مجاز القرآن: ١٥٦/٢.
(٣) الكشاف: ٦١٩/٣ .
(٤) التفسيرالميسر: ٤٣٩.
(٥) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.
(٧) تفسير السمعاني: ٣٦٥/٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢/٣.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٧/٢.
(١٠) التفسيرالميسر: ٤٣٩.
(١١) تفسير الطبري: ٤٨٦/٢٠.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٦١/٦.
(١٣) تفسير السمعاني: ٣٦٥/٤.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢/٣.

٣- حرمة استعجال العذاب فإن لكل شيء أجلاً ووقتاً معيناً لا يتم قبله فلا معنى للاستعجال بحال.

«آخر تفسير سورة (فاطر)، والحمد لله وحده»

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة «يس»

سورة «يس»: هي السورة «السادسة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «الحادية والأربعون» بحسب ترتيب النزول، نزلت بعد سورة: «الجن»[(١)]، عدد آياتها ثمانون وثلاث آيات عند الكوفيين واثنتان عند الباقين، وكلماتها سبعمائة وتسع وعشرون، وحروفها ثلاثة آلاف، المختلف فيها آية واحدة {يس} [يس : ١]، مجموع فواصل آياتها: «من»[(٢)].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة يس»:**

سميت هذه السورة «يس» بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف؛ لأنها انفردت بهما[(٣)]؛ فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما عَلَماً عليها. وكذلك ورد ورد اسمها عن النبي ﷺ[(٤)].

ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:

الاسم الأول:- «قلب القرآن»:

سميت بذلك لوصفها في قول النبي -ﷺ-:" إن لكل شيء قلبا، وإن قلب القرآن يس.."[(٥)]. يس.."[(٥)].

ويبدو وجه إطلاق ذلك عليها، لأن الإيمان صحته بالاعتراف بالحشر، والحشر مقرر في هذه السورة بأبلغ وجه، فجعله قلب القرآن لذلك، قاله أبو حامد الغزالي، واستحسنه فخر الدين الرازي[(٦)].

وقيل: لاحتواء السورة مع قصر نظمها وصغر حجمها على الآيات الساطعة، والبراهين القاطعة والعلوم المكنونة، والمعاني الدقيقة، والمواعيد الرغيبة، والزواجر البالغة، والإشارات الباهرة، والشواهد البليغة، وغير ذلك مما لو تدبره المؤمن السليم لصدر عنه الرأي"[(٧)].

قال ابن عاشور:" وهي تسمية غير مشهورة"[(٨)].

الاسم الثاني والثالث:- «سورة المعمة» و«سورة الدافعة القاضية»:

روي عن الصلت، أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سورة يس في التوراة تدعى المعمة"، قيل: ما المعمة؟ قال: " تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة وتكابد عنه بلوى الدنيا، وتدفع عنه أهوال الآخرة، وتدعى المدافعة القاضية تدفع عن صاحبها كل سوء، وتقضي له كل حاجة من قرأها عدلت له عشرين حجة، ومن سمعها

---

(١) انظر: الكشاف:٣/٤.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٠.

(٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

(٤) كما سيأتي في فضائل السورة.

(٥) سنن الدرامي(٣٤٥٩):ص٢١٤٩/٤، وسنن الترمذي(٢٨٨٧):ص١٢/٥.

(٦) انظر: مفاتيح الغيب: ٣١٢/٢٦. وفيه كلام الغزالي.

(٧) شرح الطيبي: ٢٥٥/٤.

(٨) التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٢.

عدلت له ألف دينار في سبيل الله، من كتبها ثم شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت عنه كل غل وداء"»[١].

فيظهر وجه التسمية من الحديث السابق، لأنها تعم صاحبها بخيري الدنيا والآخرة، وسميت بالدافعة والقاضية، لأنها تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة.

الاسم الرابع:- «سورة العظيمة عند الله»:

أورد هذه التسمية الالوسي، مستندا إلى حديث عائشة-رضي الله عنها-، قالت: " قال رسول الله ﷺ: إن في القرآن لسورة تدعى العظيمة عند الله يدعى صاحبها الشريف عند الله يشفع صاحبها يوم القيامة في أكثر من ربيعة ومضر"[٢].

وهذه التسمية وصف تشريفي للسورة بأن صاحبها يكون ذو مكانة عظيمة عند الله تعالى يم القيامة. والله أعلم.

الاسم الخامس:- «سورة الحبيب النجار»:

سماها بذلك الفيروزآبادي[٣]، وذكر ابن عاشور ان هذه اتسمية وردت في مصحف مشرقي نسخ نسخ سنة:«١٠٧٨هـ»، والذي يظهر انه في بلاد العجم عنوانها «سورة حبيب النجار»، قال ابن عاشور:" وهذه التسمية غريبة لانعرف لها سندا"[٤].

وذكر الفيروزآبادي سبب تسميتها بذلك، لاشتمالها على قصة«حبيب النجار» في قوله تعالى: {وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٢٠].

وبعد فإن هذه الأسماء الخمسة البعض منها أوصاف للسورة مثل:«قلب القرآن، العظيمة عند الله»، وأما تسميتعم إياها بسورة: «المعممة والدافعة والقاضية وحبيب النجار»، فهذه التسميات لم يثبت فيها حديث صحيح. والله أعلم.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدهما: أنها نزلت بمكة. قاله ابن عباس[٥]، وعائشة[٦]،والحسن[٧]، وعكرمة[٨]، وقتادة[٩]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٠].

قال الفيروزآبادى:" السورة مكية بالإجماع"[١١].

قال ابن عطية:" هذه السورة مكية بإجماع"[١٢].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٧):ص٦٦٩/١. وقال: " تفرد به محمد بن عبد الرحمن هذا عن سليمان، وهو منكر ".

(٢) اورده السيوطي في الدر المنثور: ٤٠/٧، وعزاه إلى أبي نصر السجزي في الإبانة، قال:"وحسنه".

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

(٤) التحرير والتنوير: ٣٤١/٢٢.

(٥) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٣٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٦) أورده السيوطي في الدر المنثور:٣٧/٧، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٨) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٩) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(١١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

(١٢) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

الثاني: أنها مكية إلا آية منها، وهي قوله: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ال} [يس : ٤٧]، حكاه ابن الجوزي عن ابن عباس، وقتادة[١].

قال ابن الجوزي:وحكي أبو سليمان الدمشقي أنها مدنية، وقال: ليس بالمشهور"[٢].

وقال ابن عطية:" إلا أن فرقة قالت إن قوله، ونكتب ما قدموا وآثارهم [يس: ١٢] نزلت في بني سلمة من الأنصار حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد رسول الله ﷺ فقال لهم: «دياركم تكتب آثاركم» ، وكره رسول الله ﷺ أن يعروا المدينة، وعلى هذا فالآية مدنية وليس الأمر كذلك، وإنما نزلت الآية بمكة ولكنه احتج بها عليهم في المدينة ووافقها قول النبي ﷺ في المعنى، فمن هنا قال من قال إنها نزلت في بني سلمة"[٣].

مناسبة سورة«يس» مع سورة «فاطر»:

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- إنه لما جاء في السورة السالفة قوله: {وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ} [فاطر : ٣٧]، وقوله: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ} [فاطر : ٤٢]، وقد أعرضوا عنه وكذبوه- افتتح هذه السورة بالقسم بصحة رسالته وأنه على صراط مستقيم لينذر قوما ما أنذر آباؤهم.

٢- إنه قال فيما قبلها «وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى» وقال في هذه: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس : ٣٨]، وقال: {وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس : ٣٩][٤].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تضمنت سورة«يس» تقرير الأصول الثلاثة: الوحدانية، والرسالة، والحشر، بأقوى البراهين، إذ جاءت فاتحتها ببيان الرسالة، بقوله سبحانه: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٣]، وجاءت خاتمتها ببيان الوحدانية والحشر؛ فقوله عز وجل: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى التوحيد. وقوله تعالى: { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس : ٨٣]، إشارة إلى الحشر.

قال البقاعي:" وليس في هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة ودلائلها، ومن حصل من هذا القرآن هذا القدر، فقد حصل نصيب قلبه، وهو التصديق الذي بالجنان. وأما الذي باللسان، والذي بالأركان، ففي غير هذه السورة"[٥].

وقال ابن عاشور:"قامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القَدَر، وعلم الله، والحشر، والتوحيد، وشكر المنعم -وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل، ومنها تتفرع الشريعة- وإثبات الجزاء على الخير والشر، مع إدماج الأدلة من الآفاق والأنفس بتفنن عجيب، فكانت هذه السورة جديرة بأن تسمى «قلب القرآن»؛ لأن من تقاسيمها تتشعب شرايين القرآن كله، وإلى وتينها ينصب مجراها"[٦].

وقد ذكر الفيروز آبادي أن السورة اشتملت على جملة من المقاصد، هي:" تأكيد أمر القرآن، والرسالة، وإلزام الحجة على أهل الضلالة، وضرب المثل فى أهل أنطاكية، وذكر حبيب النجار، وبيان البراهين المختلفة فى إحياء الأرض الميتة، وإبداء الليل، والنهار، وسير الكواكب، ودور الأفلاك، وجرى الجوارى المنشآت فى البحار، وذلة الكفار عند الموت، وحيرتهم ساعة البعث، وسعد المؤمنين المطيعين، وشغلهم فى الجنة، وميز المؤمن من الكافر

---

(١) انظر: زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٢) زاد المسير: ٥١٦/٣.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٤٥/٤.

(٤) انظر: تفسير المراغي:١٤٤/٢٢.

(٥) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: ٣٩٣/٢.

(٦) التحرير والتنوير: ٣٤٤/٢٢. الوتين: عرق يتعلق به القلب، إذا انقطع مات صاحبه.

فى القيامة، وشهادة الجوارح على أهل المعاصى بمعاصيهم، والمنة على الرسول صلى الله عليه وسلم بصيانته من الشعر ونظمه، وإقامة البرهان على البعث، ونفاذ أمر الحق فى كن فيكون، وكمال ملك ذى الجلال على كل حال فى قوله: {فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس : ٨٣]"(١).

وعلى الجملة يمكن ذكر مقاصد هذه السورة وفق التالي:

١- التحدي بإعجاز القرآن بالحروف المقطعة، وبالقَسَم بالقرآن؛ تنويهاً به، ووصفه بـ {الْحَكِيمِ} [يس : ٢] إشارة إلى بلوغه أعلى درجات الإحكام.

٢- أَوْلَت السورة أهمية لبناء أسس العقيدة؛ فتعرضت لطبيعة الوحي، وصدق الرسالة منذ افتتاحها، ولقضية الألوهية والوحدانية، واستنكار الشرك على لسان الرجل المؤمن، الذي جاء من أقصى المدينة ساعياً؛ ليحاج قومه في شأن المرسلين.

٣- تحقيق رسالة النبي ﷺ، وتفضيل الدين الذي جاء به في كتاب منزل من الله؛ لإبلاغ الأمة الغاية السامية، وهي استقامة أمورها في الدنيا، والفوز في الآخرة.

٤- وصف إعراض أكثر مشركي قريش عن تلقي الإسلام، وتمثيل حالهم الشنيعة، وحرمانهم من الانتفاع بهدي الإسلام، وأن الذين اتبعوا دين الإسلام، هم أهل الخشية، وأن الإسلام هو الدين الموصوف بالصراط المستقيم.

٥- ضرب المثل لفريقي المتبعين والمعرضين من أهل القرى بما سبق من حال أهل القرية، الذين شابه تكذيبهم الرسل تكذيب قريش، وكيف كان جزاء المعرضين من أهلها في الدنيا، وجزاء المتبعين في الآخرة. إضافة إلى ضرب المثل بالأعم، وهم القرون الذين كذبوا، فأهلكوا.

٦- التذكير بأعظم حادثة حدثت على المكذبين للرسل والمتمسكين بالأصنام من الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام منذراً لهم، فهلك من كذب، ونجا من آمن.

٧- ذكر جملة من الآيات الكونية التي بثها سبحانه في الكون، والامتنان على عباده بالنعمة التي تتضمنها تلك الآيات. وبيان دلالة تلك الآيات والنعم على تفرد خالقها ومنعمها بالوحدانية؛ إيقاظاً للعباد من غفلتهم، وإرشاداً لهم للافتكار والاعتبار.

٨- وجهت السورة نداء الحسرة على العباد، الذين ما يفتؤون يكذبون كل رسول، ويستهزئون به، غير معتبرين بمصارع المكذبين، ولا متيقظين لآيات الله في الكون، وهي كثيرة.

٩- ذكر دلائل التوحيد المشوبة بالامتنان؛ للتذكير بواجب الشكر على النعم بالتقوى والإحسان وترقب الجزاء. والإقلاع عن الشرك والاستهزاء بالرسول عليه الصلاة والسلام، واستعجال وعيد العذاب، والتحذير من حلوله بغتة حين يفوت التدارك.

١٠- بينت السورة أن الإنذار إنما ينفع من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب، فاستعد قلبه لاستقبال دلائل الهدى وموحيات الإيمان.

١١- التذكير بما عهد الله إلى عباده مما أودعه في فِطَرهم من قابليات واستعدادات.

١٢- الاستدلال على عداوة الشيطان للإنسان، والإرشاد إلى اتباع دعاة الخير.

١٣- نفت السورة أن يكون ما جاء به النبي ﷺ شعر، ونفت عن الرسول كل علاقة بالشعر أصلاً.

١٤- النعي على المشركين اتخاذهم آلهة من دون الله، يبتغون عندهم النصر، وهم الذين يقومون بحماية تلك الآلهة المدعاة.

١٥- تسلية الرسول ﷺ بأن لا يحزنه قول الذين أشركوا، وأن له بالله أسوة، إذ خلقهم، فعطلوا قدرته عن إيجادهم مرة ثانية، ولكنهم راجعون إليه، لا مفر لهم من ذلك.

---

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٩٠/١.

١٦- القضية التي اشتد عليها التركيز في السورة، وترددت في مواضع كثيرة منها، هي قضية البعث والنشور؛ وذلك بغرض الاستدلال على تقريب البعث وإثباته، وتذكير العباد بالنشأة الأولى من نطفة؛ ليروا أن إحياء العظام وهي رميم كتلك النشأة ولا غرابة[١].

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: "من قرأ يس كل ليلة غفر له"[٢].
- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له تلك الليلة "[٣].
- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: " من قرأ يس ابتغاء وجه الله غفر له"[٤].
- عن أبي عثمان، أن أبا هريرة، قال: " من قرأ يس مرة فكأنما قرأ القرآن عشر مرات " وقال أبو سعيد: " من قرأ يس مرة، فكأنما قرأ القرآن مرتين". قال أبو هريرة: "حدث أنت عما سمعت وأحدث أنا بما سمعت"[٥].
- عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: " لكل شيء قلب، وإن قلب القرآن يس من قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات "[٦].
- عن حسان بن عطية، أن رسول الله ﷺ قال: " من قرأ يس فكأنما قرأ القرآن عشر مرات"[٧].
- عن معقل بن يسار المزني، أن النبي ﷺ قال: " من قرأ يس ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له ما تقدم من ذنبه فاقرءوها عند موتاكم "[٨].
- عن معقل بن يسار، قال: قال رسول الله ﷺ: " سورة يس اقرءوها عند موتاكم ". وفي رواية عبدان. " اقرءوها على موتاكم ". قال الحليمي رضي الله عنه: " يعني: على المحتضرين"[٩].
- عن أبي قلابة، قال: " من حفظ عشر آيات من الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن قرأ الكهف في يوم الجمعة حفظ من الجمعة إلى الجمعة، وإذا أدرك الدجال لم يضره وجاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن قرأ يس غفر له، ومن قرأها وهو جائع شبع، ومن قرأها وهو ضال هدي، ومن قرأها وله ضالة وجدها، ومن قرأها عند طعام خاف قلته كفاه، ومن قرأها عند ميت هون عليه، ومن قرأها عند امرأة عسر عليها ولدها يسر عليها،ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن إحدى عشرة مرة، ولكل شيء قلب، وقلب القرآن يس"[١٠].

---

(١) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٤):ص٤/٩٤.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٥):ص٤/٩٥.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٦):ص٤/٩٦.

(٥) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٨):ص٤/٩٨.

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٣):ص٤/٩٤.

(٧) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٢):ص٤/٩٤. [مرسل]

(٨) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣١):ص٤/٩٣.

(٩) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٠):ص٤/٩٢.

(١٠) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٣٩):ص٤/٩٨. قال البيهقي:" " هذا نقل إلينا بهذا الإسناد من قول

- عن أبي جعفر محمد بن علي، قال: " من وجد في قلبه قسوة فليكتب {يس والقرآن الحكيم} في جام بزعفران، ثم يشربه"[1].

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

أبي قلابة وكان من كبار التابعين، ولا يقوله إن صح ذلك عنه إلا بلاغا".

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(٢٢٤٠):ص٤/٩٩. قال البيهقي رحمه الله: " كذا روي في هذه الحكاية وفي الحديث قبلها وكان إبراهيم يكره ذلك ولو صح الحديث لم يكن للكراهة معنى إلا أن في صحته نظرا، والله أعلم ".

القرآن

{يس (١)} [يس : ١]

التفسير:

{يس}: سبق الكلام على الحروف المقطَّعة في أول سورة البقرة.

وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {يس} [يس : ١]، وجوها من التفسير:

أحدها : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة[١].

قال قتادة:" كل هجاء في القرآن اسم من أسماء القرآن"[٢].

الثاني : أنه اسم من أسماء الله تعالى أقسم به ، قاله ابن عباس[٣].

وقال أشهب: "سألت مالك بن أنس أينبغي لأحد أن يتسمى بيس؟ فقال: ما أراه ينبغي لقوله: يس والقرآن الحكيم يقول: هذا أسمي، تسميت به"[٤].

وعن الحسن، قوله:"{يس والقرآن الحكيم}، قال: يقسم الله بما يشاء، ثم نزع بهذه الآية {سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ} [الصافات : ١٣٠]، كأنه يرى أنه سلم على رسوله"[٥].

عن يحيى بن أبي كثير، قوله: "{يس والقرآن الحكيم}، قال: يقسم بألف عالم إنك لمن المرسلين"[٦].

قال ابن عطية:" ومن قال إنه اسم من أسماء السورة أو من أسماء القرآن فذلك من الأقوال المشتركة في أوائل جميع السور"[٧].

الثالث : أنه فواتح من كلام الله تعالى افتتح به كلامه ، قاله مجاهد[٨].

الرابع : أنه : يا محمد، قاله محمد بن الحنفية[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، والضحاك[١١].

قال الثعلبي:" دليله قوله: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٣]، وقال السيد الحميري[١٢]:

يا نفسُ لا تَمْحَضي بالنصح جامدة ... على المَوَدّةِ إلاّ آلَ ياسينا"[١٣].

وقال أبو بكر الوراق: "يا سيد البشر"[١٤].

وروى علي -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله -ﷺ- يقول :«إن الله تعالى سماني في القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله »[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٩.

(٢) أخرجه الطبري :٢٠/ ٤٩٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٨.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٥):ص١٠/٣١٨٨.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٦):ص١٠/٣١٨٨.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٧):ص١٠/٣١٨٨.

(٧) المحرر الوجيز: ٤/٤٤٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٨.

(٩) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٥/٥، وابن الجوزي في زاد المسير: ٣/٥١٦.

(١٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨/١٢٠.

(١١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٣/٥١٦.

(١٢) اونظر: البيت في المحرر الجيز: ٤/٤٤٥، والبحر المحيط في التفسير: ٩/٤٨.

ورواية البحر:" يا نفسُ لا تَمْحَضي بالودّ جاهدةً".

(١٣) الكشف والبيان: ٨/١٢٠.

(١٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ٨/١٢٠.

الخامس : أنه: يا إنسان : قاله ابن عباس[٢]، أيضا، والحسن[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، والضحاك[٥]، وعكرمة[٦].
ثم اختلفوا فيه:
فقال ابن عباس، وسعيد بن جبير، وعكرمة هي: "بلغة الحبشة"[٧].
وحكى الكلبي: "أنه بالسريانية"[٨].
وقال الشعبي : "هو بلغة طيىء". وحكاه الثعلبي عن ابن عباس[٩].
وقال آخرون : "هي بلغة كلب"[١٠].
السادس : أنه: يا رجل، قاله الحسن[١١]، وأبو العالية[١٢].
السابع: أن المعنى: يئس من كذب رسول الله -ﷺ- أن يكون مؤمناً بالله ، نفياً للإيمان أن يكون إلا بالشهادتين ، واليأس أبلغ في النفي من جميع ألفاظه. أفاده الماوردي[١٣].
قال الشوكاني:" وذهب قوم الى ان الله تعالى لم يجعل لاحد سبيلا الى ادراك معانى الحروف المقطعة فى أوائل السور وقالوا ان الله تعالى متفرد بعلمها ونحن نؤمن بانها من جملة القرآن العظيم ونكل علمها اليه تعالى ونقرأها تعبدا وامتثالا لامر الله وتعظيما لكلامه وان لم نفهم منها ما نفهمه من سائر الآيات"[١٤].
وهذا القول هو الأصح الأسلم الذي عليه أكثر السلف. والله أعلم.
قرأ حمزة والكسائي وخلف في أكثر الروايات:«يس»، بكسر الياء بين اللفظين قراءة أهل المدينة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم. والباقون: بفتح الياء، وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وحمزة وأيوب وأبو حاتم وعاصم في أكثر الروايات، «يسين»، بإظهار النون والسكون. واختلف فيه عن نافع وابن كثير، فقرأ عيسى بن عمر: «يس» بالنصب، شبهه بـ «أين» و«كيف»، وقرأ ابن أبي إسحاق بكسر النون، شبهه بـ«أمس ورقاش وحذام»، وقرأ هارون الأعور: بضم النون، شبهه بـ:«منذ وحيث وقط». الآخرون: بإخفاء النون[١٥].

---

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون: ٥/٥، والقرطبي في التفسير: ٣/١٥، والنووي في تهذيب الأسماء واللغات:٣٧٢/٣. ولم اجد له إسناد فيما توفرت عندي من المصادر.
(٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٢٤):ص٣١٨٨/١٠، وتفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٨٨.
(٤) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
(٥) حكاه عنه النحاس في معاني القرآن: ٤٧١/٥.
(٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
(٧) حكاه الطبري عن ابن عباس، في التفسير: ٢٠/ ٤٨٨، وحكاه ابن الجوزي عن سعيد بن جبير وعكرمة في زاد المسير: ٥١٦/٣.
(٨) انظر: النكت والعيون: ٥/٥-٦.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٢٠/٨.
(١٠) حكاه الماوردي في النكت والعيون: ٦/٥.
(١١) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥١٦/٣.
(١٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٠/٨.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ٦/٥.
(١٤) روح البيان: ٣٦٥/٧.
(١٥) انظر: السبعة في القراءات: ٥٣٨، والكشف والبيان: ١٢٠/٨.

القرآن

{وَالقرآن الْحَكِيمِ (٢) إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٣) عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٤)} [يس : ٢ - ٤]

التفسير:

يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج، إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده، على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام.

قوله تعالى:{وَالقرآن الْحَكِيمِ} [يس : ٤]، أي:" يقسم الله تعالى بالقرآن المحكم بما فيه من الأحكام والحكم والحجج"[١].

قال الطبري:" يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبيِّنات حججه"[٢].

قال مقاتل:" الحكيم: يعني المحكم من الباطل"[٣].

قال ابن كثير:" أي : المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس : ٤]، أي:" إنك -أيها الرسول- لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مقسمًا بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده"[٦].

قال ابن كثير:" {إِنَّكَ } يا محمد { لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}"[٧].

عن قتادة: "{وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ}، قسم كما تسمعون"[٨].

قوله تعالى:{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [يس : ٤]، أي:" على طريق مستقيم معتدل، وهو الإسلام"[٩].

قال الطبري:" يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الإسلام"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : على منهج ودين قويم ، وشرع مستقيم"[١١].

عن قتادة: "{عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}، أي: على الإسلام"[١٢].

قال مقاتل:" لأن غير دين الإسلام ليس بمستقيم"[١٣].

قال السعدي:" أخبر بأعظم أوصاف الرسول ﷺ، الدالة على رسالته، وهو أنه {عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} معتدل، موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وذلك الصراط المستقيم، مشتمل على أعمال، وهي الأعمال الصالحة، المصلحة للقلب والبدن، والدنيا والآخرة، والأخلاق الفاضلة،

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٠.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٣/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٦) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٠.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(١٠) تفسير الطبري: ٤٩٠/٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٠.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٣/٣.

المزكية للنفس، المطهرة للقلب، المنمية للأجر، فهذا الصراط المستقيم، الذي هو وصف الرسول ﷺ، ووصف دينه الذي جاء به، فتأمل جلالة هذا القرآن الكريم، كيف جمع بين القسم بأشرف الأقسام، على أجل مقسم عليه، وخبر الله وحده كاف، ولكنه تعالى أقام من الأدلة الواضحة والبراهين الساطعة في هذا الموضع على صحة ما أقسم عليه، من رسالة رسوله ما نبهنا عليه"[1].

القرآن

{تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥)} [يس : ٥]

نزل الله هذا القرآن تنزيل العزيز في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي، الرحيم بمن تاب من عباده وعمل صالحًا.

قال الطبري: أي:" إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الرب العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له"[2].

قال يحيى:" يعني: القرآن، هو تنزيل العزيز الرحيم، نزل مع جبريل على محمد ﷺ"[3].

قال ابن كثير:" أي : هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به مُنزل من رب العزة ، الرحيم بعباده المؤمنين ، كما قال تعالى : { وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأمُورُ } [الشورى : ٥٢ ، ٥٣]"[4].

قال السعدي:" فهو الذي أنزل به كتابه، وأنزله طريقا لعباده، موصلا لهم إليه، فحماه بعزته عن التغيير والتبديل، ورحم به عباده رحمة اتصلت بهم، حتى أوصلتهم إلى دار رحمته، ولهذا ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين: «العزيز»«الرحيم»"[5].

وقرئ:«تَنزيلُ الْعَزِيزِ» برفع «تنزيل»[6].

القرآن

{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ (٦)} [يس :٦]

التفسير:

أنزلناه عليك -أيها الرسول- لتحذر به قومًا لم يُنْذَرْ آباؤهم من قبلك، وهم العرب، فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح.

قوله تعالى:{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ} [يس :٦]، أي:" أنزلناه عليك -أيها الرسول- لتحذر به قومًا لم يُنْذَرْ آباؤهم من قبلك، وهم العرب"[7].

قال ابن كثير:" يعني بهم : العرب ؛ فإنه ما أتاهم من نذير من قبله. وذكرهم وحدهم لا ينفي مَنْ عداهم كما زعمه بعض النصارى، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم"[8].

---

(١) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩١.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٧٩٩/٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(٥) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

قال السعدي:" هم العرب الأميون، الذين لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل الله إليهم رسولا من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومن لحق بهم من كل أمي، ويذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصا، وعلى غيرهم عموما"[١].

وفي قوله تعالى:{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ} [يس :٦]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنه عام، ومعناه: لتنذر قوماً كما أنذر آباؤهم، يعني: من كانوا قبل قريش. قاله عكرمة[٢]، والسدي[٣].

عن عكرمة في هذه الآية :"{لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ}، قال: قد أنذروا"[٤].

قال الأخفش:" قال بعضهم: «ما أنذره آبآؤهم فهم غافلون»، فدخول الفاء في هذا المعنى كأنه لا يجوز - والله أعلم -"[٥].

الثاني : أنهم قريش أنذروا بنبوة محمد -ﷺ- ولم ينذر آباؤهم من قبلهم ، حكاه قتادة[٦]، واختاره الأخفش[٧]، والزجاج[٨].

قال قتادة:" يقول بعضهم: لم يأتهم نذير قبلك ، ويقول بعضهم: {ما أنذر آباؤهم}، يقول: مثل الذي أنذر آباؤهم"[٩].

قال الأخفش:" أي: قوم لم ينذر آباؤهم، لأنهم كانوا في الفترة"[١٠].

قال الزجاج:" وجاء في التفسير: لتنذر قوما لم ينذر آباؤهم، فيكون «ما» جحدا - وهذا - والله أعلم - الاختيار؛ لأن قوله {فهم غافلون} دليل على معنى لم ينذر آباؤهم وإذا كان قد أنذر آباؤهم فهم غافلون ففيه بعد، ولكنه قد جاء في التفسير. ودليل النفي قوله: {وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ} [سبأ : ٤٤]، ولوكان آباؤهم منذرين لكانوا منذرين دارسين لكتب – والله أعلم"[١١].

قوله تعالى:{فَهُمْ غَافِلُونَ} [يس :٦]، أي:" فهؤلاء القوم ساهون عن الإيمان والاستقامة على العمل الصالح"[١٢].

قال الطبري:" يقول: فهم غافلون عما الله فاعل: بأعدائه المشركين به، من إحلال نقمته، وسطوته بهم"[١٣].

---

(١) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩١.

(٣) حكاه يحيى بن سلام عنه في التفسير: ٨٠٠/٢، والماوردي في النكت والعيون: ٦/٥.

(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩١.

(٥) معاني القرآن: ٤٨٨/٢.

(٦) انظر: تفسير عبدالرزاق(٢٤٦١):ص٧٦/٣، وتفسير يحيى بن سلام: ٧٩٩/٢-٨٠٠.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٤٨٨/٢.

(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٧٨/٤.

(٩) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٦١):ص٧٦/٣.

(١٠) معاني القرآن: ٤٨٨/٢.

(١١) معاني القرآن: ٢٧٨/٤.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(١٣)تفسيرالطبري: ٢٠/ ٤٩٢ .

القرآن

{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧) إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ (٨)} [يس :٧-٨]

التفسير:

لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرِض عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه. إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرض عليهم الحق فردُّوه، وأصرُّوا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جُعِل في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه.

قوله تعالى:{لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [يس : ٧]، أي:" لقد وجب العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين، بعد أن عُرِض عليهم الحق فرفضوه، فهم لا يصدقون بالله ولا برسوله، ولا يعملون بشرعه"[(١)].

قال الطبري:" لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون رسوله"[(٢)].

قوله تعالى:{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ} [يس : ٨]، أي:" إنا جعلنا هؤلاء الكفار الذين عُرض عليهم الحق فردُّوه، وأصرُّوا على الكفر وعدم الإيمان، كمن جُعِل في أعناقهم أغلال، فجمعت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم، فاضطروا إلى رفع رؤوسهم إلى السماء، فهم مغلولون عن كل خير، لا يبصرون الحق ولا يهتدون إليه"[(٣)].

قال الطبري:يقول:" إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقهم بالأغلال، فلا تُبسط بشيء من الخيرات.. {فَهُمْ مُقْمَحُونَ} و«المقمَح»: هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة، وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاض بصره بعد رفع رأسه"[(٤)].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : إنا جعلنا هؤلاء المحتوم عليهم بالشقاء نسبتهم إلى الوصول إلى الهدى كنسبة من جُعل في عنقه غل ، فجَمَع يديه مع عنقه تحت ذقنه ، فارتفع رأسُه ، فصار مقمَحا"[(٥)].

عن ابن عباس، قوله: "{إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا فَهِيَ إِلَى الأذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ}، قال: هو كقول الله: {وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ}، يعني: بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسطوها بخير"[(٦)].

عن مجاهد، قوله: "{فَهُمْ مُقْمَحُونَ}، قال: رافعو رءوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم"[(٧)].

قال قتادة:" أي: فهم مغلولون عن كل خير"[(٨)].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٢)تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٢ .

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٤)تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٣ .

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦٣/٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٤.

القرآن
{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (٩)} [يس :٩]
التفسير:
وجعلنا من أمام الكافرين سدًّا ومن ورائهم سدًّا، فهم بمنزلة من سُدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه، فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشدًا، ولا يهتدون. وكل من قابل دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، فهو حقيق بهذا العقاب.
سبب النزول:
عن عكرمة قال: "قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا لأفعلن ولأفعلن، فأنزلت: {إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالا} .. إلى قوله: {فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ}، قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول أين هو، أين هو؟ لا يبصره"[١].
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا} [يس :٩]، أي:" وجعلنا من أمام الكافرين سدًّا ومن ورائهم سدًّا، فهم بمنزلة من سُدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه"[٢].
قال الطبري: يقول:" وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سدًّا، وهو الحاجز بين الشيئين، والمعنى: أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يَعْمَهُونَ، ولا يبصرون رشدًا، ولا يتنبهون حقًّا"[٣].
قال السعدي:" أي: حاجزا يحجزهم عن الإيمان، {فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ} قد غمرهم الجهل والشقاء من جميع جوانبهم، فلم تفد فيهم النذارة"[٤].
عن مجاهد، قوله: "{مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا}، قال: عن الحق فهم يترددون"[٥].
عن قتادة: "{وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا}، قال: ضلالات"[٦].
قال ابن زيد:" جعل هذا سدًّا بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ {وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ} وقرأ {إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ}... الآية كلها، وقال: من منعه الله لا يستطيع"[٧].
قوله تعالى:{فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [يس :٩]، أي:" فأعمينا أبصارهم؛ بسبب كفرهم واستكبارهم، فهم لا يبصرون رشدًا، ولا يهتدون"[٨].
قال الطبري:" يقول: فأغشينا أبصار هؤلاء، أي: جعلنا عليها غشاوة؛ فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به"[٩].
قال السمعاني:" {فأغشيناهم} من التغشية والتغطية، أي: أعميناهم، {فهم لا يبصرون} طريق الحق"[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٥-٤٩٦.
(٢) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٤.
(٤) تفسير السعدي: ٦٩٢.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٥.
(٨) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٥.
(١٠) تفسير السمعاني: ٤/٣٦٩.

قال ابن كثير:" أي : أغشينا أبصارهم عن الحق ، { فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ}، أي : لا ينتفعون بخير ولا يهتدون إليه"[١].

عن قتادة: "{فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ}، هدى، ولا ينتفعون به"[٢].

ورُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: "«فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» بالعين، بمعنى: أعشيناهم عنه، وذلك أن العَشَا هو أن يمشي بالليل ولا يبصر"[٣].

قال السدي:" ائتمر ناس من قريش بالنبي ﷺ ليسطوا عليه فجاؤا يريدون ذلك فجعل الله: {من بين أيديهم سدا}، قال: ظلمة، {ومن خلفهم سدا}، قال: ظلمة {فأغشيناهم فهم لا يبصرون}، قال: فلم يبصروا النبي ﷺ"[٤].

قال محمد بن كعب القرظي: "اجتمع قريش. وفيهم أبو جهل على باب النبي ﷺ، فقالوا على بابه: إن محمدا يزعم أنكم إن بايعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم، وبعثتم من بعد موتكم، فجعلت لكم نار تحرقون فيها، فخرج رسول الله ﷺ، وأخذ حفنة من تراب في يده قال: «نعم. أقول ذلك، وأنت أحدهم، وأخذ الله على أبصارهم فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم، وهو يتلو هذه الآيات: { يس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ }، إلى قوله: {فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ }، حتى فرغ رسول الله ﷺ من هؤلاء الآيات، فلم يبق رجل إلا وضع على رأسه ترابا، فوضع كل رجل منهم يده على رأسه، وإذا عليه تراب فقالوا: لقد كان صدقنا الذي حدثنا»[٥].

قال ابن إسحاق:" وقد بلغ النبيّ ﷺ قول أبي جهل فقال : "وأنا أقول ذلك : إن لهم مني لذبحا ، وإنه أحدهم"[٦].

القرآن

{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠)} [يس : ١٠]

التفسير:

يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك، فهم لا يصدِّقون ولا يعملون.

قوله تعالى:{وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ} [يس :١٠]، أي:" يستوي عند هؤلاء الكفار المعاندين تحذيرك لهم -أيها الرسول- وعدم تحذيرك"[٧].

قال الطبري: يقول:" وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول، أي: الأمرين كان منك إليهم؛ الإنذار، أو ترك الإنذار"[٨].

قال الصابوني:" لأن من خيَّم على عقله ظلام الضلال، وعشعشت في قبله شهوات الطغيان، لا تنفعه القوارع والزواجر"[٩].

قوله تعالى:{لَا يُؤْمِنُونَ} [يس :١٠]، أي:" فهم لا يصدِّقون ولا يعملون"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦٤/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٥.

(٣) تفسير الطبري:٢٠/ ٤٩٦.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٣٣):ص٣١٨٩/١٠.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٢٩):ص٣١٨٨/١٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٦٤/٦-٥٦٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٦.

(٩) صفوة التفاسير: ٦/٣.

قال الطبري: يقول:" فإنهم لا يؤمنون؛ لأن الله قد حكم عليهم بذلك"[٢].
قال ابن كثير:" أي : قد ختم الله عليهم بالضلالة ، فما يفيد فيهم الإنذار ولا يتأثرون به"[٣].
قال السمعاني:" هذا في أقوام بأعيانهم، وقد مضوا ولم يؤمنوا على ما قال الله تعالى"[٤].
قال السعدي:" وكيف يؤمن من طبع على قلبه، ورأى الحق باطلا والباطل حقا؟!"[٥].

القرآن

{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ (١١)} [يس : ١١]

التفسير:

إنما ينفع تحذيرك مَن آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله، وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله، فبشِّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة.

قوله تعالى:{إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ} [يس :١١]، أي:" إنما ينفع تحذيرك مَن آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله"[٦].
قال الطبري: يقول:" إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن، واتبع ما فيه من أحكام الله"[٧].
قال السمعاني:" أي: استمع الذكر، وهو القرآن، واتبع ما فيه"[٨].
قال ابن كثير:" أي : إنما ينتفع بإنذارك المؤمنون الذين يتبعون الذكر ، وهو القرآن العظيم"[٩].
قال قتادة:" واتباع الذكر: اتباع القرآن"[١٠].
قوله تعالى:{وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ} [يس :١١]، أي:" وخاف الرحمن، حيث لا يراه أحد إلا الله"[١١].
قال قتادة:" خشي عذاب الله وناره"[١٢].
قال السمعاني:" أي: خاف الرحمن بالغيب"[١٣].
قال الطبري: " يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا المنافق الذي يستخف بدين الله إذا خلا ويظهر الإيمان في الملأ ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٦.
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٦٥/٦.
(٤) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.
(٥) تفسير السعدي: ٦٩٢.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٦.
(٨) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٥٦٥/٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٦.
(١١) التفسير الميسر: ٤٤٠.
(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٣٦):ص٣١٨٩/١٠.
(١٣) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.

قال ابن كثير:" أي : حيث لا يراه أحد إلا الله ، يعلم أن الله مطلع عليه ، وعالم بما يفعله"[٢].

قال أبو حيان:" {وخشي الرحمن}، أي: المتصف بالرحمة، مع أن الرحمة قد تعود إلى الرجاء، لكنه مع برحمته هو يخشاه خوفا من أن يسلبه ما أنعم به عليه بالغيب، أي بالخلوة عند مغيب الإنسان عن غيوب البشر"[٣].

قال السعدي:" أي: من اتصف بهذين الأمرين، القصد الحسن في طلب الحق، وخشية الله تعالى، فهم الذين ينتفعون برسالتك، ويزكون بتعليمك"[٤].

قوله تعالى:{فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ} [يس :١١]، أي:" فبشِّره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه في الآخرة على أعماله الصالحة، وهو دخوله الجنة"[٥].

قال الطبري: " يقول: فبشر يا محمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة"[٦].

قال ابن كثير:" { فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ } أي : لذنوبه ، { وَأَجْرٍ كَرِيمٍ } أي : كبير واسع حسن جميل ، كما قال : { إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ } [الملك : ١٢]"[٧].

عن قتادة:" {فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ}، قال: الجنة"[٨].

القرآن

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (١٢)} [يس :١٢]

التفسير:

إنا نحن نحيي الأموات جميعًا ببعثهم يوم القيامة، ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سببًا فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان، وكلَّ شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أمُّ الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ.

سبب النزول:

عن أبي سعيد الخدري، قال: "شكت بنو سَلِمة بُعد منازلهم إلى النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم فنزلت: {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}، فقال: «عَلَيكُمْ مَنَازِلَكُم تُكْتَبُ آثارُكم»"[٩].

قال ابن عباس:" كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا إلى المسجد فنزلت: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}، فقالوا: نثبت في مكاننا"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٦.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٦٥.

(٣) البحر المحيط: ٩/٥١-٥٢.

(٤) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٦.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٦٥.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٣٦):ص١٠/٣١٨٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٧-٤٩٨.

قوله تعالى:{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَى} [يس :١٢]، أي:" إنا نحن نحيي الأموات جميعًا ببعثهم يوم القيامة"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره {إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى} من خلقنا"[٢].

قال السعدي:" أي: نبعثهم بعد موتهم لنجازيهم على الأعمال"[٣].

قال السمعاني:" أي: في الآخرة، ويقال: يحيي القلوب الميتة بنور الإيمان"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة ، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يحيي قلب مَنْ يشاء من الكفار الذين قد ماتت قلوبهم بالضلالة، فيهديهم بعد ذلك إلى الحق ، كما قال تعالى بعد ذكر قسوة القلوب:{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الحديد : ١٧]"[٥].

قوله تعالى:{وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس :١٢]، أي:" ونكتب ما عملوا من الخير والشر، وآثارهم التي كانوا سببًا فيها في حياتهم وبعد مماتهم من خير، كالولد الصالح، والعلم النافع، والصدقة الجارية، ومن شر، كالشرك والعصيان"[٦].

قال الطبري:يقول:" {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا} في الدنيا من خير وشر، وصالح الأعمال وسيئها، وآثار خطاهم بأرجلهم"[٧].

وفي قوله تعالى:{وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ} [يس :١٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : {ما قدموا}: هو ما عملوا من خير أو شر، {وآثارهم}: ما أثروا من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعدهم ، قاله سعيد بن جبير[٨].

قال سعيد:" سنوا من سنة فعملوا بها من بعد موتهم"[٩].

وقال مجاهد:" ما قدموا من خير وآثارهم قال: ما أورثوا من الضلالة"[١٠].

وفي الحديث:«من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا»[١١].

الثاني : {ما قدموا}: أعمالهم، {وآثارهم}: خطاهم إلى المساجد ، قاله مجاهد[١٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٧.

(٣) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٦٩/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦٥/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٧.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٤٢):ص١٠/٣١٩٠.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٤٢):ص١٠/٣١٩٠.

(١٠)أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٤٣) :ص١٠/٣١٩٠.

(١١)أخرجه الطيالسى (ص ٩٢، رقم ٦٧٠) ، وأحمد (٣٥٧/٤، رقم ١٩١٧٩) ، ومسلم (٢٠٥٩/٤، رقم ١٠١٧) ، والترمذى (٤٣/٥، رقم ٢٦٧٥) ، والنسائى (٧٥/٥، رقم ٢٥٥٤) ، وابن ماجه (٧٤/١، رقم ٢٠٣) ، وابن حبان (١٠١/٨ رقم ٣٣٠٨) وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٣٥٠/٢، رقم ٩٨٠٣) ، والطبرانى (٣٤٣/٢، رقم ٢٤٣٧) ، والبيهقى (١٧٥/٤ رقم ٧٥٣٠). من حديث جرير.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٤٠):ص١٠/٣١٩٠.

عن مجاهد، قوله: "{مَا قَدَّمُوا}، قال: أعمالهم"[١]، "{وَآثَارَهُمْ}، قال: خطاهم بأرجلهم"[٢].

عن الحسن: "{وآثارهم}، قال: خطاهم"[٣].

قال أنس:" هذا في الخطو يوم الجمعة"[٤].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا}، من عمل"[٥].

قال ابن زيد، في قوله :"{وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا}، قال: ما عملوا"[٦].

قال قتادة:" لو كان مغفلا شيئا من أثر ابن آدم لاغفل هذا الأثر التي تعفها الرياح، ولكن أحصر على ابن آدم أثره وعمله كله حتى أحصى هذا الأثر فيما هو في طاعة الله أو معصيته فمن استطاع منكم أن يكتب أثره في طاعة الله، فليفعل"[٧].

قال ابن عباس:" كانت الأنصار بعيده منازلهم من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا، قال: فنزلت: {وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ}، فثبتوا"[٨].

قال جابر:" أراد بنو سَلِمة قرب المسجد، قال: فقال لهم رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ إِنَّها تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»"[٩].

وفي رواية قال جابر:" أراد بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال: «يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ إِنَّها تُكْتَبْ آثَارُكُمْ»، قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرنا أنا كنا تحولنا"[١٠].

عن الحسن:" أن بني سَلِمة كانت دورهم قاصية عن المسجد، فهموا أن يتحولوا قرب المسجد، فيشهدون الصلاة مع النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فقال لهم النبي صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم: "ألا تَحْتَسِبون آثارَكم يا بني سَلِمة؟ " فمكثوا في ديارهم"[١١].

قال ثابت:" مشيت مع أنس، فأسرعت المشي، فأخذ بيدي، فمشينا رُويدا، فلما قضينا الصلاة قال أنس: مشيت مع زيد بن ثابت، فأسرعت المشي، فقال: يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب؟"[١٢].

قال ابن كثير:" وهذا القول(أي القول الثاني) لا تنافي بينه وبين الأول ، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأولى والأحرى ، فإنه إذا كانت هذه الآثار تُكتَب ، فلأن تُكْتَبَ تلك التي فيها قُدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى ، والله أعلم"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٨، وابن ابي حاتم(١٨٠٤٠):ص١٠/٣١٩٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٩.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٣٩):ص١٠/٣١٩٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٧.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٤١):ص١٠/٣١٩٠، والطبري: ٢٠/ ٤٩٩.[باختصار].

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٨.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٩٨.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٤٩٨.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٦/٥٦٨.

قوله تعالى:{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} [يس :١٢]، أي:" وكلَّ شيء أحصيناه في كتاب واضح هو أمُّ الكتب، وإليه مرجعها، وهو اللوح المحفوظ"(١).

قال الطبري: يقول:" وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب، وهو الإمام المبين. وقيل {مُبِينٌ}، لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه"(٢).

قال السعدي:" {وَكُلَّ شَيْءٍ} من الأعمال والنيات وغيرها {أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ} أي: كتاب هو أم الكتب وإليه مرجع الكتب، التي تكون بأيدي الملائكة، وهو اللوح المحفوظ"(٣).

عن مجاهد: "{فِي إِمَامٍ مُبِينٍ}، قال: في أم الكتاب"(٤).

قال قتادة:" كل شيء محصًى عند الله في كتاب"(٥).

قال ابن زيد:" أم الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي: الإمام المبين"(٦).

فوائد الآيات:[١-١٢]:

١- تقرير النبوة المحمدية وتأكيد رسالته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢- بيان الحكمة من إرسال الرسول وإنزال الكتاب الكريم.

٣- بيان أن الرسول محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث على فترة من الرسل، وكل أمة ينقطع عنها الإنذار تقع في الغفلة، وفي هذا دليل على وجوب الدعوة والتذكير على العلماء بالله وشرعه؛ لإيقاظ المسلمين من غفلتهم.

٤- بيان أن حب الدنيا والإقبال عليها والإعراض عن الآخرة وعدم الالتفات إليها يضعان الإنسان بين حاجزين لا يستطيع تجاوزهما والتخلص منهما.

٥- بيان أن الذنوب تقيد صاحبها وتحول بينه وبين فعل الخير أو قبول الحق.

٦- بيان أن من سن سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده يجزى بها كما يجزى على عمله الذي باشره بيده، فعلى العاقل محاسبة نفسه؛ ليكون قدوة في الخير في حياته وبعد مماته.

٧- تقرير عقيدة القضاء والقدر وأن كل شيء في كتاب المقادير المعبر عنه بالإمام. ومعنى «المبين»، أي: أن ما كتب فيه بين واضح لا يجهل منه شيء.

القرآن

{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ (١٤)} [يس :١٤]

التفسير:

واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومك الرادِّين لدعوتك مثلا يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون، إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذَّب أهل القرية الرسولين، فقويناهما برسول ثالث، فقال الثلاثة لأهل القرية: إنا إليكم -أيها القوم- مرسلون.

قوله تعالى:{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ} [يس :١٣]، أي:" واضرب -أيها الرسول- لمشركي قومك الرادِّين لدعوتك مثلا يعتبرون به، وهو قصة أهل القرية، حين ذهب إليهم المرسلون"(٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٠.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٩.

(٣) تفسير السعدي: ٦٩٢.

(٤) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٩.

(٥) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٩.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٤٩٩.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤١.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية-ذُكر أنها أنطاكية- {إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ}"[١].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : واضرب - يا محمد - لقومك الذين كذبوك { مَثَلا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ }"[٢].

قال الزمخشري:" أى: اذكر لهم قصة عجيبة قصة أصحاب القرية"[٣].

قال مقاتل:" {واضرب لهم مثلا}: وصف لهم- يا محمد- شبها لأهل مكة في الهلاك {أصحاب القرية}: أنطاكية، {إذ جاءها المرسلون}"[٤].

واختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية على قولين:

أحدهما: نهم كانوا رسلا أرسلهم الله إليهم. قاله ابن عباس[٥]، وكعب الأحبار[٦]، ووهب بن منبه[٧].

عن ابن إسحاق، فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه، قال: "كان بمدينة أنطاكية، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدوق، وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما، ثم عزز الله بثالث، فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي أمرت به، وعابت دينه، وما هم عليه، قال لهم (إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيم}"[٨].

الثاني: أنهم كانوا رسل عيسى ابن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم. قاله قتادة[٩]، واختاره الزمخشري[١٠].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن عيسى ابن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية -مدينة بالروم- فكذبوهما فأعزهما بثالث {فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ}"[١١].

قال الثعلبي:" وإنما أضاف الإرسال إليه لأن عيسى -عليه السلام- إنما بعثهم بأمره عز وجل، وكانوا في جملة الرسل، فقالوا جميعا لأهل أنطاكية: {إنا إليكم مرسلون}"[١٢].

عن عكرمة: "{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}، قال: أنطاكية"[١٣].

عن بريدة: {أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ}، قال: أنطاكية"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٤٩٩-٥٠٠.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٦٨/٦.

(٣) الكشاف: ٧/٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٠٠/٢٠.

(١٠) انظر: الكشاف: ٧/٤-٨.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٠.

(١٢) الكشف والبيان: ١٢٥/٨.

(١٣) أخرجه الطبري: ٥٠٠/٢٠.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٤٦):ص٣١٩١/١٠.

قال الماوردي:" هذه القرية هي أنطاكية من قول جميع المفسرين"[١].

عن عبد الملك يعني ابن عمير قال: "قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي ﷺ: ابعثني إلى قومي أدعوهم إلى الإسلام، فقال رسول الله ﷺ، «انطلق» فانطلق فمر على اللات والعزى لا عزى، أسلموا تسلموا. يا معشر الأحلاف، إن العزى لا عزى، وإن اللات لا لات، أسلموا تسلموا قال ذلك ثلاث مرات، فرماه رجل فأصاب أكحله فقتله فبلغ رسول الله ﷺ فقال: «هذا مثله كمثل صاحب يس قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين"[٢].

قال الزمخشري:" القرية: أنطاكية. والمرسلون رسل عيسى عليه السلام إلى أهلها، بعثهم دعاة إلى الحق وكانوا عبدة أوثان. أرسل إليهم اثنين، فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس، فسألهما فأخبراه، فقال: أمعكما آية؟ فقالا: نشفى المريض ونبرئ الأكمه والأبرص، وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه، فقام، فآمن حبيب وفشا الخبر، فشفى على أيديهما خلق كثير، ورقى حديثهما إلى الملك وقال لهما: ألنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك، فقال: حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس وضربوهما. وقيل: حبسا، ثم بعث عيسى عليه السلام شمعون، فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به، ورفعوا خبره إلى الملك فأنس به، فقال له ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولانه؟ فقال: لا، حال الغضب بيني وبين ذلك، فدعاهما، فقال شمعون: من أرسلكما؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال: صفاه وأوجزا. قالا: يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. قال: وما آيتكما؟ قالا: ما يتمنى الملك، فدعا بغلام مطموس العينين، فدعوا الله حتى انشق له بصر، وأخذا بندقتين فوضعاهما في حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما، فقال له شمعون: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف. قال: ليس لي عنك سر، إن إلهنا لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون أنه منهم، ثم قال:

إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به، فدعوا بغلام مات من سبعة أيام فقام وقال: إنى أدخلت في سبعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا، وقال: فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن هم؟ قال شمعون، وهذان، فتعجب الملك. فلما رأى شمعون أن قوله قد أثر فيه نصحه فآمن وآمن معه قوم، ومن لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلام صيحة فهلكوا"[٣].

قوله تعالى:{إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا} [يس :١٤]، أي:" إذ أرسلنا إليهم رسولين لدعوتهم إلى الإيمان بالله وترك عبادة غيره، فكذَّب أهل القرية الرسولين"[٤].

قال الطبري: يقول:" حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله فكذبوهما"[٥].

قال ابن كثير:" أي : بادروهما بالتكذيب"[٦].

واختلف أهل التفسير في اسمي الرسولين على أقوال:

أحدها : أنهما: شمعون ويوحنا ، قاله شعيب الجبائي[٧].

الثاني : صادق وصدوق ، قاله ابن عباس[١]، وكعب الأحبار[٢]، ووهب بن منبه[٣].

---

(١) النكت والعيون: ٥/١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٤٧):ص١٠/٣١٩١.

(٣) الكشاف: ٤/٧-٨.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٦٩.

(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٥٠):ص١٠/٣١٩٢.

الثالث : يحيى وبولس. قاله وهب أيضا[٤].
الرابع: تومان ويونس. قاله مقاتل[٥].
الخامس : سمعان ويحيى ، حكاه الماوردي عن النقاش[٦].

قوله تعالى:{فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} [يس :١٤]، أي:" فقويناهما برسول ثالث"[٧].

قال الطبري: يقول:" فكذبوهما فشددناهما بثالث، وقويناهما به"[٨].

قال ابن كثير:" أي : قويناهما وشددنا أزرهما برسول ثالث "[٩].

وفي قوله تعالى:{فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ} [يس :١٤]، ثلاثة وجوه:

أحدها : فشددنا ، قاله مجاهد[١٠]، والسدي[١١].

قال أبو العالية:" لكي تكون عليهم الحجة أشد، فأتوا أهل القرية فدعوهم إلى الله وحده وعبادته لا شريك له، فكذبوهم"[١٢].

قال الفراء:" يقول: شدّدنا أمرهما بما علمهما الأول شمعون. وكانوا أرسلوا إلى أنطاكية"[١٣].

الثاني : قوينا، قاله ابن زيد[١٤].

قال ابن زيد:" جعلناهم ثلاثة، قال: ذلك التعزز، قال: والتعزز: القوة"[١٥].

الثالث : قوينا وشددنا. قاله أبو عبيدة[١٦]، وابن قتيبة[١٧]. قال النّمر بن تولب[١٨]:

كأنّ جمرة أو عزّت لها شبها ... بالجذع يوم تلاقينا بإرمام

قال أبو عبيدة:"وفى المثل: من عزّ بزّ[١٩]: من قهر سلب وتفسير، «بزّ» انتزع"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٤) انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل: ١٨٥/١٦.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٠/٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠١.

(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٣/٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٤٩):ص٣١٩١/١٠.

(١٣) معانيالقرآن: ٣٧٣/٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠١.

(١٦) مجاز القرآن: ١٥٨/٢-١٥٩.

(١٧) غريب القرآن: ٣٦٤.

(١٨) ديوان النمر بن تولب ١١٠- ١١٢، وانظر: الحيوان ٣: ١٢٠، وديوان المعاني للعسكري ٢: ١٣.

«أرمام» : جبل فى ديار باهلة بن أعصر وقيل أرمام واد ... ألح. (معجم ما استعجم ١/ ١٤١).

(١٩) انظر: الأمثال للميداني ٢/ ١٧٤ وتفسير القرطبي ١٥/ ١٤ واللسان (عزز) والفرائد ٢/ ٢٦٧.

قال ابن قتيبة:"يقال: عزز منه؛ أي: قو من قلبه. وتعزز لحم الناقة: إذ صلب"[٢].
الرابع : فزدنا، قاله مجاهد في رواية أخرى[٣]. وحكاه الماوردي عن ابن جريج[٤].
واختلف في اسم الرسول الثالث، على أقوال:
أحدها : بولص. قاله شعيب[٥].
الثاني: يونس. حكاه الماوردي عن شعيب[٦].
الثالث : سلوم[٧]، قاله ابن عباس[٨]، وكعب الأحبار[٩]، ووهب بن منبه[١٠].
الرابع : شمعون. قاله مقاتل[١١].

قال مقاتل:" فقال شمعون للملك: أشهد أنهما رسولان أرسلهما ربك الذي في السماء، فقال الملك لشمعون: أخبرني بعلامة ذلك فقال شمعون: إن ربي أمرني أن أبعث لك ابنتك، فذهبوا إلى قبرها، فضرب القبر برجله. فقال: قومي بإذن إلهنا الذي في السماء، الذي أرسلنا إلى هذه القرية واشهدي لنا على والدك فخرجت الجارية من قبرها، فعرفوها فقالت يا أهل القرية آمنوا بهؤلاء الرسل، وإني أشهد أنهم أرسلوا إليكم، فإن سلمتم يغفر لكم ربكم، وإن أبيتم ينتقم الله منكم. ثم قالت لشمعون: ردني إلى مكاني فإن القوم لن يؤمنوا لكم، فأخذ شمعون قبضة من تراب قبرها فوضعها على رأسها، ثم قال عودي مكانك، فعادت، فلم يؤمن منهم غير حبيب النجار، كان من بني إسرائيل، وذلك أنه حين سمع بالرسل جاء مسرعا فآمن وترك عمله، وكان قبل إيمانه مشركا"[١٢].

قال الماوردي:"وكان ملك أنطاكية أحد الفراعنة يعبد الأصنام مع أهلها ، وكانت لهم ثلاثة أصنام يعبدونها، ذكر النقاش أن أسماءها رومس، وقيل: وارطميس"[١٣].
واختلف في اسم الملك على قولين :
أحدهما : أن اسمه: أنطيخس ، قاله ابن عباس[١٤]، وكعب الأحبار[١٥]، ووهب بن منبه[١٦].
الثاني : انطرا ، حكاه الماوردي عن شعيب[١٧].

---

(١) مجاز القرآن: ٢/١٥٨-١٥٩.
(٢) غريب القرآن: ٣٦٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠١.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٥/١٠.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٥٠):ص١٠/٣١٩٢.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٥/١٠.
(٧) وفي بعض الروايات: «شلوم».
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٧٥.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٧٥.
(١٣) النكت والعيون: ٥/١٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٠.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ٥/١٠.

قوله تعالى:{فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ} [يس :١٤]، أي:" فقال الثلاثة لأهل القرية: إنا إليكم -أيها القوم- مرسلون"[١].

قال الطبري:" يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إنَّا إليكم أيها القوم مرسلون، بأن تُخْلِصوا العبادة لله وحده، لا شريك له، وتتبرءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام"[٢].

القرآن

{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥)} [يس :١٥]

التفسير:

قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا، وما أنزل الرحمن شيئًا من الوحي، وما أنتم -أيها الرسل- إلا تكذبون.

قوله تعالى:{قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا} [يس :١٥]، أي:" قال أهل القرية للمرسلين: ما أنتم إلا أناس مثلنا"[٣].

قال الطبري:" قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلا أُناس مثلنا، ولو كنتم رسلا كما تقولون، لكنتم ملائكة"[٤].

قال ابن كثير:" أي : فكيف أوحيَ إليكم وأنتم بشر ونحن بشر ، فلم لا أوحيَ إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلا لكنتم ملائكة. وهذه شبه كثير من الأمم المكذبة، كما أخبر الله تعالى عنهم في قوله : { ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا } [التغابن : ٦] ، فاستعجبوا من ذلك وأنكروه. وقوله : { قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ } [إبراهيم : ١٠]. وقوله حكاية عنهم في قوله : { وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ } [المؤمنون : ٣٤] ، { وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولا } ؟ [الإسراء : ٩٤]"[٥].

قوله تعالى:{وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ} [يس :١٥]، أي:" وما أنزل الرحمن شيئًا من الوحي"[٦].

قال الطبري:" يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء"[٧].

قوله تعالى:{إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ} [يس :١٥]، أي:" وما أنتم -أيها الرسل- إلا تكذبون"[٨].
تكذبون"[٨].

قال الطبري:"{إِنْ أَنْتُمْ إِلا تَكْذِبُونَ} في قيلكم إنكم إلينا مرسلون"[٩].

قال البغوي:أي:" ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠١.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠١.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠١-٥٠٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠١-٥٠٢.

القرآن
{قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧)} [يس :١٦-١٧]
التفسير:
قال المرسلون مؤكدين: ربُّنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده.
قوله تعالى:{قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} [يس : ١٦]، أي:" قال المرسلون مؤكدين: ربُّنا الذي أرسلنا يعلم إنا إليكم لمرسلون"[٢].
قال الطبري:" يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إنَّا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإنَّا لصادقون"[٣].
قال ابن كثير:" أي : أجابتهم رسلهم الثلاثة قائلين : الله يعلم أنا رسله إليكم ، ولو كنا كَذَبة عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار ، كقوله تعالى:{ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } [العنكبوت : ٥٢]"[٤].
قال السمعاني:" فإن قيل: كيف يكون علم الله تعالى أنهم رسل الله حجة عليهم؟
الجواب عنه: أن معناه: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون بما أظهر على أيدينا من الآيات والمعجزات؛ فصارت الحجة قائمة بالآيات والمعجزات، لا بنفس العلم"[٥].
قال الشوكاني:" فأكدوا الجواب بالقسم الذي يفهم من قولهم: {ربنا يعل}م، وب،«إن»، وبـ«اللام»"[٦].
قال الزمخشري:" قوله: {ربنا يعلم}، جار مجرى القسم في التوكيد، وكذلك قولهم: شهد الله، وعلم الله. وإنما حسن منهم هذا الجواب الوارد على طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم: {وما علينا إلا البلاغ}، {المبين}، أى: الظاهر المكشوف بالآيات الشاهدة لصحته، وإلا فلو قال المدعى: والله إنى لصادق فيما أدعي ولم يحضر البينة كان قبيحا"[٧].
قوله تعالى:{وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [يس : ١٧]، أي:" وما علينا إلا تبليغ الرسالة بوضوح، ولا نملك هدايتكم، فالهداية بيد الله وحده"[٨].
قال السمعاني:" أي: الإبلاغ البين"[٩].
قال الطبري:" يقول: وما علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغًا يبين لكم أنَّا أبلغناكموها، فإن قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا، والله ولي الحكم فيه"[١٠].

---

(١) تفسير البغوي: ١٣/٧.
(٢) التفسير الميسر: ٤٤١.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٢.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦.
(٥) تفسير السمعاني: ٣٧١/٤.
(٦) فتح القدير: ٤١٨/٤.
(٧) الكشاف: ٩/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٤٤١.
(٩) تفسير السمعاني: ٣٧١/٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٢.

قال ابن كثير:" يقولون إنما علينا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم ، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة ، وإن لم تجيبوا فستعلمون غِبَّ ذلك ، والله أعلم"[١].

قال الشوكاني:" أي: ما يجب علينا من جهة ربنا إلا تبليغ رسالته على وجه الظهور والوضوح، وليس علينا غير ذلك"[٢].

القرآن

{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨)} [يس :١٨]

التفسير:

قال أهل القرية: إنا تَشَاءَمْنا بكم، لئن لم تكُفُّوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رميًا بالحجارة، وليصيبنكم منَّا عذاب أليم موجع.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} [يس :١٨]، أي:" قال أهل القرية: إنا تَشَاءَمْنا بكم"[٣].

بكم"[٣].

قال الطبري:" قال أصحاب القرية للرسل: إنَّا تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم"[٤].

قال ابن كثير:" قال لهم أهل القرية : لم نرَ على وجوهكم خيرًا في عيشنا "[٥].

قال الزمخشري:أي:" تشاء منابكم، وذلك أنهم كرهوا دينهم ونفرت منه نفوسهم، وعادة الجهال أن يتيمنوا بكل شيء مالوا إليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم، ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه، فإن أصابهم نعمة أو بلاء قالوا ببركة هذا وبشؤم هذا، كما حكى الله عن القبط: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف : ١٣١]. وعن مشركي مكة: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِك} [النساء : ٧٨]. وقيل: حبس عنهم القطر فقالوا ذلك"[٦].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ} [يس :١٨]، ثلاثة وجوه:

أحدها : معناه: تشاءمنا بكم، وذلك أن المطر حبس عنهم، ففقالوا أصابنا هذا الشر، يعنون: قحط المطر. من قبلكم. قاله مقاتل[٧].

قال الماوردي:"قيل إنه حبس المطر عن أنطاكية في أيامهم"[٨] .

الثاني : معناه: إن أصابنا شر فإنما هو من أجلكم ، قاله قتادة[٩].

قال الماوردي: وذلك:" تحذيراً من الرجوع عن دينهم"[١٠].

الثالث : استوحشنا منكم فيما دعوتمونا إليه من دينكم. حكاه الماوردي[١١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦.

(٢) فتح القدير: ٤١٨/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٦.

(٦) الكشاف: ٩/٤.

(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.

(٨) النكت والعيون: ١١/٥.

(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٥١):ص٣١٩٢/١٠.

(١٠) النكت والعيون: ١٢/٥.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١١/٥.

قوله تعالى:{لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ} [يس :١٨]، أي:" لئن لم تكُفُّوا عن دعوتكم لنا لنقتلنكم رميًا بالحجارة"[١].

قال الطبري:" يقول: لئن لم تنتهوا عمَّا ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل: عني بذلك لنرجمنكم بالحجارة"[٢].

قال مقاتل:" لئن لم تسكتوا عنا لنقتلنكم"[٣].

عن قتادة:" {لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ} بالحجارة"[٤].

قال السدي:" يعني: لنقتلنكم"[٥].

قال الحسن:" لنرجمنكم بالحجارة حتى نقتلكم بها"[٦].

قال الفراء:" يريد: لنقتلنكم. وعامة ما كَانَ فِي القرآن من الرجم فهو قتل «٢» ، كقوله :{وَلَوْلا رَهْطُكَ لَرَجَمْناكَ}[هود : ٩١]"[٧].

قوله تعالى:{وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ} [يس :١٨]، أي:" وليصيبنكم منَّا عذاب أليم موجع"[٨].

قال الطبري:" يقول: ولينالنكم منَّا عذاب موجع"[٩].

قال ابن كثير:" أي : عقوبة شديدة"[١٠].

قال يحيى:أي:" موجع قبل أن نقتلكم"[١١].

قال الشوكاني:" هو التعذيب المؤلم من غير تقييد بنوع خاص وهذا هو الظاهر"[١٢].

القرآن

{قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (١٩)} [يس :١٩]

التفسير:

قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشر معكم ومردودة عليكم، أإن وُعظتم بما فيه خيركم تشاءمتم وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟ بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتكذيب.

قوله تعالى:{قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ} [يس :١٩]، أي:" قال المرسلون: شؤمكم وأعمالكم من الشرك والشر معكم ومردودة عليكم"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.

(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٥١):ص٣١٩٢/١٠.

(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤/٢.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤/٢.

(٧) معاني القرآن: ٣٧٤/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٤/٢.

(١٢) فتح القدير: ٤١٨/٤.

(١٣) التفسير الميسر: ٤٤١.

قال الطبري:" قالت الرسل لأصحاب القرية :أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم، وسبق لكم من الله"[١].

قال السمعاني:" أي: شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم الرسل"[٢].

قال ابن كثير:" فقالت لهم رسلهم : { طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ } أي : مردود عليكم ، كقوله تعالى في قوم فرعون : { فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ } [الأعراف : ١٣١] ، وقال قوم صالح : {اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ } [النمل : ٤٧]"[٣].

قال الشوكاني:" أي: شأمكم معكم من جهة أنفسكم، لازم في أعناقكم، وليس هو من شؤمنا"[٤].

قال مقاتل:" الذي أصابكم كان مكتوبا فى أعناقكم"[٥].

عن قتادة:" أي: أعمالكم معكم"[٦].

عن ابن عباس، وعن كعب وعن وهب بن منبه،:" قالت لهم الرسل: {طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ}، أي: أعمالكم معكم"[٧].

قال الفراء:" الطائر هاهنا: الأعمال والرزق. يقول: هُوَ فِي أعناقكم"[٨].

قوله تعالى:{أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ} [يس :١٩]، أي:" أإن وُعظتم بما فيه خيركم تشاءمتم وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟"[٩].

قال ابن كثير:" أي : من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له ، قابلتمونا بهذا الكلام ، وتوعدتمونا وتهددتمونا ؟"[١٠].

عن قتادة:" يقول: أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا؟"[١١].

قال السدي:" يعني: وعظتم"[١٢].

قال مقاتل:" أئن وعظتم بالله- عز وجل- تطيرتم بنا؟"[١٣].

قال الفراء:" وقد ذُكِرَ عَن بعض القرّاء:«طائركم معكم أين ذُكِّرْتُم» و «ذُكِرتم» يريد: طائركم معكم حيثما كنتم"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٣.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٧٢/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.

(٤) فتح القدير: ٤١٨/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٥١):ص٣١٩٢/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٣.

(٨) معاني القرآن: ٣٧٤/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٥١):ص٣١٩٢/١٠.

(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٤/٢.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.

(١٤) معاني القرآن: ٣٧٤/٢.

قوله تعالى:{بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ} [يس :١٩]، أي:" بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والتكذيب"(١).

قال الطبري:" يقول: قالوا لهم: ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاصٍ لله وآثامٍ، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام"(٢).

قال السمعاني:" أي أي: مجاوزون الحد"(٣).

قال يحيى:أي:" مشركون"(٤).

قال مقاتل:" قوم مشركون، و«الشرك»: أسرف الذنوب"(٥).

قال الزمخشري:" {بل أنتم قوم مسرفون}، في العصيان: ومن ثم أتاكم الشؤم، لا من قبل رسل الله وتذكيرهم، أو {بل أنتم قوم مسرفون}، في ضلالكم متمادون في غيكم، حيث تتشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله"(٦).

وقال ابن بحر : "«السرف» -ها هنا-: الفساد، ومعناه: بل أنتم قوم مفسدون ، ومنه قول الشاعر(٧):

إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلاً بماءِ غمامة شتمي"(٨).

قال الفيروزآبادي:يقال:" رجل سرف الفؤاد، وسرف العقل: فاسده"(٩).

قال القرطبي:" ورجل سرف الفؤاد، أي: مخطئ الفؤاد غافلة"(١٠).

فوائد الآيات:[١٣-١٩]:

١- استحسان ضرب المثل وهو تصوير حالة غريبة بحالة أخرى مثلها كما هنا في قصة حبيب بن النجار.

٢- تشابه الكفار في التكذيب والإصرار في كل زمان ومكان.

٣- لجوء أهل الكفر بعد إقامة الحجة عليهم إلى التهديد والوعيد.

٤- حرمة التطير والتشاؤم في الإسلام.

القرآن

{وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٢١)} [يس :٢١]

التفسير:

وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع (وذلك حين علم أن أهل القرية هَمُّوا بقتل الرسل أو تعذيبهم) ، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله، اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالا على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٤.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٧٢/٤.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٤/٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٣.

(٦) الكشاف: ٩/٤.

(٧) البيت غير منسوب في النكت والعيون: ١٢/٥. وهو لطرفة في تفسير القرطبي: ١١١/٧، وروايته فيه:« فيه:« إن امرأ سرف الفؤاد يرى ... عسلا بماء سحابة شتمي»

(٨) نقلا عن: النكت والعيون: ١٢/٥.

(٩)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٢١٦/٣.

(١٠) تفسير القرطبي: ١١١/٧.

قوله تعالى:{وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى} [يس :٢١]، أي:" وجاء من مكان بعيد في المدينة رجل مسرع"[١].

قال الطبري:" يقول: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمنًا، وكان اسمه فيما ذكر «حبيب بن مري»"[٢].

قال يحيى:" {وجاء من أقصى المدينة}: أنطاكية، {رجل يسعى}، يعني: يسرع، وهو حبيب النجار"[٣].

قال أبو مُجِلِّز:" كان صاحب يس «حبيب بن مري»"[٤].

قال ابن عباس:" كان اسم صاحب يس «حبيبًا»، وكان الجذام قد أسرع فيه"[٥].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن اسمه «حبيب»، وكان في غار يعبد ربه، فلما سمع بهم أقبل إليهم"[٦].

وفي رواية: قال قتادة:" بلغني أنه كان يعبد الله في غار واسمه حبيب سمع بهؤلاء النفر الذين أرسلهم عيسى إلى أنطاكية"[٧].

قال عمر بن الحكم: "بلغنا أنه كان قصارا"[٨].

عن محمد بن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اليماني أنه كان رجلا من أهل أنطاكية، وكان اسمه "حبيبًا" وكان يعمل الجَرير، وكان رجلا سقيمًا، قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبوب المدينة قاصيًا، وكان مؤمنًا ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون، فيقسمه نصفين، فيطعم نصفًا عياله، ويتصدق بنصف، فلم يهمَّه سقمه ولا عمله ولا ضعفه، عن عمل ربه، قال: فلما أجمع قومه على قتل الرسل، بلغ ذلك:"حبيبًا" وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم بالله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، فقال: {يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ}"[٩].

عن كعب الأحبار: "ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم، فجعل يقول: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول له: لا أسمع، فيقول مسيلمة: أتسمع هذا، ولا تسمع هذا؟ فيقول: نعم، فجعل يقطعه عضوًا عضوًا، كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه، قال كعب حين قيل له اسمه "حبيب": وكان والله صاحب يس اسمه: «حبيب»"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٤.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٤/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٠.

(٧) تفسير عبدالرزاق(٢٤٧١):ص٧٨/٣.

(٨) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٥٥):ص٣١٩٢/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٤-٥٠٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٠٥/٢٠.

قوله تعالى:{قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ} [يس :٢١]، أي:" قال: يا قوم اتبعوا المرسلين إليكم من الله"(١).

قال الطبري:" قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه: يا قوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم، واقبلوا منهم ما أتوكم به"(٢).

قال ابن كثير:" يحض قومه على اتباع الرسل الذين أتوهم"(٣).

قوله تعالى:{اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ} [يس :٢١]، أي:" اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أموالا على إبلاغ الرسالة، وهم مهتدون فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده"(٤).

قال الطبري:" ذُكر أنه لما أتى الرسل سألهم: هل يطلبون على ما جاءوا به أجرًا؟ فقالت الرسل: لا فقال لقومه حينئذٍ: اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرًا، وهم على استقامة من طريق الحق، فاهتدوا أيها القوم بهداهم"(٥).

قال ابن كثير:" { اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا } أي : على إبلاغ الرسالة ، { وَهُمْ مُهْتَدُونَ } فيما يدعونكم إليه ، من عبادة الله وحده لا شريك له"(٦).

عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه: "{اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ}، أي: لا يسألونكم أموالكم على ما جاءوكم به من الهدى، وهم لكم ناصحون، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم"(٧).

قال قتادة:" لما انتهى إليهم -يعني إلى الرسل- قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا فقال عند ذلك: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ}"(٨).

قال مجاهد:" كان رجلا من قوم يونس، وكان به جذام، وكان يطيف بآلهتهم يدعوها، إذ مر على قوم مجتمعين، فأتاهم فإذا هم قد قتلوا نبيين، فبعث الله إليهم الثالث، فلما سمع قوله: قال: يا عبد الله إن معي ذهبا فهل أنت آخذه مني وأتبعك وتدعو الله لي؟ قال: لا أريد ذهبك، ولكن اتبعني، فلما رأى الذي به دعا الله له فبرأ، فلما رأى ما صنع به {قال يا قوم اتبعوا المرسلين {٢٠} اتبعوا من لا يسألكم أجرا} [يس: ٢٠-٢١]، لما كان عرض عليه من الذهب فلم يقبله منه {وهم مهتدون}"(٩).

القرآن

{وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢)} [يس :٢٢]

التفسير:

وأيُّ شيء يمنعني مِن أن أعبد الله الذي خلقني، وإليه تصيرون جميعًا؟

قال الطبري:" أي: وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني، وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعًا، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده"(١٠).

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٥.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٥-٥٠٦.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٧٠/٦.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٦.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٦، وانظر: تفسير عبدالرزاق(٢٤٧١):ص٧٨/٣.

(٩) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٥/٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٦.

قال ابن كثير:" أي : وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له ، { وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } أي : يوم المعاد ، فيجازيكم على أعمالكم ، إن خيرًا فخير ، وإن شرًّا فشر"[١].
فشر"[١].

عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه قال: ناداهم -يعني نادى قومه- بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره، فقال: {وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} ثم عابها، فقال: {إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ} وشدة {لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنْقِذُون}"[٢].

القرآن

{أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥)} [يس :٢٣-٢٥]

التفسير:

أأعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئًا، إن يردني الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه، ولا تستطيع إنقاذي مما أنا فيه؟ إني إن فعلت ذلك لفي خطأ واضح ظاهر. إني آمنت بربكم فاستمعوا إلى ما قُلْته لكم، وأطيعوني بالإيمان.

قوله تعالى:{أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً} [يس : ٢٥]، أي:" أأعبد من دون الله آلهة أخرى لا تملك من الأمر شيئًا"[٣].

قال الطبري:" يقول: أأعبد من دون الله آلهة، يعني معبودًا سواه"[٤].

قال ابن كثير:" استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع"[٥].

قوله تعالى:{إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا} [يس : ٢٣]، أي:" إن يردني الرحمن بسوء فهذه الآلهة لا تملك دفع ذلك ولا منعه"[٦].

قال الطبري:" يقول: إذ مسني الرحمن بضر وشدة لا تغني عني شيئًا بكونها إليَّ شفعاء، ولا تقدر على رفع ذلك الضر عني"[٧].

قال ابن كثير:" أي : هذه الآلهة التي تعبدونها من دونه لا يملكون من الأمر شيئا. فإن الله لو أرادني بسوء ، { فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ } [يونس : ١٠٧] وهذه الأصنام لا تملك دفع ذلك ولا منعه"[٨].

قوله تعالى:{وَلَا يُنْقِذُونِ} [يس : ٢٣]، أي:" ولا يقدرون على إنقاذي من عذاب الله"[٩].

قال الطبري:" يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضر إذا مسني"[١٠].

قال ابن كثير:" ولا ينقذونني مما أنا فيه"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٦-٥٠٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٧.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٧.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٩) صفوة التفاسير: ٨/٣.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٧.

قوله تعالى:{إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يس : ٢٤]، أي:" إني إن عبدت غير الله واتخذت الأصنام آلهة لفي خسران ظاهر جلي"[٢].

قال الطبري:" يقول إني إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها {إِذًا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ} لمن تأمله، جوره عن سبيل الحق"[٣].

قوله تعالى:{إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ} [يس : ٢٥]، أي:" إني آمنت بربكم فاستمعوا إلى ما قُلْته لكم، وأطيعوني بالإيمان"[٤].

قال قتادة:" هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذُكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، اللهم اهد قومي، حتى أقْعَصوه وهو كذلك"[٥].

عن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب بن منبه قال لهم: {وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي} .. إلى قوله {فَاسْمَعُونِ} وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واسضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه"[٦].

عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: "وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبه من دُبُره"[٧].

وفي قوله تعالى:{إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ} [يس : ٢٥]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنه خاطب الرسل بذلك أنه يؤمن بالله ربهم {فَاسْمَعُونِ}، أي: فاشهدوا لي، قاله ابن مسعود[٨].

قال الزجاج:" فأشهد الرسل على إيمانه"[٩].

قال الفراء:" أي: فاشهدوا لي بذلك. يقوله حبيب للرسل الثلاثة"[١٠].

الثاني : أنه خاطب قومه بذلك، ومعناه: إني آمنت بربكم الذي كفرتم به فاسمعوا قولي، قاله ابن عباس[١١]، وكعب[١٢]، وهب بن منبه[١٣].

قال مقاتل:" فلما أمر بقتله، قال: يا قوم، {إني آمنت بربكم فاسمعون}، فقتل، ثم ألقي في البئر وهي الرس، وهم أصحاب «الرس»، وقتل الرسل الثلاثة"[١٤].

قال ابن كثير:"يحتمل أن يكون خطابه للرسل بقوله:{ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ }،أي: الذي أرسلكم ، { فَاسْمَعُونِ}، أي : فاشهدوا لي بذلك عنده. وقد حكاه ابن جرير فقال : وقال آخرون :

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٢) صفوة التفاسير: ٨/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٧.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٧-٥٠٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٨.

(٧)أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٨-٥٠٩ .

(٨) انظر: النكت والعيون: ١٤/٥.

(٩) معاني القرآن: ٢٨٣/٤.

(١٠) معاني القرآن: ٣٧٤/٢.

(١١)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٧ .

(١٢)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٧ .

(١٣)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٠٧ .

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

بل خاطب بذلك الرسل ، وقال لهم : اسمعوا قولي ، لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، إني قد آمنت بربكم واتبعتكم. وهذا القول الذي حكاه هؤلاء أظهر في المعنى ، والله أعلم "[1].

القرآن

{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)} [يس : ٢٦ - ٢٧]

التفسير:

قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكرامًا له. قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتِلت، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي.

قوله تعالى:{قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ} [يس :٢٦]، أي:" قيل له بعد قتله: ادخل الجنة، إكرامًا له"[2].

عن مجاهد، قوله: "{قيل ادخل الجنة}، قال: وجبت له الجنة"[3].

قال محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن ابن مسعود : "إنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبُه من دبره وقال الله له :{ ادْخُلِ الْجَنَّةَ }، فدخلها فهو يرزق منها ، قد أذهب الله عنه سُقْم الدنيا وحزنها ونَصَبها"[4].

قال الزمخشري:" فقيل: {قيل ادخل الجنة}، ولم يقل: «قيل له»، لانصباب الغرض إلى المقول وعظمه، لا إلى المقول له مع كونه معلوما"[5].

قوله تعالى:{قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)} [يس : ٢٦ - ٢٧]، أي:" قال وهو في النعيم والكرامة: يا ليت قومي يعلمون بغفران ربي لي وإكرامه إياي؛ بسبب إيماني بالله وصبري على طاعته، واتباع رسله حتى قُتِلت، فيؤمنوا بالله فيدخلوا الجنة مثلي"[6].

عن مجاهد، قوله: "{قال يا ليت قومي يعلمون}، قال: هذا حين رأى الثواب"[7].

قال ابن كثير:" مقصوده: أنهم لو اطلعوا على ما حصل من هذا الثواب والجزاء والنعيم المقيم ، لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل ، فرحمه الله ورضي عنه ، فلقد كان حريصا على هداية قومه"[8].

قال الزجاج: {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي}، "أي: بمغفرة ربي لي، {من المكرمين}، أي: من المدخلين الجنة. وقيل أيضا: {بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي}، أي: ليتهم يعلمون بالعمل والإيمان الذي غفر لي به ربي"[9].

عن أبي مِجْلَز:"{بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}: بإيماني بربي وتصديقي المرسلين"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧١/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٥٦):ص٣١٩٣/١٠.

(٤) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٥) الكشاف: ١١/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤١.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٥٦):ص٣١٩٣/١٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٩) معاني القرآن: ٢٨٣/٤.

قال الزمخشري:قوله:{ بما غفر لي ربي}" :«ما» المصدرية أو الموصولة، أى: بالذي غفره لي من الذنوب. ويحتمل أن تكون استفهامية، يعنى: بأى شيء غفر لي ربى، يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لإعزاز الدين حتى قتل، إلى أن قولك: «بما غفر لي» بطرح الألف أجود وإن كان إثباتها جائزا، يقال: قد علمت بما صنعت هذا، أي: بأى شيء صنعت وبم صنعت"[٢].

قال الزمخشري:" وإنما تمنى علم قومه بحاله، ليكون علمهم بها سببا لاكتساب مثلها لأنفسهم، بالتوبة عن الكفر والدخول في الإيمان والعمل الصالح المفضيين بأهلهما إلى الجنة. وفي حديث مرفوع: «نصح قومه حيا وميتا»[٣] . وفيه تنبيه عظيم على وجوب كظم الغيظ، والحلم عن أهل الجهل، والترؤف على من أدخل نفسه في عمار الأشرار وأهل البغي، والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه، والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه. ألا ترى كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة أصنام. ويجوز أن يتمنى ذلك ليعلموا أنهم كانوا على خطأ عظيم في أمره، وأنه كان على صواب ونصيحة وشفقة، وأن عداوتهم لم تكسبه إلا فوزا ولم تعقبه إلا سعادة، لأن في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور"[٤].

قال مقاتل:" فلما ذهبت روح حبيب إلى الجنة ودخلها وعاين ما فيها من النعيم تمنى فى {قال يا ليت قومي يعلمون}، بني إسرائيل {بما} بأي شيء {غفر لي ربي وجعلني من المكرمين}، باتباعى المرسلين، فلو علموا لآمنوا بالرسل فنصح لهم في حياته، وبعد موته"[٥].

قال قتادة:" فرجموه بالحجارة ، فجعل يقول رب اهد قومي، أحسبه قال: فإنهم لا يعلمون، قال: فلم يزالوا يرجموه حتى قتلوه فدخل الجنة، فقال {يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي} [يس: ٢٦] حتى بلغ {إن كانت إلا صيحة واحدة} [يس: ٢٩] قال: فما نوظروا بعد قتلهم إياه حتى أخذتهم صيحة واحدة ، {فإذا هم خامدون} [يس: ٢٩]"[٦].

وقال قتادة:" فلا تلقى المؤمن إلا ناصحًا، ولا تلقاه غاشًّا، فلما عاين من كرامة الله {قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ}، تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه"[٧].

وقال ابن عباس : "نصح قومه في حياته بقوله : { يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ } [يس : ٢٠] ، وبعد مماته في قوله : { يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ }"[٨].

فوائد الآيات:[٢٠-٢٧]:

١- بيان كرامة حبيب بن النجار الذي نصح قومه حياً وميتاً.

---

(١) رواه سفيان كما تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٢) الكشاف: ١١/٤-١٢.

(٣)ورد هذا في قصة عروة بن مسعود أخرجه ابن مردويه من حديث المغيرة بن شعبة، فذكر القصة وفي آخرها «فكان يقول وهو في النزع: يا معشر ثقيف ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلبوا منه الأمان، قبل أن يبلغه موتى فيغزوكم. فلم يزل كذلك حتى مات، فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم. فقال: لقد نصح قومه حيا وميتا، وشبهه يصاحب يس".

وروي ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦ عن ابن عباس نحوه.

(٤) الكشاف: ١١/٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٦) تفسير عبدالرزاق(٢٤٧١):ص٧٨/٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٠٩.

(٨) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

٢- بيان ما يلاقي دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان من شدائد وأهوال.
٣- وجوب إبلاغ دعوة الحق والتنديد بالشرك ومهما كان العذاب قاسياً.
٤- بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنه يرى الجنة رأي العين.

القرآن

{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ (٢٨)} [يس :٢٨]

التفسير:

وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون، وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذابًا يدمرهم.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} [يس :٢٨]، أي:" وما احتاج الأمر إلى إنزال جند من السماء لعذابهم بعد قتلهم الرجل الناصح لهم وتكذيبهم رسلهم، فهم أضعف من ذلك وأهون"[١].

قال الطبري: يقول:" وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذي قتله قومه لدعائه إياهم إلى الله ونصيحته لهم من بعد مهلكه {مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ}"[٢].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه انتقم من قومه بعد قتلهم إياه ، غضبًا منه تعالى عليهم ؛ لأنهم كذبوا رسله ، وقتلوا وليه. ويذكر تعالى : أنه ما أنزل عليهم ، وما احتاج في إهلاكه إياهم إلى إنزال جند من الملائكة عليهم ، بل الأمر كان أيسر من ذلك"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ} [يس :٢٨]، ثلاثة أقوال:

أحدها : معنى«جند من السماء»، أي: رسالة ، قاله مجاهد[٤]، لأن الله تعالى قطع عنهم الرسل حين قتلوا رسله.

قال قتادة:" فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله، {إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ}"[٥].

الثاني : أن «الجند»: الملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء، فانقطع عنهم الوحي واستوجبوا العذاب، فجاءهم العذاب. وهذا تفسير الحسن[٦].

وهذا التفسير قريب المعنى من الأول.

الثالث: أن «الجند» الملائكة، والمعنى: أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودًا يقاتلهم بها، ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة. وهذا معنى قول ابن مسعود[٧].

عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، أن عبد الله بن مسعود، قال: "غضب الله له-يعني لهذا المؤمن- لاستضعافهم إياه غضبةً لم تبق من القوم شيئًا، فعجَّل لهم النقمة بما استحلوا منه، وقال: {وَمَا أَنزلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزلِينَ} يقول: ما كاثرناهم

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٧٢/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٠.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٦/٢.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٠-٥١١.

بالجموع أي الأمر أيسر علينا من ذلك {إِنْ كَانَتْ إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ} فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض، فلم تبق منهم باقية"[١].

قال الطبري:" القول الثاني أولى بتأويل الآية، وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند إلا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرُسُل، فيكون وجهًا، وإن كان أيضًا من المفهوم بظاهر الآية بعيدًا، وذلك أن الرسل من بني آدم لا ينزلون من السماء والخبر في ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مَهْلِك هذا المؤمن على قومه جندًا وذلك بالملائكة أشبه منه ببني آدم"[٢].

قال مقاتل:" يعني: من بعد قتل حبيب النجار"[٣].

قال يحيى:" الجند -في تفسير الحسن-: الملائكة الذين يجيئون بالوحي إلى الأنبياء، فانقطع عنهم الوحي واستوجبوا العذاب، فجاءهم العذاب"[٤].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ} [يس :٢٨]، أي:" وما كنا منزلين الملائكة على الأمم إذا أهلكناهم، بل نبعث عليهم عذابًا يدمرهم"[٥].

قال مقاتل: يعني: " الملائكة"[٦].

القرآن

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩)} [يس :٢٩]

التفسير:

ما كان هلاكهم إلا بصيحة واحدة، فإذا هم ميتون لم تَبْقَ منهم باقية.

قال الطبري:" يقول: ما كانت هَلَكتهم إلا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم، فإذا هم هالكون"[٧].

قال مقاتل: " {إن كانت إلا صيحة واحدة} من جبريل- عليه السلام- ليس لها مثنوية، {فإذا هم خامدون} موتى مثل النار إذا طفئت لا يسمع لها صوت"[٨].

قال يحيى:" {فإذا هم خامدون}: قد هلكوا"[٩].

عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «سباق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة عين: علي بن أبي طالب، وصاحب آل يس، ومؤمن آل فرعون، فهم الصديقون وعلي أفضلهم»[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٠-٥١١.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٦/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٦/٢.

(١٠)أخرجه الثعلبي في "تفسيره"١٢٦/٨، بسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه. وأورده الطبرسي في "مجمع البيان" ٨/ ٦٥٩، ونسبه للثعلبي، وأورده الزمخشري في "الكشاف" ٣/ ٢٨٣. وقال الزيلعي في "تخريج أحاديث الكشاف" ٣/ ١٦٢: رواه الطبراني بنقص في "معجمه" من حديث حسين بن حسن الأشقر، عن سفيان بن عيينة، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، ورواه كذلك ابن مردويه في "تفسيره"، والعقيلي في "الضعفاء" وأعله بحسين الأشقر وقال: إنه شيعي متروك، ولا يعرف هذا إلا من جهته، وهو حديث منكر،

قال ابن سرين: "في قراءة ابن مسعود «إن كانت إلا زقية واحدة»، وفي قراءتنا: «إن كانت إلا صيحة واحدة»"[١].

قال ابن كثير:" قال المفسرون : بعث الله إليهم جبريل ، عليه السلام ، فأخذ بعضادتي باب بلدهم ، ثم صاح بهم صيحة واحدة فإذا هم خامدون عن آخرهم ، لم يبق فيهم روح تتردد في جسد. وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية هي أنطاكية ، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلا من عند المسيح ، عليه السلام ، كما نص عليه قتادة وغيره ، وهو الذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره ، وفي ذلك نظر من وجوه :
أحدها : أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله ، عز وجل ، لا من جهة المسيح ، كما قال تعالى : { إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ } إلى أن قالوا : { رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ * وَمَا عَلَيْنَا إِلا الْبَلاغُ الْمُبِينُ } [يس : ١٤ - ١٧]. ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح ، عليه السلام ، والله أعلم. ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم : { مَا أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا } [يس : ١٥].
الثاني : أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم ، وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ؛ ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتَاركة ، وهن القدس لأنها بلد المسيح ، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها ، والإسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين. ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم وأطَّدَه. ولما ابتنى القسطنطينية نقلوا البترك من رومية إليها ، كما ذكره غير واحد ممن ذكر تواريخهم كسعيد بن بطريق وغيره من أهل الكتاب والمسلمين ، فإذا تقرر أن أنطاكية أول مدينة آمنت ، فأهل هذه القرية قد ذكر الله تعالى أنهم كذبوا رسله، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة أخمدتهم، فالله أعلم.
الثالث : أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخدري وغير واحد من السلف : أن الله تعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أمة من الأمم عن آخرهم بعذاب يبعثه عليهم ، بل أمر المؤمنين بعد ذلك بقتال المشركين ، ذكروه عند قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الأولَى } [القصص : ٤٣]. فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن العظيمقرية أخرى غير أنطاكية ، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضا. أو تكون أنطاكية إن كان لفظها محفوظا في هذه القصة مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة ، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك ، والله ، سبحانه وتعالى ، أعلم"[٢].

القرآن

{يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٣٠)} [يس : ٣٠]

التفسير:

يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب، ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون.

قوله تعالى:{يَاحَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ} [يس :٣٠]، أي:" يا حسرة العباد وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب"[٣].

ورواه بلفظ الثعلبي من حديث عمرو بن جميع، عن محمد بن أبي ليلى، عن أخيه عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه. قال: وفيه عمرو بن جميع، وهو متروك.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٥٨):ص١٠/٣١٩٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٧٣-٥٧٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يا حسرةً من العباد على أنفسها وتندّما وتلهفا في استهزائهم برسل الله"[١].

قال مقاتل:" يا ندامة للعباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا"[٢].

قال مجاهد:" كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل"[٣].

قال ابن عباس: "يقول: يا ويلا للعباد"[٤].

قال قتادة:"أي: يا حسرة العباد على أنفسها على ما ضَيَّعت من أمر الله، وفرّطت في جنب الله. قال: وفي بعض القراءات: «يَاحَسْرَةَ العِبَادِ عَلَى أَنْفُسِهَا»"[٥].

قال الواحدي:" يعني: هؤلاء حين استهزؤوا بالرُّسل فتحسَّروا عند العقوبة"[٦].

قال ابن كثير:" معنى هذا : يا حسرتهم وندامتهم يوم القيامة إذا عاينوا العذاب ، كيف كذبوا رسل الله ، وخالفوا أمر الله، فإنهم كانوا في الدار الدنيا المكذبون منهم"[٧].

قال الزجاج:" المعنى في التفسير: أن استهزاءهم بالرسل حسرة عليهم. و«الحسرة»: أن يركب الإنسان من شدة الندم ما لا نهاية له بعده حتى يبقى قلبه حسيرا"[٨].

قال الزمخشري:" {يا حسرة على العباد}: نداء للحسرة عليهم، كأنما قيل لها: تعالى يا حسرة فهذه من أحوالك التي حقك أن تحضرى فيها، وهي حال استهزائهم بالرسل. والمعنى أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون، ويتلهف على حالهم المتلهفون. أوهم متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين. ويجوز أن يكون من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه"[٩].

قوله تعالى:{مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [يس :٣٠]، أي:" ما يأتيهم من رسول من الله تعالى إلا كانوا به يستهزئون ويسخرون"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : يكذبونه ويستهزئون به ، ويجحدون ما أرسل به من الحق"[١١].

القرآن

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١)} [يس :٣١]

التفسير:

ألم ير هؤلاء المستهزئون ويعتبروا بمن قبلهم من القرون التي أهلكناها أنهم لا يرجعون إلى هذه الدنيا؟

قال الطبري: يقول:" ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا، وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية، أنهم إليهم لا يرجعون"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١١-٥١٢.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٢.

(٦) الوجيز: ٨٩٩.

(٧) تفسير ابن كثير: ٥٧٤/٦.

(٨) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٩) الكشاف: ١٣/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٧٤/٦.

قال الواحدي:" يعني: ألم يروا أنَّ الذين أهلكناهم قبلهم لا يرجعون إليهم"[٢].

قال الزجاج:" أي: فيخافون أن يعجل لهم في الدنيا مثل الذي عجل لغيرهم ممن أهلك، وأنهم مع ذلك لا يعودون إلى الدنيا أبدا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ألم يتعظوا بمن أهلك الله قبلهم من المكذبين للرسل ، كيف لم تكن لهم إلى هذه الدنيا كرة ولا رجعة ، ولم يكن الأمر كما زعم كثير من جهلتهم وفَجَرتهم من قولهم : { إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا } [المؤمنون : ٣٧] ، وهم القائلون بالدور من الدهرية ، وهم الذين يعتقدون جهلا منهم أنهم يعودون إلى الدنيا كما كانوا فيها ، فرد الله تعالى عليهم باطلهم ، فقال : { أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ }"[٤].

قال مقاتل:{قَبْلَهُمْ}:" قبل كفار مكة، {مِنَ الْقُرُونِ}الأمم: عاد وثمود وقوم لوط، فيرى أهل مكة من هلاكهم أنهم إليهم لا يرجعون إلى الحياة الدنيا"[٥].

عن قتادة: "{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لا يَرْجِعُونَ}، قال: عاد وثمود، وقرون بين ذلك كثير"[٦].

روي عن الأعرج وأبي عمرو في قوله: "{أنهم إليهم لا يرجعون}، قالا: ليس في مدة اختلاف هذا من رجوع الدنيا"[٧].

قال ابن الجوزي:"«القرن»: "اسم أهل كل عصر. وسموا بذلك، لاقترانهم في الوجود"[٨].

وللمفسرين في المراد بـ«القرن»، أقوال:

أحدها: أنه أربعون سنة، حكاه ابن سيرين والزهراوي[٩]عن النبي -ﷺ-[١٠].

الثاني: ثمانون سنة، رواه أبو صالح عن ابن عباس[١١]، واختاره الفراء[١٢].

الثالث: مائة سنة، قاله عبد الله بن بسر المازني[١٣]، وأبو سلمة بن عبد الرحمن[١]، وهو قول الجمهور[٢].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٢.

(٢) الوجيز: ٨٩٩.

(٣) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧٤/٦.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٦٦):ص٣١٩٤/١٠.

(٨) زاد المسير:٩/٢.

(٩) عزاه السمين الحلبي الى الزهراوي يرفعه الى النبي-صلى الله عليه وسلم- وهذا مرسل.

(١٠) انظر: زاد المسير:٩/٢، عزاه ابن الجوزي لابن سيرين عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، وكذلك السمين الحلبي في الدر المصون:٥٤١/٤، وهذامرسلفهوواه،ولمأقفعلىإسناده،وهومنكر.

(١١) انظر: زاد المسير:١٠/٢، والدر المصون: ٥٤١/٤.

(١٢) انظر: معاني القرآن:٣٢٨/١.

(١٣)ورد ذلك مرفوعا وهو حديث قوي. علقه البخاري في «التاريخ الكبير» ١/ ٣٢٣ و «الصغير» ١/ ٢١٦ قال: قال داود بن رشيد حدثنا أبو حياة شريح بن يزيد الحضرمي عن إبراهيم بن محمد بن زياد عن أبيه عن عبد الله بن بسر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يعيش هذا الغلام قرنا» ، فعاش مائة سنة. وذكره الهيثمي في «المجمع» ١٦١١٩ بأتم منه وقال رواه الطبراني والبزار باختصار إلا أنه قال: قال رسول الله

الرابع: مائة وعشرون سنة، قاله زرارة بن أوفى[٣]، وإياس بن معاوية[٤].
الخامس: عشرون سنة، حكاه الحسن البصري[٥].
السادس: سبعون سنة، ذكره الفراء عن بعضهم[٦].
السابع: أن القرن: أهل كل مدة كان فيها نبي، أو طبقة من العلماء، قلّت السنون، أو كثرت بدليل قوله -ﷺ-:«خيركم قرني»[٧] يعني: أصحابي «ثم الذين يلونهم» يعني: التابعين «ثم الذين يلونهم» يعني: الذين أخذوا عن التابعين. وهذا قول الزجاج[٨].

فالقرن: "مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان فهو في كل قوم على مقدار أعمالهم"[٩].
والثامن: أن القرن: أمد. قاله أبو مالك[١٠].

والراجح أن القرن مئة سنة، إذ ورد فيه الحديث مرفوعا وهو حديث قوي. والله أعلم.

واشتقاق القرن: من الاقتران[١١]. وفي معنى ذلك «الاقتران» قولان:
أحدهما: أنه سمي قرنا، لأنه المقدار الذي هو أكثر ما يقترن فيه أهل ذلك الزمان في بقائهم. هذا اختيار الزجاج[١٢].
والثاني: أنه سمي قرنا، لأنه يقرن زمانا بزمان، وأمة بأمة، قاله ابن الأنباري[١٣].

وقال أبو عبيدة:" يرون أن أقل ما بين القرنين: ثلاثون سنة"[١].

صلى الله عليه وسلم «ليدركن قرنا» ورجال أحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب الحضرمي، وهو ثقة اهـ.

وورد بنحوه عن الحسن بن أيوب الحضرمي قال: أراني عبد الله بن بسر شامة في قرنه فوضعت إصبعي عليها فقال: وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم إصبعه عليها وقال: «لتبلغن قرنا» أخرجه أحمد ٤/ ١٨٩ والطبراني كما في «المجمع» ١٦١٢٠. قال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح غير الحسن بن أيوب، وهو ثقة، ورجال الطبراني ثقات اهـ. وانظر «الإصابة» ٢/ ٢٨١- ٢٨٢ (٤٥٦٥) .

الخلاصة هو حديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده..

(١) انظر: زاد المسير:٢/١٠.

(٢) انظر: الدر المصون:٤/٥٤١.

(٣) انظر: زاد المسير:٢/١٠، والدر المصون: ٤/٥٤١.

(٤) انظر: زاد المسير:٢/١٠، والدر المصون: ٤/٥٤١.

(٥) انظر: زاد المسير:٢/١٠، والدر المصون: ٤/٥٤١.

(٦) انظر: معاني القرآن:١/٣٢٨.

(٧)حديث صحيح. لكن لفظ «يعني ... » ليس من الحديث. أخرجه البخاري ٢٦٥١ و ٣٦٥٠ و ٦٤٢٨ و ٦٦٩٥ ومسلم ٢١٤ و ٢١٥ و ٢٥٣٥ وأبو داود ٤٦٥٧، والترمذي ٢٢٢٢ والنسائي ٧/ ١٧ و ١٨، والطيالسي ٨٥٢ وأحمد ٤/ ٤٢٧ و ٤٣٦ و ٤٤٠ وابن حبان ٦٧٢٩. والبيهقي ١٠/ ١٢٣ و ١٦٠ وفي «الدلائل» ٦/ ٥٥٢. من حديث عمران بن حصين. وله شواهد.

(٨) انظر: معاني القرآن:٢/٢٢٩.

(٩)زاد المسير:٢/١٠.

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧١٠٩):ص٤/١٢٦٣.

(١١) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢/٢٢٩، وزاد المسير:٢/١٠.

(١٢) انظر: معاني القرآن:٢/٢٢٩.

(١٣) انظر: زاد المسير:٢/١٠.

قال الزمخشري:" وفي قراءة ابن مسعود: «ألم يروا من أهلكنا»، والبدل على هذه القراءة بدل اشتمال، وهذا مما يرد قول أهل الرجعة، ويحكى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قيل له: «إن قوما يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، فقال: بئس القوم نحن إذن نكحنا: نساءه وقسمنا ميراثه»[2]"[3].

وروي عن أبي إسحق قال: قيل لابن عباس أن ناسا يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة فسكت ساعة ثم قال: بئس القوم نحن إن كنا أنكحنا نساءه واقتسمنا ميراثه، أما تقرأون {ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون}"[4].

وروي عن قتادة، قوله: "{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ}، تكذيبا بأمر الله أو بأمرنا، فإن الناس صاروا في البعث فريقين: مكذّب ومصدّق، ذُكر لنا أن رجلا قال لابن عباس: إن ناسا بهذا العراق يزعمون أن عليا مبعوث قبل يوم القيامة، ويتأوّلون هذه الآية، فقال ابن عباس: كذب أولئك، إنما هذه الآية للناس عامَّة، ولعمري لو كان عليّ مبعوثا قبل يوم القيامة ما أنكحنا نساءه، ولا قسمنا ميراثه"[5].

القرآن

{وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)} [يس :٣٢]

التفسير:

وما كل هذه القرون التي أهلكناها وغيرهم، إلا محضرون جميعًا عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء.

قال الطبري:يقول:" وإن كل هذه القرون التي أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون"[6].

قال ابن كثير:" أي : وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب يوم القيام بين يدي الله ، عز وجل ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ، ومعنى هذه كقوله تعالى : { وَإِنَّ كُلا لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ } [هود : ١١١]"[7].

قال الزجاج:" تفسير الآية: أنهم يحضرون يوم القيامة فيقفون على ما عملوا"[8].

قال الزمخشري:" المعنى: أن كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيامة. وقيل محضرون معذبون، فإن قلت: كيف أخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد؟

قلت: ليس بواحد: لأن كلا يفيد معنى الإحاطة، وأن لا ينفلت منهم أحد، والجميع: معناه الاجتماع، وأن المحشر يجمعهم. والجميع: فعيل بمعنى مفعول، يقال حى جميع، وجاءوا جميعا"[9].

عن قتادة: "{وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ}، أي: هم يوم القيامة"[1].

---

(١) مجاز القرآن:١/١٨٥.

(٢)أخرجه الحاكم في تفسير البقرة نحوه باختصار. وأخرجه من حديث الحسن في فضائل الصحابة أتم منه. وليس فيه: "بئس القوم نحن إذن".

(٣) الكشاف: ٤/١٤.

(٤) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٥، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري: ١٧/٢٠٣.

(٦) تفسير الطبري:٢٠/ ٥١٣.

(٧) تفسير ابن كثير: ٦/٥٧٤-٥٧٥.

(٨) معاني القرآن: ٤/٢٨٦.

(٩) الكشاف: ٤/١٤.

وقرئ: «وَإن كل لَمَا» بالتخفيف ، فيكون أن «إن» للإثبات ، ومنهم مَنْ شدد «لَمَّا»، وجعل «إن» نافية ، و «لمَّا» بمعنى «إلا"»، تقديره : وما كل إلا جميع لدينا محضرون ، ومعنى القراءتين واحد ، والله أعلم[٢].

فوائد الآيات:[٢٨-٣٢]:

١- مظاهر قدرة الله تعالى في إهلاك أهل أنطاكية بصيحة واحدة.

٢- إبداء التحسر على العباد من أنفسهم إذ هم الظالمون المكذبون فالحسرة منهم وعليهم.

٣- حرمة الاستهزاء بما هو من حرمات الله تعالى التي يجب تعظيمها.

٤- طلب العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم، والعاقل من اعتبر بغيره.

٥- تقرير المعاد والحساب والجزاء.

القرآن

{وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ (٣٣)} [يس :٣٣]

التفسير:

ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحييناها بإنزال الماء، وأخرجنا منها أنواع النبات مما يأكل الناس والأنعام، ومن أحيا الأرض بالنبات أحيا الخلق بعد الممات.

قوله تعالى:{وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا} [يس :٣٣]، أي:" ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث والنشور: هذه الأرض الميتة التي لا نبات فيها، أحييناها بإنزال الماء"[٣].

قال الطبري: يقول:" ودلالة لهؤلاء المشركين على قُدرة الله على ما يشاء، وعلى إحيائه من مات من خلقه وإعادته بعد فنائه، كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة، التي لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذي ينزله من السماء حتى يخرج زرعها"[٤].

قال الزجاج:" أي: وعلامة تدلهم على التوحيد وأن الله يبعث الموتى: إحياء الأرض الميتة"[٥].

قال ابن كثير:" أي : دلالة لهم على وجود الصانع وقدرته التامة وإحيائه الموتى { الأرْضُ الْمَيْتَةُ } أي : إذا كانت ميتة هامدة لا شيء فيها من النبات ، فإذا أنزل الله عليها الماء اهتزت وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج"[٦].

قال السمعاني:" قوله: {أحييناها} أي: بالمطر"[٧].

قال ابن عطية:" {وآية}، معناه: علامة على الحشر وبعث الأجساد، والضمير في {لهم}، يراد به كفار قريش"[٨].

ويقرأ:« الميِّتَة»، بالتشديد[٩].

قال الزجاج:" وأصل الميْتة: الميِّتَة، والأصل التشديد، والتخفيف أكثر، وكلاهما

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٤.

(٥) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(٨) المحرر الوجيز: ٤٥٣/٤.

(٩) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٨٦/٤.

جائز"[1].
قال الزمخشري:" القراءة بـ«الميتة» على الخفة أشيع، لسلسها على اللسان"[2].
قوله تعالى:{وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ} [يس :٣٣]، أي:" وأخرجنا منها أنواع النبات مما يأكل الناس والأنعام"[3].
قال الطبري:" ثم إخراجه منها الحب الذي هو قوت لهم وغذاء، فمنه يأكلون"[4].
قال السمعاني:" {وأخرجنا منها حبا}، أي: الحنطة والشعير وما أشبه هذا، {فمنه يأكلون} أي: من الحب يأكلون"[5].
قال ابن كثير:" أي : جعلناه رزقا لهم ولأنعامهم"[6].
قال الزمخشري:" قوله: {فمنه يأكلون}، بتقديم الظرف للدلالة على أن «الحب» هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق منه صلاح الإنس، وإذا قل جاء القحط ووقع الضر، وإذا فقد جاء الهلاك ونزل البلاء"[7].

القرآن
{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ (٣٤)} [يس :٣٤]
التفسير:
وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعناب، وفجَّرنا فيها من عيون المياه ما يسقيها.
قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ} [يس :٣٤]، أي:" وجعلنا في هذه الأرض بساتين من نخيل وأعناب"[8].
قال الطبري: يقول:" وجعلنا في هذه الأرض التي أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب"[9].
قوله تعالى:{وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ} [يس :٣٤]، أي:" وفجَّرنا فيها من عيون المياه ما يسقيها"[10].
قال الطبري:" يقول: وأنبعنا فيها من عيون الماء"[11].
قال السمعاني:" أي: وفجرنا فيها المياه من العيون؛ ليأكلوا من الثمر الحاصل بالماء"[12].
قال ابن كثير:" أي : جعلنا فيها أنهارًا سارحة في أمكنة ، يحتاجون إليها ليأكلوا من ثمره"[1].

---

(١) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.
(٢) الكشاف: ١٤/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٤.
(٥) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.
(٧) الكشاف: ١٤/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٤٤٢.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٤-٥١٥.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٢.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٥.
(١٢) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

القرآن

{لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٣٥)} [يس :٣٥]

التفسير:

كل ذلك؛ ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدِّهم، ولا بحولهم وبقوتهم، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعدُّ ولا تحصى؟

قوله تعالى:{لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ} [يس :٣٥]، أي:" كل ذلك؛ ليأكل العباد من ثمره، وما ذلك إلا من رحمة الله بهم لا بسعيهم ولا بكدِّهم، ولا بحولهم وبقوتهم"[٢].

قال الطبري:" أنشأنا هذه الجنات في هذه الأرض ليأكل عبادي من ثمره، وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا"[٣].

قال السمعاني:" أي: وليأكلوا مما عملته أيديهم مما يحرثون ويزرعون ويغرسون"[٤].

قال ابن كثير:" لما امتن على خلقه بإيجاد الزروع لهم عَطَف بذكر الثمار وتنوعها وأصنافها، وقوله : { وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ } أي : وما ذاك كله إلا من رحمة الله بهم ، لا بسعيهم ولا كدهم ، ولا بحولهم وقوتهم"[٥].

قال مقاتل:" يقول : لم يكن ذلك من صنع أيديهم ولكنه من فعلنا"[٦].

قال الزجاج:" ويقرأ :«وما عملت» بغير «هاء»، وموضع «ما» خفض، المعنى: ليأكلوا من ثمره ومما عملته أيديهم، ويجوز أن تكون «ما» نفيا، على معنى: ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم. هذا على إثبات «الهاء»"[٧].

قال الزمخشري: «ثمره» بفتحتين وضمتين وضمة وسكون، والضمير «لله» تعالى، والمعنى: " ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومن ما عملته أيديهم من الغرس والسقي والآبار، وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله، يعنى أن الثمر في نفسه فعل الله وخلقه، وفيه آثار من كد بنى آدم، وأصله من ثمرنا كما قال: «وجعلنا»، و«فجرنا»، فنقل الكلام من التكلم إلى الغيبة على طريقة الالتفات. ويجوز أن يرجع إلى «النخيل»، وتترك «الأعناب» غير مرجوع إليها، لأنه علم أنها في حكم النخيل فيما علق به من أكل ثمره، ويجوز أن يراد: من ثمر المذكور وهو الجنات، كما قال رؤبة[٨]:

فيها خطوط من بياض وبلق ... كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له، فقال: أردت كأن ذاك: ولك أن تجعل «ما» نافية على أن الثمر خلق الله ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه"[٩].

قوله تعالى:{أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس :٣٥]، أي:" أفلا يشكرون الله على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعدُّ ولا تحصى؟"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٥.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٨/٣.

(٧) معاني القرآن: ٢٨٦/٤.

(٨)ديوانه ١٠٤- مجالس ثعلب ٤٤٣ والسمط ١٧٤، ومجاز القرآن لأبي عبيدة: ٤٣/١، وتفسير القرطبي ١٣/ ٣١٢ واللسان (بهق).

(٩) الكشاف: ١٤/٤.

قال السمعاني:" يعني: هذه النعم"[٢].
قال مقاتل: يعني:" رب هذه النعم فيوحدوه"[٣].
قال الطبري:" يقول: أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الأرض الميتة التي أحييناها لهم مَنْ رزقهم ذلك وأنعم عليهم به؟"[٤].
قال ابن كثير:" أي : فهلا يشكرونه على ما أنعم به عليهم من هذه النعم التي لا تعد ولا تحصى ؟"[٥].

القرآن
{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)} [يس :٣٦]
التفسير:
تنزَّه الله العظيم الذي خلق الأصناف جميعها من أنواع نبات الأرض، ومن أنفسهم ذكورًا وإناثًا، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى. قد انفرد سبحانه بالخلق، فلا ينبغي أن يُشْرَك به غيره.
قوله تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} [يس :٣٦]، أي:" تنزَّه وتقدَّس الله العلي الجليل الذي خلق الأصناف كلها، والمختلفة الألوان والطعوم والأشكال من جميع الأشياء"[٦].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذي خلق الألوان المختلفة كلها"[٧].
قال السمعاني:" أي: سبحوا الله الذي خلق الأصناف كلها"[٨].
قال الزجاج:" {سبحان}: تبرئة الله من السوء وتنزيهه، ومعنى«الأزواج»: الأجناس كلها من النبات والحيوان وغيرها"[٩].
قال يحيى:" {سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا} ،أي: الألوان كلها"[١٠].
وقال السدي: الأصناف كلها"[١١].
قال ابن قتيبة:" أي: الأجناس كلها"[١٢].
قال الزمخشري:" «الأزواج»: الأجناس والأصناف"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.
(٢) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٨/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.
(٦) صفوة التفاسير: ١٢/٣.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٥.
(٨) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.
(٩) معاني القرآن: ٢٨٧/٤.
(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٧/٢.
(١١) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٨/٢.
(١٢) غريب القرآن: ٣٦٥.
(١٣) الكشاف: ١٥/٤.

قوله تعالى:{مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس :٣٦]، أي:" ممَّا تُخرج الأرضُ من النخيل والأشجار، والزروع والثمار، ومن أنفسهم من الذكور والإِناث، ومما لا يعلمون من مخلوقات الله الأخرى"(١).

قال الطبري:أي:" من نبات الأرض، ومن أنفسهم، يقول: وخلق من أولادهم ذكورًا وإناثًا، ومما لا يعلمون أيضًا من الأشياء التي لم يطلعهم عليها، خلق كذلك أزواجًا مما يضيف إليه هؤلاء المشركون، ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك"(٢).

قال مقاتل:" {مما تنبت الأرض} مما تخرج الأرض من ألوان النبات والشجر {ومن أنفسهم}: الذكر والأنثى، {ومما لا يعلمون}: من الخلق"(٣).

قال ابن كثير:" {مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ}، أي : من زروع وثمار ونبات. {وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ } فجعلهم ذكرًا وأنثى، {وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ } أي : من مخلوقات شتى لا يعرفونها ، كما قال تعالى : {وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الذاريات : ٤٩]"(٤).

قال الزجاج:" {ومن أنفسهم ومما لا يعلمون}: مما خلق الله من جميع الأنواع والأشباه"(٥).

قال ابن ابي زمنين:" {ومما لا يعلمون} مما خلق في البر والبحر"(٦).

قال السمعاني:" أي: من النبات، والحيوان الذي لا يعلمونه، وذكر بعض أهل التفسير: أن ما لا يعلمون ها هنا هو الروح، والله تعالى خلق الروح في النفس ولا يعلمه أحد، وذكر بعضهم"(٧).

قال ابن الجوزي:" {ومما لا يعلمون}: من دواب البر والبحر وغير ذلك مما لم يقفوا على علمه"(٨).

قال الزمخشري:" {ومما لا يعلمون}: ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها بطريق من طرق العلم، ولا يبعد أن يخلق الله تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا إلى العلم به، لأنه لا حاجة بهم في دينهم ودنياهم إلى ذلك العلم، ولو كانت بهم اليه حاجة لأعلمهم بما لا يعلمون، كما أعلمهم بوجود ما لا يعلمون"(٩).

قال النسفي:" {ومما لا يعلمون} ومن أزواج لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا إلى معرفتها ففي الأودية والبحار أشياء لا يعلمها الناس"(١٠).

قال يحيى بن سلام:" {وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ} وهو كقوله:{وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُون}[النمل: ٨]"(١١).

---

(١) صفوة التفاسير: ١٢/٣، والتفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٥.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٧٨/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٧٥/٦.

(٥) معاني القرآن: ٢٨٧/٤.

(٦) تفسير بان ابي زمنين: ٤٥/٤.

(٧) تفسير السمعاني: ٣٧٦/٤.

(٨) زاد المسير: ٥٢٣/٣.

(٩) الكشاف: ١٥/٤.

(١٠) تفسير النسفي: ١٠٤/٣.

(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٨/٢، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤٥٣/٤.

قال القشيري في الآية:" تنبه هذه الاية على التفكر في بديع صنعه فقال: تنزيها لمن خلق الأشياء المتشاكلة فى الأجزاء والأعضاء، من النبات، ومن أنفسهم، ومن الأشياء الأخرى التي لا يعلمون تفصيلها، كيف جعل أوصافها في الطعوم والروائح، فى الشكل والهيئة، فى اختلاف الأشجار فى أوراقها وفنون أغصانها وجذوعها وأصناف أنوارها وأزهارها، واختلاف أشكال تمارها فى تفرقها واجتماعها، ثم ما نيط بها من الانتفاع على مجرى العادة مما يسميه قوم: الطبائع فى الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، واختلاف الأحداث التي يخلقها الله عقيب شراب هذه الأدوية وتناول هذه الأطعمة على مجرى العادة من التأثيرات التي تحصل في الأبدان. ثم اختلاف صور هذه الأعضاء الظاهرة والأجزاء الباطنة، فالأوقات متجانسة، والأزمان متماثلة، والجواهر متشاكلة"[(١)].

فوائد الآيات:[٣٣-٣٦]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء التي هي القوة الدافعة للإنسان على فعل الخيرات وترك الشرور المنكرات.

٢- دليل نظام الزوجية وهو آية على أن القرآن وحي الله وكلامه إذ قرر القرآن نظام الزوجية قبل معرفة الناس لهذا النظام في الذرة وغيرها في القرن العشرين.

٣- وجوب شكر الله تعالى بالإيمان وبطاعته وطاعة رسوله على نعمه ومنها الإيجاد ونعمة الإمداد أي بالغذاء والماء والهواء.

القرآن

{وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ (٣٧)} [يس :٣٧]

التفسير:

وعلامة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل ننزع منه النهار، فإذا الناس مظلمون.

قوله تعالى:{وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ} [يس :٣٧]، أي:" وعلامة لهم دالة على توحيد الله وكمال قدرته: هذا الليل ننزع منه النهار"[(٢)].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ودليل لهم أيضًا على قدرة الله على فعل كل ما شاء: {اللَّيْلُ}، ننزع عنه النهار"[(٣)].

وروي عن قتادة:"{وَآَيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُون}، قال: يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل"[(٤)].

قال الطبري:" وهذا الذي قاله قتادة بعيد، وذلك أن إيلاج الليل في النهار، إنما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا في ساعات الآخر، وليس السلْخ من ذلك في شيء، لأن النهار يسلخ من الليل كله، وكذلك الليل من النهار كله، وليس يولج كلّ الليل في كلّ النهار، ولا كلّ النهار في كلّ الليل"[(٥)].

قال ابو عبيدة:" { نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهارَ}: نميّزه منه فنجيء بالظلمة، يقال للرجل: سلخه الله من دينه"[(٦)].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ} [يس :٣٧]، أي:" فإذا الناس مظلمون"[(٧)].

---

(١) لطائف الإشارات: ٢١٦/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٦.

(٦) مجاز القرآن: ١٦١/٢.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٢.

قال مقاتل:" بالليل"[١].
قال ابن قتيبة:" أي: داخلون في الظلام"[٢].
قال الطبري:" يقول: فإذا هم قد صاروا في ظلمة بمجيء الليل"[٣].

القرآن
{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨)} [يس :٣٨]
التفسير:
وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدَّره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه، ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالَب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء.
قوله تعالى:{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس :٣٨]، أي:" وآية لهم الشمس تجري لمستقر لها، قدَّره الله لها لا تتعداه ولا تقصر عنه"[٤].
قال الطبري: يقول:" والشمس تجري لموضع قرارها، بمعنى: إلى موضع قرارها؛ وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم"[٥].
عن أبي ذرَ الغفاريّ، قال: "كنت جالسا عند النبي صَلَّى الله عليه وسلم في المسجد، فلما غربت الشمس، قال: يا أبا ذر هل تدري أين تذهب الشمس؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: فإنها تذهب فتسجد بين يدي ربها، ثم تستأذن بالرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مكانها وذلك مستقرها"[٦].
وفي رواية عن أبي ذر قال: "سألت رسول الله ﷺ، عن قوله: والشمس تجري لمستقر لها قال: «مستقرها تحت العرش»"[٧].
وفي قوله تعالى:{وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا} [يس :٣٨]، وجوه من التفسير:
أحدها : يعني: لانتهاء أمرها عند انقضاء الدنيا، حكاه ابن عيسى[٨].
قال مقاتل:" لوقت لها إلى يوم القيامة"[٩].
الثاني : لوقت واحد لا تعدوه، قاله قتادة[١٠].
الثالث : أي: أبعد منازلها في الغروب ، ثم ترجع إلى أدنى منازلها ، قاله الكلبي[١١].
قال ابن قتيبة:" أي: موضع تنتهي إليه فلا تجاوزه؛ ثم ترجع"[١٢].
قال يحيى:" {والشمس تجري لمستقر لها} :لا تجاوزه. وهذا أبعد مسيرها، ثم ترجع إلى أدنى منازلها في تفسير الحسن إلى يوم القيامة حيث تكور فيذهب ضوءها"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٩/٣.
(٢) غريب القرآن: ٣٦٥.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٦.
(٤) التفسير الميسر: ٤٤٢.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٦-٥١٧.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٦٩):ص٣١٩٤/١٠.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٨/٥.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٩/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥١٧/٢٠.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٨/٥.
(١٢) غريب القرآن: ٣٦٥.

وروي عن ابن عمر، في الآية قال: "{لمستقر لها}: أن تطلع فتردها ذنوب بني آدم، فإذا غربت سلمت: وسجدت واستأذنت فيؤذن لها حتى إذا غربت سلمت فلا يؤذن لها فتقول: إن السير بعيد وإني لم يؤذن لي لا أبلغ، فتحبس ما شاء الله أن تحبس، ثم يقال اطلعي من حيث غربت قال: فمن يومئذ إلى يوم القيامة لا ينفع نفسا إيمانها"[٢].

وقال ابن عمر:" لو أن الشمس تجري مجرى واحدا من أهل الأرض فيخشى منها، ولكنها تلحق في الصيف وتعترض في الشتاء فلو أنها طلعت مطلعها في الشتاء في الصيف لانضجهم الحر، ولو أنها طلعت مطلعها في الصيف لقطعهم البرد"[٣].

وروى عكرمة عن ابن عباس أنه كان يقرأها : «والشمس تجري لا مستقر لها»[٤].

قال الماوردي:"وتأويل هذه القراءة أنها تجري في الليل والنهار ولا وقوف لها ولا قرار"[٥].

وفي قراء عبدالله: «وذلك مستقر لها»[٦].

قوله تعالى:{ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [يس :٣٨]، أي:" ذلك تقدير العزيز الذي لا يغالَب، العليم الذي لا يغيب عن علمه شيء"[٧].

قال الطبري:" يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقر لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يخفي عليه خافية"[٨].

قال ابن كثير:" { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ } أي : الذي لا يخالَف ولا يُمانَع ، { الْعَلِيم } بجميع الحركات والسكنات ، وقد قدر ذلك وقَنَّنَه على منوال لا اختلاف فيه ولا تعاكس ، كما قال تعالى : { فَالِقُ الإصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [الأنعام : ٩٦]. وهكذا ختم آية حم السجدة" بقوله : { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } [فصلت : ١٢]"[٩].

القرآن

{وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩)} [يس :٣٩]

التفسير:

والقمرَ آية في خلقه، قدَّرناه منازل كل ليلة، يبدأ هلالا ضئيلا حتى يكمل قمرًا مستديرًا، ثم يرجع ضئيلا مثل عِذْق النخلة المتقوس في الرقة والانحناء والصفرة؛ لقدمه ويُبْسه.

قوله تعالى:{وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس :٣٩]، أي:" والقمرَ قدرنا مسيره في منازل يسير فيها لمعرفة الشهور"[١٠].

قال الطبري: يقول:" وآية لهم، تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه"[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٠٨/٢.

(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٧١):ص١٠/٣١٩٤-٣١٩٥.

(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٧٢):ص١٠/٣١٩٥.

(٤) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٨/٢.

(٥) النكت والعيون: ١٨/٥.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٧٠):ص١٠/٣١٩٤.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٧.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٧٧/٦.

(١٠) صفوة التفاسير: ١٣/٣.

قال ابن كثير:" أي : جعلناه يسير سيرًا آخر يستدل به على مضي الشهور ، كما أن الشمس يعرف بها الليل والنهار ، كما قال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ } [البقرة : ١٨٩] ، وقال { هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ } الآية [يونس : ٥] ، وقال : { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلا } [الإسراء : ١٢] ، فجعل الشمس لها ضوء يخصها ، والقمر له نور يخصه ، وفاوت بين سير هذه وهذا ، فالشمس تطلع كل يوم وتغرب في آخره على ضوء واحد ، ولكن تنتقل في مطالعها ومغاربها صيفًا وشتاء ، يطول بسبب ذلك النهار ويقصر الليل ، ثم يطول الليل ويقصر النهار ، وجعل سلطانها بالنهار ، فهي كوكب نهاري. وأما القمر ، فقدره منازل ، يطلع في أول ليلة من الشهر ضئيلا قليل النور ، ثم يزداد نورًا في الليلة الثانية ، ويرتفع منزلة ، ثم كلما ارتفع ازداد ضياء ، وإن كان مقتبسًا من الشمس ، حتى يتكامل نوره في الليلة الرابعة عشرة ، ثم يشرع في النقص إلى آخر الشهر"(٢).

قال مقاتل:" {منازل} فى السماء يزيد، ثم يستوي، ثم ينقص في آخر الشهر"(٣).

قال الصابوني:" وهي ثمانية وعشرون منزلاً في ثمانية وعشرين ليلة، ينزل كل ليلةٍ في واحد منها لا يتخطاها ولا يتعادها، فإذا كان في آخر ليلة دقَّ واستقوس"(٤).

وفي قوله تعالى:{وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ} [يس :٣٩]، قولان(٥):

أحدهما : جعله في كل ليلة على مقر له ، يزيد في كل ليلة من أول الشهر حتى يستكمل ثم ينقص بعد استكماله حتى يعود كما بدأ ، وهو محتمل .

الثاني : أنه يطلع كل ليلة في منزل حتى يستكمل جميع المنازل في كل شهر ، ولذلك جعل بعض الحساب السنة الشمسية ثلاثة عشر شهراً قمرياً .

قوله تعالى:{حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس :٣٩]، أي:" حتى صار كغصن النخل اليابس"(٦).

قال الطبري: يقول:" العرجون: من العذق من الموضع النابت في النخلة إلى موضع الشماريخ؛ وإنما شبهه جل ثناوه بالعرجون القديم، والقديم هو اليابس، لأن ذلك من العذق، لا يكاد يوجد إلا متقوسا منحنيا إذا قدم ويبس، ولا يكاد أن يصاب مستويا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها، فكذلك القمر إذا كان في آخر الشهر قبل استسراره، صار في انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون"(٧).

قال الصابوني:" وهو عنقود التمر حين يجف ويصفر ويتقوس"(٨).

عن سليمان التيمي، قوله: "{حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ}، قال: العذق"(٩).

قال قتادة:" قدره الله منازل، فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة، شبهه بعذق النخلة"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٨.

(٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٧٧-٥٧٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٧٩.

(٤) صفوة التفاسير: ٣/١٣.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٥/١٧.

(٦) صفوة التفاسير: ٣/١٣.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٨.

(٨) صفوة التفاسير: ٣/١٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٩.

وفي قوله تعالى:{حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ} [يس :٣٩]، وجهان:
أحدهما : أنه العذق اليابس إذا استقوس، وهو معنى قول ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، ومنه قول مرَّار بن منقذ التميمي[٤]:
عَبِقَ العنبرُ والمسكُ بها... فهي صفراء كعرجون القمر
قال القرطبي:" فالعرجون إذا عتق ويبس وتوس شبه القمر في دقته وصفرته به. ويقال له أيضا الإهان والكباسة والقنو، وأهل مصر يسمونه الإسباطة"[٥].
الثاني : أنه عذق النخلة إذا قدم فانحنى مائلا، قاله الحسن[٦]، ويزيد بن الأصم[٧].
وقال عكرمة:" النخلة القديمة"[٨].
وقال مقاتل:" حتى عاد مثل الخيط كما يكون أول ما استهل فيه {كالعرجون}، يعني: العذق اليابس المنحني {القديم}الذي أتى عليه الحول"[٩].
قال ابن قتيبة:" «العرجون»: عود الكباسة. وهو: الإهان أيضا. و «القديم» الذي قد أتى عليه حول فاستقوس ودق. وشبه القمر -آخر ليلة يطلع- به"[١٠].
قال ابن كثير:" ثم بعد هذا يبديه الله جديدًا في أول الشهر الآخر ، والعرب تسمي كل ثلاث ليال من الشهر باسم باعتبار القمر ، فيسمون الثلاث الأول "غُرَر" واللواتي بعدها "نفل" ، واللواتي بعدها "تُسع" ؛ لأن أخراهن التاسعة ، واللواتي بعدها "عُشَر" ؛ لأن أولاهن العاشرة ، واللواتي بعدها "البيض" ؛ لأن ضوء القمر فيهن إلى آخرهن ، واللواتي بعدهن "دُرَع" جمع دَرْعاء ؛ لأن أولهن سُود؛ لتأخر القمر في أولهن ، ومنه الشاة الدرعاء وهي التي رأسها أسود. وبعدهن ثلاث "ظُلَم" ثم ثلاث "حَنَادس" ، وثلاث "دآدئ" وثلاث "مَحاق" ؛ لانمحاق القمر أواخر الشهر فيهن. وكان أبو عُبيد ينكر التُّسع والعشَر. كذا قال في كتاب "غريب المصنف"[١١].

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٨.

(٤)البيت للمرَّار بن منقذ التميمي، وهو من المفضلية: (رقم/ ١٥) في شرح المفضليات: (١/ ٤٣٧)، وروايته:

عَبَقُ العنبرِ والمسكِ بها ... فهي صفراءُ كعُرْجُونِ العُمُرْ

وقال في شرحه: العُرْجُون: عُوْدُ الكِباسَةِ- والكباسة من التمرِ: كالعنقود من العنب- والعُمُر: نخلة السُكُر، والسُّكَّر: ضربٌ من التمر جيّد. وجاءت رواية البيت في اللسان (عبق) كرواية المؤلف، وجاءت في التكملة والتاج (عمر) كرواية المفضليات.

(٥) تفسير القرطبي: ٣١/١٥.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٨.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٨.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٩/٣.

(١٠) غريب القرآن: ٣٦٥.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٧٨/٦.

{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)} [يس :٤٠]

التفسير:

لكل من الشمس والقمر والليل والنهار وقت قدَّره الله له لا يتعدَّاه، فلا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن للَّيل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته، وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلك يَجْرون.

قوله تعالى:{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} [يس :٤٠]، أي:" لا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره، أو تغير مجراه، ولا يمكن للَّيل أن يسبق النهار، فيدخل عليه قبل انقضاء وقته"[١].

قال الطبري: يقول:" لا الشمس يصلح لها إدراك القمر، فيذهب ضوؤها بضوئه، فتكون الأوقات كلها نهارا لا ليل فيها، ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه، فتكون الأوقات كلها ليلا"[٢].

قال الصابوني:" أي: لا يمكن للشمس ولا يصح لها أن تجتمع مع القمر بالليل فتمحو نوره، لأن ذلك يُخلُّ بتلوين النبات، ومصلحة العباد، ولا الليل يسبق النهار حتى يدركه فيذهب بضيائه فتكون الأوقات كلها ليلا"[٣].

عن مجاهد:" أن أناسا من اليهود قالوا لعمر بن الخطاب: تقولون: جنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار؟ قال: أرأيت إذا جاء النهار أين يكون الليل وإذا جاء الليل أين يكون النهار؟ يفعل الله ما يشاء"[٤].

وفي قوله تعالى:{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ} [يس :٤٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ، قاله مجاهد[٥].

قال مجاهد:" لا يشبه ضوءها ضوء الآخر، لا ينبغي لها ذلك"[٦].

الثاني : لا يجتمع ضوء أحدهما مع ضوء الآخر، لأن ضوء القمر ليلاً وضوء الشمس نهاراً ، فإذا جاء سلطان أحدهما ذهب سلطان الآخر ، قاله قتادة[٧]، والحسن-في رواية-[٨]، وأبو صالح[٩]، والضحاك[١٠].

قال قتادة:" ولكل حد وعلم لا يعدوه، ولا يقصر دونه؛ إذا جاء سلطان هذا، ذهب سلطان هذا، وإذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا"[١١].

قال الحسن:" لكل واحد منهما سلطان، للقمر سلطان بالليل وللشمس سلطان بالنهار، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٩.

(٣) صفوة التفاسير: ٣/١٣-١٤.

(٤) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٨١٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٩.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٥١٩.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٧٩):ص١٠/٣١٩٦.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/٢٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٠.

قال أبو صالح:" لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا"[٢].

قال الضحاك:" وهذا في ضوء القمر وضوء الشمس، إذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء، وإذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء"[٣].

الثالث : معناه: أنهما إذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر في منازل لا يشتركان فيها ، قاله ابن عباس[٤].

الرابع : أنهما لا يجتمعان في السماء ليلة الهلال خاصة، وهذا معنى قول الحسن[٥].

قال الحسن:" ذاك ليلة الهلال"[٦].

الخامس : أنه لا تدرك الشمس القمر ليلة البدر خاصة لأنه يبادر بالمغيب قبل طلوعها ، حكاه يحيى بن سلام[٧].

وقال النحاس:" أحسن ما قيل في معناه وأبينه مما لا يدفع: أن سير القمر سير سريع فالشمس لا تدركه في السير"[٨].

وفي قوله تعالى:{وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ} [يس :٤٠]، وجهان من التفسير:

أحدهما : المعنى: لا يأتي ليل بعد ليل من غير نهار فاصل بينهما، أي: لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ ؛ لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثِيثًا"[٩]. وهذا معنى قول مجاهد[١٠]، والضحاك[١١]، وعكرمة[١٢].

قال الضحاك:" في قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه، فيذهب ظلمته، وفي قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه، فيذهب بضوئه"[١٣].

وقال الضحاك:" لا يذهب الليل من هاهنا حتى يجيء النهار من هاهنا، وأومأ بيده إلى المشرق"[١٤].

قال ابن قتيبة:" هما يتعاقبان، ولا يسبق أحدهما الآخر: فيفوته ويذهب قبل مجيء صاحبه"[١٥].

الثاني : يعني: أنه لا يتقدم الليل قبل استكمال النهار. وهو معنى قول يحيى بن سلام[١٦].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٧٩):ص١٠/٣١٩٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/٥٢٠.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٥٢٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٠.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨٠٧٨):ص١٠/٣١٩٥، والنكت والعيون: ٥/١٨.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٧٨):ص١٠/٣١٩٥.

(٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٠٩.

(٨) إعراب القرآن: ٣/٢٦٧.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٥٧٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥١٩.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٠٨٠):ص١٠/٣١٩٦، وتفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٠.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٥/١٨.

(١٣)أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٠ .

(١٤) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٨٠):ص١٠/٣١٩٦.

(١٥) تاويل مشكل القرآن: ١٩٣.

(١٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨١٠.

قال ابن كثير: المعنى: "لا ينبغي إذا كان الليلُ أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار ، فسلطان الشمس بالنهار ، وسلطان القمر بالليل"[١].

قال الماوردي:"ومن الناس من يجعل هذا دليلاً على أن أول الشهر النهار دون الليل ، لأنه إذا لم يسبق الليل النهار واستحال اجتماعهما وجب أن يكون النهار سابقاً . وهذا قول يدفعه الشرع ويمنع منه الإجماع"[٢].

قوله تعالى:{وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس :٤٠]، أي:" وكل من الشمس والقمر والكواكب في فلك يَجْرون"[٣].

قال الطبري:" يقول: وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون"[٤].

قال ابن كثير: " يعني : الليل والنهار ، والشمس والقمر ، كلهم يسبحون ، أي : يدورون في فلك السماء "[٥].

قال ابن قتيبة:" أي: يجرون، يعني الشمس والقمر والنجوم"[٦].

قال ابن زيد:" في فلك بين السماء والأرض"[٧].

عن نوف البكالي قال: "إن السماء خلقت مثل القبة، وإن الشمس والقمر والنجوم ليس منها شيء لاصق بالسماء، وإنها تجري في فلك دون السماء"[٨].

قال حسان بن عطية:" والقمر والنجوم مسخرة في فلك بين السماء والأرض"[٩].

واختلف أهل العلم في قوله تعالى:{وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس :٤٠]، على ثلاثة أقوال: أحدها : يجرون، قاله ابن عباس[١٠]، ومجاهد[١١]، وابن زيد[١٢]، والكلبي[١٣].

وقال ابن عباس:" في فلك كفلك المغزل"[١٤].

وقال ابن عباس:" يعني: كل في فلك في السموات"[١٥].

وفي رواية:" دورانا يسبحون؛ يقول: يجرون"[١٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٧٩/٦.

(٢) النكت والعيون: ١٨/٥.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٢.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٧٩/٦.

(٦) تاويل مشكل القرآن: ١٩٣.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٨٣):ص٣١٩٦/١٠.

(٨) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢-٨١٠.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٦٥١):ص٢٤٥٢/٨.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢١.

(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٦٥٢):ص٢٤٥٢/٨.

(١٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٠-٥٢١.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢١.

(١٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢١.

الثاني : يدورون كما يدور المغزل في الفلكة ، قاله ابن عباس-في رواية-[١]، وعكرمة[٢]، ومجاهد[٣].

قال ابن عباس:" يدورون في أبواب السماء ما تدور الفلكة في المغزل"[٤].

وقال الكلبي:" كل شيء يدور فهو فلك"[٥].

وقال الحسن: "الفلك طاحونة مستديرة كفلكة المغزل بين السماء والأرض، وتجري فيها الشمس والقمر والنجوم، وليست بملتصقة بالسماء، ولو كانت ملتصقة ما جرت"[٦].

الثالث : يعملون ، قاله الضحاك[٧].

قال الزجاج:" لكل وَاحِدٍ منهما فَلَك، ومعنى يسبحون يَسيرُونَ فيه بانبساط. وكل من انبسط في شيء فَقَدْ سَبَحَ فيه، ومن ذلك السباحة في الماء"[٨].

فوائد الآيات:[٣٧-٤٠]:

١- إقامة الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على إمكان البعث ووقوعه حتماً.

٢- ذكر القرآن لأمور الفلك التي لم يعرف عنها الناس اليوم إلا جزء يسير آية عظمى على أنه وحي الله وأن من أوحي إليه هو رسول الله قطعاً.

٣- ما ذكره القرآن عن الكون العلوي من الوضوح بحيث يعرفه الفلاح والراعي كالعالم المتبحر والأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وذلك لتقوم الحجة على الناس إن هم لم يؤمنوا بالله ولم يوحدوه في عبادته ويخلصوا له في طاعته وطاعة رسوله.

القرآن

{وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ (٤١)} [يس : ٤١]

التفسير:

ودليل لهم وبرهان على أن الله وحده المستحق للعبادة، المنعم بالنعم، أنَّا حملنا مَن نجا مِن ولد آدم في سفينة نوح المملوءة بأجناس المخلوقات؛ لاستمرار الحياة بعد الطوفان.

قال الطبري: يقول:" ودليل لهم أيضا، وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء، حملنا ذريتهم، يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح، وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون؛ والفلك: هي السفينة، والمشحون: المملوء الموقر"[٩].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : ودلالة لهم أيضًا على قدرته تعالى : تسخيره البحر ليحمل السفن ، فمن ذلك - بل أوله - سفينة نوح ، عليه السلام ، التي أنجاه الله تعالى فيها بمن معه من المؤمنين ، الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم ؛ ولهذا قال : { وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ } أي : آباءهم ، { فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ } أي : في السفينة الموقرة المملوءة من الأمتعة والحيوانات ، التي أمره الله أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين"[١٠].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٦٤٩):ص٢٤٥٢/٨.

(٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ١٩/٥.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٦٤٩):ص٢٤٥٢/٨.

(٥) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٨٣):ص٨٣/٣.

(٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٠٩/٢، وانظ{: تفسير الطبري: ٤٣٨/١٨.

(٧) انظر: النكت والعيون: ١٩/٥.

(٨) معاني القرآن: ٢٨٨/٤.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

قال أبو عبيدة:" {فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}: المملوء، يقال: شحنها عليه خيلا ورجالا، أي: ملأها، و«الفلك»: القطب الذي تدور عليه السماء و«الفلك»: السفينة، الواحد والجميع من «السّفن»"[1].

قال ابن الجوزي:" قال المفسرون: أراد: في سفينة نوح، فنسب الذرية إلى المخاطبين، لأنهم من جنسهم، كأنه قال: ذرية الناس"[2].

وقال الفراء:"« ذُرِّيَّتَهُمْ»، أيْ: ذرية من هُوَ منهم، فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم"[3].

عن ابن عباس، قوله: "{أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون}، يقول: الممتلئ"[4].

عن ابن عباس، قوله: "{في الفلك المشحون}، يعني: المثقل"[5].

عن الحسن، قوله: "{المشحون}، قال: المحمول"[6].

عن سعيد والضحاك: "{الفلك المشحون}، قالا: "الموقر"[7].

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتدرون ما الفلك المشحون؟ قلنا: لا، قال: هو الموقر"[8].

قال مقاتل:" يعنى: الموقر من الناس والدواب"[9].

قال قتادة:" الموقر، يعني سفينة نوح"[10].

قال الضحاك:" يعني: سفينة نوح عليه السلام"[11].

قال يحيى:" يعني: نوحا وبنيه الثلاثة سام، وحام ويافث منهم ذري الخلق بعد ما غرق قوم نوح"[12].

قال ابن زيد:" الفلك المشحون: المركب الذي كان فيه نوح، والذرية التي كانت في ذلك المركب؛ قال: والمشحون: الذي قد شحن، الذي قد جعل فيه ليركبه أهله، جعلوا فيه ما يريدون، فربما امتلأ وربما لم يمتلىء"[13].

وذكروا في قوله تعالى:{أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} [يس :٤١] ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : أن الذرية الآباء حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام ، قاله أبان بن عثمان[14]، وسمى الآباء ذرية لأن منهم ذرء الأبناء.

---

(١) مجاز القرآن: ١٦٢/٢.

(٢) زاد المسير: ٥٢٥/٣.

(٣) معاني القرآن: ٣٨٨/٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢-٥٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٠/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢.

(١٢)تفسير يحيى بن سلام: ٨١٠/٢ .

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٢.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٩/٤.

وقال ابن الجوزي:"قيل: هو حمل الأنبياء في أصلاب الآباء حين ركبوا السفينة، ومنه قول العباس[١]:
بل نُطْفَة تركب السفين وَقد... أَلْجم نسرا[٢]وَأَهله الْغَرق"[٣].
الثاني : أن الذرية الأبناء والنساء لأنهم ذرء الآباء حملوا في السفن ، والفلك هي السفن الكبار ، قاله السدي[٤].
الثالث : أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون ، قاله عليّ رضي الله عنه[٥].

القرآن
{وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٤٢)} [يس :٤٢]
التفسير:
وخلقنا لهؤلاء المشركين وغيرهم مثل سفينة نوح من السفن وغيرها من المراكب التي يركبونها وتبلِّغهم أوطانهم.
قال الطبري: يقول:" وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد، تفضلا منا عليهم، من مثل ذلك الفلك الذي كنا حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذي يركبونه من المراكب"[٦].
وذكر أهل التفسير في قوله تعالى: {وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ} [يس :٤٢]، وجوها:
أحدها : أنه خلق مثل سفينة نوح مما يركبونها من السفن، قاله ابن عباس-في رواية- [٧].
وقال الضحاك:" يعني: السفن التي اتخذت بعدها، يعني بعد سفينة نوح"[٨].
وقال قتادة:" هي السفن التي ينتفع بها"[٩].
قال ابن زيد:" وهي هذه الفلك"[١٠].
قال الزجاج:" الأكثر في التفسير أن {مِنْ مِثْلِهِ}: من مثل سفينة نوح"[١١].
الثاني : أنها السفن الصغار خلقها لهم مثل السفن الكبار ، قاله الحسن-في رواية- [١٢]، وأبو مالك[١٣]، وأبو صالح[١].

---

(١) في شعر العباس يمدح النبي – صلى الله عليه وسلم –: في اللسان (نسر)، وفي أمالى الزجاجى/ ٦٥ ضمن سبعة أبيات للعباس بن عبد المطلب في مدح النبى صلى الله عليه وسلم.
(٢)النسر: صنم من أصنام قوم نوح عليه السلام.
(٣) زاد المسير: ٥٢٥/٣.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٩/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٩/٤.
(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٤.
(٩) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٤.
(١٠) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٨٨/٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٠.

قال أبو مالك:" ألا ترى أنه قال: {وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم}؟"[٢].
قال الفراء:" هي الزواريق[٣] وأشباهها مما يَركب فِيهِ الناس"[٤].
الثالث : أنها سفن الأنهار خلقها لهم مثل سفن البحار، قاله السدي[٥].
الرابع : أنها الإبل، خلقها لهم للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر ، قاله ابن عباس في رواية أخرى-[٦]، والحسن-في رواية أخرى-[٧]، وعبد الله بن شداد[٨]، وعكرمة[٩]، ويحيى بن سلام[١٠].
وقال مجاهد:" يعني: من الأنعام ما يركبون"[١١].
والعرب تشبه الإبل بالسفن ، قال طرفة[١٢]:
كأنَّ حُدُوجَ المالِكِيَّةِ غُدوةً ... خَلايا سَفينٍ بالنَّواصِفِ مِن دَد
قال ابن عباس:" يعني: الإبل، خلقها الله كما رأيت، فهي سفن البر، يحملون عليها ويركبونها"[١٣].
الخامس: يريد: الإبل وسائر ما يركب، فتكون المماثلة في أنه مركوب مبلغ إلى الأقطار فقط. وهذا قول ابن عطية[١٤].
وقال ابن عطية:" ويعود قوله: {إِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُم} على السفن الموجودة في الناس، وأما من خلط القولين فجعل الذرية في الفلك في قوم نوح في سفينة وجعل مِنْ مِثْلِهِ في الإبل فإن هذا نظر فاسد يقطع به قوله تعالى: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ}، فتأمله!"[١٥].
قال الطبري:الصواب " عني بذلك السفن، وذلك لدلالة قوله: {وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم} على أن ذلك كذلك، وذلك أن الغرق معلوم أن لا يكون إلا في الماء، ولا غرق في البر"[١٦].
وحكي الماوردي:" أن يكون تأويله: النساء خلقن لركوب الأزواج ، وقال: لكن لم أره محكياً"[١٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٣/٢٠.
(٢) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٣.
(٣)جمع الزورق، وهو السفينة الصغيرة. والمعروف فى جمعه الزوارق.
(٤) معاني القرآن: ٣٧٨/٢.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٩/٥.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٤/٢٠.
(١٠) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨١٠/٢ .
(١١) تفسير مجاهد: ٥٦٠، وأخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٤. مختصرا.
(١٢) ديوانه: ١٩.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٤.
(١٤) انظر: المحرر الوجيز: ٤٥٥/٤.
(١٥) المحرر الجيز: ٤٥٥/٤.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٥.
(١٧) النكت والعيون: ٢٠/٥.

قال تاج القراء **برهان الدين الكرماني:"** يريد السفن، مثل سفينة نوح. وقيل: الصغار منها مثل سفن الأنهار.

الغريب: هو الإبل، وإنها سفن البر. ويدفع هذا قوله عز وجل:{وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ}.

العجيب: قال أقضى القضاة: يجوز أن يكون ما يركبون النساء؛ لأنهن خلقهن لركوب الأزواج. قال: وقلت: هذا على وزن قول علي - كرم الله وجهه -[١]"[٢].

القرآن

{وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٤٣)} [يس :٤٣]

التفسير:

وإن نشأ نغرقهم، فلا يجدون مغيثًا لهم مِن غرقهم، ولا هم يخلصون من الغرق.

قوله تعالى:{وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ} [يس :٤٣]، أي:" ولو أردنا لأغرقناهم في البحر"[٣].

قال الطبري: يقول:" وإن نشأ نغرق هؤلاء المشركين إذا ركبوا الفلك في البحر"[٤].

قوله تعالى:{فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ} [يس :٤٣]، أي:" فلا يجدون مغيثًا لهم مِن غرقهم"[٥].

قال الطبري:" يقول: فلا مغيث لهم إذا نحن غرقناهم يغيثهم، فينجيهم من الغرق"[٦].

قال الزجاج:" أي: فلا مُغِيثَ لهم"[٧].

قال ابن كثير:"يعني : الذين في السفن، فلا مغيث لهم مما هم فيه "[٨].

قال مجاهد:" لا مغيث لهم يستغيثون"[٩].

قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ} [يس :٤٣]، أي:" ولا هم يخلصون من الغرق"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ولا هو ينقذهم من الغرق شيء إن نحن أغرقناهم في البحر"[١١].

القرآن

{إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [يس :٤٤]

التفسير:

إلا أن نرحمهم فننجيهم ونمتعهم إلى أجل؛ لعلهم يرجعون ويستدركون ما فرَّطوا فيه.

قوله تعالى:{إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا} [يس :٤٤]، أي:" لا ينقذهم أحد إلا نحن لأجل رحمتنا إياهم"[١٢].

---

(١) وهو تفسيره في الآية:«أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيتَهم في الفلك المشحون»: أن الذرية النطف حملها الله تعالى في بطون النساء تشبيهاً بالفلك المشحون.

(٢)غرائب التفسير وعجائب التأويل:٩٦٢/٢.

(٣) صفوة التفاسير: ١٤/٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٥.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٥.

(٧) معاني القرآن: ٢٨٨/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٨٨):ص٣١٩٧/١٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٥.

(١٢) صفوة التفاسير: ١٤/٣.

قال الطبري: يقول: "إلا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم، فننجيهم منه"[1].
قال مقاتل:" إلا نعمة منا حين لا نغرقهم"[2].
قال ابن كثير:" هذا استثناء منقطع ، تقديره : ولكن برحمتنا نسيركم في البر والبحر"[3].
والبحر"[3].
قوله تعالى:{وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ} [يس :٤٤]، أي:" وتمتيعنا لهم إلى انقضاء آجالهم، لعلهم يرجعون ويستدركون ما فرَّطوا فيه"[4].
قال الطبري:" يقول: ولنمتعهم إلى أجل هم بالغوه، فكأنه قال: ولا هم ينقذون، إلا أن نرحمهم فنمتعهم إلى أجل"[5].
قال ابن كثير:" أي : إلى وقت معلوم عند الله "[6].
قال مقاتل:" وبلاغا إلى آجالهم"[7].
عن قتادة: "{ومتاعا إلى حين}، أي: إلى الموت"[8].
قال يحيى:" فبرحمته يمتعهم إلى يوم القيامة ولم يهلكهم بعذاب الاستئصال، وسيهلك كفار آخر هذه الأمة بالنفخة الأولى"[9].

القرآن

{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٤٥)} [يس :٤٥]

التفسير:

وإذا قيل للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأهوالها وأحوال الدنيا وعقابها؛ رجاء رحمة الله لكم، أعرضوا، ولم يجيبوا إلى ذلك.
قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ} [يس :٤٥]، أي:" وإذا قيل للمشركين: احذروا أمر الآخرة وأهوالها وأحوال الدنيا وعقابها"[10].
قال الطبري: يقول:" وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله، المكذبين رسوله محمدا ﷺ: احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الأمم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله، واحذروا ما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه إن هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه "[11].
قال السدي: "{اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم} : عذاب الدنيا وعذاب الآخرة"[12].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٨٠.
(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٥٨٠.
(٤) صفوة التفاسير: ٣/١٤، والتفسير الميسر: ٤٤٣.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٨٠.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٨٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٥.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨١٠-٨١١.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٣.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٥-٥٢٦.
(١٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٨١١.

عن قتادة، قوله: "{وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم}: وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الأمم وما خلفهم من أمر الساعة"[١].

عن مجاهد، قوله: "{ما بين أيديكم}، قال: ما مضى من ذنوبهم"[٢].

وقال الكلبي: {ما بين أيديكم} : من أمر الآخرة، اتقوها واعملوا لها، {وما خلفكم}: الدنيا إذا كنتم في الآخرة، فلا تغتروا بالدنيا، فإنكم تأتون الآخرة"[٣].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [يس :٤٥]، أي:" رجاء رحمة الله لكم"[٤].

قال الطبري:" يقول: ليرحمكم ربكم إن أنتم حذرتم ذلك، واتقيتموه بالتوبة من شرككم والإيمان به، ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لعل الله باتقائكم ذلك يرحمكم ويؤمنكم من عذابه. وتقدير كلامه : أنهم لا يجيبون إلى ذلك ويعرضون عنه. واكتفى عن ذلك بقوله : {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ }"[٦].

فإن قال قائل: وأين جواب قوله: {وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم}؟

قيل: جوابه وجواب قوله {وما تأتيهم من آية من آيات ربهم} ... قوله :{إلا كانوا عنها معرضين}، لأن الإعراض منهم كان عن كل آية لله، فاكتفي بالجواب عن قوله {اتقوا ما بين أيديكم} وعن قوله {وما تأتيهم من آية} بالخبر عن إعراضهم عنها لذلك، لأن معنى الكلام: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا، وإذا أتتهم آية أعرضوا[٧].

القرآن

{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤٦)} [يس :٤٦]

التفسير:

وما تجيء هؤلاء المشركين من علامة واضحة من عند ربهم؛ لتهديهم للحق، وتبيِّن لهم صدق الرسول، إلا أعرضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

قال الطبري:" وما تجيء هؤلاء المشركين من قريش آية، يعني حجة من حجج الله، وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده، وتصديق رسوله، إلا كانوا عنها معرضين، لا يتفكرون فيها، ولا يتدبرونها، فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها"[٨].

قال ابن كثير:" {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ } أي : على التوحيد وصدق الرسل { إلا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ } أي : لا يتأملونها ولا ينتفعون بها"[٩].

قال السمعاني:" أي: معرضين بالجحد والتكذيب"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٦. ثم علّق عليه قائلا:" وهذا القول قريب المعنى من القول الذي قلنا، لأن معناه: اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم، وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد، فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم".

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١١/٢.

(٤) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٥) تفسير الطبري: ٥٢٦/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٧) انظر: تفسيرا لطبري: ٢٠/ ٥٢٦-٥٢٧.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٢٦.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

قال مقاتل:" فلا يتفكروا"[2].
قال الزمخشري: اي:" دأبهم الإعراض عند كل آية وموعظة"[3].
قال قتادة:" يقول: ما تأتيهم من شيء من كتاب الله إلا أعرضوا عنه"[4].
عن الحسن، قوله: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ}، قال:"ما يأتيهم من رسول"[5].
فوائد الآيات:[٤١-٤٦]:
١- بيان فضل الله على البشرية في إنجاء ذرية قوم نوح الكافرين ومنهم كان البشر وإلا لو أغرق الله الجميع المؤمنين الذرية والكافرين الآباء لم يبق في الأرض أحد.
٢- حماية الله تعالى للعباد ورعايته لهم وإلا لهلكوا أجمعين ولكن أين شكرهم؟
٣- بيان إصرار كفار قريش وعنادهم الأمر الذي لم يسبق له مثيل.
٤- الإشارة بالمثلية في قوله {من مثله} إلى تنوع السفن من البوارج والغواصات والطربيدات الحربية.
القرآن
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٤٧)} [يس :٤٧]
التفسير:
وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي مَنَّ به الله عليكم، قالوا للمؤمنين مُحْتجِّين: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟ ما أنتم -أيها المؤمنون- إلا في بُعْدٍ واضح عن الحق، إذ تأمروننا بذلك.
سبب النزول:
عن قتادة، قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ}، قال: نزلت في الزنادقة، كانوا لا يطعمون فقيرا، فعاب الله ذلك عليهم وعيرهم"[6].
قوله تعالى:{وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [يس :٤٧]، أي:" وإذا قيل للكافرين: أنفقوا من الرزق الذي مَنَّ به الله عليكم"[7].
قال الطبري: يقول:" وإذا قيل لهؤلاء المشركين بالله: أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم، فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم"[8].
قال يحيى:" وهذا تطوع"[9].
قوله تعالى:{قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ} [يس :٤٧]، أي:" قال الكفار للمؤمنين مُحْتجِّين: أنطعم من لو شاء الله أطعمه؟"[10].

---

(١) تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٠/٣.
(٣) الكشاف: ١٩/٤.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٧):ص١٢٦٣/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} [الأنعام : ٤].
(٥) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١١/٢.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٨٩):ص٣١٩٧/١٠.
(٧) التفسير الميسر: ٤٤٣.
(٨) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٢٧.
(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٣.

قال الطبري: يقول:" قال الذين أنكروا وحدانية الله، وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله: أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه"[١].

قال الحسن:" اليهود تقوله"[٢].

قال الزجاج:" كأنهم يقولون هذا على حد الاستهزاء. وجاء في التفسير أنها نزلت في الزنادقة، وقيل في قوم من اليهود"[٣].

قال ابن فورك:معناه:" أنهم يوهمون أن الله لما كان قادرا على إطعامه وليس يشاء إطعامه فنحن أحق بذلك، وذهب عليهم موضع التعبد في تكليف الإطعام"[٤].

قال الزمخشري:" كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون أفعال الله تعالى بمشيئته فيقولون: لو شاء الله لأغنى فلانا، ولو شاء لأعزه، ولو شاء لكان كذا، فأخرجوا هذا الجواب مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الأمور بمشيئة الله. ومعناه: أنطعم المقول فيه هذا القول بينكم، وذلك أنهم كانوا دافعين أن يكون الغنى والفقر من الله، لأنهم معطلة لا يؤمنون بالصانع"[٥].

وذكر القتيبي في كتاب «المعارف»: "أن أبا الأسود الدؤلي كان من خلقه أغناهم، فهذا حجة البخلاء في البخل، وهي حجة باطلة؛ لأن الله تعالى منع الدنيا من الفقراء لا بخلا ولكن ابتلاء، وأمر الأغنياء بالإنفاق لا بحكم الحاجة إلى أموالهم لكن ابتلاء شكرهم"[٦].

قوله تعالى:{إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يس :٤٧]، أي:" ما أنتم أيها المؤمنون إلا في ضلال ظاهر واضح حيث تأمروننا أن ننفق أموالنا على من أفقرهم الله"[٧].

قال السمعاني:" أي: في خطأ بين"[٨].

قال الزمخشري:" {إن أنتم إلا في ضلال مبين}: قول الله لهم. أو حكاية قول المؤمنين لهم. أو هو من جملة جوابهم للمؤمنين"[٩].

وفي قوله تعالى:{إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [يس :٤٧]، وجهان من التفسير[١٠]:

أحدهما: أن يكون من قيل الكفار للمؤمنين، والمعنى: ما أنتم أيها القوم في قيلكم لنا: أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم، إلا في ذهاب عن الحق، وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره، أنه في ضلال.

قال الطبري:"وهذا أولى وجهيه بتأويله"[١١].

الثاني: أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين، فيكون تأويله حينئذ: ما أنتم أيها الكافرون في قيلكم للمؤمنين: أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إلا في ضلال مبين، عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال.

قال يحيى:" يقوله المشركون للمؤمنين"[١].

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٩١):ص٣١٩٧/١٠.

(٣) معاني القرآن: ٢٨٩/٤.

(٤) تفسير ابن فورك:١٩٤/٢.

(٥) الكشاف: ١٩/٤.

(٦) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.

(٧) صفوة التفاسير: ١٥/٣.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.

(٩) الكشاف: ١٩/٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٥٢٧.

(١١) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٢٧.

القرآن
{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٨)} [يس :٤٨]
التفسير:
ويقول هؤلاء الكفار على وجه التكذيب والاستعجال: متى يكون البعث إن كنتم صادقين فيما تقولونه عنه؟

قال الطبري:" ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله، والبعث بعد الممات، يستعجلون ربهم بالعذاب {متى هذا} الوعد بقيام الساعة {إن كنتم صادقين} أيها القوم، وهذا قولهم لأهل الإيمان بالله ورسوله"(٢).

قال يحيى:" {ويقولون متى هذا الوعد}، أي: هذا العذاب، {إن كنتم صادقين} يكذبون به"(٣).

قال السمعاني:" أي: وعد القيامة"(٤).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن استبعاد الكفرة لقيام الساعة في قولهم : { مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}؟ { يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا } [الشورى : ١٨]"(٥).

القرآن
{مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩)} [يس :٤٩]
التفسير:
ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا نفخة الفَزَع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة، وهم يختصمون في شؤون حياتهم.

قوله تعالى:{مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ} [يس :٤٩]، أي:" ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم إلا نفخة الفَزَع عند قيام الساعة، تأخذهم فجأة"(٦).

قال الطبري:يقول:" ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله إياهم، إلا صيحة واحدة تأخذهم، وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة"(٧).

قال يحيى:" ما ينظر كفار آخر هذه الأمة الدائنين بدين أبي جهل وأصحابه، {إلا صيحة واحدة}، يعني: النفخة الأولى من إسرافيل، -وهو تفسير السدي- بها يكون هلاكهم"(٨).

قال ابن كثير:" أي : ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ، وهذه - والله أعلم - نفخة الفزع ، ينفخ في الصور نفخة الفزع ، والناس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم ، فبينما هم كذلك إذ أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور نفخة يُطَوِّلُها ويَمُدُّها ، فلا يبقى أحد على وجه الأرض إلا أصغى ليتًا ، ورفع ليتًا - وهي صفحة العنق - يتسمع الصوت

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.
(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٢٧.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.
(٤) تفسير السمعاني: ٣٨١/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٣.
(٧) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٢٨.
(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

من قبل السماء. ثم يساق الموجودون من الناس إلى محشر القيامة بالنار ، تحيط بهم من جوانبهم"[1].

قال قتادة:" قضى الله ألا تأتيكم الساعة إلا بغتة"[2].

عن ابن زيد، قوله: "{ما ينظرون إلا صيحة واحدة}، قال: النفخة نفخة واحدة"[3].

وقال ابن زيد:" هذا مبتدأ يوم القيامة، وقرأ {فلا يستطيعون توصية}، حتى بلغ: {إلى ربهم ينسلون}"[4].

قوله تعالى:{وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} [يس :٤٩]، أي:" وهم يختصمون في شؤون حياتهم"[5].

قال يحيى:" في أسواقهم، يتبايعون، يذرعون الثياب ويخفض أحدهم ميزانه ويرفعه، ويحلبون اللقاح وغير ذلك من حوائجهم"[6].

عن السدي:" {وهم يخصمون}، قال: يتكلمون"[7].

قال الزجاج:" وقرئت: «يختصمون»، وهي جيدة أيضا ومعناها يأخذهم وبعضهم يخصم بعضا، ويجوز أن يكون تأخذهم وهم عند أنفسهم يخصمون في الحجة في أنهم لا يبعثون، فتقوم الساعة وهم متشاغلون في متصرفاتهم"[8].

عن عبد الله بن عمرو قال: "لينفخن في الصور وإن الناس لفي طرقهم وأسواقهم ومجالسهم، وحتى إن الرجل ليساوم الرجل بالثوب والثوب بينهما في يد هذا وهذا فلا يدعانه حتى يصعق بهما، وحتى إن الرجل ليغدو من بيته وما يرجع حتى يصعق به، وتلا هذه الآية: {فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون}"[9].

عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ، قال: «تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه، فما يصدر حتى تقوم»[10].

قال قتادة:" ذكر لنا أن النبي ﷺ كان يقول: "تهيج الساعة بالناس والرجل يسقي ماشيته، والرجل يصلح حوضه، والرجل يقيم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه، وتهيج بهم وهم كذلك، {فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون}"[11].

عن ابي هريرة، قال رسول الله ﷺ: "إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر، قال أبو هريرة: يا رسول الله: وما الصور؟ قال: قرن قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات، الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٢) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٠.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨١١/٢.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٠٩١):ص٣١٩٧/١٠.

(٨) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

(٩) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢، وأخرجه الطبري بنحوه في التفسير:٥/٢٠

(١٠) صحيح مسلم(٢٩٥٤):ص٢٢٧٠/٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٥٢٨/٢٠.

شاء الله، ويأمره الله فيديمها ويطولها، فلا يفتر، وهي التي يقول الله {وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق} ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فيقول: انفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فإذا هم خامدون، ثم يميت من بقي، فإذا لم يبق إلا الله الواحد الصمد، بدل الأرض غير الأرض والسموات، فيبسطها ويسطحها، ويمدها مد الأديم العكاظي، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة، فإذا هم في هذه المبدلة في مثل مواضعهم من الأولى ما كان في بطنها كان في بطنها، وما كان على ظهرها كان على ظهرها"[(١)].

القرآن

{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠)} [يس : ٥٠]

التفسير:

فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحدًا بشيء، ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم.

قوله تعالى:{فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً} [يس :٥٠]، أي:" فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في «القرن» أن يوصوا أحدًا بشيء"[(٢)].

قال يحيى:" أن يوصوا"[(٣)].

قال ابن كثير:" أي : على ما يملكونه ، الأمر أهم من ذلك"[(٤)].

قال الطبري: يقول:" فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ في الصور أن يوصوا في أموالهم أحدا"[(٥)].

قال الزجاج:" لا يستطيع أحد أن يوصي في شيء من أمره"[(٦)].

عن قتادة: "{فلا يستطيعون توصية}، أي: فيما في أيديهم"[(٧)].

قوله تعالى:{وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ} [يس :٥٠]، أي:" ولا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم، بل يموتون في أسواقهم ومواضعهم"[(٨)].

قال يحيى:" من أسواقهم وحيث كانوا"[(٩)].

قال الطبري: " يقول: ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع إليهم، لأنهم لا يمهلون بذلك. ولكن يعجلون بالهلاك"[(١٠)].

قال الزجاج:" لا يلبث إلى أن يصير إلى أهله ومنزله. يموت في مكانه"[(١١)].

عن قتادة: "{ولا إلى أهلهم يرجعون}، قال: أعجلوا عن ذلك"[(١)].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٢٨-٥٢٩.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٢/٢.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٠.

(٦) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٠.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٢/٢.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٠.

(١١) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

القرآن

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١)} [يس : ٥١]

التفسير:

ونُفِخ في «القرن» النفخةُ الثانية، فتُرَدُّ أرواحهم إلى أجسادهم، فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراعًا.

قوله تعالى:{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ} [يس :٥١]، أي:" ونُفِخ في «القرن» النفخةُ الثانية، فتُرَدُّ أرواحهم إلى أجسادهم"[٢].

قال يحيى:" وهذه النفخة الآخرة، والصور قرن"[٣].

قال الطبري:" يعنى بهذه النفخة، نفخة البعث"[٤].

عن ابن عمر، قال :"جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ، فسأله عن الصور فقال: «قرن ينفخ فيه»"[٥].

عن قتادة:"{ونفخ في الصور}: في الخلق"[٦].

قال يحيى: "بلغني عن مُحمد بن كعب القرظي، عن أبي هريرة، قال: تجعل الأرواح في الصور ثم ينفخ فيه صاحب الصور، فيذهب كل روح إلى جسده مثل النحل، فتدخل الأرواح في أجسادها"[٧].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس :٥١]، أي:" فإذا هم من قبورهم يخرجون إلى ربهم سراعًا"[٨].

قال الطبري:"{مِنَ الْأَجْدَاثِ} يعني: من أجداثهم، وهي قبورهم، واحدها: «جدث»، {إلى ربهم ينسلون}، يقول: إلى ربهم يخرجون سراعا، والنسلان: الإسراع في المشي"[٩].

قال الزجاج:" ا«لأجداث»: القبور، واحدها: جدث، و«ينسلون»: يخرجون بسرعة"[١٠].

قال السعدي:" أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأنِّي والتأخر"[١١].

عن ابن عباس، قوله: "{من الأجداث}، يقول: من القبور، {ينسلون} يخرجون"[١٢]. وروي عن قتادة مثله[١٣].

وفي الحديث:"شكونا إلى رسول الله -ﷺ- الضعف فقال: «عليكم بالنسل»"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٠.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٢/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٠.

(٥) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٢/٢.

(٦) رواه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٣/٢.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٣/٢.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥٣١/٢٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.

(١١) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣١.

(١٣) انظر: المصدر نفسه والصحيفة نفسها.

القرآن
{قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢)} [يس :٥٢]
التفسير:
قال المكذبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا مَن أخرجنا مِن قبورنا؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون.
قوله تعالى:{قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا} [يس :٥٢]، أي:" قال المكذبون بالبعث نادمين: يا هلاكنا مَن أخرجنا مِن قبورنا؟"[٢].
قال الطبري:" قال هؤلاء المشركون لما نفخ في الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم إلى أجسامهم، وذلك بعد نومة ناموها {ياويلنا}من أيقظنا من منامنا، وقد قيل: إن ذلك نومة بين النفختين"[٣].
قال ابن كثير:" يعنون : من قبورهم التي كانوا يعتقدون في الدار الدنيا أنهم لا يبعثون منها ، فلما عاينوا ما كذبوه في محشرهم { قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا } ، وهذا لا ينفي عذابهم في قبورهم ؛ لأنه بالنسبة إلى ما بعده في الشدة كالرقاد"[٤].
قال القرطبي:"وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب صار ما عذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم"[٥].
قال الزجاج:" هذا وقف التمام، وهذا قول المشركين، {من مرقدنا} هذا الذي كنا راقدين فيه"[٦].
قال أبو عبيدة:" {مِنْ مَرْقَدِنا}، أي: من منامنا"[٧].
قال ابن الجوزي:" قال المفسرون: إنما قالوا هذا، لأن الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النفختين"[٨].
عن أبي بن كعب، قوله :{ياويلنا من بعثنا من مرقدنا}، قال: ناموا نومة قبل البعث"[٩].
عن منصور، عن رجل يقال له خيثمة في قوله :"{ياويلنا من بعثنا من مرقدنا}، قال: ينامون نومة قبل البعث"[١٠].
قال قتادة:" هذا قول أهل الضلالة. والرقدة: ما بين النفختين"[١١].
عن مجاهد، قوله: "{ياويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا}، قال: الكافرون يقولونه"[١].

---

(١)أخرجه الخطابي في "غريب الحديث" ٢/ ٣٧١، وابن الأثير في "غريب الحديث" ٥/ ٤٩ (نسل)، والزمخشري في "الفائق في غريب الحديث" ٣/ ٤٢١ (نسل)، وابن الجوزي في "غريب الحديث" ٢/ ٤٠٥ باب النون مع السين.
(٢) التفسير الميسر: ٤٤٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣١.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٦.
(٥) تفسير القرطبي: ٤٢/١٥.
(٦) معاني القرآن: ٢٩٠/٤.
(٧) مجاز القرآن: ١٦٣/٢.
(٨) زاد المسير: ٥٢٧/٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٢.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٢.

قال قتادة:" تكلم بأول هذه الآية أهل الضلالة وبآخرها أهل الإيمان، قال أهل الضلالة: {يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا}، قال المؤمنون: {هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون}"[٢].

وفي قراءة ابن مسعود: «من أهبنا من مرقدنا هذا»[٣].

وفى قراءة ابن مسعود أيضا: «من ميتنا»[٤].

قوله تعالى:{هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس :٥٢]، أي:" ؟ فيجابون ويقال لهم: هذا ما وعد به الرحمن، وأخبر عنه المرسلون الصادقون"[٥].

قال السعدي:" أي: هذا الذي وعدكم الله به، ووعدتكم به الرسل، فظهر صدقهم رَأْيَ عين، لا تحسب أن ذكر الرحمن في هذا الموضع، لمجرد الخبر عن وعده، وإنما ذلك للإخبار بأنه في ذلك اليوم العظيم، سيرون من رحمته ما لا يخطر على الظنون، ولا حسب به الحاسبون، كقوله: {الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ} {وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ} ونحو ذلك، مما يذكر اسمه الرحمن، في هذا"[٦].

في قائلي هذا الكلام:{هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [يس :٥٢]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قول المؤمنين، قاله قول مجاهد[٧]، وقتادة[٨]، وابن أبي ليلى[٩].

قال مجاهد:" مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث"[١٠].

قال قتادة:" قال أهل الهدى: هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون"[١١].

الثاني: أنه قول الملائكة لهم، قاله الحسن[١٢]، ومقاتل[١٣]، والفراء[١٤]، وابن قتيبة[١٥].

قال الفراء:" يُقال: إن الكلام انقطعَ عند المرقد. ثُمَّ قالت الملائكة لَهُم: {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون}"[١٦].

الثالث: أنه قول الكافرين، يقول بعضهم لبعض: هذا الذي أخبرنا به المرسلون أننا نبعث ونجازى، قاله ابن زيد[١٧]، والزجاج[١٨].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٢.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٣/٢.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٢.

(٤) نقلا عن تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٦) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٢٧/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(١٢)انظر: النكت والعيون: ٢٤/٥، وزاد المسير: ٥٢٧/٣ .

(١٣)انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣ .

(١٤) انظر: معاني القرآن: ٣٨٠/٢.

(١٥) انظر: تأويل مشكل القرآن: ١٧٩.

(١٦) معاني القرآن: ٣٨٠/٢.

(١٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(١٨) انظر: معاني القرآن: ٢٩١/٤.

قال ابن زيد:" ثم قال بعضهم لبعض: {هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون}، كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت، ونحاسب ونجازى"[١].

قال الطبري:" والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل، وهو أن يكون من كلام المؤمنين، لأن الكفار في قيلهم {من بعثنا من مرقدنا} دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالا ولذلك من جهلهم استثبتوا، ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك إلا من غيرهم، ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك"[٢].

القرآن

{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣)} [يس :٥٣]

التفسير:

ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن» ، فإذا جميع الخلق لدينا ماثلون للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً} [يس :٥٣]، أي:" ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة في «القرن»"[٣].

قال الطبري: يقول:" إن كانت إعادتهم أحياء بعد مماتهم إلا صيحة واحدة، وهي النفخة الثالثة في الصور"[٤].

قال البيضاوي:أي:" ما كانت الفعلة. إلا صيحة واحدة هي النفخة الأخيرة"[٥].

قال النسفي:" {إن كانت} النفخة الأخيرة {إلا صيحة واحدة}"[٦].

قال السعدي:" {إِنْ كَانَتْ} البعثة من القبور {إِلا صَيْحَةً وَاحِدَةً} ينفخ فيها إسرافيل في الصور، فتحيا الأجساد"[٧].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ} [يس :٥٣]، أي:" فإذا جميع الخلق لدينا ماثلون للحساب والجزاء"[٨].

قال الطبري: "يقول: فإذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا، فأشهدوا موقف العرض والحساب، لم يتخلف عنه منهم أحد"[٩].

قال السمعاني:{ مُحْضَرُونَ}، أي: "حاضرون"[١٠].

قال النسفي:"للحساب"[١١].

قال السعدي:أي:" الأولون والآخرون، والإنس والجن، ليحاسبوا على أعمالهم"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(٥) تفسير البيضاوي: ٢٧٠/٤.

(٦) تفسير النسفي: ١٠٧/٣.

(٧) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٣.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٣.

(١٠) تفسير السعاني: ٢٨٣/٤.

(١١) تفسير النسفي: ١٠٧/٣.

(١٢) تفسير السعدي: ٦٩٧.

قال الزجاج:" المعنى: إن إهلاكهم كان بصيحة وبعثهم وإحياءهم بصيحة"(١).
قال البيضاوي: اي:"{محضرون} بمجرد تلك الصيحة، وفي كل ذلك تهوين أمر البعث والحشر واستغناؤهما عن الأسباب التي ينوطان بها فيما يشاهدونه"(٢).

القرآن
{فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤)} [يس :٥٤]
التفسير:
في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تُظْلم نفس شيئًا بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها، ولا تُجْزون إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا.
قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا} [يس :٥٤]، أي:" في ذلك اليوم يتم الحساب بالعدل، فلا تُظْلم نفس شيئًا بنقص حسناتها أو زيادة سيئاتها"(٣).
قال الطبري: يقول:" {فاليوم}، يعني: يوم القيامة {لا تظلم نفس شيئا} كذلك ربنا لا يظلم نفسا شيئا، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح، ولا يحمل عليها وزر غيرها، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء"(٤).
قال السعدي:أي:" لا ينقص من حسناتها، ولا يزاد في سيئاتها"(٥).
قوله تعالى:{وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [يس :٥٤]، أي:" ولا تُجْزون إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا"(٦).
قال الطبري:" يقول: ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا"(٧).
قال السعدي:أي:" من خير أو شر، فمن وجد خيرا فليحمد الله على ذلك، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه"(٨).
قال الزجاج:" المعنى: من جوزي فإنما يجازى بعمله"(٩).
قال البيضاوي: " حكاية لما يقال لهم حينئذ تصويرا للموعود وتمكينا له في النفوس"(١٠).
فوائد الآيات:[٤٧-٥٤]:
١- بيان علو الكافرين وطغيانهم وسخريتهم واستهزائهم، وذلك لظلمة الكفر على قلوبهم.
٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر مبادئها ونهاياتها.
٣- الساعة لا تأتي إلا بغتة.
٤- الانقلاب الكوني الذي يحدث لعظمه اختلفت آراء أهل العلم في تحديد النفخات فيه والظاهر أنها أربع الأولى نفخة الفناء والثانية نفخة البعث والثالثة نفخة الفزع والصعق والرابعة نفخة القيام بين يدي رب العالمين.

---

(١) معاني القرآن: ٤/٢٩١.
(٢) تفسير البيضاوي: ٤/٢٧٠.
(٣) التفسير الميسر: ٤٤٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٤.
(٥) تفسير السعدي: ٦٩٧.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٣.
(٧) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٤.
(٨) تفسير السعدي: ٦٩٧.
(٩) معاني القرآن: ٤/٢٩١.
(١٠) تفسير البيضاوي: ٤/٢٧٠-٢٧١.

٥- تقرير العدل الإلهي يوم الحساب والجزاء ليطمئن كل عامل على أنه يجزى بعمله لا غير.

القرآن

{إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥)} [يس :٥٥]

التفسير:

إن أهل الجنة في ذلك اليوم مشغولون عن غيرهم بأنواع النعيم التي يتفكهون بها.

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن أهل الجنة : أنهم يوم القيامة إذا ارتحلوا من العَرَصات فنزلوا في روضات الجنات : أنهم في شغل عن غيرهم ، بما هم فيه من النعيم المقيم ، والفوز العظيم"[١].

قال السعدي:" لما ذكر تعالى أن كل أحد لا يجازى إلا ما عمله، ذكر جزاء الفريقين، فبدأ بجزاء أهل الجنة، وأخبر أنهم في ذلك اليوم {فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ}، أي: في شغل مفكه للنفس، مُلِذٍّ لها، من كل ما تهواه النفوس، وتلذه العيون، ويتمناه المتمنون، ومن ذلك افتضاض العذارى الجميلات"[٢].

واختلف أهل العلم في معنى «الشغل» الذي وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة، على أقوال:

أحدها : أن ذلك افتضاض العذارى، قاله ابن مسعود[٣]، وابن عباس[٤]، سعيد بن المسيب[٥]، وقتادة[٦].

وقال مقاتل:" يعني: شغلوا بالنعيم، بافتضاض العذارى عن ذكر أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون بهم"[٧].

قال يحيى: "بلغني أن أحدهم يعطى قوة مائة شاب في الشهوة والجماع، وأنه يفتض في مقدار ليلة من ليالي الدنيا مائة عذراء بذكر لا يمل ولا ينثني وفرج لا يحفى ولا يمنى في شهوة أربعين عاما"[٨].

الثاني : في ضرب الأوتار ، قاله ابن عباس- في رواية عنه[٩]- ومسافع بن أبي شريح[١٠].

الثالث : أنهم في نعمة ، قاله الحسن[١١]، ومجاهد[١٢].

وقال الحسن:" شغلهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب"[١٣].

الرابع : في شغل مما يَلقى أهل النار، قاله إسماعيل بن أبي خالد[١٤]، وأبان بن تغلب[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦.

(٢) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٤-٥٣٥.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٥.

(٦) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨١٤/٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٤/٢.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٤/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٤/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٥.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٥.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٥.

الخامس: في التزاور. قاله ابن كيسان[2].
السادس: في ضيافة الله. حكاه الزمخشري[3].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: {إن أصحاب الجنة} وهم أهلها {في شغل فاكهون} بنعم تأتيهم في شغل، وذلك الشغل الذي هم فيه نعمة، وافتضاض أبكار، ولهو ولذة، وشغل عما يلقى أهل النار"[4].
وروي بضم الغين«شُغُل» وقرىء بتسكينها، وفيها وجهان[5]:
أحدهما : أن «الشغل» -بالضم-: المحبوب .
الثاني : «الشغل»، -بالإسكان-، يعني:المروة ، فعلى هذا لا يجوز أن يقرأ بالإسكان في أهل الجنة ولا يقرأ بالضم في أهل النار.
ويقرأ : «فكهون»، بغير ألف . وفي اختلاف القراءتين وجهان[6]:
أحدهما : أنها سواء ومعناهما واحد، يقال: فاكه وفكه كما يقال: حاذر وحذر. قاله الفراء[7].
الثاني : أن معناهما في اللغة مختلف:
أ- «الفكه»: الذي يتفكه بأعراض الناس، تقول العرب للرجل إذ كان يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكه بأعراض. قالت خنساء أو عمرة بنتها[8]:
فكه على حين العشاء إذا ... حضر الشتاء وعزّت الجزر
ب- «الفاكه»: كثير الفواكه، صاحب فاكهة، قاله أبو عبيد[9]، وأنشد قول الحطيئة[10]:
ودعوتنى وزعمت ... أنك لابن بالصيف تامر
قال الراغب:" الشَّغْلُ والشُّغْلُ: العارض الذي يذهل الإنسان"[11].
وفي معنى«فاكهون» -ها هنا- أربعة وجوه:
أحدها : فرحون، قاله ابن عباس[12]، والحسن[13]، وبه قال الزجاج[14].
الثاني : ناعمون، قاله قتادة، ومقاتل[15].
قال مقاتل:" يعني: ناعمين في ظلال كبار القصور"[1].

---

(1) انظر: النكت والعيون: 5/24.
(2) حكاه عنه الزمخشري في الكشاف: 4/21.
(3) انظر: الكشاف: 4/21.
(4) تفسير الطبري: 20/ 535.
(5) انظر: تفسير الطبري: 20/ 535-536، والنكت والعيون: 5/25.
(6) انظر: النكت والعيون: 5/25.
(7) انظر: معاني القرآن: 2/380.
(8) من شواهد أبي عبيدة في المجاز: 2 / 163، ونسبه إلى الخنساء أو ابنتها عمرة، مع خلاف في الرواية. ولم أجده في ديوان الخنساء.
(9) انظر: مجاز القرآن: 2/163-164.
(10)ديوانه ص 75 والكتاب 2/ 88 وفتح الباري 8/ 414.
(11) المفردات: 457.
(12) انظر: تفسير الطبري: 20/ 536.
(13) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: 2/814. ولفظه:«مسرورون».
(14) انظر: معاني القرآن: 4/291.
(15) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: 3/582.

الثالث : معجبون ، قاله حسن-في رواية عنه-[٢]، ومجاهد[٣]، و وقتادة-في رواية عنه- [٤].
الرابع : ذو فاكهة، كما يقال: شاحم لاحم، أي: ذو شحم ولحم. قاله أبو عبيدة[٥]، وأنشد قول الحطيئة[٦]:
ودعوتنى وزعمت ... أنك لابن بالصيف تامر
أي: ذو لبن وتمر، أي: عنده لبن كثير وتمر كثير.
قال الزمخشري:" {إن أصحاب الجنة اليوم في شغل} حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم. في مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود، وتمكين له في النفوس، وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في أى شغل وفي شغل لا يوصف، وما ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين، ووصل إلى نيل تلك الغبطة وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم، ووقع في تلك الملاذ التي أعدها الله للمرتضين من عباده، ثوابا لهم على أعمالهم مع كرامة وتعظيم، وذلك بعد الوله والصبابة، والتفصي من مشاق التكليف ومضايق التقوى والخشية، وتخطى الأهوال، وتجاوز الأخطار وجواز الصراط. ومعاينة ما لقى العصاة من العذاب"[٧].
عن موسى بن أيوب أنه سمع إياس بن عامر يقول: " {إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون}، إن الرجل من أهل الجنة في الخيمة مع نسائه حتى تأتيه نساء فيقلن له: اخرج إلى أهلك، فيقول: ما أنتن لي بأهل، فيقلن: بلى، نحن مما أخفى الله لك، فقد زوجتنا؛ فيشتغل بهن عن أهله الأولين؛ فذلك قول الله: {إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون}، قال: فذكرت ذلك لتبيع برودس، فقال: ذلك أبو فلان، فعرفه صدق كما قال"[٨].
القرآن
{هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦)} [يس : ٥٦]
التفسير:
هم وأزواجهم متنعمون بالجلوس على الأسرَّة المزيَّنة، تحت الظلال الوارفة.
قال السعدي:" {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ} من الحور العين، اللاتي قد جمعن حسن الوجوه والأبدان وحسن الأخلاق. {فِي ظِلالٍ عَلَى الأرَائِكِ} أي: على السرر المزينة باللباس المزخرف الحسن. {مُتَّكِئُونَ} عليها، اتكاء على كمال الراحة والطمأنينة واللذة"[٩].
قال السمعاني: {الْأَرَائِكِ}" في التفسير: سرر من الذهب مكللة بالدر والزبرجد والياقوت، عليها حجال، وقوله:{مُتَّكِئُونَ}، أي: أنهم ذوو اتكاة، وذكر الاتكاء في الجنة؛ لأنهم لا ينامون"[١٠].
قال ثعلب: "لا تكون «الأرائك» أريكة حتى تكون تحت حجلة"[١١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.
(٢) رواه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٩٢):ص٨٥/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٦.
(٤) رواه عبدالرزاق في التفسير(٢٤٩٢):ص٨٥/٣.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ١٦٣/٢-١٦٤.
(٦) ديوانه ص ٧٥ والكتاب ٢/ ٨٨ وفتح الباري ٨/ ٤١٤.
(٧) الكشاف: ٢١/٤.
(٨) التفسير القرآن من الجامع لابن وهب: (٢٩٣):ص١٤٤/٢.
(٩) تفسير السعدي: ٦٩٧.
(١٠) تفسير السمعاني: ٣٨٣/٤.
(١١) نقلا عن تفسير السمعاني: ٣٨٣/٤.

عن مجاهد، قوله:"{هم وأزواجهم في ظلال}، قال: حلائلهم في ظلل"[1].
قال مجاهد:" الأرائك: من لؤلؤ وياقوت"[2].
قال ابن عباس:" «الأرائك»: السرر في جوف الحجال ... عليها الفرش منضود في السماء فرسخ"[3].
قال مقاتل:" {هم وأزواجهم}، يعني: الحور العين حلائلهم، في ظلال كبار القصور{على الأرائك}: على السرر عليها الحجال متكؤن"[4].
قال أبو عبيدة:" «الْأَرائِكِ»، واحدتها: «أريكة»، وهى السّرر فى الحجال، قال ذو الرّمّة[5]:
خدودا جفت فى السّير حتى كأنما ... يباشرن بالمعزاء مسّ الأرائك
وقال الأعشى[6]:
بين الرّواق وجانب من سترها ... منها وبين أريكة الأنضاد"[7].
قال الزجاج:« الأرائك »:"هي الفرش في الحجال، وقيل: انها الفرش، وقيل: الأسزة، وهي على الحقيقة الفرش كانت في حجال أو غير حجال"[8].
وفي قراءة عبدالله:« فِي ظُلَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئِينَ»[9].

القرآن
{لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧)} [يس :٥٧]
التفسير:
لهم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة، ولهم كل ما يطلبون من أنواع النعيم.
قوله تعالى:{لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ} [يس :٥٧]، أي:" لهم في الجنة أنواع الفواكه اللذيذة"[10].
قال الطبري:" يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة"[11].
قال ابن كثير:" أي : من جميع أنواعها"[12].
قال السعدي:" من جميع أنواع الثمار اللذيذة، من عنب وتين ورمان، وغيرها"[13].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٣٨.
(٢) تفسير مجاهد: ٥٦١.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٨٠٢):ص٧/٢٣٦٠.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.
(٥)ديوانه ٤٢٢.
(٦)ديوانه ٩٧.
(٧) مجاز القرآن: ٤٠١/١.
(٨) معاني القرآن: ٢٩٢/٤.
(٩) انظر: المصاحف لأبي داود:١٨٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٤.
(١١) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٩.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦.
(١٣) تفسير السعدي: ٦٩٧.

قال المراغي:" وبعد أن ذكر ما لهم فيها من مجالس الأنس- ذكر ما يتمتعون به من مآكل ومشارب، ولذات جسمانية وروحية فقال: {لهم فيها فاكهة}، أي: لهم فيها من الفواكه مالذ وطاب، مما تقر به أعينهم، وتسر به نفوسهم، كما هو شأن المترفين المنعمين في الدنيا"[١].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} [يس :٥٧]، أي:" ولهم كل ما يطلبون من أنواع النعيم"[٢].

قال الطبري:" يقول: ولهم فيها ما يتمنون"[٣].

قال الواحدي: أي: ما"يتمنَّون"[٤].

قال مقاتل:" يتمنون ما شاءوا من الخير"[٥].

قال ابن كثير:" أي : مهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ"[٦].

قال المراغي:أي:" ولهم فوق ذلك كل ما يتمنون وتشتاق إليه نفوسهم"[٧].

قال السعدي:" فمهما طلبوه وتمنوه أدركوه"[٨].

قال ابن قتيبة:" ومنه يقول الناس: هو في خير ما ادعى؛ أي: ما تمنى. والعرب تقول:ادع علي ما شئت؛ أي: تمن علي ما شئت"[٩].

وقال يحيى بن سلام:{ ولهم ما يدعون}، أي:"ما يشتهون، يكون في في أحدهم الطعام فيخطر على باله طعام آخر فيتحول ذلك الطعام في فيه ويأكل من ناحية من البسرة بسرا ثم يأكل من ناحية أخرى عنبا إلى عشرة ألوان أو ما شاء الله من ذلك، ويصف الطير بين يديه، فإذا اشتهى الطير منها اضطرب ثم صار بين يديه نضيجا، نصفه شواء ونصفه قدير، وكل ما اشتهت أنفسهم وجدوه كقوله: {وفيها ما تشتهيه الأنفس} [الزخرف: ٧١]"[١٠].

عن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ : "ألا هل مُشَمِّر إلى الجنة ؟ فإن الجنة لا خَطر لها هي - ورب الكعبة - نور كلها يتلألأ وريحانة تهتز ، وقصر مَشيد ، ونهر مُطَّرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام في أبد ، في دار سلامة ، وفاكهة خضرة وحَبْرَة ونعمة ، ومحلة عالية بَهيَّة". قالوا : نعم يا رسول الله ، نحن المشمرون لها. قال : "قولوا : إن شاء الله". قال القوم : إن شاء الله"[١١].

القرآن

{سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس :٥٨]

---

(١) تفسير المراغي: ٢٢/٢٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٣٩.

(٤) الوجيز: ٩٠٢.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٢/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦.

(٧) تفسير المراغي: ٢٢/٢٣.

(٨) تفسير السعدي: ٦٩٧.

(٩) غريب القرآن: ٣٦٧.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٥/٢.

(١١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦، ورواه ابن ماجة في السنن برقم (٤٣٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٣٢٥/٣) : "هذا إسناد فيه مقال ، الضحاك المعافري ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال الذهبي في طبقات التهذيب : مجهول وسليمان الأموى مختلف فيه وباقي رجال الإسناد ثقات".

التفسير:
ولهم نعيم آخر أكبر حين يكلمهم ربهم، الرحيم بهم بالسلام عليهم. وعند ذلك تحصل لهم السلامة التامة من جميع الوجوه.

قال المراغي:" أي ذلك الذي يتمنونه هو التسليم من الله عليهم تعظيما لهم، والسلام أمان من كل مكروه، ونيل لكل محبوب، وذلك منتهى درجات النعيم الروحي والجسماني الذي تصبو إليه النفوس في دنياها وآخرتها، فكأن هذا إجمال. لما تقدم من اللذات التي فصلت فيما سلف"(١).

قال السعدي:" ولهم أيضا {سَلامٌ} حاصل لهم {مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} ففي هذا كلام الرب تعالى لأهل الجنة وسلامه عليهم، وأكده بقوله: {قَوْلا} وإذا سلم عليهم الرب الرحيم، حصلت لهم السلامة التامة من جميع الوجوه، وحصلت لهم التحية، التي لا تحية أعلى منها، ولا نعيم مثلها، فما ظنك بتحية ملك الملوك، الرب العظيم، الرءوف الرحيم، لأهل دار كرامته، الذي أحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبدا، فلولا أن الله تعالى قدر أن لا يموتوا، أو تزول قلوبهم عن أماكنها من الفرح والبهجة والسرور، لحصل ذلك"(٢).

واختلف أهل العلم في تفسير الآية، على قولين:
أحدهما : أنه تبشير الله تعالى لهم بسلامتهم. حكاه الماوردي(٣).
الثاني : أنه سلام الله تعالى عليهم إكراماً لهم ، قاله عمر بن عبدالعزيز(٤).

قال ابن أبي زمنين:" قوله: {سلام قولا} منصوب على معنى: لهم سلام. يقوله الله قولا"(٥).

قال ابن فورك:" أي: ولهم سلام يسمعونه من الله - عز وجل -، يؤذنهم بدوام الأمر والسلامة، وشيوع النعمة والكرامة"(٦).

قال السمعاني:" أكثر المفسرين أن معناه: يسلم الله عليهم سلاما. وقوله: {قولا} أي: يقول قولا"(٧).

قال مقاتل:" وذلك أن الملائكة تدخل على أهل الجنة من كل باب يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم"(٨).

قال عمر بن عبد العزيز: "إذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار، أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة، فيقف على أول أهل درجة، فيسلم عليهم، فيردون عليه السلام، وهو في القرآن {سلام قولا من رب رحيم}، فيقول: سلوا، فيقولون: ما نسألك وعزتك وجلالك، لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم، فيقول: سلوا، فيقولون: نسألك رضاك، فيقول: رضائي أحلكم دار كرامتي، فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي، قال: ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سواريها الشمس والقمر، فكيف بالمسورة"(٩).

---

(١) تفسير المراغي: ٢٣/٢٢-٢٣.
(٢) تفسير السعدي: ٦٩٧.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٥/٢٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٠.
(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٤/٤٩.
(٦) تفسير ابن فورك: ٢/١٩٨.
(٧) تفسير السمعاني: ٤/٣٨٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٨٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٠.

وروي عن جابر بن عبد الله ، قال: قال رسول الله ﷺ : "بينا أهل الجنة في نعيمهم ، إذ سطع لهم نور ، فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم ، فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة. فذلك قوله : { سَلامٌ قَوْلا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ }. قال : "فينظر إليهم وينظرون إليه ، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه ، حتى يحتجب عنهم ، ويبقى نوره وبركته عليهم وفي ديارهم"(١).

قال ابن قتيبة:" أي: سلام يقال لهم فيها، كأنهم يتلقونه من رب رحيم"(٢).

وقال يحيى:" يأتي الملك من عند الله إلى أحدهم فلا يدخل عليه حتى يستأذن عليه يطلب الإذن من البواب الأول، فيذكره للبواب الثاني، ثم كذلك حتى ينتهي إلى البواب الذي يليه، فيقول البواب له: ملك على الباب يستأذن فيقول: ائذن له، فيدخل بثلاثة أشياء، بالسلام من الله، والتحفة، والهدية، وبأن الله عنه راض، وهو قوله: {وإذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا} [الإنسان: ٢٠]"(٣).

قال سهل:" أهل القرآن يلحقهم من الله السلام في العاجل بقوله: {وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ} [النمل : ٥٩]، وسلام في الآجل، وهو قوله: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ} [يس : ٥٨]"(٤).

وَفِي قراءة عبد الله «سلامًا قولًا»(٥).

فوائد الآيات:[٥٥-٥٨]:

١- تقرير المعاد.

٢- بيان نعيم الجنة.

٣- سلام الله تعالى على أهل الجنة ونظرهم إلى وجهه الكريم.

القرآن

{وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (٥٩)} [يس :٥٩]

التفسير:

ويقال للكفار في ذلك اليوم: تميَّزوا عن المؤمنين، وانفصلوا عنهم.

قال ابن قتيبة:" أي: انقطعوا عن المؤمنين وتميزوا منهم. يقال: مزت الشيء من الشيء -إذا عزلته عنه- فانماز وامتاز وميزته فتميز"(٦).

قال الطبري:يقول:" وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله، فإنكم واردون غير موردهم، داخلون غير مدخلهم"(٧).

قال قتادة:" عزلوا عن كل خير"(٨).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عمّا يؤول إليه حال الكفار يوم القيامة من أمره لهم أن يمتازوا ، بمعنى : يتميزون عن المؤمنين في موقفهم ، كقوله تعالى : { وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ } [يونس : ٢٨] ، وقال تعالى : { وَيَوْمَ

---

(١) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٦، وقال: "في إسناده نظر"، ورواه ابن ماجه في السنن السنن برقم (١٨٤) وقال البوصيري في الزوائد (٨٦/١) : "هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان القرشي".

(٢) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٣)تفسير يحيى بن سلام: ٨١٦/٢.

(٤) تفسير التستري: ١١٦.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٨٠/٢.

(٦) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٧) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٢.

تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ } [الروم : ١٤] ، { يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ } [الروم : ٤٣] أي : يصيرون صدْعَين فرقتين ، { احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ } [الصافات : ٢٢ ، ٢٣]"[١].

عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: "إذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: {ألم أعهد إليكم يابني آدم أن لا تعبدوا الشيطان} .. الآية، إلى قوله {هذه جهنم التي كنتم توعدون} {وامتازوا اليوم أيها المجرمون}، فيتميز الناس ويجثون، وهي قول الله: {وترى كل أمة} ... الآية"[٢].

القرآن

{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٦٠)} [يس : ٦٠]

التفسير:

ويقول الله لهم توبيخًا وتذكيرًا: ألم أوصكم على ألسنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟ إنه لكم عدو ظاهر العداوة.

قوله تعالى:{أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَابَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس :٦٠]، أي:" ويقول الله لهم توبيخًا وتذكيرًا: ألم أوصكم على ألسنة رسلي أن لا تعبدوا الشيطان ولا تطيعوه؟"[٣].

قال الطبري:" في الكلام محذوف تقديره: ثم يقال: ألم أعهد إليكم يا بني آدم، يقول: ألم أوصكم وآمركم في الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه في معصية الله"[٤].

قال ابن قتيبة:" {ألم أعهد إليكم} ألم آمركم ألم أوصكم؟!"[٥].

قال ابن كثير:" هذا تقريع من الله للكفرة من بني آدم ، الذين أطاعوا الشيطان وهو عدو لهم مبين ، وعصوا الرحمن وهو الذي خلقهم ورزقهم"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [يس :٦٠]، أي:" إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة"[٧].

قال الطبري:" يقول: وأقول لكم: إن الشيطان لكم عدو مبين، قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود، لأبيكم آدم، حسدا منه له، على ما كان الله أعطاه من الكرامة، وغروره إياه، حتى أخرجه وزوجته من الجنة"[٨].

القرآن

{وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٦١)} [يس :٦١]

التفسير:

وأمرتكم بعبادتي وحدي، فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجنَّاتي.

قوله تعالى:{وَأَنِ اعْبُدُونِي} [يس :٦١]، أي:" وأمرتكم بعبادتي وحدي"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٦/٥٨٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٢.

(٣) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/٥٤٢.

(٥) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٨٤.

(٧) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/٥٤٢.

قال الطبري:" يقول: وألم أعهد إليكم أن اعبدوني دون كل ما سواي من الآلهة والأنداد، وإياي فأطيعوا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : قد أمرتكم في دار الدنيا بعصيان الشيطان ، وأمرتكم بعبادتي"[٣].

قوله تعالى:{هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ} [يس :٦١]، أي:" فعبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان هي الدين القويم الموصل لمرضاتي وجنَّاتي"[٤].

قال الطبري: يقول: "فإن إخلاص عبادتي، وإفراد طاعتي، ومعصية الشيطان، هو الدين الصحيح، والطريق المستقيم"[٥].

قال ابن كثير:أي" وهذا هو الصراط المستقيم، فسلكتم غير ذلك واتبعتم الشيطان فيما أمركم به"[٦].

القرآن

{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (٦٢)} [يس :٦٢]

التفسير:

ولقد أضلَّ الشيطان عن الحق منكم خلقًا كثيرًا، أفما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا} [يس :٦٢]، أي:" ولقد أضلَّ الشيطان عن الحق منكم خلقًا كثيرًا"[٧].

قال الطبري: يقول: " ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتي، وإفرادي بالألوهة حتى عبدوه، واتخذوا من دوني آلهة يعبدونها"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: خلقا. «وجبلا»: بالضم والتخفيف، مثله. و«الجبل» أيضا: الخلق. قال الشاعر[٩]:

جهارا ويستمتعن بالأنس الجبل"[١٠].

عن مجاهد: "{ولقد أضل منكم جبلا}، قال: خلقا"[١١].

قوله تعالى:{أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ} [يس :٦٢]، أي:" أفما كان لكم عقل -أيها المشركون- ينهاكم عن اتباعه؟"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٢) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٨٤/٦.

(٤) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٥) تفسير الطبري: ٥٤٢/٢٠.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٨٤/٦.

(٧) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٨) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.

(٩)عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي. وصدره -كما في اللسان، والديوان ٣٨:

منايا يقربن الحتوف لأهلها.

(١٠) غريب القرآن: ٣٦٧.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٣.

(١٢) التفسير الميسر:٤٤٤.

قال الطبري: " يقول: أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون، إذ أطعتم الشيطان في عبادة غير الله، أنه لا ينبغي لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله، وتعبدوا غير الله"[١].
قال ابن كثير:" أي : أفما كان لكم عقل في مخالفة ربكم فيما أمركم به من عبادته وحده لا شريك له ، وعُدُولُكم إلى اتباع الشيطان ؟!"[٢].

القرآن
{هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٦٣)} [يس :٦٣]
التفسير:
هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله.
قال الطبري: "يقول: هذه جهنم التي كنتم توعدون بها في الدنيا على كفركم بالله، وتكذيبكم رسله، فكنتم بها تكذبون. وقيل: إن جهنم أول باب من أبواب النار"[٣].
قال ابن كثير:" يقال للكفرة من بني آدم يوم القيامة ، وقد برزَت الجحيم لهم تقريعًا وتوبيخًا : { هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ } أي : هذه التي حذرتكم الرسل فكذبتموهم ، { اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ}"[٤].

القرآن
{اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٦٤)} [يس :٦٤]
التفسير:
ادخلوها اليوم وقاسوا حرَّها؛ بسبب كفركم.
قال الطبري: "يقول: احترقوا بها اليوم وردوها؛ -يعني باليوم: يوم القيامة-، بما كنتم تجحدونها في الدنيا، وتكذبون بها"[٥].
قال أبو الليث:" يعني: اصلوها اليوم بما كفرتم في الدنيا عقوبة لكم في الدنيا"[٦].
قال ابن كثير:" كما قال تعالى : { يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا * هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ * أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لا تُبْصِرُونَ } [الطور : ١٣ - ١٥]"[٧].
قال الماتريدي:" ادخلوها اليوم بما كنتم تكذبون بها"[٨].
قال النسفي:" ادخلوها بكفركم وإنكاركم لها"[٩].
قال البيضاوي:" ذوقوا حرها اليوم بكفركم في الدنيا"[١٠].
قال يحيى:"{ بما كنتم تكفرون} في الدنيا"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.
(٣) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.
(٤) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.
(٥) تفسير الطبري: ٥٤٣/٢٠.
(٦) بحر العلوم: ١٢٩/٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.
(٨) تاويلات أهل السنة: ٥٣٣/٨.
(٩) تفسير النسفي: ١٠٩/٣.
(١٠) تفسير البيضاوي:٢٧٢/٤.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢.

القرآن

{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٦٥)} [يس :٦٥]

التفسير:

اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون، وتُكلِّمنا أيديهم بما بطشت به، وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام.

قوله تعالى:{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ} [يس :٦٥]، أي:" اليوم نطبع على أفواه المشركين فلا ينطقون"(١).

قال الطبري: يقول:" اليوم نطبع على أفواه المشركين، وذلك يوم القيامة"(٢).

قال السدي:" فلا يتكلمون"(٣).

قال ابن كثير:" هذا حال الكفار والمنافقين يوم القيامة ، حين ينكرون ما اجترموه في الدنيا ، ويحلفون ما فعلوه ، فيختم الله على أفواههم ، ويستنطق جوارحهم بما عملت "(٤).

عن أنس بن مالك قال : كنا عند النبي ﷺ ، فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : " أتدرون مم أضحك ؟ " قلنا : الله ورسوله أعلم. قال : "من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : رب ألم تجرني من الظلم ؟ فيقول : بلى. فيقول : لا أجيز علي إلا شاهدًا من نفسي، فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حَسيبًا ، وبالكرام الكاتبين شهودا. فيختم على فيه ، ويُقال لأركانه : انطقي. فتنطق بعمله ، ثم يخلي بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعدًا لَكُنَّ وسُحقًا ، فعنكنَّ كنتُ أناضل"(٥).

قوله تعالى:{وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ} [يس :٦٥]، أي:" وتُكلِّمنا أيديهم بما بطشت به"(٦).

قال الطبري: يقول:" {وتكلمنا أيديهم} بما عملوا في الدنيا من معاصي الله"(٧).

قوله تعالى:{وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس :٦٥]، أي:" وتشهد أرجلهم بما سعت إليه في الدنيا، وكسبت من الآثام"(٨).

قال الطبري: " قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليسرى {بما كانوا يكسبون} في الدنيا من الآثام"(٩).

عن عقبة بن عامر، أنه سمع النبي ﷺ يقول: "أول شيء يتكلم من الإنسان، يوم يختم الله على الأفواه، فخذه من رجله اليسرى"(١٠).

عن قتادة، قوله :"{اليوم نختم على أفواههم} .... الآية، قال: قد كانت خصومات وكلام، فكان هذا آخره، {نختم على أفواههم}"(١).

---

(١) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤٤.

(٣) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٠٩٩):ص١٠/٣١٩٩.

(٤) تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦.

(٥) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٥/٦-٥٨٦، وانظر الحديث في صحيح مسلم برقم (٢٩٦٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٦٥٣).

(٦) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤٤.

(٨) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٩) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٤٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٥.

قال الشعبي:" يقال للرجل يوم القيامة: عملت كذا وكذا، فيقول: ما عملت، فيختم على فيه، وتنطق جوارحه، فيقول لجوارحه: أبعدكن الله، ما خاصمت إلا فيكن"[٢].

قال أبو موسى: "يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه، فيعترف فيقول: نعم أي رب عملت عملت عملت، قال: فيغفر الله له ذنوبه، ويستره منها، فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئا، وتبدو حسناته، فود أن الناس كلهم يرونها؛ ويدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحده، ويقول أي: رب، وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل، فيقول له الملك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتك أي رب، ما عملته، فإذا فعل ذلك ختم على فيه. قال الأشعري: فإني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى، ثم تلا :{اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون}"[٣].

القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ (٦٦)} [يس :٦٦]

التفسير:

ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نُذْهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم، فبادَروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طُمِست أبصارهم؟

قوله تعالى:{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ} [يس :٦٦]، أي:" ولو نشاء لطمسنا على أعينهم بأن نُذْهب أبصارهم، كما ختمنا على أفواههم"[٤].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ} [يس :٦٦]، وجهان:

أحدهما : لأعمينا أبصار المشركين في الدنيا فضلوا عن الطريق فلا يبصرون عقوبة لهم ، قاله الحسن[٥]، وقتادة[٦].

قال الحسن:" لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون"[٧].

قال ابن قتيبة:" المطموس: هو الأعمى الذي لا يكون بين جفنيه شق"[٨].

الثاني : لأعمينا قلوبهم فضلوا عن الحق فلم يهتدوا إليه، قاله ابن عباس[٩].

قال ابن عباس:" يقول: أضللتهم وأعميتهم عن الهدى"[١٠].

قال الطبري:" والقول الأول" أشبه بتأويل الكلام، لأن الله إنما تهدد به قوما كفارا، فلا وجه لأن يقال: وهم كفار، لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم، ولكنه قال: لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم، فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا، ولا يهتدون له؛ والطمس على

---

(١) أخرجه الطبري: :٢٠/ ٥٤٤-٥٤٥.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٤.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٤.

(٤) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٥.

(٦)انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٥-٥٤٦.

(٧) أخرجه الطبري: :٢٠/ ٥٤٥.

(٨) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٥.

(١٠) أخرجه الطبري :٢٠/ ٥٤٥.

العين: هو أن لا يكون بين جفني العين غر، وذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر، يقال: أعمى مطموس وطميس"[١].

قوله تعالى:{فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ} [يس :٦٦]، أي:" فبادَروا إلى الصراط ليجوزوه، فكيف يتحقق لهم ذلك وقد طُمِست أبصارهم؟"[٢].

قال الطبري:" يقول: فابتدروا الطريق، فأي وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق، وقد طمسنا على أعينهم"[٣].

قال ابن قتيبة:" {فاستبقوا الصراط} ليجوزوا. {فأنى يبصرون} أي فكيف يبصرون؟!"[٤].

عن مجاهد، قوله:{ فاستبقوا الصراط}، قال: الطريق"[٥]، "{فأنى يبصرون}، وقد طمسنا طمسنا على أعينهم"[٦].

وعن ابن عباس: "{فأنى يبصرون}، يقول: فكيف يهتدون"[٧].

وقال ابن عباس:" يقول: لا يبصرون الحق"[٨].

القرآن

{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (٦٧)} [يس :٦٧]

التفسير:

ولو شئنا لَغَيَّرنا خلقهم وأقعدناهم في أماكنهم، فلا يستطيعون أن يَمْضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم.

قوله تعالى:{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ} [يس :٦٧]، أي:" ولو شئنا لَغَيَّرنا خلقهم وأقعدناهم في أماكنهم"[٩].

قال الطبري: يقول:" ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم"[١٠].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ} [يس :٦٧]، ثلاثة وجوه من التفسير:

أحدها : لأقعدناهم على أرجلهم ، قاله الحسن[١١]، وقتادة[١٢].

قال الحسن:" لو نشاء لجعلناهم كسحا لا يقومون"[١٣].

الثاني : لأهلكناهم في مساكنهم، قاله ابن عباس[١].

---

(١) تفسير الطبري :٢٠/ ٥٤٦.

(٢) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤٦/٢٠.

(٤) غريب القرآن: ٣٦٧.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٠٢):ص٣١٩٩/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٦، وابن ابي حاتم(١٨١٠٢):ص٣١٩٩/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٧.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٧.

(٩) التفسير الميسر:٤٤٤.

(١٠) تفسير الطبري: :٢٠/ ٥٤٧.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٧.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٧.

(١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٠٥):ص٣١٩٩/١٠

الثالث : لغيّرنا خلْقهم فلا ينقلبون، قاله السدي[٢].
الرابع: معناه: لجعلناهم حجارة. قاله أبو صالح[٣].
قال الزمخشري:" أي: أقعدناهم في منازلهم قردة وخنازير، و«المسخ»: تحويل الصورة"[٤].
قال ابن قتيبة:" {على مكانتهم} هو مثل مكانهم. يقال: مكان ومكانة ومنزل ومنزلة"[٥].
قوله تعالى:{فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ} [يس :٦٧]، أي:" فلا يستطيعون أن يَمْضوا أمامهم، ولا يرجعوا وراءهم"[٦].
قال الطبري: "يقول: فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم، ولا أن يرجعوا وراءهم"[٧].
قال ابن كثير:" { فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا } أي : إلى أمام ، { وَلا يَرْجِعُونَ } أي : إلى وراء ، بل يلزمون حالا واحدًا ، لا يتقدمون ولا يتأخرون"[٨].
وفي قوله تعالى:{فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ} [يس :٦٧]، وجهان:
أحدهما : فما استطاعوا لو فعلنا ذلك بهم أن يتقدموا ولا يتأخروا ، قاله قتادة[٩].
الثاني : فما استطاعوا مُضِيّاً في الدنيا، ولا رجوعاً فيها ، قاله أبو صالح[١٠].

القرآن
{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)} [يس :٦٨]
التفسير:
ومن نُطِلْ عمره حتى يهرم نُعِدْه إلى الحالة التي ابتدأ منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد، أفلا يعقلون أنَّ مَن فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟
قوله تعالى:{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ} [يس :٦٨]، أي:" ومن نُطِلْ عمره حتى يهرم نُعِدْه إلى الحالة التي ابتدأ منها حالة ضعف العقل وضعف الجسد"[١١].
قال الماتريدي:" أي: نصيره ضعيفا بعد أن كان قويا"[١٢].
قال ابن الجوزي: أي:" من نطل عمره ننكس خلقه، فنجعل مكان القوة الضعف، وبدل الشباب الهرم، فنرده إلى أرذل العمر"[١٣].
قال الجصاص:" ومثله قوله تعالى: {ومنكم من يرد إلى أرذل العمر} [النحل: ٧٠] وسماه أرذل العمر؛ لأنه لا يرجى له بعده عود من النقصان إلى الزيادة ومن الجهل إلى العلم

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٧.
(٢) انظر: النكت والعيون: ٢٦/٥.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٠٤):ص٣١٩٩/١٠.
(٤) الكشاف: ١٣٥/٨.
(٥) غريب القرآن: ٣٦٨.
(٦) التفسير الميسر:٤٤٤.
(٧) تفسير الطبري: :٢٠/ ٥٤٧.
(٨) تفسير ابن كثير: ٥٨٧/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٧.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٩/٥.
(١١) التفسير الميسر:٤٤٤.
(١٢) تأويلات أهل السنة: ٥٣٦/٨.
(١٣) زاد المسير: ٥٣٠/٣.

كما يرجى مصير الصبي من الضعف إلى القوة ومن الجهل إلى العلم، ونظيره قوله تعالى: {ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة} [الروم: ٥٤]"[١].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن ابن آدم أنه كلما طال عمره ردّ إلى الضعف بعد القوة والعجز بعد النشاط ، كما قال تعالى : { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ } [الروم : ٥٤]. وقال : {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا } [الحج : ٥].

والمراد من هذا - والله أعلم - الإخبارُ عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال ، لا دار دوام واستقرار"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ نُعَمِّرْهُ} [يس :٦٨]، قولان:

أحدهما : أنه بلوغ ثمانين سنة، قاله سفيان[٣].

قال سفيان:"إذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه"[٤].

الثاني : هو الهرم، قاله قتادة[٥]، ويحيى بن سلام[٦].

قال قتادة:" هو الهرم. يتغير سمعه، وبصره وقوته، كما رأيت"[٧].

وقال قتادة:" يقول: من نمد له في العمر ننكسه في الخلق، لكيلا يعلم بعد علم شيئا، يعني: الهرم"[٨].

قال ابن قتيبة:" أي: نرده إلى أرذل العمر"[٩].

قال مقاتل:" فنطول عمره"[١٠].

وفي قوله تعالى:{نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ} [يس :٦٨]، وجهان من التفسير:

أحدهما : نردُّه في الضعف إلى حال الضعف فلا يعلم شيئاً، وهذا معنى قول يحيى بن سلام[١١].

قال يحيى:" فيكون بمنزلة الصبي الذي لا يعقل، كقوله: {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا} [الحج: ٥]"[١٢].

الثاني :أن التنكيس في الخلق هو ضعف الجوارح بعد قوتها، أي: نغير سمعه وبصره وقوته، قاله قتادة[١٣].

قال الزجاج:" معناه: من أطلنا عمره نكسنا خلقه، فصار بدل القوة ضعفا وبدل الشباب هرما"[١٤].

---

(١) أحكام القرآن: ٤٩٣/٣-٤٩٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.

(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٠٧):ص٣٢٠٠/١٠.

(٤) رواه عنه الزمخشري في الكشاف: ١٣٥/٨.

(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٠٦):ص٣٢٠٠/١٠.

(٦) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٠٦):ص٣٢٠٠/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٨.

(٩) غريب القرآن: ٣٦٨.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣.

(١١) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢-٨١٨.

(١٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٧/٢-٨١٨.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٣٠/٥.

(١٤) معاني القرآن: ٢٩٣/٤.

قال الزمخشري:" أي: يرده إلى أرذل العمر شبه حال الصبي الذي هو أول الخلق، وقيل: يصيره بعد القوة إلى الضعف، وبعد الزيادة إلى النقصان، وبعد الجدة والطراوة إلى البلى والخلوقة، فكأنه نكس حاله"[١].

قرأ حمزة: «ننكسه»، مشددة مع ضم النون الأولى وفتح الثانية، والباقون: بفتح النون الأولى وتسكين الثانية من غير تشديد وعن عاصم كالقراءتين[٢].

قوله تعالى:{أَفَلَا يَعْقِلُونَ} [يس :٦٨]، أي:" أفلا يعقلون أنَّ مَن فعل مثل هذا بهم قادر على بعثهم؟"[٣].

قال السمعاني:" معناه: أفلا يعقلون آياتي؟"[٤].

قال ابن الجوزي: أي:" أفلا يعقلون أن من فعل هذا قادر على البعث؟"[٥].

قال ابن كثير:" أي : يتفكرون بعقولهم في ابتداء خلقهم ثم صيرورتهم إلى نفس الشَّبيبَة ، ثم إلى الشيخوخة ؛ ليعلموا أنهم خُلقوا لدار أخرى ، لا زوال لها ولا انتقال منها ، ولا محيد عنها ، وهي الدار الآخرة "[٦].

قال يحيى:" يعني به المشركين، أي: فالذي خلقكم، ثم جعلكم شبابا ثم جعلكم شيوخا، ثم نكسكم في الخلق، فردكم بمنزلة الطفل الذي لا يعقل شيئا قادر على أن يبعثكم يوم القيامة"[٧].

قال الطبري: يقول:" أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر إلى كبر، ومن تنكيس بعد كبر في هرم"[٨].

وقرئ:« أفلا تعقلون»، بالتاء على وجه الخطاب[٩].

فوائد الآيات:[٥٩-٦٨]:

١- تقرير المعاد وبيان مواقف منه.

٢- تأكيد عداوة الشيطان للإنسان.

٣- عجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيء أعماله وفاسدها.

٤- التحذير من عقوبة الله في الدنيا بالمسخ ونحوه.

٥- مظاهر قدرة الله تعالى في رد الإنسان بعد القوة إلى حالة الضعف الأولى.

القرآن

{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧٠)} [يس :٦٩-٧٠]

التفسير:

---

(١) الكشاف: ١٣٥/٨.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥٣٠/٣.

(٣) التفسير الميسر:٤٤٤.

(٤) تفسير السمعاني: ٣٨٦/٤.

(٥) زاد المسير: ٥٣٠/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٨/٢.

(٨) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٤٨.

وما علَّمنا رسولنا محمدًا الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعرًا، ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، وقرآن بيِّن الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحِكَمه ومواعظه؛ لينذر مَن كان حيَّ القلب مستنير البصيرة، ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في عقبة بن أبي معيط وأصحابه، قالوا إن القرآن شعر"(١).

قوله تعالى:{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ} [يس : ٦٩]، أي:" وما علَّمنا رسولنا محمدًا الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعرًا"(٢).

قال الطبري: يقول:" وما علمنا محمدا الشعر، وما ينبغي له أن يكون شاعرا"(٣).

قال يحيى:" {وما علمناه الشعر}، يعني: النبي عليه السلام. {وما ينبغي له} أن يكون شاعرا ولا يروي الشعر"(٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن نبيه محمد ﷺ: أنه ما علمه الشعر ، {وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}، أي : وما هو في طبعه ، فلا يحسنه ولا يحبه ، ولا تقتضيه جِبِلَّته ؛ ولهذا وَرَدَ أنه ، عليه الصلاة والسلام ، كان لا يحفظ بيتًا على وزنٍ منتظم ، بل إن أنشده زَحَّفه أو لم يتمه"(٥).

قال الزجاج:" أي: ما علمنا محمدا - ﷺ - قول الشعر. {وما ينبغي له}، أي: ما يتسهل له ذلك، وليس يوجب هذا أن يكون النبي - ﷺ - لم يتمثل ببيت شعر قط. إنما يوجب هذا أن يكون النبي عليه السلام ليس بشاعر، وأن يكون القرآن الذي أتى به من عند الله، لإنه مباين لكلام المخلوقين وأوزان أشعار العرب، والقرآن آية معجزة تدل على أن نبوة النبي - ﷺ - وآياته ثابتة أبدا"(٦).

عن قتادة، قوله: "{وما علمناه الشعر وما ينبغي له}، قال: محمد ﷺ، عصمه الله من ذلك"(٧).

قال الشعبي:" ما وَلَد عبد المطلب ذكرًا ولا أنثى إلا يقول الشِّعر ، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٨).

قال الإمام الشافعي:" لا يكاد يجود شعر القرشي؛ وذلك أن الله جل ذكره، قال لنبيه - ﷺ -: {وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو} الآية، ولا يكاد يجود خط القرشي؛ وذلك أن النبي - ﷺ - كان أميا"(٩).

عن الحسن البصري، :"إن رسول الله ﷺ كان يتمثل بهذا البيت :

كَفَى بالإسْلام والشيْب للمرْء نَاهيًا

فقال أبو بكر : يا رسول الله :

كَفى الشيب والإسلام للمرء ناهيًا

قال أبو بكر ، أو عمر : أشهد أنك رسول الله، يقول الله:{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ}"(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٣) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨١٨/٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.

(٦) معاني القرآن: ٢٩٣/٤-٢٩٤.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٠):ص١٠/ ٣٢٠٠.

(٨) رواه أبو زُرْعة الرازي كما في تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦.

(٩) تفسير الإمام الشافعي: ١٢٢٣/٣.

وروى البيهقي في الدلائل : أن رسول الله ﷺ قال : للعباس بن مرداس السلمي : "أنت القائل :
أتجعل نَهبي ونَهْب العُبَيد بين الأقرع وعيينة".
فقال : إنما هو : "بين عيينة والأقرع" فقال : "الكل سواء"[٢].
قال ابن كثير:" يعني : في المعنى ، صلوات الله وسلامه عليه، وقد ذكر السهيلي في "الروض الأنف" لهذا التقديم والتأخير الذي وقع في كلامه ، عليه السلام ، في هذا البيت مناسبة أغرب فيها ، حاصلها شَرَفُ الأقرع بن حابس على عُيَيْنَة بن بدر الفزاري ؛ لأنه ارتد أيام الصديق ، بخلاف ذاك ، والله أعلم"[٣].
روى الأموي في مغازيه : "أن رسول الله ﷺ جعل يمشي بين القتلى يوم بدر ، وهو يقول: "نُفلق هَامًا..............".
فيقول الصديق ، رضي الله عنه ، متمما للبيت[٤]:
مِنْ رجَال أعزَّةٍ عَلَيْنَا ... وَهُم كَانُوا أعَقَّ وَأظلما"[٥].
فيبتدئ رسول الله ﷺ بأول البيت ويستطعم أبا بكر رضي الله عنه إنشاد آخره لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر كما قال تعالى: {وَما عَلَّمْناهُ الشِّعْرَ وَما يَنْبَغِي لَهُ}[٦].
عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان رسول الله ﷺ إذا استراث الخبر ، تمثل فيه ببيت طَرَفَة[٧]:
ويَأْتِيكَ بالأخْبار مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ"[٨].
وقالت عائشة-رضي الله عنها- :" ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط ، إلا بيتا واحدًا:
تَفَاءلْ بما تَهْوَى يَكُنْ فَلَقَلَّمَا... يُقَالُ لِشَيْءٍ كَانَ إلا تَحَقَّقَا"[٩].
عن قتادة : " قيل لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس، فيجعل آخره أوله، وأوله آخره، فقال له أبو بكر: إنه ليس هكذا، فقال نبي الله: "إني والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي"[١٠].
وثبت في الصحيحين أنه عليه الصلاة والسلام ، تمثل يوم حفر الخندق بأبيات عبد الله بن رواحة ، ولكن تبعًا لقول أصحابه ، فإنهم يرتجزون وهم يحفرون ، فيقولون:
لاهُمَّ لوْلا أنت مَا اهْتَدَيْنَا مَا اهْتَدَيْنَا... وَلا تَصَدَّقْنَا وَلا صَلَّيْنَا
فَأَنزلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا... وَثَبِّت الأقْدَامَ إنْ لاقَيْنَا

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٢):ص١٠/٣٢٠٠-٣٢٠١، وكما في تفسير ابن كثير: ٥٨٨/٦، ورواه ابن سعد في الطبقات (٣٨٢/١) من طريق عارم عن حماد بن زيد عن على بن زيد عن الحسن به مرسلاً.
(٢)دلائل النبوة للبيهقي (١٨١/٥).
(٣) تفسير ابن كثير: ٥٨٩/٦.
(٤)البيت للحصين بن الحمام المري في الشعر والشعراء ٢/ ٦٤٨.
(٥)الحماسة لأبي تمام :١٠٧/١.
(٦) اظر: تفسير ابن كثير: ٢٢/٤. ط. العلمية.
(٧)هو عجز بيت في ديوانه : ٦٦، في معلقته المشهورة، أوله :
ستُبْدي لكَ الأيامُ مَا كُنْتَ جَاهلا... وَيَأتيك بالأخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ
وَيَأتيكَ بالأخْبَار مَنْ لَمْ تَبع لهُ... بَتَاتا ولم تَضرب له وَقْتَ مَوْعِدِ
(٨)المسند (٣١/٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١٠٨٣٤).
(٩)السنن الكبرى للبيهقي (٤٣/٧) وقال : "لم أكتبه إلا بهذا الإسناد ، وفيهم مَنْ يجهل حاله".
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٤٩، وابن أبي حاتم(١٨١١١):ص١٠/٣٢٠٠.

إنّ الألى قَدْ بَغَوا عَلَيْنَا... إذَا أرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا

ويرفع صوته بقوله : "أبينا" ويمدها[1].

وقد روي هذا بزحاف في الصحيح أيضًا. وكذلك ثبت أنه قال يوم حنين وهو راكب البغلة ، يُقدم بها في نحور العدو :

أنا النَّبِيّ لا كَذِبْ... أنَا ابْنُ عُبْد المُطَّلِبْ [2]

لكن قالوا : هذا وقع اتفاقًا من غير قصد لوزن شعر ، بل جرى على اللسان من غير قصد إليه.

وكذلك ما ثبت في الصحيحين عن جُنْدَب بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله ﷺ في غار فَنَكِبت أصبعه ، فقال:

هَلْ أنْت إلا إصْبَعٌ دَمِيت... وفي سَبيل الله مَا لَقِيت[3]

وكل هذا لا ينافي كونه ﷺ ما عُلِّم شعرًا ولا ينبغي له ؛ فإن الله تعالى إنما علمه القرآن العظيم ، الذي { لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت : ٤٢]. وليس هو بشعر كما زعمه طائفة من جهلة كفار قريش ، ولا كهانة ، ولا مفتعل ، ولا سحر يُؤثر ، كما تنوعت فيه أقوال الضُّلال وآراء الجُهَّال.

وقد كانت سجيته ﷺ تأبى صناعة الشعر طبعًا وشرعًا ، كما رواه أبو داود...عن عبد الله بن عمرو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما أبالي ما أوتيت إن أنا شَربت ترياقًا ، أو تعلقت تميمة ، أو قلت الشعر من قبل نفسي»[4]"[5].

عن أبي نوفل قال : "سألتُ عائشة : أكان رسول الله ﷺ يتسامع عنده الشعر ؟ فقالت : كان أبغض الحديث إليه. وقال عن عائشة : كان رسول الله ﷺ يعجبه الجوامع من الدعاء ، ويدع ما بين ذلك"[6].

روي عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : "لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ، خير له من أن يمتلئ شعرًا"[7].

عن شَدَّاد بن أوس قال : قال رسول الله ﷺ : "من قرض بيت شعر بعد العشاء الآخرة ، لم تقبل له صلاة تلك الليلة"[8].

قال ابن كثير:" وهذا حديث غريب من هذا الوجه ، ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة. والمراد بذلك نظمه لا إنشاده ، والله أعلم. على أن الشعر فيه ما هو مشروع ، وهو هجاء المشركين الذي كان يتعاطاه شعراء الإسلام ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رَوَاحة ، وأمثالهم وأضرابهم ، رضي الله عنهم أجمعين. ومنه ما فيه حكم ومواعظ وآداب ، كما يوجد في شعر جماعة من الجاهلية ، ومنهم أمية بن أبي الصلت الذي قال فيه النبي الله ﷺ : «آمن شعره وكفر قلبه»[9]، وقد أنشد بعض الصحابة منه للنبي ﷺ مائة بيت ، يقول عقب كل بيت : "هيه". يعني يستطعمه ، فيزيده من ذلك"[1].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٧٢٣٦) وصحيح مسلم برقم (١٨٠٣) من حديث البراء بن عازب ، رضي الله عنه.

(٢)صحيح البخاري برقم (٢٨٦٤) وصحيح مسلم برقم (١٧٧٦).

(٣)صحيح البخاري برقم (٢٨٠٢) وصحيح مسلم برقم (١٧٩٦).

(٤)سنن أبي داود برقم (٣٨٦٩).

(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٦/٥٩٠-٥٩١.

(٦)المسند (٦/١٤٨).

(٧)سنن أبي داود برقم (٥٠٠٩).

(٨)المسند (٤/١٢٥).

(٩)رواه ابن عبد البر في التمهيد (٤/٧) من طريق أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس ، رضي الله

وقد روى أبو داود من حديث أُبي بن كعب ، وبُريدة بن الحُصَيْب، وعبد الله بن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : "إن من البيان سحرًا ، وإن من الشعر حكما"[2].

قوله تعالى:{إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ} [يس : ٦٩]، أي:" ما هذا الذي جاء به إلا ذكر يتذكر به أولو الألباب، وقرآن بيّن الدلالة على الحق والباطل، واضحة أحكامه وحِكَمه ومواعظه"[3].

قال الطبري: يقول: " ما هو محمد إلا ذكر لكم أيها الناس، ذكركم الله بإرساله إياه إليكم، ونبهكم به على حظكم، وهذا الذي جاءكم به محمد قرآن يبين لمن تدبره بعقل ولب، أنه تنزيل من الله أنزله إلى محمد، وأنه ليس بشعر ولا مع كاهن"[4].

قال ابن كثير:" أي : ما هذا الذي علمناه، {إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ}، أي : بين واضح جلي لمن تأمله وتدبره"[5].

قال السمعاني:" أي: تذكرة وقرآن بين"[6].

عن قتادة:"{إن هو إلا ذكر}، قال: هذا القرآن"[7].

قال سهل:" هو الذكر والتفكر"[8].

قوله تعالى:{لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا} [يس : ٧٠]، أي:" لينذر مَن كان حيَّ القلب مستنير البصيرة"[9].

قال الطبري: " يقول: إن محمد إلا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب، يعقل ما يقال له، ويفهم ما يبين له، غير ميت الفؤاد بليد"[10].

قال ابن كثير:" أي : لينذر هذا القرآن البيّن كلّ حي على وجه الأرض ، كقوله : { لأنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } [الأنعام : ١٩] ، وقال : { وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ } [هود : ١٧]. وإنما ينتفع بنذارته من هو حَيّ القلب ، مستنير البصيرة "[11].

عن قتادة:"{لينذر من كان حيا}، قال: حي القلب، حي البصر"[12].

عن الضحاك، قوله: "{لينذر من كان حيا}، قال: من كان عاقلا"[13].

وقال مقاتل:" يعني: لتنذر يا محمد بما في القرآن من الوعيد من كان مهديا في علم الله- عز وجل-"[1].

عنه.

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٢)سنن أبي داود برقم (٥٠١٠ – ٥٠١٢).

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٤) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٤.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٠):ص١٠/ ٣٢٠٠.

(٨) تفسير التستري: ١٣٠.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(١٠) تفسير الطبري: ٥٤٩/٢٠.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٠):ص١٠/ ٣٢٠٠.

(١٣) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥٠.

قال الزجاج:" معنى: {من كان حيا}، أي" من كان يعقل ما يخاطب به، فإن الكافر كالميت في أنه لم يتدبر فيعلم أن النبي - ﷺ - وما جاء به حق"[٢].

قوله تعالى:{وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ} [يس : ٧٠]، أي:" ويحق العذاب على الكافرين بالله؛ لأنهم قامت عليهم بالقرآن حجة الله البالغة"[٣].

قال الطبري:" يقول: ويحق العذاب على أهل الكفر بالله، المولين عن اتباعه، المعرضين عما أتاهم به من عند الله"[٤].

قال ابن كثير:" أي : هو رحمة للمؤمن ، وحجة على الكافر"[٥].

عن قتادة:"{ويحق القول على الكافرين}، بأعمالهم أعمال السوء"[٦].

قال الزجاج:" يجوز {ويحق القول}، أي: يوجب الحجة عليهم"[٧].

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ (٧١)} [يس :٧١]

التفسير:

أو لم ير الخلق أنا خلقنا لأجلهم أنعامًا ذللناها لهم، فهم مالكون أمرها؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا} [يس :٧١]، أي:" أو لم ير الخلق أنا خلقنا لأجلهم أنعامًا ذللناها لهم"[٨].

قال الطبري: يقول:" {أولم يروا} هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان: {أنا خلقنا لهم} مما خلقنا من الخلق {أنعاما} وهي المواشي التي خلقها الله لبني آدم، فسخرها لهم من الإبل والبقر والغنم"[٩].

قال ابن كثير:" يذكر تعالى ما أنعم به على خلقه من هذه الأنعام التي سخرها لهم"[١٠].

قيل لابن زيد:" أهي الإبل؟ فقال: نعم، قال: والبقر من الأنعام، وليست بداخلة في هذه الآية، قال: والإبل والبقر والغنم من الأنعام، وقرأ: {ثمانية أزواج}، قال: والبقر والإبل هي النعم، وليست تدخل الشاء في النعم"[١١].

عن السدي: قوله: "{مما عملت أيدينا}، قال: من صنعتنا"[١٢].

قال السمعاني:" أي: مما تولينا خلقه وإبداعه، والأولى في «الأيدي»: أن يؤمن بها ولا تفسر"[١٣].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣.

(٢) معاني القرآن: ٢٩٤/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٤.

(٤) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٠.

(٥) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٠):ص١٠/ ٣٢٠٠.

(٧) معاني القرآن: ٢٩٤/٤.

(٨) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٩) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٠.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(١١) أخرجه الطبري ٥٥١/٢٠.

(١٢)أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٣):ص٣٢٠١/١٠.

(١٣) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٤.

قوله تعالى:{فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ} [يس :٧١]، أي:" فهم مالكون أمرها"[١].
قال الطبري:" يقول: فهم لها مصرفون كيف شاءوا بالقهر منهم لها والضبط"[٢].
قال ابن كثير:" أي : جعلهم يقهرونها"[٣].
قال قتادة:" أي: ضابطون"[٤].
قال الزجاج:" معنى: {مالكون}، ضابطون، لأن القصد ههنا إلى أنها ذليلة لهم ألا ترى إلى قوله {وذللناها لهم}، ومثله من الشعر[٥]:
أصبحت لا أحمل السلاح ولا. . . أملك رأس البعير إن نفرا
أي: لا أضبط رأس البعير"[٦].

القرآن

{وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ (٧٢)} [يس :٧٢]

التفسير:
وسخَّرناها لهم، فمنها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال، ومنها ما يأكلون.
قوله تعالى:{وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ} [يس :٧٢]، أي:" وسخَّرناها لهم"[٧].
قال السمعاني:" أي: جعلناها ذليلة لهم"[٨].
قال الطبري:" يقول: وذللنا لهم هذه الأنعام"[٩].
قال ابن كثير: أي : "وهي ذليلة لهم ، لا تمتنع منهم ، بل لو جاء صغير إلى بعير لأناخه ، ولو شاء لأقامه وساقه ، وذاك ذليل منقاد معه. وكذا لو كان القطَارُ مائة بعير أو أكثر ، لسار الجميع بسيرِ صغيرٍ"[١٠].
وقال مقاتل:" فيحملون عليها ويسوقونها حيث شاءوا ولا تمتنع منها"[١١].
قوله تعالى:{فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ} [يس :٧٢]، أي:" فمنها ما يركبون في الأسفار، ويحملون عليها الأثقال"[١٢].
قال الطبري:" يقول: فمنها ما يركبون كالإبل يسافرون عليها؛ يقال: هذه دابة ركوب"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٢) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٠.

(٣) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٥٠.

(٥)للربيع بن ضبع في أمالي المرتضى ١/ ٢٥٥ وحماسة البحتري ٢٠١، وخزانة الأدب ٧/ ٣٨٤، وشرح التصريح ٢/ ٣٦، والكتاب ١/ ١٤٤، ولسان العرب (ضمن) ، والمقاصد النحوية ٣/ ٣٩٨، وبلا نسبة في الردّ على النحاة ١١٤، وشرح المفصّل ٧/ ١٠٥، والمحتسب ٢/ ٩٩.

(٦) معاني القرآن: ٢٩٤/٤-٢٩٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٨) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٤.

(٩) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٤/٣-٥٨٥.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٥.

قال ابن كثير:" أي : منها ما يركبون في الأسفار ، ويحملون عليه الأثقال ، إلى سائر الجهات والأقطار"[٢].
قال قتادة:" يركبونها يسافرون عليها"[٣].
قال مقاتل:" {فمنها ركوبهم}: حمولتهم الإبل والبقر"[٤].
قال السمعاني:" الركوب: ما يركب"[٥].
قال الزجاج:" معناه: ما يركبون، والدليل قراءة من قرأ: «فمنها ركوبتهم»"[٦].
عن هارون، قال: "قراءة الحسن الأعرج وأبي عمرو والعامة:«فمنها ركوبهم»، يعني: ركوبتهم حمولتهم"[٧].
قوله تعالى:{وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ} [يس :٧٢]، أي:" ومنها ما يأكلون"[٨].
قال الطبري:أي:" لحومها"[٩].
قال ابن كثير:" إذا شاؤوا نحروا واجتزروا"[١٠].
قال قتادة:" {ومنها يأكلون}: لحومها"[١١].
قال مقاتل:" يعني: الغنم"[١٢].

القرآن
{وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ (٧٣)} [يس :٧٣]
التفسير:
ولهم فيها منافع أخرى ينتفعون بها، كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ولباسًا، وغير ذلك، ويشربون ألبانها، أفلا يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة؟
قوله تعالى:{وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ} [يس :٧٣]، أي:" ولهم فيها منافع أخرى ينتفعون بها، ويشربون ألبانها"[١٣].
قال الطبري: يقول:" ولهم في هذه الأنعام منافع، وذلك منافع في أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا، ومن جلودها أكنانا، ومشارب يشربون ألبانها"[١٤].
قال ابن كثير:" أي:من أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين،{وَمَشَارِبُ}، أي : من ألبانها وأبوالها لمن يتداوى، ونحو ذلك"[١].

---

(١) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥١.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.
(٥) تفسير السمعاني: ٣٨٧/٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٩٥/٤.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٥):ص٣٢٠١/١٠.
(٨) التفسير الميسر: ٤٤٥.
(٩) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥١.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.
(١٣) التفسير الميسر: ٤٤٥.
(١٤) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١.

قال مقاتل:"{ولهم فيها منافع}: في الأنعام ومنافع في الركوب عليها، والحمل عليها، وينتفعون بأصوافها وأوبارها، وأشعارها، {وفيها مشارب} ألبانها"[٢].

قال السمعاني:" أي: في الأنعام منافع من الأصواف والأوبار والأشعار، وقوله: {ومشارب}، أي: من الألبان"[٣].

عن قتادة:" {ولهم فيها منافع}، يلبسون أصوافها، {ومشارب}، يشربون ألبانها" [٤].

قوله تعالى:{أَفَلَا يَشْكُرُونَ} [يس :٧٣]، أي:" أفلا يشكرون الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم، ويخلصون له العبادة؟"[٥].

قال السمعاني:" يعني: هذه النعم"[٦].

قال الطبري: " يقول: أفلا يشكرون نعمتي هذه، وإحساني إليهم بطاعتي، وإفراد الألوهية والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام" [٧].

قال ابن كثير:" أي : أفلا يُوَحِّدُون خالق ذلك ومسخره ، ولا يشركون به غيره ؟"[٨].

القرآن

{وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ (٧٤)} [يس :٧٤]

التفسير:

واتخذ المشركون من دون الله آلهة يعبدونها؛ طمعًا في نصرها لهم وإنقاذهم من عذاب الله.

قال الطبري:" يقول: واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها، طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه"[٩].

قال ابن كثير:" يقول تعالى منكرًا على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله ، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى "[١٠].

قال مقاتل:"{واتخذوا}، يعني: كفار مكة، {من دون الله آلهة}، يعني: اللات والعزى ومناة، لكي تمنعهم"[١١].

القرآن

{لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ (٧٥)} [يس :٧٥]

التفسير:

لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا أنفسهم ينصرون، والمشركون وآلهتهم جميعًا محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من بعض.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.

(٣) تفسير السمعاني: ٣٨٨/٤.

(٤) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٥١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٨٨/٤.

(٧) تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥١.

(٨) تفسير ابن كثير: ٥٩٢/٦.

(٩) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٢.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٩٣/٦.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.

قوله تعالى:{لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ} [يس :٧٥]، أي:" لا تستطيع تلك الآلهة نصر عابديها ولا أنفسهم ينصرون"[١].

قال السدي:" لا تستطيع الآلهة نصرهم"[٢].

قال مقاتل:" لا تقدر الآلهة أن تمنعهم من العذاب"[٣].

قال الزجاج:" أي: هم للأصنام ينتصرون، والأصنام لا تستطيع نصرهم"[٤].

قال الطبري: يقول: "لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله إن أراد بهم سوءا، ولا تدفع عنهم ضرا"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لا تقدر الآلهة على نصر عابديها ، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحقر وأدخر ، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها ، ولا الانتقام ممن أرادها بسوء ؛ لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل"[٦].

قوله تعالى:{وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ} [يس :٧٥]، أي:" والمشركون وآلهتهم جميعًا محضرون في العذاب، متبرئ بعضهم من بعض"[٧].

قال الطبري: " يقول: وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون"[٨].

قال ابن كثير:" يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة ، محضرة عند حساب عابديها ؛ ليكون ذلك أبلغ في خِزْيهم ، وأدل عليهم في إقامة الحجة عليهم"[٩].

واختلف أهل العلم في قوله تعالى:{وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ} [يس :٧٥]، على أقوال:

أحدها : محضرون عند الحساب، قاله مجاهد[١٠].

الثاني : محضرون في النار، قاله الحسن[١١].

قال الحسن:" هم لهم جند في الدنيا وهم محضرون في النار"[١٢].

قال السمعاني:" وهو أنه يدعى بكل معبود عبد من دون الله، فيجاء به ومعه أتباعه، والذين عبدوه كأنهم جنده، فيحضرون النار، ومعناه: يدخلونها"[١٣].

الثالث : محضرون للدفع عنهم والمنع منهم، قاله الحسن-في رواية أخرى-[١٤].

الرابع: المعنى: وهم لهم جند محضرون في الدنيا يغضبون لهم. وهذا قول قتادة[١٥].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١١٦):ص١٠/٣٢٠١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٥٨٥.

(٤) معاني القرآن: ٤/٢٩٥.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ٦/٥٩٣.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٦/٥٩٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٢.

(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١١٨):ص١٠/٣٢٠٢.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١١٨):ص١٠/٣٢٠٢.

(١٣) تفسير السمعاني: ٤/٣٨٨.[بتصرف]

(١٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١١٩):ص١٠/٣٢٠٢.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٢.

قال قتادة : "المشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيرا، ولا تدفع عنهم سوءا، إنما هي أصنام"[1].
وقال مقاتل:" يقول: كفار مكة للآلهة حزب يغضبون لها ويحضرونها فى الدنيا"[2].
قال الطبري:" وهذا الذي قاله قتادة أولى القولين عندنا بالصواب في تأويل ذلك، لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام، وما كانوا يعبدونه، فكيف يكونون لها جندا حينئذ، ولكنهم في الدنيا لهم جند يغضبون لهم، ويقاتلون دونهم"[3].

القرآن
{فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ (٧٦)} [يس :٧٦]
التفسير:
فلا يَحْزُنك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك؛ إنا نعلم ما يخفون، وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك.
قوله تعالى:{فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ} [يس :٧٦]، أي:" فلا يَحْزُنك -أيها الرسول- كفرهم بالله وتكذيبهم لك واستهزاؤهم بك"[4].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلا يحزنك يا محمد قول هؤلاء المشركين بالله من قومك لك: إنك شاعر، وما جئتنا به شعر، ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم نبوتك"[5].
قال السمعاني:" أي: قولهم فيك إنه ساحر أو كاذب أو شاعر"[6].
قال ابن كثير:" أي : تكذيبهم لك وكفرهم بالله "[7].
قال مقاتل:" كفار مكة"[8].
قوله تعالى:{إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} [يس :٧٦]، أي:" إنا نعلم ما يخفون، وما يظهرون، وسنجازيهم على ذلك"[9].
قال الطبري:" إنا نعلم أن الذي يدعوهم إلى قيل ذلك الحسد، وهم يعلمون أن الذي جئتهم به ليس بشعر، ولا يشبه الشعر، وأنك لست بكذاب، فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم إليه، وما يعلنون من جحودهم ذلك بألسنتهم علانية"[10].
قال ابن كثير:" أي : نحن نعلم جميع ما هم عليه ، وسنجزيهم وصْفَهم ونعاملهم على ذلك ، يوم لا يفقدون من أعمالهم جليلا ولا حقيرًا ، ولا صغيرًا ولا كبيرًا ، بل يعرض عليهم جميع ما كانوا يعملون قديمًا وحديثًا "[11].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥٢.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.
(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٣.
(٤) التفسير الميسر: ٤٤٥.
(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٣.
(٦) تفسير السمعاني: ٣٨٨/٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٥٩٣/٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤٤٥.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٥٩٣/٦.

قال مقاتل:" {ما يسرون}: من التكذيب، {وما يعلنون}: يظهرون من القول بألسنتهم"[1].
بألسنتهم"[1].
فوائد الآيات:[٦٩-٧٦]:
١- تقرير النبوة المحمدية وأن القرآن ذكر وليس شعر كما يقول المبطلون.
٢- الحكمة من نزول القرآن هي أن ينذر به الرسول الأحياء من أهل الإيمان.
٣- بيان خطأ الذين يقرأون القرآن على الأموات ويتركون الأحياء لا يقرأونه عليهم وعظاً لهم وإرشاداً وتعليماً وتذكيراً.
٤- وجوب ذكر النعم وشكرها بالاعتراف بها، وصرفها في مرضاة واهبها وحمده عليها.
٥- بيان سخف المشركين في عبادتهم أصناماً يرجون نصرتها وهم جند معبأ لنصرتها من أن يمسها أحد بسوء.

القرآن

{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٧٧)} [يس :٧٧]

التفسير:

أو لم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نطفة مرَّت بأطوار حتى كَبِر، فإذا هو كثير الخصام واضح الجدال؟

في سبب نزول هذه الآية والتي بعدها، أقوال:

أحدها : أنها نزلت في «أبيّ بن خلف الجمحي» أتى النبي -ﷺ- يجادله في بعث الموتى ، قاله عروة بن الزبير[2]، مجاهد[3]، وعكرمة[4]، وقتادة[5]، والسدي[6].

قال ابن الجوزي: وهذا قول:" الجمهور، وعليه المفسرون"[7].

قال مجاهد:" أبي بن خلف جاء بعظم، فقال: يا محمد، أتعدنا إنا إذا متنا فكنا مثل هذا العظم البالي في يده ففته، وقال: من يحيينا إذا كنا مثل هذا؟"[8].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٥/٣.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٤):ص٣٢٠٣/١٠.

قال عروة:" لما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم إن الناس يحاسبون بأعمالهم، ومبعوثون يوم القيامة، أنكروا ذلك إنكارا شديدا فعمد أبي بن خلف إلى عظم حائل قد نخر ففته، ثم ذراه في الريح ثم قال: يا محمد، إذا بليت عظامنا إنا لمبعوثون خلقا جديدا؟ فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من استقباله إياه بالتكذيب والأذى في وجهه وجدا شديدا، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة}".

(٣) انظر: تفسير الطبري :٢٠/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٢٣):ص٣٢٠٢/١٠.

قال عكرمة: "جاء أبي بن خلف إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده عظم حائل فقال: يا محمد، أنى يحيي الله هذا؟ فأنزل الله:{وضرب لنا مثلا ونسي خلقه}، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خلقها قبل أن أعجب من إحيائها وقد كانت»".

(٥) انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٤.

(٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٢):ص٣٢٠٢/١٠.

(٧) زاد المسير: ٥٣٣/٣.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٢١):ص٣٢٠٢/١٠.

قال قتادة:" ذكر لنا أن أبي بن خلف، أتى رسول الله ﷺ بعظم حائل، ففته، ثم ذراه في الريح، ثم قال: يا محمد من يحيي هذا وهو رميم؟ قال: «والله يحييه، ثم يميته، ثم يدخلك النار»؛ قال: فقتله رسول الله ﷺ يوم أحد"[1].

قال السدي:" نزلت في أبي بن خلف أتى النبي ﷺ ومعه عظم قد دثر، فجعل يفته بين أصابعه ويقول: يا محمد، أنت الذي تحدث أن هذا سيحيا بعد ما قد بلى، فقال رسول الله ﷺ: «نعم، ليميتن الآخر، ثم ليحيينه ثم ليدخلنه النار»[2].

الثاني : أنها نزلت في «العاص بن وائل» أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أيحيي الله هذا بعدما أرمّ ؟ فقال رسول الله [3] :«نعم ويميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم»، فنزلت هذه الآيات فيه، قاله ابن عباس-في رواية-[4]، وسعيد بن جبير[5].

الثالث: أنها نزلت في «عبد الله بن أبيّ»، أتى النبي ﷺ بعظم حائل فكسره بيده، ثم قال: يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ: يبعث الله هذا، ويميتك ثم يدخلك جهنم، فقال الله: {قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم}. قاله ابن عباس-في رواية أخرى عنه-[6].

والظاهر-والله أعلم- أن الخبر ورد في شأن العاص وابن خلف من وجوه متساوية، فأصل الخبر محفوظ، وإن كان اضطرب المفسرون في تعيين أحدهما.

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ} [يس :٧٧]، أي:" أو لم ير الإنسان المنكر للبعث ابتداء خلقه فيستدل به على معاده، أنا خلقناه من نطفة مرَّت بأطوار حتى كَبِر"[7]. كَبِر"[7].

قال الطبري:يقول:" أو لم ير هذا الإنسان الذي يقول {من يحيي العظام وهي رميم} أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقا سويا"[8].

قال السعدي:" هذه الآيات الكريمات، فيها ذكر شبهة منكري البعث، والجواب عنها بأتم جواب وأحسنه وأوضحه، فقال تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ} المنكر للبعث والشاك فيه، أمرا يفيده اليقين التام بوقوعه، وهو ابتداء خلقه {مِنْ نُطْفَةٍ} ثم تنقله في الأطوار شيئا فشيئا، حتى كبر وشب، وتم عقله واستتب"[9].

اختلف أهل العلم في الإنسان الذي عني بقوله: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ} [يس :٧٧]، على خمسة أقوال:

أحدها : عني به أبي بن خلف. قاله مجاهد[10]، وقتادة[1]، والسدي[2].

---

(١) أخرجه الطبري ٢٠/ ٥٥٤.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٢٢):ص١٠/٣٢٠٢.

(٣) .

(٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٠):ص١٠/٣٢٠٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٤. أخرجه بسند فيه مجاهيل عن عطية العوفي، وهو واه عن ابن عباس، عباس، وهذا باطل لأن السورة مكية بإجماع، وعبد الله بن أبي ابن سلول إنما كانت أخباره في العهد المدني. وقال ابن كثير٦/٥٩٤:" وهذا منكر ؛ لأن السورة مكية ، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة".

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٨) تفسير الطبري :٢٠/ ٥٥٥.

(٩) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(١٠) انظر: تفسير الطبري :٢٠/ ٥٥٣-٥٥٤.

الثاني : أنه العاص بن وائل السهمي. قاله ابن عباس-في رواية-[٣]، وسعيد بن جبير[٤].
الثالث: أنه أبو جهل بن هشام، وأن هذه القصة جرت له، رواه الضحاك عن ابن عباس[٥].
الرابع: أنه أمية بن خلف، قاله الحسن[٦].
الخامس: أنه عبد الله بن أبيّ. قاله ابن عباس-في رواية أخرى عنه-[٧].

قال ابن كثير:" وهذا منكر ؛ لأن السورة مكية ، وعبد الله بن أبي بن سلول إنما كان بالمدينة. وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أُبي بن خلف ، أو في العاص بن وائل، أو فيهما ، فهي عامة في كل مَنْ أنكر البعث. والألف واللام في قوله : { أَوَلَمْ يَرَ الإنْسَانُ } للجنس ، يعم كل منكر للبعث"[٨].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [يس :٧٧]، أي:" فإذا هو كثير الخصام واضح الجدال"[٩].

قال الطبري: " يقول: فإذا هو ذو خصومة لربه، يخاصمه فيما قال له ربه إني فاعل، وذلك إخبار لله إياه أنه محيي خلقه بعد مماتهم، فيقول: من يحيي هذه العظام وهي رميم؟ إنكارا منه لقدرة الله على إحيائها، وقوله {مبين}، يقول: يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذي خلقه"[١٠].

قال الواحدي:" يعني: ألا يرى أنه مخلوق من نطفة، ثم هو يخاصم! وهذا تعجيب من جهله، وإنكار عليه خصومته، أي: كيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع خصومته"[١١].

قال ابن كثير:" أي : أولم يستدل مَنْ أنكر البعث بالبدء على الإعادة ، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين ، فخلقه من شيء حقير ضعيف مهين ، كما قال تعالى : { أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ } [المرسلات : ٢٠ - ٢٢]. وقال { إِنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ } [الإنسان : ٢] أي : من نطفة من أخلاط متفرقة ، فالذي خلقه من هذه النطفة الضعيفة أليس بقادر على إعادته بعد موته ؟ "[١٢].

قال السعدي:" وليعلم أن الذي أنشأه من العدم، قادر على أن يعيده بعد ما تفرق وتمزق، من باب أولى"[١٣].

قال الزمخشري:" قبح الله عز وجل إنكارهم البعث تقبيحا لا ترى أعجب منه وأبلغ، وأدل على تمادى كفر الإنسان وإفراطه في جحود النعم وعقوق الأيادى، وتوغله في الخسة

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٥٥٤.

(٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٢):ص١٠/٣٢٠٢.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٠):ص١٠/٣٢٠٢.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٤.

(٥) انظر: زاد المسير: ٣/٥٣٣. ضعيف جدا. عزاه ابن الجوزي للضحاك عن ابن عباس، والضحاك لم يلق ابن عباس، وراوية الضحاك هو جويبر بن سعيد، وهو متروك.

(٦) انظر: زاد المسير: ٣/٥٣٣. وهذا مرسل، ومراسيل الحسن واهية.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٦/٥٩٤.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(١٠) تفسير الطبري :٢٠/ ٥٥٥.

(١١) التفسير الوسيط: ٣/٥٢٠.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٦/٥٩٤.

(١٣) تفسير السعدي: ٦٩٩.

وتغلغله في القحة[١]، حيث قرره بأن عنصره الذي خلقه منه هو أخس شيء وأمهنه، وهو النطفة النطفة المذرة الخارجة من الإحليل الذي هو قناة النجاسة، ثم عجب من حاله بأن يتصدى مثله على مهانة أصله ودناءة أوله لمخاصمة الجبار، وشرز صفحته[٢] لمجادلته، ويركب متن الباطل الباطل ويلج، ويمحك ويقول: من يقدر على إحياء الميت بعد ما رمت عظامه، ثم يكون خصامه في ألزم وصف له وألصقه به، وهو كونه منشأ من موات، وهو ينكر إنشاءه من موات، وهي المكابرة التي لا مطمح وراءها"[٣].

عن بُسْر ابن جَحَّاش ؛ إن رسول الله ﷺ بَصق يوما في كفِّه ، فوضع عليها أصبعه ، ثم قال : "قال الله تعالى : ابن آدم ، أنَّى تُعجزني وقد خلقتك من مثل هذه ، حتى إذا سَوَّيتك وعَدَلتك ، مشيت بين بردَيك وللأرض منك وئيد ، فجمعت ومنعت ، حتى إذا بَلَغَت التراقي قلت : أتصدقُ وأنَّى أوان الصدقة ؟"[٤].

القرآن

{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)} [يس :٧٨]

التفسير:

وضرب لنا المنكر للبعث مثلا لا ينبغي ضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، ونسي ابتداء خلقه، قال: مَن يحيي العظام البالية المتفتتة؟

قوله تعالى:{وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ} [يس :٧٨]، أي:" وضرب لنا المنكر للبعث مثلا لا ينبغي ضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، ونسي ابتداء خلقه"[٥].

قال الطبري:" يقول: ومثل لنا شبها بقوله: {من يحيي العظام وهي رميم}، ونسي خلقنا"[٦].

قال الواحدي:" يعني: أنه ضرب المثل في إنكار البعث بالعظم البالي، يفته بيده، ويتعجب ممن يقول: إن الله يحييه، {ونسي خلقه}"[٧].

قال يحيى:"{ونسي خلقه}: وقد علم أنا خلقناه، أي: فكما خلقناه فكذلك نعيده"[٨].

قال ابن كثير:" أي : استبعد إعادة الله تعالى - ذي القدرة العظيمة التي خلقت السموات والأرض - للأجساد والعظام الرميمة ، ونسي نفسه ، وأن الله خلقه من العدم ، فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحده"[٩].

قال السعدي:" لا ينبغي لأحد أن يضربه، وهو قياس قدرة الخالق بقدرة المخلوق، وأن الأمر المستبعد على قدرة المخلوق مستبعد على قدرة الخالق"[١٠].

---

(١)في الصحاح: وقح الرجل قحة ووقاحة، إذا صار قليل الحياء.

(٢)في الصحاح «الشرز» الشرس، وهو الغلظ. والمحك: اللجاج.

(٣) الكشاف: ٣٠/٤.

(٤)المسند (٣١٠/٤) وسنن ابن ماجه برقم (٢٧٠٧) وقال البوصيري في الزوائد (٣٦٤/٢) : "إسناد حديثه صحيح ورجاله ثقات".

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٥.

(٧) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٠/٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٩٤/٦.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٩٩.

قوله تعالى:{قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ} [يس :٧٨]، أي:" وقال هذا المنكر للبعث: مَن يحيي العظام البالية المتفتتة؟"[١].

قال الطبري:" يقول: فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق"[٢].

قال الواحدي:" قاس قدرة الله بقدرة الخلق، فأنكر إحياء العظم البالي لما لم يكن ذلك في مقدور الخلق"[٣].

قال السعدي:" أي: هل أحد يحييها؟ استفهام إنكار، أي: لا أحد يحييها بعد ما بليت وتلاشت. هذا وجه الشبهة والمثل، وهو أن هذا أمر في غاية البعد على ما يعهد من قدرة البشر، وهذا القول الذي صدر من هذا الإنسان غفلة منه، ونسيان لابتداء خلقه، فلو فطن لخلقه بعد أن لم يكن شيئا مذكورا فوجد عيانا، لم يضرب هذا المثل"[٤].

القرآن

{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)} [يس :٧٩]

التفسير:

قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة، وهو بجميع خلقه عليم، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ} [يس :٧٩]، أي:" قل له: يحييها الذي خلقها أول مرة"[٥].

قال الطبري:" يقول الله لنبيه محمد ﷺ {قل} لهذا المشرك: يحييها الذي ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئا"[٦].

قوله تعالى:{وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ} [يس :٧٩]، أي:" وهو بجميع خلقه عليم، لا يخفى عليه شيء"[٧].

قال الطبري:" يقول: وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت، وكيف يحيي، وكيف يبدىء، وكيف يعيد، لا يخفي عليه شيء من أمر خلقه"[٨].

قال ابن كثير:" أي : يعلم العظام في سائر أقطار الأرض وأرجائها ، أين ذهبت ، وأين تفرقت وتمزقت"[٩].

قال السعدي:" هذا أيضا دليل ثان من صفات الله تعالى، وهو أن علمه تعالى محيط بجميع مخلوقاته في جميع أحوالها، في جميع الأوقات، ويعلم ما تنقص الأرض من أجساد الأموات وما يبقى، ويعلم الغيب والشهادة، فإذا أقر العبد بهذا العلم العظيم، علم أنه أعظم وأجل من إحياء الله الموتى من قبورهم"[١٠].

عن رِبْعيّ قال : قال عقبة بن عمرو لحذيفة : ألا تحدثُنا ما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : سمعته يقول : «إن رجلا حضره الموت ، فلما أيس من الحياة أوصى

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٢) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٥.

(٣) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٤) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٥.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٥.

(٩) تفسير ابن كثير: ٥٩٤/٦.

(١٠) تفسير السعدي: ٦٩٩.

أهله : إذا أنا متّ فاجمعوا لي حَطَبا كثيرًا جزَلا ثم أوقدوا فيه نارًا ، حتى إذا أكلت لحمي وخلَصت إلى عظمي فامتُحِشْتُ ، فخذوها فدقوها فَذَروها في اليم. ففعلوا ، فجمعه الله إليه فقال له : لم فعلت ذلك ؟ قال : من خشيتك. فغفر الله له». فقال عقبة بن عمرو : وأنا سمعته يقول ذلك ، وكان نبّاشا"[١].

القرآن

{الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠)} [يس :٨٠]

التفسير:

الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب نارًا محرقة، فإذا أنتم من الشجر توقدون النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد. وفي ذلك دليل على وحدانية الله وكمال قدرته، ومن ذلك إخراج الموتى من قبورهم أحياء.

قوله تعالى:{الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا} [يس :٨٠]، أي:" الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر الرطب نارًا محرقة"[٢].

قال قتادة:" يقول: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه"[٣].

قال مقاتل:" فالذي يخرج من الشجر الأخضر النار فهو قادر على البعث"[٤].

قال الطبري:" يقول: الذي أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر، لا يمتنع عليه فعل ما أراد، ولا يعجز عن إحياء العظام التي قد رمت، وإعادتها بشرا سويا، وخلقا جديدا، كما بدأها أول مرة"[٥].

قال الواحدي:" يعني: ما جعل من النار في المرخ والقفار، وهما شجرتان تتخذ الأعراب زنودها منها"[٦].

قال السعدي:" فإذا أخرج النار اليابسة من الشجر الأخضر، الذي هو في غاية الرطوبة، مع تضادهما وشدة تخالفهما، فإخراجه الموتى من قبورهم مثل ذلك"[٧].

قال ابن كثير:" أي : الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خَضرًا نَضرًا ذا ثمر ويَنْع ، ثم أعاده إلى أن صار حطبًا يابسًا، توقد به النار ، كذلك هو فعال لما يشاء ، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء، وقيل : المراد بذلك سَرْح المرخ والعَفَار ، ينبت في أرض الحجاز فيأتي من أراد قَدْح نار وليس معه زناد ، فيأخذ منه عودين أخضرين ، ويقدح أحدهما بالآخر ، فتتولد النار من بينهما ، كالزناد سواء، روي هذا عن ابن عباس[٨]، رضي الله عنهما.

وفي المثل : لكل شجر نار ، واستمجد المَرْخُ والعَفَار[٩].

وقال الحكماء : في كل شجر نار إلا الغاب "[١٠].

---

(١)المسند (٣٩٥/٥)، وانظر: صحيح البخاري برقم (٦٤٨٠) وصحيح مسلم برقم (٢٧٥٦)، بالفاظ كثيرة.

(٢) التفسير الميسر: ٢٢/٣.

(٣) أخرجه الطبري: ك٢٠/ ٥٥٦.

(٤)تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٦/٣ .

(٥) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٦.

(٦) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٧) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٨) وجكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٣٧/٨.

(٩)مجمع الأمثال للميداني برقم (٢٧٥٢).

(١٠) تفسير ابن كثير: ٥٩٥/٦.

قال القرطبي:" دل على كمال قدرته في إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندي الر طب. وذلك أن الكافر قال: النطفة حارة رطبة بطبع حياة فخرج منها الحياة، والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة! فأنزل الله تعالى:{الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا}، أي: إن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان، فأخرج الله منه النار، فهو القادر على إخراج الضد من الضد، وهو على كل شي قدير"[(١)].

قوله تعالى:{فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ} [يس :٨٠]، أي:" فإذا أنتم تقدحون النار من هذا الشرج الأخضر"[(٢)].

قال الطبري:" يقول: فإذا أنتم من هذا الشجر توقدون النار"[(٣)].

قال الواحدي:" تقدحون النار، وتوقدونها من ذلك الشجر"[(٤)].

قال يحيى:" كل عود يزند منه النار فهو من شجرة خضراء"[(٥)].

القرآن

{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)} [يس :٨١]

التفسير:

أو ليس الذي خلق السموات والأرض وما فيهما بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟ بلى، إنه قادر على ذلك، وهو الخلاق لجميع المخلوقات، العليم بكل ما خلق ويَخْلُقُ، لا يخفى عليه شيء.

قوله تعالى:{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ} [يس :٨١]، أي:" أو ليس الذي خلق السموات والأرض وما فيهما بقادر على أن يخلق مثلهم، فيعيدهم كما بدأهم؟"[(٦)].

قال البيضاوي:" {أوليس الذي خلق السماوات والأرض} مع كبر جرمهما وعظم شأنهما. {بقادر على أن يخلق مثلهم} في الصغر والحقارة بالإضافة إليهما، أو مثلهم في أصول الذات وصفاتها وهو المعاد"[(٧)].

قال الطبري:" يقول: فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم، فكيف يتعذر عليه إحياء العظام بعد ما قد رمت وبليت؟"[(٨)].

قال ابن كثير:" يقول تعالى منبهًا على قدرته العظيمة في خلق السموات السبع ، بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت ، والأرضين السبع وما فيها من جبال ورمال ، وبحار وقفار ، وما بين ذلك ، ومرشدًا إلى الاستدلال على إعادة الأجساد بخلق هذه الأشياء العظيمة ، كقوله تعالى : { لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } [غافر : ٥٧]. وقال هاهنا : { أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ } أي : مثل البشر ، فيعيدهم كما بدأهم،

---

(١) تفسير القرطبي: ٥٩/١٥.

(٢) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٦.

(٤) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢١/٢.

(٦) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٧) تفسير البيضاوي: ٢٧٤/٤.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٦.

وهذه الآية كقوله تعالى : { أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [الأحقاف : ٣٣]"[١].

قوله تعالى:{بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ} [يس :٨١]، أي:" بلى، إنه قادر على ذلك، وهو الخلاق لجميع المخلوقات، العليم بكل ما خلق ويَخْلُقُ، لا يخفى عليه شيء"[٢].

قال الطبري:" يقول: بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء، الفعال لما يريد، العليم بكل ما خلق ويخلق، لا يخفي عليه خافية"[٣].

قال السعدي:" {بَلَى} قادر على ذلك، فإن خلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس. {وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ} وهذا دليل خامس، فإنه تعالى الخلاق، الذي جميع المخلوقات، متقدمها ومتأخرها، صغيرها وكبيرها، كلها أثر من آثار خلقه وقدرته، وأنه لا يستعصي عليه مخلوق أراد خلقه، فإعادته للأموات، فرد من أفراد آثار خلقه"[٤].

قال البيضاوي:" {بلى}، جواب من الله تعالى لتقرير ما بعد النفي مشعر بأنه لا جواب سواه. {وهو الخلاق العليم}: كثير المخلوقات والمعلومات"[٥].

عن قتادة، قوله:" {أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِقَادِرٍ}، قال: هذا مثل"[٦].

القرآن

{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٨٢)} [يس :٨٢]

التفسير:

إنما أمره سبحانه وتعالى إذا أراد شيئًا أن يقول له: «كن» فيكون، ومن ذلك الإماتة والإحياء، والبعث والنشور.

قال مقاتل:" أمر البعث وغيره أن يقول له مرة واحدة {كن فيكون}، لا يثني قوله"[٧].

قال السعدي:" أي: في الحال من غير تمانع، و{شَيْئًا} نكرة في سياق الشرط، فتعم كل شيء"[٨].

عن قتادة:قوله:"{إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}، قال: ليس من كلام العرب أهون ولا أخف من ذلك فأمر الله كذلك"[٩].

قال ابن كثير:" أي: يأمر بالشيء أمرًا واحدًا، لا يحتاج إلى تكرار [١٠]:

إذَا مَا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا فَإِنَّمَا... يَقُولُ لَهُ "كُنْ" قَوْلَة فَيَكُونُ"[١١].

قال الطنطاوي:" : إنما شأنه- سبحانه- في إيجاد الشيء، أنه إذا أراد إحداثه، أن يقول له كن، أى: كن موجودا فيكون، أى: فهذا الشيء يكون ويوجد في الحال"[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩٥/٦.

(٢) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٣) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٦.

(٤) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٥) تفسير البيضاوي: ٢٧٤/٤-٢٧٥.

(٦) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥٧، وابن أبي حاتم(١٨١٢٥):ص٣٢٠٣/١٠.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٧/٣.

(٨) تفسير السعدي: ٦٩٩.

(٩) اخرجه الطبري: ٢٠/ ٥٥٧، وابن أبي حاتم(١٨١٢٥):ص٣٢٠٣/١٠.

(١٠) من شواهد ابن كثير في التفسير: ٥٩٦/٦.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٩٦/٦.

قال البيضاوي:" هذا تمثيل لتأثير قدرته في مراده بأمر المطاع للمطيع في حصول المأمور من غير امتناع وتوقف وافتقار إلى مزاولة عمل واستعمال آلة قطعا لمادة الشبهة، وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق"[٢].

عن أبي ذَر ، رضي الله عنه ، إن رسول الله ﷺ قال : "إن الله يقول : يا عبادي ، كلكم مذنب إلا من عافيت ، فاستغفروني أغفر لكم. وكلكم فقير إلا من أغنيت ، إني جواد ماجد واجد أفعل ما أشاء ، عطائي كلام ، وعذابي كلام ، إذا أردت شيئًا فإنما أقول له كن فيكون"[٣].

قرأ ابن عامر والكسائي {فيكون} نصب نسقا على قوله: {أن يقول له كن فيكون}، وقرأ الباقون {فيكون} رفعا عل تقدير: فهو يكون[٤].

القرآن

{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)} [يس :٨٣]

التفسير:

فتنزه الله تعالى وتقدس عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه بلا منازع أو ممانع، وقد ظهرت دلائل قدرته، وتمام نعمته، وإليه تُرجعون للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ} [يس :٨٣]، أي:" تنزَّه وتمجد عن صفات النقص الإلهُ العظيم الجليل، الذي بيده المُلك الواسع، والقدرة التامة على كل الأشياء"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فتنزيه الذي بيده ملك كل شيء وخزائنه"[٦].

قال الواحدي:" نزه نفسه من أن يوصف بغير القدرة، فقال: {فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء}، أي: ملك كل شيء، والقدرة على كل شيء"[٧].

قال الزمخشري:" {فسبحان}، تنزيه له مما وصفه به المشركون، وتعجيب من أن يقولوا فيه ما قالوا، {بيده ملكوت كل شيء}، هو مالك كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته"[٨].

قال البيضاوي:" تنزيه عما ضربوا له، وتعجيب عما قالوا فيه معللا بكونه مالكا للأمر كله قادرا على كل شيء"[٩].

قال ابن كثير:" أي : تنزيه وتقديس وتبرئة من السوء للحي القيوم ، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وإليه يرجع الأمر كله ، وله الخلق والأمر، قال ابن كثير: أي :" وإليه ترجع العباد يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله ، وهو العادل المتفضل.. ومعنى قوله:{فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ } كقوله عز وجل : { قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ } [المؤمنون : ٨٨] ، وكقوله تعالى : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } [الملك : ١] ، فالملك والملكوت واحد في المعنى، كرحمة ورَحَمُوت ، ورَهْبَة ورَهَبُوت ، وجَبْر وجَبَرُوت. ومن الناس من زعم

---

(١) التفسير الوسيط: ٥٨/١٢.

(٢) تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

(٣)المسند (١٧٧/٥).

(٤) انظر: حجة القرآءات: ٦-٣-٦٠٤.

(٥) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٧.

(٧) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(٨) الكشاف: ٣٢/٤.

(٩) تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

أن المُلْك هو عالم الأجساد والملكوت هو عالم الأرواح، والأول هو الصحيح ، وهو الذي عليه الجمهور من المفسرين وغيرهم"[1].

قال السمعاني:" {ملكوت كل شيء} أي: ملك كل شيء"[2].

قال قتادة:" {مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ}: مفاتح كل شيء"[3].

قال النحاس:" ملكوتي وملكوت -في كلام العرب- بمعنى: ملك، والعرب تقول: «جبروتي خير من رحموتي»"[4].

عن ابن عم لحذيفة ، عن حذيفة - وهو ابن اليمان - رضي الله عنه ، قال : قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ، فقرأ السبع الطُّوَل في سبع ركعات ، وكان إذا رفع رأسه من الركوع قال : «سمع الله لمن حمده". ثم قال : "الحمد لذي ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة». وكان ركوعه مثل قيامه ، وسجوده مثل ركوعه ، فأنصرف وقد كادت تنكسر رجلاي"[5].

وروي عن حذيفة ؛ أنه رأى رسول الله ﷺ من الليل ، وكان يقول : «الله أكبر - ثلاثًا - ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة». ثم استفتح فقرأ البقرة ، ثم ركع فكان ركوعه نحوا من قيامه ، وكان يقول في ركوعه : «سبحان ربي العظيم». ثم رفع رأسه من الركوع ، فكان قيامه نحوا من ركوعه ، يقول : « لربي الحمد». ثم سجد ، فكان سجوده نحوا من قيامه ، وكان يقول في سجوده : «سبحان ربي الأعلى». ثم رفع رأسه من السجود ، وكان يقعد فيما بين السجدتين نحوا من سجوده ، وكان يقول : «رب ، اغفر لي ، رب اغفر لي». فصلى أربع ركعات ، فقرأ فيهن البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة - أو الأنعام - - شك شعبة –"[6].

قوله تعالى:{وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس :٨٣]، أي:" وإليه وحده مرجع الخلائق للحساب والجزاء"[7].

قال الطبري:" يقول: وإليه تردون وتصيرون بعد مماتكم"[8].

قال الواحدي:أي:" تردون بعد الموت"[9].

قال مقاتل:" إلى الله- عز وجل- بعد الموت لتكذيبهم"[10].

قال ابن كثير: أي :" وإليه ترجع العباد يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله ، وهو العادل المتفضل"[11].

قال البيضاوي:" وعد ووعيد للمقرين والمنكرين"[12].

روي عن ابن عباس رضي الله عنه: "كنت لا أعلم ما روي في فضل يس كيف خصت به فإذا أنه بهذه الآية"[1].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٥٩٦/٦.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٩٠/٤.

(٣) رواه عنه النحاس في إعراب القرآن: ٢٧٦/٣.

(٤) إعراب القرآن: ٢٧٦/٣.

(٥)المسند (٣٨٨/٥).

(٦)سنن أبي داود برقم (٨٧٤) والشمائل للترمذي برقم (٢٦٠) وسنن النسائي (١٩٩/٢).

(٧) صفوة التفاسير: ٢٢/٣.

(٨) تفسير الطبري: ٢٠/ ٥٥٧.

(٩) التفسير الوسيط: ٥٢٠/٣.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٧/٣.

(١١) تفسير ابن كثير: ٥٩٦/٦.

(١٢) تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

فوائد الآيات:[٧٧-٨٣]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بإيراد أربعة براهين قاطعة.
٢- مشروعية استعمال العقليات في الحجج والمجادلة.
٣- تنزيه الله تعالى عن العجز والنقص وعن الشريك والولد وسائر النقائص.
٤- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كل الملكوت فلذا لا يصح طلب شيء من غيره إذ هو المالك الحق وغيره لا ملك له.

«آخر تفسير سورة (يس)، والحمد لله وحده»

(١) نقلا عن تفسير البيضاوي: ٢٧٥/٤.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تفسير سورة « الصَّافَّات»

سورة «الصافات»: هي السورة «السابعة والثلاثون» بحسب ترتيب المصحف العثماني، وهي السورة «السادسة والخمسون» بحسب ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة: «الأنعام»[١].

عدد آياتها مائة وثمانون وآية عند البصريين، وآيتان عند الباقين. وكلماتها ثمانمائة واثنتان وستون. وحروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وست وعشرون. المختلف فيها: آيتان: {وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ} [الصافات : ٢٢]، {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ} [الصافات : ١٦٧]، مجموع فواصلها «قدم بنا»[٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الصافات»:**

اسمها المشهور المتفق عليه «الصافات» . وبذلك سميت في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف كلها. وقد ثبتت تسميتها عن النبي-ﷺ- وعن صحابته رضوان الله عليهم اجمعين، كما سيأتي في فضائل السورة.

ووجه تسميتها باسم «الصافات» وقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أريد به أنه وصف الملائكة وإن كان قد وقع في سورة «الملك»، لكن بمعنى آخر إذ أريد هنالك صفة الطير، على أن الأشهر أن «سورة الملك» نزلت بعد «سورة الصافات»[٣].

قال الفيروزآبادي:" سميت «والصافات»، لافتتاحها بها"[٤].

ثانيا:- اسماؤها الإجتهادية:

١-«سورة الذبيح»:

قال السيوطي: "رأيت في كلام الجعبري أن سورة «الصافات» تسمى: «سورة الذبيح»، وذلك يحتاج إلى مستند من الأثر"[٥].

٢- «سورة الزينة»:

ذكر البقاعي أنها تسمى أيضاً «سورة الزينة»[٦]، ولعل هذه التسمية مأخوذة من قوله تعالى في السورة نفسها: {إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ} [الصافات : ٦].

- **مكية السورة ومدنيتها:**

قال ابن عباس:" نزلت سورة الصافات بمكة"[٧].

قال ابن الجوزي:" هي مكية كلها بإجماعهم"[٨].

قال الفيروزآبادي:" السورة مكية بالاتفاق"[٩].

---

(١) انظر: الكشاف:٣٣/٤.

(٢)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٣.

(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٨١/٢٣.

(٤)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٣٩٣.

(٥) الإتقان: ١٩٩/١.

(٦) نقلا عن موقع اسلام ويب.

(٧) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٨) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٩) البصائر: ٣٩٣/١.

مناسبة سورة«الصافات» مع سورة «يس»:

ووجه اتصالها بما قبلها:

١- أن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة، التي أشير إليها إجمالًا في السورة السابقة في قوله: {أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ} [يس : ٣١].

٢- أن فيها تفصيل أحوال المؤمنين، وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة، مما أشير إليه إجمالًا في السورة قبلها.

٣- المشاكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذاك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم، وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان. وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك. وهو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة إيجادًا وإعدامًا إلا إذا كان المريد واحدًا، كما يشير إلى ذلك قوله:{ {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنبياء : ٢٢] [١].

وعبارة أبي حيان هنا: "مناسبة أول هذه السورة لآخر« يس»: أنه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنه هو منشئهم، وإذا تعلقت إرادته بشيء كان .. ذكر تعالى هنا وحدانيته. إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة وجودًا وعدمًا إلا بكون المريد واحدًا. وتقدم الكلام على ذلك في قوله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء : ٢٢]"[٢].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- تستهدف سورة الصافات إثبات وحدانية الله تعالى، وسوق دلائل كثيرة على ذلك، دلت على انفراده سبحانه بصنع المخلوقات العظيمة، التي لا قبل لغيره بصنعها، وهي العوالم السماوية بأجزائها وسكانها، ولا قبل لمن على الأرض أن يتطرق في ذلك.

٢- وتستهدف السورة -كسائر السور المكية- بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله. ولكنها -بصفة خاصة- تعالج صورة معينة من صور الشرك، التي كانت سائدة في البيئة العربية الأولى، تلك السورة التي تزعم أن ثمة قرابة بين الله سبحانه وبين الجن، وتزعم أنه من التزاوج بين الله تعالى والجِنة ولدت الملائكة، ثم تزعم أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله! هذه الأسطورة تتعرض لحملة قوية في هذه السورة، تكشف عن تهافتها، وسخفها.

٣- تتناول السورة جوانب العقيدة الأخرى التي تتناولها السور المكية، فتثبت فكرة التوحيد مستدلة بالكون المشهود، وتنص على أن الشرك هو السبب في عذاب المعذبين في ثنايا مشهد من مشاهد القيامة.

٤- تتناول السورة قضية البعث، والحساب، والجزاء، وتعرض مشهداً مطولاً فريداً من مشاهد القيامة، ووصف حال المشركين يوم الجزاء، ووقوع بعضهم في بعض، ووصف حسن أحوال المؤمنين ونعيمهم، ومذاكرتهم فيما كان يجري بينهم وبين بعض المشركين من أصحابهم في الجاهلية، ومحاولتهم صرفهم عن الإسلام.

٥- تعرض السورة لقضية الوحي والرسالة، وتنظير دعوة محمد ﷺ قومه بدعوة الرسل من قبله، وكيف نصر الله رسله ورفع شأنهم وبارك عليهم.

٦- تعرض السورة سلسلة من قصص الرسل عليهم السلام :نوح، وإبراهيم وبنيه، وموسى وأخيه، وإلياس، ولوط، ويونس، تتكشف فيها رحمة الله لعباده، ونصره لرسله، وذكر مناقبهم وفضائلهم وقوتهم في دين الله، وما نجاهم الله من الكروب التي حفت بهم، وخاصة منقبة الذبيح إسماعيل .

٧- تبرز في القصص التي تضمنتها السورة قصة إبراهيم مع ابنه إسماعيل عليهما السلام، قصة الذبح والفداء، وتبرز فيها الطاعة لله والاستسلام لأمره في أروع صورها وأعمقها

---

(١) انظر: تفسير المراغي:٤١/٢٣.

(٢) البحر المحيط: ٨٩/٩.

وأرفعها، وتبلغ الذروة التي لا يبلغها إلا الإيمان الخالص، الذي يرفع النفوس إلى ذلك الأفق السامق الوضيء.

٨- تصف السورة ما حل بالأمم الذين كذبوا الرسل، وتنحي على المشركين فساد معتقداتهم في الله ونسبتهم إليه الشركاء، وقولهم: الملائكة بنات الله، وتكذيب الملائكة إياهم على رؤوس الأشهاد، وقولهم في النبي ﷺ والقرآن، وكيف كانوا يودون أن يكون لهم كتاب.

٩- وعد الله رسوله بالنصر كدأب المرسلين، ودأب المؤمنين السابقين، وأن عذاب الله نازل بالمشركين، وكون العاقبة الحسنى للمؤمنين.

١٠- جاء ختام السورة بتنزيه الله سبحانه، والاعتراف بربوبيته، والتسليم على رسله. وكانت فاتحة السورة مناسبة لمقاصدها؛ ذلك بأن القَسَم بالملائكة {وَالصَّافَّاتِ} [الصافات : ١] مناسب لإثبات الوحدانية؛ لأن الأصنام لم يدعوا لها ملائكة، والذي تخدمه الملائكة هو الإله الحق؛ ولأن الملائكة من جملة المخلوقات الدال خلقها على عظم الخالق. ثم إن الصفات التي لوحظت في القَسَم بها مناسبة للمقاصد المذكورة بعدها، فـ} الصافات { يناسب عظمة ربها. و}فالزاجرات {يناسب قذف الشياطين عن السماوات، ويناسب تسيير الكواكب وحفظها من أن يدرك بعضها بعضاً، ويناسب زجرها الناس في المحشر. ويناسب أحوال الرسول والرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أرسلوا به إلى أقوامهم.

وعلى الجملة، فإن مقصود السورة تنزيه الله سبحانه عن النقائص، اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل، اللازم منه الوحدانية مطلقاً في الإلهية وغيرها، وذلك هو المعنى الذي أشار إليه تسميتها بالصافات؛ لأن الصف يلزم منه الوحدة في الحشر، باجتماع التفرق، وفي المعنى باتحاد الكلمة، المراد منه هنا: الاتحاد في التنزيه(١).

- **فضائل السورة:**

ومما وردت في فضائل هذه السورة:

- عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: "من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل الله أعطاه سؤله"(٢).
- عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ والصافات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل جني وشيطان، وتباعد عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك، وشهد له حافظاه يوم القيامة أنه كان مؤمنا بالمرسلين»(٣).
- عن ابن عمر قال: "كان رسول الله - ﷺ - يأمُرُنا بالتخفيف ويَؤُمُّنَا بالصَّافَّات"(٤).

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: إسلام ويب.[موقع إلكتروني].

(٢) أورده السيوطي في الدر المنثور: ٧٧/٧، وعزاه إلى ابن أبي داود في فضائل القرآن وابن النجار في تاريخه.

(٣) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:١٣٨/٨، والواحدي في الوسيط(٧٨٣):ص٥٢١/٢. وقد مرّ أنه حديث موضوع غير ثابت.

(٤)النسائي: (٢/ ٩٥) (١٠) كتاب الإمامة (٣٦) الرخصة للإمام في التطويل – رقم (٨٢٦).

القرآن

{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣) إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ (٤)} [الصافات : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالملائكة تصف في عبادتها صفوفًا متراصة، وبالملائكة تزجر السحاب وتسوقه بأمر الله، وبالملائكة تتلو ذكر الله وكلامه تعالى. إن معبودكم -أيها الناس- لواحد لا شريك له، فأخلصوا له العبادة والطاعة. ويقسم الله بما شاء مِن خلقه، أما المخلوق فلا يجوز له القسم إلا بالله، فالحلف بغير الله شرك.

قوله تعالى:{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا} [الصافات : ١]، أي:" أقسم بهذه الطوائف من الملائكة، الصافات قوائمها في الصلاة، أو أجنحتها في ارتقاب أمر الله"[١].

قال الطبري:" أقسم الله تعالى ذكره بالصافات، وهي: الملائكة الصافات لربها في السماء، وهي جمع: صافَّة"[٢].

قال السعدي:" أي: صفوفا في خدمة ربهم، وهم الملائكة"[٣].

قال ابن زيد:" هذا قسم أقسم الله به"[٤].

قال قتادة:" قسم أقسم الله بخلق، ثم خلق، ثم خلق، والصافات: الملائكة صُفوفا في السماء"[٥].

قال الثعلبي:" الصف: ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والحرب"[٦].

وفي قوله تعالى:{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا} [الصافات : ١]، أقوال:

أحدها : أنهم الملائكة، قاله ابن مسعود[٧]، ومسروق[٨]، وابن عباس[٩]، وسعيد بن جبير[١٠]، وعكرمة[١١]، ومجاهد[١٢]، وقتادة[١٣]، والسدي[١٤]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٥].

قال السدي:" يعني: صفوف الملائكة في الصلاة" [١٦].

---

(١) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.

(٢) تفسير الطبري: ٧/٢١.

(٣) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١/ ٧-٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٢١/ ٧.

(٦) الكشف والبيان: ١٣٩/٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٧.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٧.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٦، وزاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٧.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٧.

(١٥) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٦) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٢/٢.

قال ابن عباس: "هم الملائكة صفوف في السماء، لا يعرف ملك منهم من إلى جانبه، لم يلتفت منذ خلقه الله عز وجل"[1].

قال ابن الجوزي:" وقيل: هي الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة إلى أن يأمرها الله تعالى بما يشاء"[2].

قال عطاء:" ليس في السموات السبع موضع شبر إلا عليه ملك قائم أو راكع أو ساجد"[3].

عن عن أبى ذر، عن رسول الله -ﷺ-، قال:" إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله"[4].

وعن عبد الرحمن بن العلاء بن سعد ، عن أبيه - وكان ممن بايع يوم الفتح - أن رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه : "أطَّت السماء وحُقّ لها أن تَئِطّ ، ليس فيها موضع قَدَم إلا عليه ملك راكع أو ساجد". ثم قرأ :{ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ}"[5].

الثاني : أنهم عبّاد السماء ، قاله الضحاك ورواه عن ابن عباس[6].

الثالث : أنهم جماعة المؤمنين إذا قاموا في صفوفهم للصلاة ، حكاه النقاش[7] لقوله تعالى: {صَفًّا {صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} [الصف : ٤].

الرابع: أنها الطير، دليله قوله تعالى: {وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ} [النور : ٤١]، وقوله: {أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّات} [الملك : ١٩]، حكاه الثعلبي[8].

الخامس : أنها صفوف المجاهدين في قتال المشركين. أفاده الماوردي[9].

واختلف من قال الصافات الملائكة في تسميتها بذلك على ثلاثة أقوال:

أحدها : لأنها صفوف في السماء ، قاله قتادة[10].

الثاني : لأنها تصف أجنحتها في الهواء واقفة فيه حتى يأمرها الله تبارك وتعالى بما يريد ، حكاه ابن عيسى[1].

---

(١) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٢) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٢/٢.

(٤)أخرجه أحمد (١٧٣/٥، رقم ٢١٥٥٥) والترمذى (٥٥٦/٤ رقم ٢٣١٢) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (١٤٠٢/٢ رقم ٤١٩٠) والحاكم (٥٥٤/٢، رقم ٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد. وأبو الشيخ فى العظمة (٩٨٢/٣، رقم ٥٠٧).

(٥)حديث أنس: أخرجه أيضاً: أبو نعيم فى الحلية (٢٦٩/٦) . وأورده السيوطى فى الدر المنثور (١٨٣/٤) وعزاه لابن مردويه. وحديث العلاء بن سعد: أخرجه ابن عساكر (٣٨١/٥٢) .

ومن غريب الحديث: "أَطّت السماء": صاحت وصوتت من ثقل ما عليها من ازدحام الملائكة وكثرة الساجدين فيها. "وحق لها أن تَئِطّ": وحق لها أن تصوت لأن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى صار لها صوت.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١٣٨/٨.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢١/ ٧.

الثالث : لصفوفهم عند ربهم في صلاتهم ، قاله الحسن[٢]، والسدي[٣].

عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ "فُضِّلنا على الناس بثلاث : جُعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجدًا وجُعلت لنا تُربتها طهورًا إذا لم نجد الماء"[٤].

عن جابر بن سَمُرَة قال : قال رسول الله ﷺ "ألا تَصُفّون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟" قلنا : وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال ﷺ : "يُتِمون الصفوف المتقدمة ويَتَراصون في الصف"[٥].

قوله تعالى:{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} [الصافات : ٢]، أي:" وأقسمُ بالملائكة التي تزجر السحاب، يسوقونه إلى حيث شاء الله"[٦].

قال السعدي:" وهم الملائكة، يزجرون السحاب وغيره بأمر الله"[٧].

وفي قوله تعالى:{فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا} [الصافات : ٢]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها الملائكة التي تزجر السحاب، قاله ابن مسعود[٨]، وابن عباس[٩]، ومجاهد[١٠]، والسدي[١١]، ويحيى بن سلام[١٢]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٣].

قال يحيى:" الملائكة، والرعد ملك يزجر السحاب وقد قال في آية أخرى: {فإنما هي زجرة واحدة} [الصافات: ١٩] وهي النفخة الآخرة ينفخ فيه صاحب الصور"[١٤].

قال مقاتل:" وهو ملك اسمه الرعد يزجر السحاب بصوته يسوقه إلى البلد الذي أمر أن يمطره، والبرق مخاريق من نار يسوق بها السحاب، فإذا صف السحاب بعضه إلى بعض سطع منه نار فيصيب الله به من يشاء وهي الصاعقة التي ذكر الله- عز وجل- في الرعد"[١٥].

الثاني : آيات القرآن التي زجر الله بها عما زَجر بها عنه في القرآن، قاله قتادة[١٦]، والربيع[١٧].

الثالث : الأمر والنهي الذي نهى الله تعالى به عباده عن المعاصي ، حكاه النقاش[١٨].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٣٦/٥.

(٣) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٢/٢.

(٤)صحسح مسلم برقم (٥٢٢).

(٥)صحيح مسلم برقم (٤٣٠) وسنن أبي داود برقم (٦٦١) وسنن النسائي (٩٢/٢) وسنن ابن ماجه برقم (٩٢٢).

(٦) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.

(٧) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٧):ص٣٢٠٤/١٠.

(٩) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.

(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.

(١٣) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.

(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٣.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.

(١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٨):ص٣٢٠٤/١٠.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.

الرابع : أنها قتل المشركين وسبيهم. أفاده الماوردي[١].
قال الطبري:" والذي هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد، ومن قال هم الملائكة، لأن الله تعالى ذكره، ابتدأ القسم بنوع من الملائكة، وهم الصافون بإجماع من أهل التأويل، فلأن يكون الذي بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه"[٢].
واختلف من قال إن «الزاجرات»: الملائكة في تسميتها بذلك على قولين :
أحدهما : لأنها تزجر السحاب ، قاله السدي[٣].
الثاني : لأنها تزجر عن المعاصي قاله ابن عيسى[٤].
قوله تعالى:{فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا} [الصافات : ٣]، أي:" وأقسمُ بالملائكة التالين لآيات الله على أنبيائه وأوليائه، مع التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد"[٥].
قال الطبري:" يقول: فالقارئات كتابا"[٦]
قال السعدي:" وهم الملائكة الذين يتلون كلام الله تعالى"[٧].
وفي قوله تعالى:{فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا} [الصافات : ٣]، ثلاثة أقوال:
أحدها : الملائكة، قاله ابن مسعود[٨]، وأبو صالح[٩]، والحسن[١٠]، ومجاهد[١١]، والسدي[١٢]، ويحيى بن سلام[١٣]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٤].
قال يحيى:" {ذكرا}، يعني: الوحي"[١٥].
قال أبو صالح:" الملائكة، يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس"[١٦].
وقال مقاتل:" يعني به: الملائكة وهو جبريل وحده- عليه السلام- يتلو القرآن على الأنبياء من ربهم، وهو، الملقيات ذكرا، يلقي الذكر على الأنبياء"[١٧].
الثاني : ما يتلى في القرآن من أخبار الأمم السالفة ، قاله قتادة[١٨].
الثالث : الأنبياء يتلون الذكر على قومهم ، قاله ابن عيسى[١]،رواه الضحاك عن ابن عباس[٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.
(٢) تفسير الطبري: ٨/٢١.
(٣) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.
(٥) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.
(٦) تفسير الطبري: ٨/٢١.
(٧) تفسير السعدي: ٧٠٠.
(٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٧):ص٣٢٠٤/١٠.
(٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٢٩):ص٣٢٠٤/١٠.
(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٨/٢١.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢١.
(١٣) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.
(١٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٢/٢.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٢٧):ص٣٢٠٤/١٠.
(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢١.

قوله تعالى: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ} [الصافات : ٤]، أي:" أي إن إلهكم الذي تعبدونه أيها الناس إله واحدٌ لاشريك له"[٣].

قال ابن كثير:" هذا هو المقسم عليه ، أنه تعالى لا إله إلا هو"[٤].

قال قتادة:" وقع القسم على هذا"[٥].

قال ابن الجوزي:"{وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (١) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (٢) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (٣)} [الصافات : ١ - ٣]، هذا قسم بهذه الأشياء، وجوابه: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ} [الصافات : ٤]. وقيل معناه: ورب هذه الأشياء إنه واحد"[٦].

قال الطبري: يقول:" إن معبودكم الذي يستوجب عليكم أيها الناس العبادة، وإخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثاني له ولا شريك. يقول: فأخلصوا العبادة وإياه فأفردوا بالطاعة، ولا تجعلوا له في عبادتكم إياه شريكا"[٧].

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة قالوا يجعل محمد- ﷺ- الآلهة إلها واحدا فأقسم الله بهؤلاء الملائكة {إن إلهكم}، يعني: أن ربكم، {لواحد} ليس له شريك"[٨].

قال السعدي:" فلما كانوا متألهين لربهم، ومتعبدين في خدمته، ولا يعصونه طرفة عين، أقسم بهم على ألوهيته فقال: {إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ} ليس له شريك في الإلهية، فأخلصوا له الحب والخوف والرجاء، وسائر أنواع العبادة"[٩].

القرآن

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ (٥)} [الصافات : ٥]

التفسير:

هو خالق السموات والأرض وما بينهما، ومدبِّر الشمس في مطالعها ومغاربها.

قوله تعالى:{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا} [الصافات : ٥]، أي:" هو خالق السموات والأرض وما بينهما"[١٠].

قال الطبري: " يقول: هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق، ومالك ذلك كله، والقيّم على جميع ذلك، يقول: فالعبادة لا تصلح إلا لمن هذه صفته، فلا تعبدوا غيره، ولا تشركوا معه في عبادتكم إياه من لا يضر ولا ينفع، ولا يخلق شيئا ولا يُفْنيه"[١١].

قوله تعالى:{وَرَبُّ الْمَشَارِقِ} [الصافات : ٥]، أي:" ومدبِّر الشمس في مطالعها ومغاربها"[١٢].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٣٧/٥.

(٢) انظر: زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٣) صفوة التفاسير: ٢٦/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

(٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٢٧):ص٣٢٠٤/١٠.

(٦) زاد المسير: ٥٣٥/٣.

(٧) تفسير الطبري: ٩/٢١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٣.

(٩) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(١١) تفسير الطبري: ٩/٢١.

(١٢) التفسير الميسر: ٤٤٦.

قال الطبري: " يقول: ومدبر مشارق الشمس في الشتاء والصيف ومغاربها، والقيّم على ذلك ومصلحه، وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه، واستغني بذكر المشارق من ذكرها، إذ كان معلوما أن معها المغارب"[1].

قال السعدي:" أي: هو الخالق لهذه المخلوقات، والرازق لها، المدبر لها، فكما أنه لا شريك له في ربوبيته إياها، فكذلك لا شريك له في ألوهيته، وكثيرا ما يقرر تعالى توحيد الإلهية بتوحيد الربوبية، لأنه دال عليه. وقد أقر به أيضا المشركون في العبادة، فيلزمهم بما أقروا به على ما أنكروه. وخص الله المشارق بالذكر، لدلالتها على المغارب، أو لأنها مشارق النجوم التي سيذكرها"[2].

قال قتادة:" مشارق الشمس في الشتاء والصيف"[3].

قال الزجاج:" قيل: المشارق ثلاثمائة وستون مشرقا، ومثلها من المغارب"[4].

قال السدي:" المشارق ستون وثلاث مئة مَشْرِق، والمغارب مثلها، عدد أيام السنة"[5].

القرآن

{إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ (٦)} [الصافات : ٦]

التفسير:

إنَّا زينَّا السماء الدنيا بزينة هي النجوم.

قال السمعاني:" أي: بحسن الكواكب وضيائها"[6].

قال ابن الجوزي:" {إنا زينا السماء الدنيا}، يعني: التي تلي الأرض، وهي أدنى السموات إلى الأرض بزينة الكواكب، أي: بحسنها وضوئها"[7].

قال ابن كثير:" يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض { بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ } ، قرئ بالإضافة وبالبدل ، وكلاهما بمعنى واحد ، فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوءها جرم السماء الشفاف ، فتضيء لأهل الأرض ، كما قال تعالى { وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ } [الملك : ٥] ، وقال : { وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. إلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ } [الحجر : ١٦ - ١٨]"[8].

قال قتادة:" خلقت النجوم ثلاثا، رجوما للشياطين، ونورا يهتدى بها، وزينة لسماء الدنيا"[9].

وقرأ عاصم: «بزينة الكواكب»، أي: بتزيينا الكواكب، وقرأ حمزة: «بزينة الكواكب»، بخفض الباء وتنوين الزينة، والكواكب على هذه الرواية تدل على الزينة، والمعنى: إنا زينا السماء الدنيا بالكواكب[10].

---

(١) تفسير الطبري: ٢١/١٠.

(٢) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٣) اخرجه الطبري: ٢١/١٠.

(٤) معاني القرآن: ٤/٢٩٨.

(٥) اخرجه الطبري: ٢١/١٠.

(٦) تفسير السمعاني: ٤/٣٩٢.

(٧) زاد المسير: ٣/٥٣٥.

(٨) تفسير ابن كثير: ٧/٦.

(٩) انظر: تفسير القرطبي: ١٥/٦٤.

(١٠) انظر: تفسير السمعاني: ٤/٣٩٢.

القرآن

{وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ (٧)} [الصافات : ٧]

التفسير:

وحفظنا السماء بالنجوم مِن كل شيطان متمرِّد عاتٍ رجيم.

قال الطبري: يقول:" {وحفظا} للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب"[(١)].

قال يحيى:" أي: وجعلناها، يعني: الكواكب حفظا للسماء"[(٢)].

قال ابن كثير:" تقديره : وحفظناها حفظًا، { مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ } يعني : المتمرد العاتي إذا أراد أن يسترق السمع ، أتاه شهاب ثاقب فأحرقه "[(٣)].

قال الزجاج:" يقذفون بها إذا استرقوا السمع"[(٤)].

قال السمعاني:" أي: وحفظناها حفظا، {من كل شيطان} متمرد، والشيطان: كل متمرد عات من إنس أو جن أو جنة، قال الشاعر[(٥)]:

ما ليلة القفير إلا شيطان ...

والقفير: البئر البعيدة القعر"[(٦)].

قال البيضاوي:" «مارد»: خارج من الطاعة"[(٧)].

قال يحيى:" مرد على المعصية، أي: اجترأ على المعصية، وهم سراة إبليس"[(٨)].

القرآن

{لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٨) دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ (٩)} [الصافات : ٨-٩]

التفسير:

لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملأ الأعلى، وهي السموات ومَن فيها مِن الملائكة، فتستمع إليهم إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مِن شرعه وقدره، ويُرْجَمون بالشهب من كل جهة؛ طردًا لهم عن الاستماع، ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجع.

قوله تعالى:{لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى} [الصافات : ٨]، أي:" لا تستطيع الشياطين أن تصل إلى الملأ الأعلى، وهي السموات ومَن فيها مِن الملائكة، فتستمع إليهم إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مِن شرعه وقدره"[(٩)].

قال الطبري:أي:" وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع إلى الملإ الأعلى، ويعني بقوله {إلى الملإ}: إلى جماعة الملائكة التي هم أعلى ممن هم دونهم"[(١٠)].

---

(١) تفسير الطبري: ١١/٢١.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٣/٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

(٤) معاني القرآن: ٢٩٨/٤.

(٥) لم اقف عليه، وهو من شواهد السمعاني في التفسير: ٣٩٢/٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٣٩٢/٤.

(٧) تفسير البيضاوي: ٦/٥.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٣/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(١٠) تفسير الطبري: ١٥/٢١-١٦.

قال يحيى:" أي: لئلا يسمعوا. {إلى الملإ الأعلى} الملائكة في السماء، وكانوا يسمعون قبل أن يبعث النبي ﷺ أخبارا من أخبار السماء، فأما الوحي فلم يكونوا يقدرون على أن يسمعوه وكانوا يقعدون منها مقاعد للسمع، فلما بعث الله النبي ﷺ منعوا من تلك المقاعد"(١).

قال السمعاني:" معنى الآية: "أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى"(٢).

قال ابن كثير:" أي : لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى ، وهي السماوات ومن فيها من الملائكة ، إذا تكلموا بما يوحيه الله مما يقوله من شرعه وقدره"(٣).

عن قتادة: "{لا يسمعون إلى الملإ الأعلى}، قال: منعوا بها، يعني: بالنجوم"(٤).

عن السدي، قوله:"{لا يسمعون إلى الملإ الأعلى}، قال: الملائكة"(٥).

عن ابن عباس، قال: حدثني رهط من الأنصار، قالوا:"بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله ﷺ، إذ رأى كوكبا رمي به، فقال:"ما تقولون في هذا الكوكب الذي يرمي به؟ " فقلنا: يولد مولود، أو يهلك هالك، ويموت ملك ويملك ملك، فقال رسول الله ﷺ:"ليس كذلك، ولكن الله كان إذا قضى أمرا في السماء سبح لذلك حملة العرش، فيسبح لتسبيحهم من يليهم من تحتهم من الملائكة، فما يزالون كذلك حتى ينتهي التسبيح إلى السماء الدنيا، فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة مم سبحتم؟ فيقولون: ما ندري: سمعنا من فوقنا من الملائكة سبحوا فسبحنا الله لتسبيحهم ولكنا سنسأل، فيسألون من فوقهم، فما يزالون كذلك حتى ينتهي إلى حملة العرش، فيقولون: قضى الله كذا وكذا، فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا إلى السماء الدنيا، فتسترق الجن ما يقولون، فينزلون إلى أوليائهم من الإنس فيلقونه على ألسنتهم بتوهم منهم، فيخبرونهم به، فيكون بعضه حقا وبعضه كذبا، فلم تزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب"(٦).

قال ابن عباس:" كانت للشياطين مقاعد في السماء، قال: فكانوا يسمعون الوحي، قال: وكانت النجوم لا تجري، وكانت الشياطين لا ترمى، قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعا؛ قال: فلما بُعِثَ رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم جعل الشيطانُ إذا قعد مقعده جاء شهاب، فلم يُخْطِهِ حتى يحرقه، قال: فشكوا ذلك إلى إبليس، فقال: ما هو إلا لأمر حدث ؛ قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم قائم يصلي بين جبلي نخلة؛ قال أبو كُرَيب: قال وكيع: يعني بطن نخلة، قال: فرجعوا إلى إبليس فأخبروه، قال: فقال هذا الذي حدث"(٧).

وقال ابن عباس:" كان للجن مقاعد في السماء يسمعون الوحي، وكان الوحي إذا أوحي سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمى بها على الصفوان، فإذا سمعت الملائكة صلصلة الوحي خر لجباههم من في السماء من الملائكة، فإذا نزل عليهم أصحاب الوحي {قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير}، قال: فيتنادون، قال: ربكم الحق وهو العلي الكبير؛ قال: فإذا أنزل إلى السماء الدنيا، قالوا: يكون في الأرض كذا وكذا موتا، وكذا وكذا حياة. وكذا وكذا جدوبة، وكذا وكذا خصبا، وما يريد أن يصنع، وما يريد أن يبتدئ تبارك وتعالى، فنزلت الجن. فأوحوا إلى أوليائهم من الإنس، مما يكون في الأرض،فبيناهم كذلك، إذ بعث الله النبي ﷺ، فزجرت الشياطين عن السماء ورموهم بكواكب، فجعل لا يصعد أحد منهم إلا احترق، وفزع أهل

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٣/٢.

(٢) تفسير السمعاني: ٣٩٣/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٣٢):ص٣٢٠٤/١٠، والطبري: ١٦/٢١.[باختصار]

(٥) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٣٤):ص٣٢٠٥/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ١٣/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ١٢/٢١.

الأرض لما رأوا في الكواكب، ولم يكن قبل ذلك، وقالوا: هلك من في السماء، وكان أهل الطائف أول من فزع، فينطلق الرجل إلى إبله، فينحر كل يوم بعيرا لآلهتهم، وينطلق صاحب الغنم، فيذبح كل يوم شاة، وينطلق صاحب البقر. فيذبح كل يوم بقرة، فقال لهم رجل: ويلكم لا تهلكوا أموالكم، فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء، فأقلعوا وقد أسرعوا في أموالهم. وقال إبليس: حدث في الأرض حدث، فأتي من كل أرض بتربة، فجعل لا يؤتى بتربة أرض إلا شمها، فلما أتي بتربة تهامة قال: ها هنا حدث الحدث، وصرف الله إليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن، فقالوا: {إنا سمعنا قرآنا عجبا} حتى ختم الآية ... ، فولوا إلى قومهم منذرين"[١].

عن عروة، عن عائشة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"إن الملائكة تنزل في العنان- وهو السحاب- فتذكر ما قضي في السماء، فتسترق الشياطين السمع، فتسمعه فتوحيه إلى الكهان، فيكذبون معها مئة كذبة من عند أنفسهم"[٢].

قال الطبري-بعد أن ذكر الأخبار السابقة:" فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع، ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع"[٣].

وقرئ: «لا يَسْمَعُونَ»، بتخفيف السين من يسمعون، بمعنى أنهم يتسمَّعون ولا يسمعون[٤].

أخرج ابن ابي حاتم عن ابن عباس رضي الله، عنهما:" أنه كان يقرأ :«لا يسمعون إلى الملا الأعلى» مخففة، وقال: إنهم كانوا يتسمعون، ولكن لا يسمعون"[٥].

قوله تعالى:{وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ(٨) دُحُورًا} [الصافات : ٨-٩]، أي:" ويُرْجَمون بالشهب من كل جهة طردًا لهم عن الاستماع"[٦].

قال الطبري: يقول:" ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحورا، والدحور: الدفع والإبعاد، يقال منه: ادحر عنك الشيطان: أي: ادفعه عنك وأبعده"[٧].

قال ابن كثير:" أي : يرمون من كل جهة يقصدون السماء منها رجما يدحرون به ويزجرون، ويمنعون من الوصول إلى ذلك"[٨].

قال السمعاني:" أي: يرجمون، وقوله: {من كل جانب} من جوانب السماء، والدحر هو الإبعاد"[٩].

عن قتادة: "{ويقذفون من كل جانب دحورا}، قذفا بالشهب"[١٠].

مجاهد، قوله: "{ويقذفون}، يرمون، {من كل جانب}، قال: من كل مكان. وقوله {دحورا}، قال: مطرودين"[١١].

---

(١) أخرجه الطبري :٢١/١٤-١٥.

(٢) أخرجه الطبري :٢١/١٥.

(٣) تفسير الطبري: ٢١/١٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١/١٢.

(٥) تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٣٣):ص١٠/٣٢٠٥.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٧) تفسير الطبري: ٢١/١٦.

(٨) تفسير ابن كثير: ٧/٦.

(٩) تفسير السمعاني: ٤/٣٩٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢١/١٦.

(١١) أخرجه الطبري: ٢١/١٦-١٧.

قال ابن زيد:" الشياطين يدحرون بها عن الاستماع، وقرأ وقال: {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب}"[١].

قال السعدي:" ذكر الله في الكواكب هاتين الفائدتين العظيمتين:

إحداهما: كونها زينة للسماء، إذ لولاها، لكانت السماء جرما مظلما لا ضوء فيها، ولكن زينها فيها لتستنير أرجاؤها، وتحسن صورتها، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ويحصل فيها من المصالح ما يحصل.

والثانية: حراسة السماء عن كل شيطان مارد، يصل بتمرده إلى استماع الملأ الأعلى، وهم الملائكة، فإذا استمعت قذفتها بالشهب الثواقب {مِنْ كُلِّ جَانِبٍ} طردا لهم، وإبعادا عن استماع ما يقول الملأ الأعلى"[٢].

قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ} [الصافات : ٩]، أي:" ولهم في الدار الآخرة عذاب دائم موجع"[٣].

قال الطبري: يقول:" ولهذه الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصب"[٤].

قال ابن كثير:" أي : في الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر ، كما قال : { وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ } [الملك : ٥]"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ} [الصافات : ٩]، وجوه:

أحدها : معناه: لهم عذاب موجع. قاله ابو صالح[٦]، والسدي[٧].

الثاني: لهم عذاب دائم. وهذا قول ابن عباس[٨]، مجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، وعكرمة[١١]، وأبو عبيدة[١٢].

وقال ابن زيد:" الواصب: الدائب"[١٣].

قال السعدي:" أي: دائم، معد لهم، لتمردهم عن طاعة ربهم"[١٤].

الثاني : أنه الذي يصل وجعه إلى القلوب ، مأخوذ من الوصب. حكاه الماوردي[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٧/٢١.

(٢) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٤)تفسير الطبر]: ١٧/٢١ .

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/٧.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢١-١٨.

(١٢) انظر: مجاز القرآن: ٣٦١/١.

(١٣) أخرجه الطبره: ١٨/٢١.

(١٤) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٣٩/٥.

قال الطبري: "الصواب تأويل من قال: معناه: دائم خالص، وذلك أن الله قال :{وله الدين واصبا}، فمعلوم أنه لم يصفه بالإيلام والإيجاع، وإنما وصفه بالثبات والخلوص؛ ومنه قول أبي الأسود الدؤلي[١]:

لا أشتري الحمد القليل بقاؤه ... يؤما بذم الدهر أجمع واصبا

أي دائما"[٢].

القرآن

{إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ (١٠)} [الصافات : ١٠]

التفسير:

إلا مَنِ اختطف من الشياطين الخطفة، وهي الكلمة يسمعها من السماء بسرعة، فيلقيها إلى الذي تحته، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته، فربما أدركه الشهاب المضيء قبل أن يلقيها، وربما ألقاها بقَدَر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب، فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكهنة، فيكذبون معها مائة كذبة.

قال الطبري:" يقول: إلا من استرق السمع منهم {فأتبعه شهاب} مضيء متوقد"[٣].

قال السمعاني:" قال أهل التفسير: هذا استثناء منقطع، ومعناه: لكن من خطف الخطفة، والخطف هو الاستلاب بسرعة، واختطافهم واستلابهم كلام الملائكة، {فأتبعه شهاب} مضيء، والشهاب: هو النجم ها هنا"[٤].

قال ابن كثير:" أي : إلا من اختطف من الشياطين الخطفة ، وهي الكلمة يسمعها، من السماء فيلقيها إلى الذي تحته ، ويلقيها الآخر إلى الذي تحته ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه ، فيذهب بها الآخر إلى الكاهن ، كما تقدم في الحديث ، ولهذا قال : { إلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ } أي : مستنير"[٥].

قال يحيى:" {إلا من خطف الخطفة}: استمع الاستماعة كقوله: {إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين} [الحجر: ١٨]. قال: {فأتبعه شهاب ثاقب}، أي: مضيء"[٦].

قال السعدي:" ولولا أنه تعالى استثنى، لكان ذلك دليلا على أنهم لا يستمعون شيئا أصلا ولكن قال: {إلا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ} أي: إلا من تلقف من الشياطين المردة، الكلمة الواحدة على وجه الخفية والسرقة {فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ} تارة يدركه قبل أن يوصلها إلى أوليائه، فينقطع خبر السماء، وتارة يخبر بها قبل أن يدركه الشهاب، فيكذبون معها مائة كذبة يروجونها بسبب الكلمة التي سمعت من السماء"[٧].

قال سعيد بن جبير:" يقول: إلا من استرق السمع من أصوات الملائكة {فأتبعه شهاب}، يعني: الكواكب"[٨].

قال ابن زيد:" الثاقب: المستوقد[١]، قال: والرجل يقول: أثقب نارك، ويقول استثقب نارك استوقد نارك"[٢].

---

(١) من شواهد ابي عبيدة في مجاز القرآن: ٣٦١/١، وروايته:" لا أبتغي الحمد".

(٢) تفسير الطبري: ١٨/٢١.

(٣) تفسير الطبري: ١٨/٢١ .

(٤) تفسير السمعاني: ٣٩٣/٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٦/٧-٧.

(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٤/٢.

(٧) تفسير السعدي: ٧٠٠.

(٨) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٦):ص٣٢٠٥/١٠.

عن قتادة، قوله: "{فأتبعه شهاب ثاقب}، من نار وثقوبه: ضوءه"[3].
عن الضحاك:" {شهاب ثاقب}، قال: ضوءه إذا انقض، فأصاب الشيطان"[4].
قال السدي:" شهاب مضيء يحرقه حين يرمى به"[5].
وقال السدي الثاقب: المحرق"[6].
قال الزجاج:" {شهاب ثاقب}: كوكب مضيء"[7].
قال يزيد الرقاشي: "يثقب الشيطان حتى يخرج من الجانب الآخر، فذكر ذلك لابي مجلز رضي الله، عنه، فقال: ليس ذاك، ولكن ثقوبه ضوءه"[8].
قال ابن عباس:" لا يقتلون بالشهاب، ولا يموتون، ولكنها تحرقهم من غير قتل، وتخبل وتخدج من غير قتل"[9].
قال ابن عباس:" إذا رمي الشهاب لم يخطئ من رمى به، وتلا:{فأتبعه شهاب ثاقب}"[10].
وقال ابن عباس:" إذا رأيتم الكوكب قد رمي به فتوارى فإنه لا يخطئ، وهو يحرق ما أصاب ولا يقتل"[11].
وقال الحسن:" أنه يقتله في أسرع من الطرف"[12].
عن محمد بن سيرين، عن رجل قال: "كنا مع أبي قتادة على سطح فانقض كوكب، فنهانا أبو قتادة أن نتبعه أبصارنا"[13].
قال عمرو: "سأل حفص الحسن: أأتبع بصري الكوكب؟ فقال: قال الله: {وجعلناها رجوما للشياطين} [الملك: ٥] وقال: {أولم ينظروا في ملكوت السموات} [الأعراف: ١٨٥] كيف نعلم إذا لم ينظر إليه؟ لأتبعنه بصري"[14].
قال عبيد الله: "سئل الضحاك هل للشياطين أجنحة؟ فقال: كيف يطيرون إلى السماء إلا ولهم أجنحة"[15].
فوائد الآيات:[١-١٠]:

---

(١) وفي رواية ابن ابي حاتم(١٨١٤٠):ص٣٢٠٥/١٠، قال: «المتوقد».
(٢) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.
(٣) اخرجه الطبري: ١٨/٢١.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٩):ص٣٢٠٥/١٠.
(٥) اخرجه الطبري: ١٨/٢١.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٤١):ص٣٢٠٥/١٠.
(٧) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٨):ص٣٢٠٥/١٠.
(٩) اخرجه الطبري: ١٨/٢١-١٩.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٣٧):ص٣٢٠٥/١٠.
(١١) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٤/٢.
(١٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٤/٢.
(١٣) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٥/٢.
(١٤) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٥/٢.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.

١- بيان أن الله تعالى يقسم ببعض مخلوقاته إما تنويهاً بعظمتها المقرر ضمناً لعظمة خالقها وإما بياناً لفضلها وإما لفتا لنظر العباد إلى ما فيها من الفوائد.
٢- تقرير التوحيد وأنه لا إله إلا الله.
٣- بيان الحكمة من وجود النجوم في السماء الدنيا.
٤- بيان أن الشياطين حرموا من استراق السمع، ولم يبق مجال لكذب الشياطين على الناس بعد أن منعوا من استراق السمع.

القرآن

{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ (١١)} [الصافات : ١١]

التفسير:

فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أَهُم أشد خلقًا أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟ إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق بعضه ببعض.

سبب النزول:

قال مقاتل:" نزلت في أبي الأشدين واسمه أسيد بن كلدة بن خلف الجمحي. وإنما كنى أبا الأشدين لشدة بطشه وفي ركانة بن عبد يزيد بن هشام ابن عبد مناف..ونزلت في أبى الأشدين أيضا {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا} [النازعات : ٢٧]، بعثا بعد الموت {أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا} [النازعات : ٢٧]"[١].

قال الماوردي:" نزلت هذه الآية في ركانة بن زيد بن هاشم بن عبد مناف وأبي الأشد ابن أسيد بن كلاب الجمحي"[٢].

قوله تعالى:{فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا} [الصافات : ١١]، أي:" فاسأل -أيها الرسول- منكري البعث أَهُم أشد خلقًا أم من خلقنا من هذه المخلوقات؟"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذي ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء: يقول: فسلهم: أهم أشد خلقا؟ يقول: أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض؟"[٤].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : فَسَل هؤلاء المنكرين للبعث : أيما أشد خلقًا هم أم السماوات والأرض ، وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ؟ - وقرأ ابن مسعود : "أم من عددنا" - فإنهم يُقرّون أن هذه المخلوقات أشد خلقًا منهم، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا. كما قال تعالى : { لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ } [غافر : ٥٧]"[٥].

عن مجاهد: "{أهم أشد خلقا أم من خلقنا}، قال: السموات والأرض والجبال"[٦].

عن سعيد بن جبير، قوله: "{أم من خلقنا}، قال: من الأموات والملائكة"[٧].

قال الزجاج:" {أهم أشد خلقا أم من خلقنا} من الأمم السالفة قبلهم وغيرهم من السماوات والأ رضين"[٨].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٢/٣-٦٠٣.
(٢) النكت والعيون: ٤١/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٤٤٦.
(٤) تفسير الطبري: ١٩/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٧/٧.
(٦) أخرجه الطبري: ١٩/٢١.
(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٤٤):ص٣٢٠٦/١٠.
(٨) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.

عن السدي: "{فاستفتهم أهم أشد خلقا}، قال: يعني المشركين، سلهم أهم أشد خلقا: {أم من خلقنا}"[١].

وفي قراءة عبد الله بن مسعود:«أهم أشد خلقا أم من عددنا»[٢].

عن الضحاك أنه قرأ: «أهم أشد خلقا أم من عددنا»؟ وفي قراءة عبد الله بن مسعود:«عددنا»، يقول: {رب السماوات والأرض وما بينهما ورب المشارق}، يقول: أهم أشد خلقا، أم السموات والأرض؟ يقول: السموات والأرض أشد خلقا منهم"[٣].

عن قتادة: "«فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من عددنا» من خلق السموات والأرض، قال الله: {لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس} ... الآية"[٤].

قوله تعالى:{إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصافات : ١١]، أي:" إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج، يلتصق بعضه ببعض"[٥].

قال الطبري:" يقول: إنا خلقناهم من طين لاصق. وإنما وصفه جل ثناؤه باللزوب، لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء؛ والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا"[٦].

قال ابن كثير:" ثم بين أنهم خُلقوا من شيء ضعيف ، فقال { إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ}"[٧].

قال يحيى: " يعني: خلق آدم، كان أول خلقه ترابا، ثم كان طينا، قال: من تراب"[٨].

قال ابن عباس:" اللازب، والحمأ، والطين، واحد، كان أوله ترابا، ثم صار حمأ منتنا، ثم صار طينا لا زبا فخلق الله منه آدم"[٩].

وفي قوله تعالى:{إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصافات : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : ملتصق، قاله ابن عباس[١٠]، منه قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

تعلم فإن الله زادك بسطة ... وأخلاق خير كلها لك لازب

وقال ابن زيد:" اللازب: الذي يلتصق كأنه غراء، ذلك اللازب"[١١].

الثاني : اللازق، أي: الذي يلزق باليد، قاله قتادة[١٢]، والضحاك-في رواية-[١٣].

وقال ابن عباس:" من التراب والماء فيصير طينا يلزق"[١٤].

وقال ابن مسعود:" «اللازب»: الذي يلزق بعضه إلى بعض"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(٢) تفسير الطبري: ١٩/٢١.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٠/٢١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٧/٧.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٥/٢.

(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٤٦):ص٣٢٠٦/١٠.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١، وابن ابي حاتم(١٨١٤٥):ص٣٢٠٦/١٠.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١.

الثالث: لازم، قاله مجاهد[2]، وبه قال أبو عبيدة[3]، وانشد قول النابغة[4]:

ولا يحسبون الخير لا شرّ بعده ... ولا يحسبون الشرّ ضربة لازب

وقول النّجاشيّ[5]:

بنى اللوم بيتا فاستقرت عماده ... عليكم بنى النّجّار ضربة لازب

قال الزجاج:" لازب، ولازم، ومعناهما واحد، أي: لازق"[6].

قال الماوردي:"والفرق بين اللاصق واللازق أن اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض ، واللازق هو الذي يلزق بما أصابه"[7].

قال يحيى: "يلصق ويلزق واحد، هي لغة، وهي تقال بالسين يلسق أيضا، وقال مجاهد: {لازب}: لازم، وهو واحد "[8].

الرابع : لزج ، قاله عكرمة[9].

الخامس: أن «اللازب»: الطين الجيد. قاله ابن عباس-في رواية أخرى-[10]، والضحاك[11].

السادس: أنه الطين الحر الجيد اللزج. قاله ابن عباس –أيضا-[12].

وقال ابن عباس:" اللزج الطيب"[13].

القرآن

{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢)} [الصافات : ١٢]

التفسير:

بل عجبتَ -أيها الرسول- من تكذيبهم وإنكارهم البعث، وأعجب من إنكارهم وأبلغ أنهم يستهزئون بك، ويسخرون من قولك.

قال ابن كثير:" أي : بل عجبت - يا محمد - من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث ، وأنت موقن مصدق بما أخبر الله به من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها. وهم بخلاف أمرك ، من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك "[14].

وفي قوله تعالى: {عَجِبْتَ} [الصافات : ١٢]، قراءتان:

إحداهما : «عَجِبْتُ»، بضم التاء ، قرأ بها علي بن أبي طالب، وابن مسعود[1]، وابن عباس،

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٤٧):ص١٠/٣٢٠٦.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(٣) انظر: مجاز القرآن: ١٦٧/٢.

(٤)ديوانه من الستة : ٣.

(٥) البيت فى تفسير الطبري:٢٠/٢١، وتفسير القرطبي ١٥/ ٦٩.

(٦) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.

(٧) النكت والعيون: ٤٠/٥.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٥/٢.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري:] ٢٢/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري:] ٢٢/٢١.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢١.

(١٤) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

وأبو عبد الرحمن السلمي، وعكرمة، وقتادة، وأبو مجلز، والنخعي، وطلحة بن مصرف، والأعمش، وابن أبي ليلى، وحمزة، والكسائي في آخرين[٢].

وفي هذه القراءة: "ويكون التعجب مضافاً إلى الله تعالى، وإن كان لا يتعجَّبُ من شيء لأن التعجب من حدوث العلم بما لم يعلم ، والله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها"[٣].

قال شقيق: "قرأت عند شريح :{بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُون}، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، إنما يعجب من لا يعلم. قال: فذكرت ذلك لإبراهيم النخعي فقال: إن شريحا شاعر يعجبه علمه، وعبد الله أعلم بذلك منه. قرأها : «بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُون»"[٤].

قال الفراء:" والرفع أحبّ إليّ لأنها قراءة عَليّ وابن مسعود وعبد الله بن عَبَّاس، و«العجب»وإن أُسند إلى الله فليسَ معناهُ من الله كمعناهُ من العباد، ألا ترى أَنَّهُ قال: {فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ}، وليس السُّخْرِي من الله كمعناهُ من العباد، وكذلك قوله: {اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ}، لَيْسَ ذَلِكَ من الله كمعناهُ من العباد، ففي ذَا بيانٌ لكسر قول شُرَيح، وإن كَانَ جائزًا، لأن المفسرين قالوا: بَلْ عَجِبْتَ يا محمد ويسخرون هم. فهذا وجه النصب"[٥].

قال الزجاج:" وقد أنكر قوم هذه القراءة، وقالوا: الله - عز وجل - لا يعجب، وإنكارهم هذا غلط. لأن القراءة والرواية كثيرة والعجب من الله - عز وجل - خلافه من الآدميين كما قال: {ويمكر الله}، و {سخر الله منهم}، {وهو خادعهم}. و«المكر» من الله والخداع خلافه من الآدميين.

وأصل «العجب» في اللغة: أن الإنسان إذا رأى ما ينكره ويقل مثله قال: عجبت من كذا وكذا، وكذا إذا فعل الآدميون ما ينكره الله جاز أن يقول فيه: عجبت والله قد علم الشيء قبل كونه، ولكن الإنكار إنما يقع والعجب الذي يلزم به الحجة عند وقوع الشيء"[٦].

وفي تفسير «العجب» على هذه القراءة وجهان :
أحدهما : يعني بل أنكرت. حكاه النقاش[٧].
الثاني : يعني: أنهم قد حلّوا محل من يتعجب منه. وهذا قول علي بن عيسى[٨].

والقراءة الثانية : «عَجِبْتَ»، بفتح التاء. قرأ بها ابن كثير، ونافع، وعاصم، وأبو عمرو، وابن عامر.

وأضاف التعجب إلى رسول الله -ﷺ-، كأنه قال: بل عجبت يا محمد، ويسخرون هم، قاله قتادة[٩].

قال ابن السائب: "أنت تعجب منهم، وهم يسخرون منك"[١٠].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٤٩):ص١٠/٣٢٠٦.

(٢) انظر: السبعة في القراءات:٥٤٧، ومعاني القرآن للفراء: ٢/٣٨٤، والنكت والعيون: ٥/٤١، وزاد المسير: ٣/٥٣٧.

(٣) النكت والعيون: ٥/٤١.

(٤) أخرجه الفراء في معاني القرآن: ٢/٣٨٤، وابن ابي حاتم(١٨١٥٠):ص١٠/٣٢٠٦-٣٢٠٧.

(٥) معاني القرآن: ٢/٣٨٤.

(٦) معاني القرآن: ٤/٣٠٠.

(٧) انظر: النكت والعيون: ٥/٤١.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٥/٤١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٣.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٣/٥٣٧.

وفيما عجب منه، أقوال:
أحدهما : من القرآن حين أعطيه، قاله قتادة[1].
قال قتادة:" عجب محمد عليه الصلاة والسلام من هذا القرآن حين أعطيه، وسخر منه أهل الضلالة"[2].
وفي رواية عن قتادة:" عجبت من كتاب الله ووحيه ويسخرون بما جئت به"[3].
قال الزجاج:" معناه في الفتح: بل عجبت يا محمد من نزول الوحي عليك ويسخرون"[4].
الثاني : من الكفار إذ لم يؤمنوا بالقرآن، وهو معنى قول ابن زياد[5].
الثالث: من إنكارهم البعث. ذكره الزجاج[6].
وفي قوله: {وَيَسْخَرُونَ} [الصافات : ١٢]، وجهان[7]:
أحدهما : من الرسول إذا دعاهم.
الثاني : من القرآن إذا تلي عليهم.
قال أبو عبيدة:" {يَسْتَسْخِرُونَ} و«يسخرون»: سواء"[8].
عن قتادة:"{ويسخرون}، يعني: أهل مكة"[9].

القرآن
{وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣)} [الصافات : ١٣]
التفسير:
وإذا ذكِّروا بما نسوه أو غَفَلوا عنه لا ينتفعون بهذا الذكر ولا يتدبَّرون.
قال الطبري: يقول:" وإذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا، فينيبوا إلى طاعة الله، لا ينتفعون بالتذكير فيتذكروا"[10].
قال الشوكاني:" أي: وإذا وعظوا بموعظة من مواعظ الله أو مواعظ رسوله، لا يتعظون بها ولا ينتفعون بما فيه"[11].
قال مقاتل:" وإذا وعظوا بالقرآن لا يتعظون"[12].
قال قتادة:" أي، لا ينتفعون، ولا يبصرون"[1].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣/٢١.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٢١، وابن ابي حاتم(١٨١٥١):ص٣٢٠٧/١٠، بزيادة:" {ويسخرون}، يعني: أهل مكة".
(٣) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٥١):ص٣٢٠٧/١٠.
(٤) معاني القرآن: ٢٩٩/٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٤١/٥.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٩٩/٤-٣٠٠، وحكاه ابن الجوزي في زاد المسير: ٥٣٧/٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٤١/٥.
(٨) مجاز القرآن: ١٦٧/٢.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٣/٢١، وابن ابي حاتم(١٨١٥١):ص٣٢٠٧/١٠، بزيادة:" {ويسخرون}، يعني: أهل مكة".
(١٠) تفسير الطبري: ٢٣/٢١.
(١١) فتح القدير: ٤٤٦/٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٣/٣.

قال القاسمي:" {وإذا ذكروا} أي: بما يؤيده، أو وعظوا وخوفوا من المخالفة، {لا يذكرون}، أي: ما يقتضيه؟ لتعنتهم وعنادهم. أو لا يخافون ولا يتعظون"[٢].

قال السعدي:" {و} من العجب أيضا أنهم {إِذَا ذُكِّرُوا} ما يعرفون في فطرهم وعقولهم، وفطنوا له، وألفت نظرهم إليه {لا يَذْكُرُونَ} ذلك، فإن كان جهلا فهو من أدل الدلائل على شدة بلادتهم العظيمة، حيث ذكروا ما هو مستقر في الفطر، معلوم بالعقل، لا يقبل الإشكال، وإن كان تجاهلا وعنادا، فهو أعجب وأغرب"[٣].

القرآن

{وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤)} [الصافات : ١٤]

التفسير:

وإذا رأوا معجزة دالَّة على نبوَّتك يسخرون منها ويعجبون.

قال الطبري:" يقول: وإذا رأوا حجة من حجج الله عليهم، ودلالة على نبوة نبيه محمد ﷺ، يسخرون ويستهزءون"[٤].

قال ابن كثير:"أي: {وَإِذَا رَأَوْا} دلالة واضحة على ذلك، يستهزئون "[٥].

قال الزجاج:" أي: إذا رأوا آية معجزة استسخروا واستهزأوا"[٦].

قال مقاتل:" {وإذا رأوا آية}، يعني: انشقاق القمر بمكة فصار نصفين، {يستسخرون}: سخروا فقالوا هذا عمل السحرة"[٧].

قال قتادة:" أي: يسخرون منه ويستهزئون"[٨].

قال مجاهد:" يستهزئون، يستخسرون"[٩].

قال السعدي:" ومن العجب [أيضا] أنهم إذا أقيمت عليهم الأدلة، وذكروا الآيات التي يخضع لها فحول الرجال وألباب الألباء، يسخرون منها ويعجبون"[١٠].

القرآن

{وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١٥) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧)} [الصافات : ١٥-١٧]

التفسير:

وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بيِّن. أإذا متنا وصِرْنا ترابًا وعظامًا بالية أإنا لمبعوثون من قبورنا أحياء، أو يُبعث آباؤنا الذين مضوا من قبلنا؟

قوله تعالى:{وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الصافات : ١٥]، أي:" وقالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر ظاهر بيِّن"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥٢):ص١٠/٣٢٠٧.

(٢) محاسن التاويل: ٨/٢٠٥.

(٣) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٤) تفسير الطبري: ٢١/٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٧/٨.

(٦) معاني القرآن: ٤/٣٠٠.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٠٣.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥٢):ص١٠/٣٢٠٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٢١/ ٢٤.

(١٠) تفسير السعدي: ٧٠١.

قال الطبري: يقول:" وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله لمحمد ﷺ: ما هذا الذي جئتنا به إلا سحر «مبين»: يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر"[٢].

قال ابن كثير:" أي : إن هذا الذي جئت به إلا سحر مبين "[٣].

قال السعدي:" ومن العجب أيضا، قولهم للحق لما جاءهم: {إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ مُبِينٌ} فجعلوا أعلى الأشياء وأجلها، وهو الحق، في رتبة أخس الأشياء وأحقرها"[٤].

قوله تعالى:{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ} [الصافات : ١٦]، أي:" أإذا متنا وصِرْنا ترابًا وعظامًا بالية أإنا لمبعوثون من قبورنا أحياء"[٥].

قال الطبري: " يقولون، منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم: أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا، ومصيرنا ترابا وعظاما، قد ذهب عنها اللحوم"[٦].

قال ابن كثير:" يستبعدون ذلك ويكذبون به "[٧].

قال السعدي:" ومن العجب أيضا، قياسهم قدرة رب الأرض والسماوات، على قدرة الآدمي الناقص من جميع الوجوه، فقالوا استبعادا وإنكارا: {أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ..}"[٨].

قوله تعالى:{أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ} [الصافات : ١٧]، أي:" أو يُبعث آباؤنا الذين مضوا من قبلنا؟"[٩].

قال الطبري: أي:" الذين مضوا من قبلنا، فبادوا وهلكوا"[١٠].

عن قتادة: "{أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون}، تكذيبا بالبعث"[١١].

قال مقاتل:" قالوا ذلك تعجبا"[١٢].

القرآن

{قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ (١٨)} [الصافات : ١٨]

التفسير:

قل لهم -أيها الرسول-: نعم سوف تُبعثون، وأنتم أذلاء صاغرون.

قال الطبري: يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء: نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم، وأنتم صاغرون أشد الصغر"[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٤/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٤) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢١/٢٤-٢٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٨) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(١٠) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٥/٢١.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

قال ابن كثير:" أي : قل لهم يا محمد : نعم تبعثون يوم القيامة بعد ما تصيرون ترابا وعظاما، { وَأَنْتُمْ} حقيرون تحت القدرة العظيمة ، كما قال تعالى { وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ } [النمل : ٨٧] ، وقال : { إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر : ٦٠]"[١].

عن قتادة والسدي: "{وأنتم داخرون}، أي: صاغرون"[٢].

قال القرطبي:" أي: صاغرون أذلاء، لأنهم إذا رأوا وقوع ما أنكروه فلا محالة يذلون، وقيل: أي: ستقوم القيامة وإن كرهتم، فهذا أمر واقع على رغمكم وإن أنكرتموه اليوم بزعمكم"[٣].

قال السعدي:" ولما كان هذا منتهى ما عندهم، وغاية ما لديهم، أمر الله رسوله أن يجيبهم بجواب مشتمل على ترهيبهم، فقال: {قُلْ نَعَمْ} ستبعثون، أنتم وآباؤكم الأولون {وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ} ذليلون صاغرون، لا تمتنعون، ولا تستعصون على قدرة الله"[٤].

القرآن

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ (١٩)} [الصافات : ١٩]

التفسير:

فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم قائمون من قبورهم ينظرون أهوال يوم القيامة.

قوله تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [الصافات : ١٩]، أي:" وما هي إلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور للقيام من القبور"[٥].

قال الطبري: يقول:" فإنما هي صيحة واحدة، وذلك هو النفخ في الصور"[٦].

قال ابن كثير:" أي : إنما هو أمر واحد من الله عز وجل ، يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض"[٧].

قال القرطبي:" أي: صيحة واحدة، وهي النفخة الثانية. وسميت الصيحة زجرة، لأن مقصودها الزجر أي يزجر بها كزجر الإبل والخيل عند السوق"[٨].

قال السعدي:" ينفخ إسرافيل فيها في الصور {فَإِذَا هُمْ} مبعوثون من قبورهم"[٩].

عن السدي، قوله: "{زجرة واحدة}، قال: نفخة واحدة، وهي النفخة الآخرة"[١٠].

عن مجاهد، قوله:{ فإنما هي زجرة}، قال: صيحة"[١١].

قال مقاتل:" صيحة واحدة من إسرافيل لا مثنوية لها"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٢١.

(٣) تفسير القرطبي: ٧٢/١٥.

(٤) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٨) تفسير القرطبي: ٧٢/١٥.

(٩) تفسير السعدي: ٧٠١.

(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٥٣):ص١٠/٣٢٠٧، والطبري: ٢٥/٢١.[باختصار]

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٥٤):ص١٠/٣٢٠٧.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.

قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ} [الصافات : ١٩]، أي:" فإذا هم قيامٌ في أرض المحشر ينظر بعضهم إلى بعض"[١].

قال الطبري: "يقول: فإذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون إلى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه"[٢].

قال ابن كثير: أي:"فإذا هم قيام بين يديه ، ينظرون إلى أهوال يوم القيامة "[٣].

قال مقاتل:" {فإذا هم ينظرون} إلى البعث الذي كذبوا به، فلما نظروا وعاينوا البعث ذكروا قول الرسل إن البعث حق"[٤].

قال السعدي:" {يَنْظَرُونَ} كما ابتدئ خلقهم، بعثوا بجميع أجزائهم، حفاة عراة غرلا وفي تلك الحال، يظهرون الندم والخزي والخسار، ويدعون بالويل والثبور"[٥].

القرآن

{وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠)} [الصافات : ٢٠]

التفسير:

وقالوا: يا هلاكنا هذا يوم الحساب والجزاء.

قال الطبري: يقول:" وقال هؤلاء المشركون المكذبون إذا زجرت زجرة واحدة، ونفخ في الصور نفخة واحدة: {يا ويلنا} هذا يوم الجزاء والمحاسبة"[٦].

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن قِيلِ الكفار يوم القيامة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ، ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم في الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة نَدمُوا كلَّ الندم حيث لا ينفعهم الندم ، { وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ }"[٧].

قال السعدي:" فقد أقروا بما كانوا في الدنيا به يستهزءون"[٨].

عن قتادة: "{هذا يوم الدين}، قال: يدين الله فيه العباد بأعمالهم"[٩].

قال السدي:" يوم الحساب"[١٠].

قال مقاتل:" يوم الحساب الذي أخبرنا به النبي- ﷺ- "[١١].

قال أبو عبيدة:" {يَوْمُ الدِّينِ}: الثواب والحساب، تقول العرب: كما تدين تدان"[١٢].

القرآن

{هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١)} [الصافات : ٢١]

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٥/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ٨/٧.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.

(٥) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٦/٢١.

(٧) تفسير ابن كثير: ٩/٧.

(٨) تفسير السعدي: ٧٠١.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.

(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.

(١٢) مجاز القرآن: ١٦٨/٢.

التفسير:
فيقال لهم: هذا يوم القضاء بين الخلق بالعدل الذي كنتم تكذبون به في الدنيا وتنكرونه.
قال الطبري: يقول:" هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذي كنتم به تكذبون في الدنيا فتنكرونه"(١).
قال ابن كثير: فتقول لهم الملائكة والمؤمنون : {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ }. وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ"(٢).
قال السعدي:" فيقال لهم: {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} بين العباد فيما بينهم وبين ربهم من الحقوق، وفيما بينهم وبين غيرهم من الخلق"(٣).
قال قتادة:" يعني: يوم القيامة"(٤).
قال السدي:" يوم يقضى بين أهل الجنة وأهل النار"(٥).
قال يحيى:" يوم القضاء، يقضى فيه بين المؤمنين والمشركين، فيدخل المؤمنون الجنة، ويدخل المشركون النار"(٦).
قال أبو عبيدة:" الفصل: قطع القضاء"(٧).
فوائد الآيات:[١١-٢١]:
١- بيان أصل خلق الإنسان وهو الطين اللازب أي اللاصق باليد.
٢- بيان موقفين متضادين الرسول يعجب من كفر المشركين وتكذيبهم والمشركون يسخرون من دعوته إياهم إلى الإيمان وعدم التكذيب بالله ولقائه.
٣- تقرير البعث وبيان طريقة وقوعه.
٤- عدم الانتفاع بالإيمان عند معانيه العذاب.
القرآن
{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ (٢٣) وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ (٢٤)} [الصافات : ٢٢-٢٤]
التفسير:
ويقال للملائكة: اجمَعُوا الذين كفروا بالله ونظراءهم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فسوقوهم سوقًا عنيفًا إلى جهنم. واحبسوهم قبل أن يصلوا إلى جهنم؛ إنهم مسؤولون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكيت لهم.
قوله تعالى:{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصافات : ٢٤]، أي:" ويقال للملائكة: اجمَعُوا الذين كفروا بالله ونظراءهم من العصاة والمجرمين"(٨).
قال الطبري:في الكلام، محذوف، والتقدير:" فيقال: احشروا الذين ظلموا، ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله في الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله"(٩).

---

(١) تفسير الطبري: ٢٦/٢١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٩/٧.
(٣) تفسير السعدي: ٧٠١.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٦/٢١.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٧/٢.
(٧) مجاز القرآن: ١٦٨/٢.
(٨) التفسير الميسر: ٤٤٧، وصفوة التفاسير: ٢٨/٣.
(٩) تفسير الطبري: ٢٧/٢١.

قال ابن عباس:" تقول الملائكة للزبانية: {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم}"[1].
وفي قوله تعالى: {وَأَزْوَاجَهُمْ} [الصافات : ٢٤]، أربعة أوجه:
أحدها : أمثالهم وأشباههم، قاله هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]، وابن عباس-في رواية-[3]، ومجاهد[4]، وقتادة[5]، والسدي[6]، والنعمان بن بشير[7].
قال قتادة:" أشباههم. من الكفار مع الكفار"[8].
وقال مجاهد:" أمثالهم"[9].
قال عمر بن الخطاب:" ضرباءهم"[10].
وفي لظ آخر لعمر:" إخوانهم"[11].
وفي لفظ لابن عباس، قال:" نظراءهم"[12].
قال القرطبي:" الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، وصاحب السرقة مع صاحب السرقه"[13].
وروي عن عمر قال: يحشر صاحب الربا مع صاحب الربا وصاحب الزنا مع صاحب الزنا وصاحب الخمر مع صاحب الخمر"[14].
الثاني : يعني: أتباعهم، ومن أشبههم من الظلمة. قاله ابن عباس[15].
الثالث : الذين ظلموا وأشياعهم، قاله قتادة[16]، وأبو العالية[17]. ومنه قول الشاعر[18]:
فكبا الثور في وسيل وروض ... مونق النبت شامل الأزواج
قال أبو العالية:" الذين ظلموا وأشياعهم"[19].
قال قتادة:" وأشياعهم، الكفار مع الكفار"[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥٦):ص١٠/٣٢٠٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٧.
(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٥٨):ص١٠/٣٢٠٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٨.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٦٠):ص١٠/٣٢٠٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٨.
(٧) انظر: زاد المسير: ٣/٥٣٨.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٦٠):ص١٠/٣٢٠٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٢١/٢٨.
(١٠)أخرجه الطبري: ٢١/٢٧ .
(١١) رواه سفيان الثوري، كما في تفسير ابن كثير: ٧/٩.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢١/٢٧.
(١٣) تفسير القرطبي: ١٥/٧٣.
(١٤) انظر: زاد المسير: ٣/٥٣٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٧.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٨.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٧.
(١٨) الشعر لا نسبة في النكت والعيون: ٥/٤٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢١/٢٧.

الرابع : قرناؤهم من الشياطين الذين أضلوهم، قاله مقاتل[٢].
الخامس : -وهو قول ابن زيد- يعني: "أزواجهم في الأعمال، وقرأ {وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً(٧)فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ(٨)وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ} [الواقعة : ٧-١٠]، فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج، وأصحاب الشمال زوج، قال: كل من كان من هذا حشره الله معه. وقرأ: {وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ} [التكوير : ٧]، قال: زوجت على الأعمال، لكل واحد من هؤلاء زوج، زوج الله بعض هؤلاء بعضا، زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة، والسابقين السابقين، قال: فهذا قوله: {احشروا الذين ظلموا وأزواجهم}، قال: أزواج الأعمال التي زوجهن الله"[٣].
السادس: نساؤهم الموافقات على الكفر، رواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٤]، وابن عباس -في رواية-[٥].
وحكي عن الحسن:" أن أزواجهم: المشركات"[٦].
قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِنْ دُونِ اللَّهِ} [الصافات : ٢٤]، أي:" وما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام"[٧].
قال الطبري: يقول:"احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فوجهوهم إلى طريق الجحيم"[٨].
قال ابن كثير:" أي : من الأصنام والأنداد ، تحشر معهم في أماكنهم"[٩].
عن قتادة: "{وما كانوا يعبدون من دون الله}: الأصنام"[١٠].
وقال مقاتل:" يعني: إبليس وجنده، نزلت في كفار قريش نظيرها فى «يس» {ألم أعهد إليكم ... } الآية {...أن لا تعبدوا الشيطان}، يعنى: إبليس وحده "[١١].
قوله تعالى:{فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٢٤]، أي:" فعرفوهم طريق الجحيم ووجهوهم إليها"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : أرشدوهم إلى طريق جهنم ، وهذا كقوله تعالى : { وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } [الإسراء : ٩٧]"[١٣].
قال ابن عباس:" يقول: وجهوهم، وقيل: إن الجحيم الباب الرابع من أبواب النار"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٨/٢١.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠١/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٨/٢١.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٣/٥.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٩/٧، وقال:" وهذا غريب ، والمعروف عنه الأول ، كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير ، عنه :{ أَزْوَاجَهُمْ } : قُرَناءهم".
(٦) انظر: زاد المسير: ٥٣٩/٣.
(٧) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.
(٨) تفسير الطبري: ٢٨/٢١.
(٩) تفسير ابن كثير: ٩/٧.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٩/٢١.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣.
(١٢) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٩/٧.

وقال ابن عباس:" سوقوهم"[٢].
وقال ابن عباس:" دلوهم إلى صراط الجحيم قال: طريق النار"[٣].
قال مقاتل:" يعنى: ادعوهم إلى طريق {الجحيم}، والجحيم: ما عظم الله- عز وجل- من النار"[٤].
قال الصابوني:" وفي لفظ {اهدوهم} تهكم وسخرية، فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم"[٥].
قوله تعالى:{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات : ٢٤]، أي:" احبسوهم عند الصراط لأنهم سيسألون عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدنيا، مساءلة إنكار عليهم وتبكيت لهم"[٦].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: احبسوا أيها الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة {إنهم مسئولون}"[٧].
قال ابن كثير:" أي : قفوهم حتى يُسألوا عن أعمالهم وأقوالهم التي صدرت عنهم في الدار الدنيا"[٨].
وفي قوله تعالى:{إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ} [الصافات : ٢٤]، وجوه من التفسير:
أحدها : عن «لا إله إلا الله»، قاله يحيى بن سلام[٩].
الثاني : للسؤال عن أعمالهم وعما دعوا إليه من بدعة ، رواه أنس مرفوعاً[١٠].
عن أنس بن مالك قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول:« أيما رجل دعا رجلا إلى شيء كان موقوفا لازما به، لا يغادره، ولا يفارقه»، ثم قرأ هذه الآية: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}"[١١].
الثالث : عن جلسائهم، قاله عثمان بن زيادة[١٢].
قال عثمان بن زائدة :"كان يقال إن أول ما يسأل، عنه العبد يوم القيامة، عن جلسائه"[١٣].
الرابع : محاسبون، قاله ابن عباس[١٤].
قال ابن عباس:" احبسوهم إنهم محاسبون"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٩/٢١.
(٢) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٦١):ص٣٢٠٨/١٠.
(٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٦٢):ص٣٢٠٨/١٠.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٤/٣-٦٠٥.
(٥) صفوة التفاسير: ٢٨/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٧، وصفوة التفاسير: ٢٨/٣
(٧) تفسير الطبري: ٢٩/٢١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٩/٧.
(٩) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٨/٢.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢١.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٦٤):ص٣٢٠٨/١٠.
(١٣) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٦٣):ص٣٢٠٨/١٠.
(١٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٦٣):ص٣٢٠٨/١٠.
(١٥) اخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٦٣):ص٣٢٠٨/١٠.

الخامس : معناه: وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم إنهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله. حكاه الطبري[١].
السادس : يسألهم هل يعجبهم ورود النار. قاله ابن مسعود[٢].
قال أبو الزعراء: "كنا عند عبد الله، فذكر قصة، ثم قال: يتمثل الله للخلق فيلقاهم، فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيرا، قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم، فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب، ثم قرأ: {وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا}، قال: ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقول: المسيح، فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم، فيريهم جهنم، وهي كهيئة السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا، ثم قرأ عبد الله: {وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ}"[٣].

القرآن
{مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ (٢٥)} [الصافات : ٢٥]
التفسير:
ويقال لهم توبيخًا: ما لكم لا ينصر بعضكم بعضًا؟
قال الطبري:" يقول: ما لكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا"[٤].
قال يحيى:" يقال لهم: {ما لكم لا تناصرون} : لا ينصر بعضكم بعضا"[٥].
قال ابن كثير:" أي : كما زعمتم أنكم جميع منتصر"[٦].
قال مقاتل:" يقول الخازن: {ما لكم لا تناصرون}، نظيرها في الشعراء: {هَلْ يَنْصُرُونَكُم} [الشعراء : ٩٣]، يقوله للكفار، ما لشركائكم الشياطين لا يمنعونكم من العذاب"[٧].
عن قتادة، قوله "{ما لكم لا تناصرون}، لا والله لا يتناصرون، ولا يدفع بعضهم عن بعض"[٨].
وقال السدي: لا يمنع بعضكم بعضا من دخول النار"[٩].

القرآن
{بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ (٢٦)} [الصافات : ٢٦]
التفسير:
بل هم اليوم منقادون لأمر الله، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه، غير منتصرين لأنفسهم.
قال الطبري:" يقول: بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه، موقنون بعذابه"[١٠].
قال يحيى:" استسلموا"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٣٠/٢١.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٩/٢١-٣٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٩/٢١-٣٠.
(٤) تفسير الطبري: ٣٠/٢١.
(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٨/٢.
(٦) تفسير ابن كثير: ٩/٧.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٣٠/٢١.
(٩) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٢٨/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٠/٢١.

قال مقاتل:"{مستسلمون} للعذاب"[2].
قال ابن كثير:" أي : منقادون لأمر الله ، لا يخالفونه ولا يحيدون عنه"[3].
عن قتادة، قوله "{بل هم اليوم مستسلمون}، في عذاب الله"[4].

القرآن
{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٧)} [الصافات : ٢٧]
التفسير:
وأقبل بعض الكفار على بعض يتلاومون ويتخاصمون.
قال الطبري:" قيل: معنى ذلك: وأقبل الإنس على الجن، يتساءلون"[5].
قال مقاتل:" {يتساءلون}، يتكلمون"[6].
قال ابن كثير:" يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون في عرصات القيامة ، كما يتخاصمون في دَرَكات النار ، { فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ } [غافر : ٤٧ ، ٤٨]. وقال : { وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ. وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [سبأ : ٣١ - ٣٣]"[7].
عن قتادة، قوله: "{وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}، الإنس على الجن"[8].
قال ابن عباس:" ذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية"[9].
قال النحاس:" فربما توهم الجاهل أن هذا من قول جلّ وعزّ: {فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ} [المؤمنون: ١٠١] وليس منه في شيء لأن قوله جلّ وعزّ: {فَلا أَنْسابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَساءَلُونَ}، إنما هو لا يتساءلون بالأرحام فيقول أحدهم: أسألك بالرحم التي بيني وبينك إمّا نفعتني أسقطت حقّا لك عليّ أو وهبت لي حسنة، لأن قبله: {فلا أنساب بينهم}، أي: ليس ينتفعون بالأنساب التي بينهم كما جاء بالحديث «إنّ الرجل يوم القيامة ليسرّ بأن يصحّ له على أبيه أو على ابنه حقّ فيأخذه منه لأنها الحسنات والسيئات»[10]، وفي حديث آخر «رحم الله امرأ كانت لأخيه عنده مظلمة في مال أو عرض فأتاه فاستحلّه قبل أن يطلبه به فيأخذ من حسناته فإن لم تكن له حسنات زيد عليه من سيئات المطالب»[11]، و«يتساءلون» هاهنا إنما هو أن يسأل

---

(١) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٢٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٠٥.
(٣) تفسير ابن كثير: ٧/٩.
(٤) أخرجه الطبري: ٢١/٣٠.
(٥) تفسير الطبري: ٢١/٣٠.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٠٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٧/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٢١/٣٠.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٦٦):ص١٠/٣٢٠٩.
(١٠) لم اقف عليه بهذا اللفظ، ونقله عنه القرطبي في التفسير: ١٥/٧٤.
(١١)أخرجه الترمذي في صفة القيامة ٩/ ٢٥٤.

بعضهم بعضا ويوبّخه في أنه أضلّه أو فتح له بابا من المعصية يبيّن ذلك أنّ بعده: {إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنا عَنِ الْيَمِينِ}"[١].

القرآن

{قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ (٢٨) قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٢٩)} [الصافات : ٢٨-٢٩]

التفسير:

قال الأتباع للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحق، فتهوِّنون علينا أمر الشريعة، وتُنَفِّروننا عنها، وتزينون لنا الضلال. وقال المتبوعون للتابعين: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان.

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : ٢٨]، أي:" قال الأتباع للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الدين والحق، فتهوِّنون علينا أمر الشريعة، وتُنَفِّروننا عنها، وتزينون لنا الضلال"[٢].

قال الطبري:" قالت الإنس للجن: إنكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه، واليمين: القوة والقدرة في كلام العرب"[٣].

قال السمعاني:" أي: عن الأيمان التي حلفوا بها أنهم صادقون"[٤].

واختلف اهل العلم في قوله تعالى:{تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ} [الصافات : ٢٨]، على وجوه من التفسير:

أحدها : كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا ، لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء، قاله ابن عباس[٥]، وبه قال الفراء[٦]، والنحاس[٧]، و«اليمين»: القدرة والقوّة. وكذلك قوله: {فَراغَ عَلَيْهِمْ ضَرْباً بِالْيَمِينِ}، أي: بالقوّة والقدرة، وقال الشاعر [٨]:

إذَا ما غاية رُفِعت لمجدٍ ... تلقاها عَرَابةُ باليمين

أي: بالقدرة والقوة.

قال الفراء:" يقول: كنتم تأتوننا من قبل الدين، أي: تأتوننا تخدعوننا بأقوى الوجوه"[٩].

قال النحاس: أي:" إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي هي أقوى الجهات وهي جهة الدين فتشككوننا فيه، وقد قيل هذا في قوله جل وعز: {وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ} [الزمر : ٦٧]، وهو معروف في كلام العرب. والله أعلم بما أراد"[١].

---

(١) إعراب القرآن: ٣/٢٨١-٢٨٢.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢١/٣١.

(٤) تفسير السمعاني: ٤/٣٩٧.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٥.

(٦) انظر: معاني القرآن: ٢/٣٨٤-٣٨٥.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٦/٢٢.

(٨)للشماخ في ديوانه ص ٣٣٦، ولسان العرب (عرب) ، (يمن) ، وتهذيب اللغة ٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣، وجمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، وتاج العروس (عرب) ، ومقاييس اللغة ٦/ ١٥٨، والإصابة ٤/ ٢٣٤، والشعر والشعراء ١/ ٢٧٨، وخزانة الأدب ١/ ٤٥٣، ٢/ ٢٢٣، وتفسير البحر المحيط ١/ ١٦٠، والعمدة ٢/ ١٣١، وأمالي القالي ١/ ٢٧٤، ونقد الشعر ص ٢٥، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري ٢١/٣١.

(٩) معاني القرآن: ٢/٣٨٤-٣٨٥.

الثاني : يعني: من قبل ميامنكم. قاله ابن خصيف[٢].
الثالث : من قبل الخير فتصدوننا عنه وتمنعوننا منه، قاله الحسن[٣]، وقتادة[٤]، وبه قال الزمخشري[٥].

قال الحسن:" كانوا يأتونهم، عند كل خير ليصدوهم، عنه"[٦].

وقال قتادة:" قالت الإنس للجن: إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين، قال: من قبل الخير، فتنهوننا عنه، وتبطئوننا عنه"[٧].

وقال ابن زيد:" قال بنو آدم للشياطين الذين كفروا: {إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين}، قال: تحولون بيننا وبين الخير، ورددتمونا عن الإسلام والإيمان، والعمل بالخير الذي أمر الله به"[٨].

قال الزمخشري:" اليمين لما كانت أشرف العضوين وأمتنهما وكانوا يتيمنون بها، فبها يصافحون ويماسحون ويناولون ويتناولون، ويزاولون أكثر الأمور، ويتشاءمون بالشمال، ولذلك سموها: الشؤمى، كما سموا أختها اليمنى، وتيمنوا بالسانح[٩]، وتطيروا بالبارح، وكان الأعسر معيبا عندهم، وعضدت الشريعة ذلك، فأمرت بمباشرة أفاضل الأمور باليمين، وأراذلها بالشمال. وكان رسول الله ﷺ يحب التيامن في كل شيء[١٠]. وجعلت اليمين لكاتب الحسنات، والشمال لكاتب السيئات، ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه، والمسيء أن يؤتاه بشماله: استعيرت لجهة الخير وجانبه، فقيل: أتاه عن اليمين، أى: من قبل الخير وناحيته، فصدّه عنه وأضله، وجاء في بعض التفاسير: من أتاه الشيطان من جهة اليمين: أتاه من قبل الدين فلبس عليه الحق. ومن أتاه من جهة الشمال: أتاه من قبل الشهوات. ومن أتاه من بين يديه: أتاه من قبل التكذيب بالقيامة وبالثواب والعقاب. ومن أتاه من خلفه: خوّفه الفقر على نفسه وعلى من يخلف بعده، فلم يصل رحما ولم يؤد زكاة"[١١].

الرابع : من قبل «لا إله إلا الله». قاله يزيد الرشْك[١٢].
الخامس: من حيث نأمنكم، قاله عكرمة[١٣].
السادس : من قبل الدين أنه معكم، وهو معنى قول الكلبي[١٤].

---

(١) معاني القرآن: ٢٢/٦.

(٢) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥.

(٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٦٧):ص٣٢٠٩/١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢١.

(٥) انظر: الكشاف: ٣٩/٤-٤٠.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٦٧):ص٣٢٠٩/١٠.

(٧) أخرجه الطبري: ٣١/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(٩)السانح: المار من اليسار إلى اليمين. والبارح عكسه. أفاده الصحاح .

(١٠) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها، إذ قالت:" كان الرسول (يعجبه التيامن في تنعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله".

رواه البخاري (١٦٨) ، ومسلم (٢٦٨).

(١١) الكشاف: ٣٩/٤-٤٠.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ١٠/٧.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥، وتفسير ابن كثير: ١١/٧.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٥/٥.

السابع : من الجهة التي نحبّها وننقاد إليها وتغرّونا بذاك. والعرب تتفاءل لما كان على اليمين، وتسميه: السانح. حكاه النحاس[١].
الثامن : تأتوننا مجيء من إذا حلف لنا صدّقناه: حكاه النحاس-أيضا-[٢].
التاسع : من قبل النصيحة واليمين ، والعرب تتيمن بما جاء عن اليمين ويجعلونه من دلائل الخير ويسمونه السانح، وتتطير بما جاء عن الشمال ويجعلونه من دلائل الشر ويسمونه: البارح ، وهو معنى قول عليّ بن عيسى[٣].
العاشر : من قبل الحق أنه معكم، قاله مجاهد[٤]، والسدي[٥].

وقال السدي:" تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن الحق"[٦].

وقال مجاهد:" الكفار تقوله للشياطين"[٧].

قال مقاتل:" يعنون: من قبل الحق، نظيرها في الحاقة {لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ} [الحاقة : ٤٥]: بالحق"[٨].

الحادي عشر : من قبل الأموال ترغبون فيها أنها تنال بما تدعون إليه فتتبعون عليه، وهو معنى قول الحسن[٩].

قوله تعالى:{قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الصافات : ٢٩]، أي:" وقال المتبوعون للتابعين: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان"[١٠].

قال الطبري:" قالت الجن للإنس مجيبة لهم: بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين، وكنتم للأصنام عابدين"[١١].

قال ابن كثير:" تقول القادة من الجن ، والإنس للأتباع : ما الأمر كما تزعمون ؟ بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان ، قابلة للكفر والعصيان"[١٢].

قال الزجاج:" أي: إنما الكفر من قبلكم"[١٣].

قال السمعاني:" أي: رؤساء يقولون ذلك للأتباع"[١٤].

القرآن

{وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ (٣٠)} [الصافات : ٣٠]

التفسير:

---

(١) انظر: إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

(٢) انظر: إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٤٦/٥.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣١/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٢/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٣١/٢١.

(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٤٦/٥.

(١٠) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١١) تفسير الطبري: ٣٢/٢١.

(١٢) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(١٣) معاني القرآن: ٣٠٢/٤.

(١٤) تفسير السمعاني: ٣٩٧/٤.

وما كان لنا عليكم من حجة أو قوَّة، فنصدكم بها عن الإيمان، بل كنتم -أيها المشركون- قومًا طاغين متجاوزين للحق.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ} [الصافات : ٣٠]، أي:" وما كان لنا عليكم من حجة أو قوَّة، فنصدكم بها عن الإيمان"(١).

قال الطبري:" يقول: قالوا: وما كان لنا عليكم من حجة، فنصدكم بها عن الإيمان، ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق"(٢).

قال ابن كثير:" أي : من حجة على صحة ما دعوناكم إليه"(٣).

عن السدي، قوله: "{وما كان لنا عليكم من سلطان}، قال: الحجة"(٤).

قال مقاتل:" من ملك، فنكرهكم على متابعتنا"(٥).

قال قتادة:" قالت لهم الجن: {بل لم تكونوا مؤمنين}، حتى بلغ :{قوما طاغين}"(٦).

قوله تعالى:{بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ} [الصافات : ٣٠]، أي:" بل كنتم -أيها المشركون- قومًا طاغين متجاوزين للحق"(٧).

قال الطبري:" يقول: قالوا لهم: بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله، متعدين إلى ما ليس لكم التعدي إليه من معصية الله وخلاف أمره"(٨).

قال ابن كثير:" أي : بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق ، فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذي جاءتكم به الأنبياء، وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به ، فخالفتموهم"(٩).

قال مقاتل:" { بل كنتم قوما طاغين}: عاصين"(١٠).

عن السدي، قوله:" {بل كنتم قوما طاغين}، قال: كفار ضلال"(١١).

قال النحاس:" أي: متزايدين في الكفر، وطغى الماء إذا زاد"(١٢).

فوائد الآيات:[٢٢-٣٠]:

١- بيان صور لموقف من مواقف القيامة.

٢- بيان أن الأشباه في الكفر والفجور أو في الفسق تحشر مع بعضها بعضا.

٣- عدم جدوى براءة العابدين من المعبودين واحتجاج التابعين على المتبوعين.

القرآن

{فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ (٣١)} [الصافات : ٣١]

التفسير:

فلزِمَنا جميعًا وعيد ربنا، إنا لذائقو العذاب، نحن وأنتم، بما قدمنا من ذنوبنا ومعاصينا في الدنيا.

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٢) تفسير الطبري: ٣٢/٢١.

(٣) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٤) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٨) تفسير الطبري: ٣٢/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٥/٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٢/٢١.

(١٢) إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

قال السعدي:" أي: حق علينا قدر ربنا وقضاؤه، أنا وإياكم سنذوق العذاب، ونشترك في العقاب"[١].

قال ابن كثير:" يقول الكبراء للمستضعفين : حقت علينا كلمة الله: إنا من الأشقياء الذائقين العذاب يوم القيامة"[٢].

قال ابن قتيبة:" يعني: نحن وأنتم ذائقون العذاب"[٣].

قال الطبري: يقول:" فحق علينا قول ربنا، فوجب علينا عذاب ربنا، إنا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا في الدنيا؛ فهذا خبر من الله عن قيل الجن والإنس"[٤].

قال الزجاج: أي:" حقت علينا كلمة العذاب، {إنا لذائقون}، أي: إن الجماعة، المضل والضال في النار"[٥].

قال النحاس:" أي: فحقّ علينا ما كتبه الله جلّ وعزّ، وما أعلم به ملائكته صلوات الله عليهم أجمعين. وهذا موافق للحديث: «إنّ الله جلّ وعزّ كتب للنار أهلا وللجنّة أهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم»[٦]"[٧].

عن قتادة: "{فحق علينا قول ربنا}، ....الآية. قال: هذا قول الجن"[٨].

القرآن
{فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ (٣٢)} [الصافات : ٣٢]

التفسير:
فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به، إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكنا؛ بسبب كفرنا، وأهلكناكم معنا.

قوله تعالى:{فَأَغْوَيْنَاكُمْ} [الصافات : ٣٢]، أي:" فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به"[٩].

قال الطبري:" يقول: فأضللناكم عن سبيل الله والإيمان به"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : دعوناكم إلى الضلالة"[١١].

قال السعدي:" أي: دعوناكم إلى طريقتنا التي نحن عليها، وهي الغواية، فاستجبتم لنا، فلا تلومونا ولوموا أنفسكم"[١٢].

قال يحيى:" تقوله الشياطين للمشركين، أي: فأضللناكم"[١٣].

---

(١) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(٢) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٩.

(٤) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(٥) معاني القرآن: ٣٠٢/٤.

(٦)أخرجه الترمذي في سننه في التفسير ١١/ ١٩٥، وابن ماجة في سننه في المقدمة الحديث رقم (٨٢).

(٧) إعراب القرآن: ٢٨٢/٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٣/٢١.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١٠) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(١١) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(١٢) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٢٩/٢.

قال النحاس:" أي: كنا سببا لغيّكم"[1].
قوله تعالى:{إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} [الصافات : ٣٢]، أي:" إنا كنا ضالين من قبلكم، فهلكنا؛ بسبب كفرنا، وأهلكناكم معنا"[2].
قال يحيى:" ضالين"[3].
قال الطبري:يقول:" إنا كنا ضالين؛ وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والإنس"[4].
قال ابن كثير:" أي : دعوناكم إلى ما نحن فيه ، فاستجبتم لنا"[5].

القرآن
{فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ (٣٣)} [الصافات : ٣٣]
التفسير:
فإن الأتباع والمتبوعين مشتركون يوم القيامة في العذاب، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله.
قال الطبري:"يقول: فإن الإنس الذين كفروا بالله وأزواجهم، وما كانوا يعبدون من دون الله، والذين أغووا الإنس من الجن يوم القيامة في العذاب مشتركون جميعا في النار، كما اشتركوا في الدنيا في معصية الله"[6].
قال السمعاني:" يعني: أنهم جميعا في العذاب"[7].
قال النحاس:" أي: الضالّ والمضلّ"[8].
قال ابن كثير:" أي : الجميع في النار ، كل بحسبه"[9].
عن ابن زيد: في قوله {فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون}، قال: "هم والشياطين"[10].
قال يحيى:" يقرن كل واحد منهم هو وشيطانه في سلسلة واحدة"[11].
قال السعدي:" أي: يوم القيامة {فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ} وإن تفاوتت مقادير عذابهم بحسب جرمهم، كما اشتركوا في الدنيا على الكفر، اشتركوا في الآخرة بجزائه"[12].
وقال القشيري:" يشتركون في العذاب ولكن تتفاوت أنصباؤهم، كما أنهم يشتركون في الزلة ولكن تختلف مقادير زلاتهم"[13].

القرآن
{إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (٣٤)} [الصافات : ٣٤]

---

(١) إعراب القرآن: ٣/٢٨٢.
(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٢٩.
(٤) تفسير الطبري: ٢١/٣٣.
(٥) تفسير ابن كثير: ٧/١١.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/٣٣.
(٧) تفسير السمعاني: ٤/٣٩٧.
(٨) إعراب القرآن: ٣/٢٨٢.
(٩) تفسير ابن كثير: ٧/١١.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢١/٣٣.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٢٩-٨٣٠.
(١٢) تفسير السعدي: ٧٠٢.
(١٣) لطائف الإشارات: ٣/٢٣١.

التفسير:
إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، فنذيقهم العذاب الأليم.

قال الطبري:يقول:" إنا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصي الله في الدنيا على طاعته، والكفر به على الإيمان، فنذيقهم العذاب الأليم، ونجمع بينهم وبين قرنائهم في النار"[١].

قال البيضاوي:" مثل ذلك الفعل، نفعل بالمشركين"[٢].

قال يحيى:" {بالمجرمين}: بالمشركين"[٣].

قال الزجاج:" المجرمون: المشركون خاصة"[٤].

قال السمعاني:" «الجرم» -ها هنا-: هو الشرك"[٥].

القرآن

{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ (٣٥)} [الصافات : ٣٥]

التفسير:
إن أولئك المشركين كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: لا إله إلا الله، ودعوا إليها، وأُمروا بترك ما ينافيها، يستكبرون عنها وعلى من جاء بها.

قال الطبري: يقول:" وإن هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم في هذه الآيات كانوا في الدنيا إذا قيل لهم: قولوا {لا إله إلا الله}، يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون"[٦].

قال الزجاج: {إذا قيل لهم لا إله إلا الله}، " يعني: عن توحيد الله عز وجل، وألا يجعلوا الأصنام آلهة"[٧].

قال ابن كثير:" {إِنَّهُمْ كَانُوا} في الدار الدنيا { إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ}، يستكبرون أن يقولوها ، كما يقولها المؤمنون"[٨].

قال البيضاوي: {يستكبرون}" عن كلمة التوحيد، أو على من يدعوهم إليه"[٩].

قال السدي:" يعني: المشركين خاصة"[١٠].

وقال القشيري:" احتجابهم بقلوبهم أوقعهم في وهدة عذابهم ذلك لأنهم استكبروا عن الإقرار بربوبيته. ولو عرفوه لافتخروا بعبوديته قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ} [الأعراف : ٢٠٦]، وقال: {لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ} [النساء : ١٧٢]، فإن من عرف الله فلا لذة له إلا في طاعته"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(٢) تفسير البيضاوي: ٩/٥.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٤) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٥) تفسير السمعاني: ٣٩٧/٤.

(٦) تفسير الطبري: ٣٣/٢١.

(٧) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٩) تفسير البيضاوي: ٩/٥.

(١٠) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(١١) لطائف الإشارات: ٢٣١/٣.

عن قتادة، قوله: "{إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون}، قال: قال عمر بن الخطاب: احضروا موتاكم، ولقنوهم لا إله إلا الله، فإنهم يرون ويسمعون"(١).

عن أبي هُرَيرة ، رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فمن قال : لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله ، وأنزل الله في كتابه - وذكر قوما استكبروا - فقال : { إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ }"(٢).

، قال أبو العلاء: "يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : الله وعُزَيرًا. فيقال لهم : خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : نعبد الله والمسيح. فيقال لهم : خذوا ذات الشمال. ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم : "لا إله إلا الله" ، فيستكبرون. ثم يقال لهم : "لا إله إلا الله" ، فيستكبرون. ثم يقال لهم : "لا إله إلا الله" فيستكبرون. فيقال لهم : خذوا ذات الشمال - قال أبو نضرة : فينطلقون أسرع من الطير - قال أبو العلاء : ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم : ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون : كنا نعبد الله. فيقال لهم : هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون : نعم. فيقال لهم : فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ قالوا : نعلم أنه لا عِدْلَ له. قال : فيتعرف لهم تبارك وتعالى ، وينجي الله المؤمنين"(٣).

القرآن

{وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ (٣٦)} [الصافات : ٣٦]

التفسير:

ويقولون: أنترك عبادة آلهتنا لقول رجل شاعر مجنون؟ يعنون رسول الله ﷺ.

قال الطبري:" ويقول هؤلاء المشركون من قريش، أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون يقول: لاتباع شاعر مجنون، يعنون بذلك نبي الله ﷺ، ونقول: لا إله إلا الله"(٤).

قال يحيى:" ويقولون، يعني: المشركين إذا دعاهم النبي ﷺ إلى الإيمان، {أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون}، يعنون: النبي ﷺ، أي: لا نفعل"(٥).

قال ابن كثير:" أي : أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون ، يعنون رسول الله ﷺ ؟!"(٦).

قال قتادة:" يعنون: محمدا ﷺ"(٧).

قال السعدي:" فلم يكفهم - قبحهم الله - الإعراض عنه، ولا مجرد تكذيبه، حتى حكموا عليه بأظلم الأحكام، وجعلوه شاعرا مجنونا، وهم يعلمون أنه لا يعرف الشعر والشعراء، ولا وصفه وصفهم، وأنه أعقل خلق الله، وأعظمهم رأيا"(٨).

القرآن

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٢) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١١/٧، و رواه مسلم في صحيحه برقم (٢١) بدون ذكر الآية من طريق يونس عن الزهري به.

(٣) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١١/٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٤/٢١.

(٥) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٢/٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٤/٢١.

(٨) تفسير السعدي: ٧٠٢.

{بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ (٣٧)} [الصافات : ٣٧]

التفسير:

كذَبوا، ما محمد كما وصفوه به، بل جاء بالقرآن والتوحيد، وصدَّق المرسلين فيما أخبروا به عنه من شرع الله وتوحيده.

قوله تعالى:{بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ} [الصافات : ٣٧]، أي:" ليس الأمرَ كما يفترون بل جاءهم محمد بالتوحيد والإسلام الذي هو الحقُّ الأبلج"[(١)].

قال الطبري:" هذا خبر من الله مكذبا للمشركين الذين قالوا للنبي ﷺ: شاعر مجنون، كذبوا، ما محمد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون، بل هو لله نبي جاء بالحق من عنده، وهو القرآن الذي أنزله عليه"[(٢)].

قال ابن كثير:" يعني رسول الله ﷺ جاء بالحق في جميع شرْعة الله له من الإخبار والطلب"[(٣)].

عن قتادة: "{بل جاء بالحق}، بالقرآن"[(٤)].

قال السعدي:" أي: مجيئه حق، وما جاء به من الشرع والكتاب حق"[(٥)].

قال البيضاوي:" رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق قام به البرهان"[(٦)].

قوله تعالى:{وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ} [الصافات : ٣٧]، أي:" وصدَّق المرسلين فيما أخبروا به عنه من شرع الله وتوحيده"[(٧)].

قال الطبري:" وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله"[(٨)].

قال قتادة:" أي: صدق من كان قبله من المرسلين"[(٩)].

قال البيضاوي:أي:" ما جاء به من التوحيد تطابق عليه المرسلون"[(١٠)].

قال ابن كثير:" أي : صدّقهم فيما أخبروه عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن الله في شرعه وقدره وأمره كما أخبروا،{ مَا يُقَالُ لَكَ إِلا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ } الآية [فصلت : ٤٣]"[(١١)].

قال السعدي:" أي: ومجيئه صدق المرسلين، فلولا مجيئه وإرساله لم يكن الرسل صادقين، فهو آية ومعجزة لكل رسول قبله، لأنهم أخبروا به وبشروا، وأخذ الله عليهم العهد والميثاق، لئن جاءهم، ليؤمنن به ولينصرنه، وأخذوا ذلك على أممهم، فلما جاء ظهر صدق الرسل الذين قبله، وتبين كذب من خالفهم.فلو قدر عدم مجيئه، وهم قد أخبروا به، لكان ذلك

---

(١) صفوة التفاسير: ٣/٢٩.

(٢) تفسير الطبري: ٢١/٣٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٧/١٢.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١/٣٤.

(٥) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(٦) تفسير البيضاوي: ٥/٩.

(٧) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٨) تفسير الطبري: ٢١/٣٤.

(٩) أخرجه الطبري: ٢١/٣٤.

(١٠) تفسير البيضاوي: ٥/٩.

(١١) تفسير ابن كثير: ٧/١٢.

قادحا في صدقهم. وصدق أيضا المرسلين، بأن جاء بما جاءوا به، ودعا إلى ما دعوا إليه، وآمن بهم، وأخبر بصحة رسالتهم ونبوتهم وشرعهم"(١).
فوائد الآيات:[٣١-٣٧]:
١- بيان هلاك الضال ومن أضله والغاوي ومن أغواه.
٢- بيان ما كان يوجهه المشركون لرسول الله من التهم الباطلة ورد الله تعالى عليها.
٣- التعظيم من شأن لا إله إلا الله وأنها دعوة كل الرسل التي سبقت النبي -ﷺ-.
٤- تقرير التوحيد والبعث والجزاء والنبوة المحمدية.
القرآن
{إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ (٣٨)} [الصافات : ٣٨]
التفسير:
إنكم -أيها المشركون- بقولكم وكفركم وتكذيبكم لذائقو العذاب الأليم الموجع.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة، القائلين لمحمد: شاعر مجنون {إنكم} أيها المشركون {لذائقو العذاب} الموجع في الآخرة"(٢).
قال الصابوني:" أي: إنكم أيها المجرمون لمعذبون أشد العذاب"(٣).
قال يحيى:{الْأَلِيمِ}: "الموجع، يقوله للمشركين، يعني: عذاب جهنم"(٤).
قال عبدالقاهر الجرجاني:" خطاب متوجه إلى كفار قريش"(٥).
قال الماتريدي:" بالتكذيب والرد لذلك كله"(٦).
قال السعدي:" ولما كان قولهم السابق: {إِنَّا لَذَائِقُونَ} قولا صادرا منهم، يحتمل أن يكون صدقا أو غيره، أخبر تعالى بالقول الفصل الذي لا يحتمل غير الصدق واليقين، وهو الخبر الصادر منه تعالى، فقال: {إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الألِيمِ} أي: المؤلم الموجع"(٧).
قال البغوي:" قوله تعالى: {لذائقو العذاب}: الوجه الجر بالإضافة. وقرئ شاذا بالنصب؛ وهو سهو من قارئه؛ لأن اسم الفاعل تحذف منه النون، وينصب إذا كان فيه الألف واللام"(٨).

القرآن
{وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٩)} [الصافات : ٣٩]
التفسير:
وما تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملونه في الدنيا من المعاصي.
قال الطبري:" يقول: وما تثابون في الآخرة إذا ذقتم العذاب الأليم فيها {إلا} ثواب {ما كنتم تعملون} في الدنيا، معاصي الله"(٩).
قال الخازن:" أي: في الدنيا من الشرك والتكذيب"(١٠).

---

(١) تفسير السعدي: ٧٠٢.
(٢) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.
(٣) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.
(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.
(٥) درج الدرر: ١٤٦٧/٤.
(٦) تاويلات أهل السنة: ٥٦٠/٨.
(٧) تفسير السعدي: ٧٠٢.
(٨) تفسير البغوي: ١٠٨٩/٢.
(٩) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.
(١٠) تفسير الخازن: ١٨/٤.

قال النسفي:أي:" بلا زيادة"[1].

قال السعدي:" {وَمَا تُجْزَوْنَ} في إذاقة العذاب الأليم، {إلا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، فلم نظلمكم، وإنما عدلنا فيكم؟"[2].

القرآن

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ (٤١) فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ (٤٢) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٤٣)} [الصافات : ٤٠-٤٣]

التفسير:

إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته؛ فإنهم ناجون من العذاب الأليم. أولئك المخلصون لهم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع. ذلك الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون بكرامة الله لهم في جنات النعيم الدائم.

قوله تعالى:{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات : ٤٠]، أي:" إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا له في عبادته، فأخلصهم واختصهم برحمته؛ فإنهم ناجون من العذاب الأليم"[3].

قال الطبري:" يقول: إلا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته، وكتب لهم السعادة في أم الكتاب، فإنهم لا يذوقون العذاب، لأنهم أهل طاعة الله، وأهل الإيمان به"[4].

قال مقاتل:" استثنى المؤمنين فقال: {إلا عباد الله المخلصين} بالتوحيد، لا يذوقون العذاب"[5].

قال ابن كثير:" أي : ليسوا يذوقون العذاب الأليم ، ولا يناقشون في الحساب ، بل يتجاوز عن سيئاتهم ، إن كان لهم سيئات ، ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة ، إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف"[6].

عن قتادة: "{إلا عباد الله المخلصين}، قال: هذه ثنية الله"[7].

قال يحيى:" استثنى المؤمنين، وهم من كل ألف واحد"[8].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ} [الصافات : ٤١]، أي:" أولئك المخلصون لهم في الجنة رزق معلوم لا ينقطع"[9].

قال يحيى:" الجنة"[10].

عن قتادة والسدس: "{أولئك لهم رزق معلوم}، في الجنة"[11].

قال الطبري:" يقول: هؤلاء هم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم؛ وذلك الرزق المعلوم: هو الفواكه التي خلقها الله لهم في الجنة"[1].

---

(١) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.

(٢) تفسير السعدي: ٧٠٢.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٤) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ١٢/٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٣٥/٢١.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٩) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(١٠) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٣٥/٢١.

قال مقاتل:" يعني بـ«المعلوم»: حين يشتهونه يؤتون به"[2].
قال السمعاني:" {معلوم} أي: مقدر، ورزقهم المقدر هو رزقهم بكرة وعشيا"[3].
قال النسفي: " يجوز أن يراد رزق معلوم منعوت بخصائص خلق عليها من طيب طعم ورائحة ولذة وحسن منظر وقيل معلوم الوقت كقوله {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم : ٦٢] ،والنفس إليه أسكن"[4].
قوله تعالى:{فَوَاكِهُ} [الصافات : ٤٢]، أي:" ذلك الرزق فواكه متنوعة"[5].
قال السمعاني:" الفواكه: جمع الفاكهة"[6].
قال الصابوني:" وخصَّ الفواكه بالذكر لأن كل ما يؤُكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ"[7].
قال النسفي: " فسر الرزق المعلوم بالفواكه وهي كل ما يتلذذ به ولا يتقوت لحفظ الصحة يعني أن رزقهم كله فواكه لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة بالأقوات لأن أجسادهم محكمة مخلوقة للأبد فما يأكلونه للتلذذ"[8].
قوله تعالى:{وَهُمْ مُكْرَمُونَ} [الصافات : ٤٢]، أي:" وهم مكرمون بكرامة الله لهم"[9].
قال الطبري:" يقول: وهم مع الذي لهم من الرزق المعلوم في الجنة، مكرمون بكرامة الله التي أكرمهم الله بها"[10].
قال السمعاني:" {وهم مكرمون} أي: بإدخالهم الجنة"[11].
قال النسفي: أي:"منعمون"[12].
قال ابن كثير:" أي : يُخْدمون ويرزقون ويرفهون وينعمون "[13].
قوله تعالى:{فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [الصافات : ٤٣]، أي:" في رياضٍ وبساتين يتنعمون فيها"[14].
قال الطبري:" يعني: في بساتين النعيم"[15].
قال السمعاني:" يعني: إنهم في جنات النعيم"[16].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٥/٢١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.
(٣) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.
(٤) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.
(٥) التفسير الميسر: ٤٤٧.
(٦) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.
(٧) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.
(٨) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.
(٩) التفسير الميسر: ٤٤٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.
(١١) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.
(١٢) تفسير النسفي: ١٢٢/٣.
(١٣) تفسير ابن كثير: ١٢/٧.
(١٤) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.
(١٥) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.
(١٦) تفسير المساني: ٣٩٨/٤.

القرآن

{عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤)} [الصافات : ٤٤]

التفسير:

ومن كرامتهم عند ربهم وإكرام بعضهم بعضًا أنهم على سرر متقابلين فيما بينهم.

قال الطبري:" يعني: أن بعضهم يقابل بعضا، ولا ينظر بعضهم في قفا بعض"[١].

قال يحيى:" السرر مرمولة بالذهب وبقضبان اللؤلؤ الرطب، {متقابلين}: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض. وقال بعضهم: ذلك في الزيارة إذا تزاوروا"[٢].

قال مقاتل:" في الزيارة"[٣].

قال الزجاج: السرر: جمع سرير، مثل كثيب وكثب. ومعنى {متقابلين}، ينظر بعضهم إلى وجوه بعض ولاينظر في أقفاء بعض، وصفوا مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة"[٤].

عن مجاهد، قوله: "{على سرر متقابلين}، قال: لا يرى بعضهم قفا بعض"[٥].

عن زيد بن أبي أوفى قال : "خرج علينا رسول الله ﷺ فتلا هذه الآية { عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ }، ينظر بعضهم إلى بعض"[٦].

عن أبي صلح في قوله: {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِين} [الحجر : ٤٧]، قال: "عشرة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ملك وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبد الله بن مسعود"[٧].

القرآن

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ (٤٧)} [الصافات : ٤٥-٤٧]

التفسير:

يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية، لا يخافون انقطاعها، بيضاء في لونها، لذيذة في شربها، ليس فيها أذى للجسم ولا للعقل.

قوله تعالى:{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} [الصافات : ٤٥]، أي:" يدار عليهم في مجالسهم بكؤوس خمر، من أنهار جارية"[٨].

قال الطبري:يقول:" يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة، والكأس عند العرب: كل إناء فيه شراب، فإن لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا، ولكنه يكون إناء"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.

(٤) معاني القرآن: ١١٠/٥.

(٥) اخجره ابن ابي حاتم(١٢٤٠٤):ص٢٢٦٧/٧.

(٦) رواه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ١٢/٧. وقال: حديث غريب".

ورواه البخاري في التاريخ الكبير (٣٨٦/٣) في ترجمة زيد بن أبي أوفى من طريق حسان بن حسان به ، وقال : "لا يتابع عليه".

(٧) تفسير سفيان الثوري(٤٧٤: ٦: ٩):ص١٦٠.

(٨) التفسير الميسر :٤٤٧.

قال ابن كثير:" أي : بخمر من أنهار جارية ، لا يخافون انقطاعها ولا فراغها "(٢).
قال يحيى:" هي الخمر، و«المعين»: الجاري الظاهر"(٣).
قال أبو عبيدة:" الكأس الإناء بما فيه والمعين الماء الطاهر الجاري"(٤).
قال الزجاج:" {من معين}، أي: من خمر تجري كما يجري الماء على وجه الأرض من العيون"(٥).
عن قتادة: "{يطاف عليهم بكأس من معين}، قال: كأس من خمر جارية، والمعين: هي الجارية"(٦).
عن السدي، قوله: "{بكأس من معين}، قال: الخمر"(٧).
قال سعيد بن جبير:" المعين: الخمر"(٨).
قال الضحاك:" كل كأس في القرآن فهو خمر"(٩).
قال الزجاج:" الكأس: الإناء إذا كانت فيه خمر فهو كأس، ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه، فإن كان فارغا فليس بكأس"(١٠).
قال مالك ، عن زيد بن أسلم : "خمر جارية بيضاء ، أي : لونها مشرق حسن بهي لا كخمر الدنيا في منظرها البشع الرديء ، من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة ، (٣) إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم"(١١).
قوله تعالى:{بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} [الصافات : ٤٦]، أي:" هذه الخمر بيضاء في لونها، لذيذة في شربها"(١٢).
قال الطبري: "يعني بالـ«بيضاء»: الكأس، { لذة للشاربين}، يقول: هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها"(١٣).
قال يحيى:" {بيضاء}، يعني: الخمر"(١٤).
قال الزجاج:" {لذة للشاربين}، أي: ذات لذة"(١٥).
قال ابن كثير:" أي: طعمها طيب كلونها ، وطيب الطعم دليل على طيب الريح ، بخلاف خمر الدنيا في جميع ذلك"(١).

---

(١) تفسير الطبري: ٣٦/٢١.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٣/٧.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(٤) مجاز القرآن: ١٦٠/٢.

(٥) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٦) اخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(٧) اخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٧٩):ص٣٢١١/١٠.

(٩) اخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(١٠) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(١١) نقلا عن تفسير ابن كثير: ١٣/٧:.

(١٢) التفسير الميسر :٤٤٧، وصفوة التفاسير: ٢٩/٣.

(١٣) تفسير الطبري: ٣٦/٢١-٣٧.

(١٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٠/٢.

(١٥) معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

قال السدي: "في قراءة عبد الله: «صفراء»"[2].

قوله تعالى:{لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصافات : ٤٧]، أي:" ليس فيها ما يغتال عقولهم فيفسدها، ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا"[3].

وفي قوله تعالى:{لَا فِيهَا غَوْلٌ} [الصافات : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: ليس فيها صداع ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس[4].

الثاني : ليس فيها وجع البطن ، قاله ابن عباس –أيضا-[5]، ومجاهد[6]، وابن زيد[7].

قال ابن زيد:" الغول: ما يوجع البطون، وشارب الخمر ههنا يشتكي بطنه"[8].

الثالث: ليس فيها أذى ولا مكروه، قاله سعيد بن جبير[9].

قال الماوردي:" وهذه الثلاثة متقاربة لاشتقاق الغول من الغائلة[10].

الرابع : ليس فيها وجع بطن، ولا صداع رأس. قاله قتادة[11].

وقال سعيد بن جبير-في رواية-:" وجع بطن ولا هم"[12].

الخامس : أنها لا تغتال عقولهم، قاله السدي[13]، وأبو عبيدة[14]، والطبري[15]، ومنه قول الشاعر[16]:

وما زالت الكأس تغتالنا ... وتذهب بالأول الأول

قال الطبري:" يقول: لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا إذا شربوها فأكثروا منها"[17].

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٣/٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٣٦/٢١.

(٣) صفوة التفاسير: ٢٩/٣.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٣٨/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ٤٧/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٧٩):ص٣٢١١/١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣٨/٢١.

(١٤) انظر: مجاز القرآن: ١٦٩/٢.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٧/٢١.

(١٦) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٦٩/٢، وتفسير الطبري: ٢١/ ٣١، وتفسير القرطبي: ١٥/ ٧٩ وهو منسوب لمطيع بن إياس فى نسخة.

«مطيع»: الذي ورد اسمه فى الفروق: مطيع بن إياس بن أبى قزعة ويكنى مطيع أبا سلم أدرك الدولتين وكان شاعرا ظريفا. انظر السمط ص ٦٠٠ والأغانى ١٣/ ٧٠.

(١٧) تفسير الطبري: ٣٧/٢١.

قال ابن قتيبة:" أي" لا تغتال عقولهم فتذهب بها. يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس. وغالني غولاً. و«الغول»:البعد"[١].

قال السجستاني:" غول: إذهاب الشيء. يقال: الخمر غول للحلم، والحرب غول للنفوس. وقوله جل وعز: {لا فيها غول}، أي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها"[٢].

السادس : أي: لا تذهب بها عقولهم، ولا يصيبهم منها وجع. قاله الزجاج[٣].

السابع : ليس فيها إثم ، قاله الكلبي[٤].

قال الطبري:" ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها وجه، وذلك أن الغول في كلام العرب: هو ما غال الإنسان فذهب به، فكل من ناله أمر يكرهه ضربوا له بذلك المثل، فقالوا: غالت فلانا غول، فالذاهب العقل من شرب الشراب، والمشتكي البطن منه، والمصدع الرأس من ذلك، والذي ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول، فالذي هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه: {لا فيها غول} فيعم بنفي كل معاني الغول عنه، وأعم ذلك أن يقال: لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها في جسم ولا عقل، ولا غير ذلك"[٥].

وفي قوله تعالى:{وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصافات : ٤٧]، وجوه من التفسير:

أحدها: لا تذهب عقولهم بالسكر، قاله ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]، وقتادة[٨]، والسدي[٩]، ومقاتل[١٠]، ومنه قول الشاعر[١١]:

لعمري لئن أنزفتم أو صحوتُم ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

قال ابن قتيبة:" أي: لا تذهب خمرهم وتنقطع ولا تذهب عقولهم. يقال: نزف الرجل؛ إذا ذهب عقله وإذا نفد شرابه"[١٢].

قال أبو عبيدة:" تقول العرب: لا يقطع عنه وينزف سكرا"[١٣].

قال الفراء:" العرب تقول: شرب فلان حتى نزف، إذا ذهب عقله من السكر"[١٤].

---

(١)غريب القرآن: ٣٦٩ .

(٢) غريب القرآن: ٣٥٢.

(٣) انظر: معاني القرآن: ٣٠٣/٤.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٤٧/٥. وحكاه الطبري: ٣٩/٢١، دون نسبة.

(٥) تفسير الطبري: ٣٩/٢١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩/٢١-٤٠.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢١.

(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٦/٣.

(١١) البيت للأبيرد الرّياحيّ في مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٦٩/٢، والبيت فى الطبري ٢٣/ ٣٢ والصحاح واللسان والتاج (نزف) وهو فى القرطبي (١٥/ ٧٩) منسوب إلى الخطيئة.

وانظر ترجمة«الأبيرد»، فى المعمرين: رقم ٥٨، والأغانى: ١٢/ ٩.

(١٢)غريب القرآن: ٣٦٩ .

(١٣) مجاز القرآن: ١٦٩/٢.

(١٤) كتاب فيه لغات القرآن: ١٢٣.

الثاني : لا يقيئون. قاله ابن عباس[1].

قال ابن عباس:" في الخمر أربع خصال. السكر، والصداع، القيء، والبول، فنزه الله خمر الجنة عنها {لا فيها غول}: لا تغول عقولهم من السكر، {ولا هم عنها ينزفون}: لا يقيئون، عنها كما يقئ صاحب خمر الدنيا، عنها، والقيء مستكره"[2].

الثالث : لا يبولون، حكاه الماوردي[3].

وفي الحديث: "إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون" قالوا: فما بال الطعام؟ قال: "جشاء ورشح كرشح المسك" "[4].

الرابع:معناه: لا مكروه فيها ولا أذى. قاله سعيد بن جبير[5].

الخامس : أي: لا تفنى، مأخوذ من: نزف الركية ، قاله أبو عمرو بن العلاء[6]، ومنه قول الشاعر[7]:

دَعِينِي-لَا أَبَا لكِ -لَنْ تُطِيقِي ... لحاكِ اللَّهِ! قَدْ أنزفْتِ رِيقِي

وقد يختلف هذا التفسير باختلاف القراءة، فقرأ حمزة والكسائي :«ينزفون» -بكسر الزاي- ، وقرأ الباقون:«يُنزَفون» -بفتح الزاي-، والفرق بينهما أن الفتح من: نزف فهو منزوف، إذا ذهب عقله بالسكر، والكسر من: أنزف فهو منزوف، إذا فنيت خمره[8].

قال الماوردي:" وإنما صرف الله تعالى السكر عن أهل الجنة لئلا ينقطع عنهم التذاذ نعيمهم"[9].

قال ابن كثير:" فنزه الله خمر الآخرة عن الآفات التي في خمر الدنيا ، من صداع الرأس ووجع البطن - وهو الغول - وذهابها بالعقل جملة"[10].

القرآن

{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ (٤٨) كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ (٤٩)} [الصافات : ٤٩]

التفسير:

وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين، كأنهن بَيْض مصون لم تمسه الأيدي.

قوله تعالى:{وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ} [الصافات : ٤٨]، أي:" وعندهم في مجالسهم نساء عفيفات، لا ينظرن إلى غير أزواجهن حسان الأعين"[11].

---

(١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٧٧):ص١٠/٣٢١١، وانظر: الدر المنثور: ٧/٨٨.

(٢) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٧٧):ص١٠/٣٢١١، وانظر: الدر المنثور: ٧/٨٨. وزاد نسبته لابن مردويه. مردويه.

(٣) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٧.

(٤)رواه مسلم (٢٨٣٥)، كتاب الجنة، باب: في صفات الجنة وأهلها.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨١٧٩):ص١٠/٣٢١١.

(٦) انظر: النكت والعيون: ٥/٤٧.

(٧) البيت لذي جدن الحميري ، في سيرة ابن هشام: ١/٣٨، واخبار مكة للأزرقي: ١/١٣٤، وتاريخ الطبري: ٢/١٢٥، والكشف والبيان: ١٠/٢٨٩، وبلا نسبة في النكت والعيون: ٥/٤٨.

المعنى: أيبست ريقى في فمى، وقلة الريق من الحصر، وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش.

(٨) انظر: السبعة في القراءات: ٥٤٧، وتفسير الطبري: ٢١/٣٩، والنكت والعيون: ٥/٤٨.

(٩) النكت والعيون: ٥/٤٨.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٧/١٣.

(١١) التفسير الميسر :٤٤٧.

قال مقاتل:" حافظات النظر من الرجال غير أزواجهن لا يرون غيرهم من العشق، حسان الأعين"[١].

قال يحيى:" يعني: الأزواج، قصر طرفهن على أزواجهن لا يردن غيرهم.{عين} عظام العيون"[٢].

قال الطبري: يقول:" وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله في الجنة قاصرات الطرف، وهن النساء اللواتي قصرن أطرافهن على بعولتهن، لا يردن غيرهم، ولا يمددن أبصارهن إلى غيرهم، يعني بالـ«عين»: النجل العيون عظامها، وهي جمع عيناء، والعيناء: المرأة الواسعة العين عظيمتها، وهي أحسن ما تكون من العيون"[٣].

قال ابن كثير:" أي : عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن، حسان الأعين"[٤].

عن ابن عباس: "{وعندهم قاصرات الطرف عين}، يقول: عن غير أزواجهن"[٥].

عن مجاهد: "{وعندهم قاصرات الطرف عين}، قال: على أزواجهن؛ زاد الحارث في حديثه: لا تبغي غيرهم"[٦].

قال قتادة:" قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم"[٧].

قال السدي:" قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن، فلا يردن غيرهم"[٨].

قال ابن زيد:" لا ينظرن إلا إلى أزواجهن، قد قصرن أطرافهن على أزواجهن، ليس كما يكون نساء أهل الدنيا"[٩].

وفي «العين»، وجهان من التفسير:

أحدهما : العظام الأعين، قاله السدي[١٠]، وابن زيد[١١]، ويحيى بن سلام[١٢]، والأخفش[١٣]، وقطرب[١٤]، وأبو عبيدة[١٥].

قال ابن زيد:" العيناء: العظيمة العين"[١٦].

قال يحيى:"بلغني عن عبد الله بن عمرو قال: شفر عينها أطول من جناح النسر"[١٧].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.

(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(٣) تفسير الطبري: ٤١/٢١.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٣/٧-١٤.

(٥) أخرجه الطبري: ٤١/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٤١/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٤١/٢١-٤٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢١.

(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ٤٨/٥.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ٤٨/٥.

(١٥) انظر: مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.

(١٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

وروي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت: قلت: "يا رسول الله أخبرني عن قول الله: {حور عين}، قال:«العين: الضخام العيون؛ شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر»"[1].
الثاني : الحسان العيون، قاله مقاتل[2]، وابن كثير[3].
قال ابن كثير:" أي : حسان الأعين، وقيل : ضخام الأعين. هو يرجع إلى الأول ، وهي النجلاء العيناء ، فوصف عيونهن بالحسن والعفة ، كقول زليخا في يوسف حين جملته وأخرجته على تلك النسوة ، فأعظمنه وأكبرنه ، وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره ، قالت : { فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ } [يوسف : ٣٢]، أي : هو مع هذا الجمال عفيف تقي نقي ، فأرتهن جماله الظاهر وأخبرتهن بجماله الباطن، وهكذا الحور العين { خَيْرَاتٌ حِسَانٌ } [الرحمن : ٧٠] ، ولهذا قال : { وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ }"[4].
قال الزجاج:" «عين»: كبار الأعين حسانها. الواحدة: عيناء"[5].
قوله تعالى:{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [الصافات : ٤٩]، أي:" كأنهن بَيْض مصون لم تمسه الأيدي"[6].
قال ابن كثير:" وصفهن بترافة الأبدان بأحسن الألوان "[7].
وفي قوله تعالى:{كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ} [الصافات : ٤٩]، وجهان من التفسير:
أحدهما : يعني: اللؤلؤ، وبه شبهن في بياضه وصفائه، قاله ابن عباس[8].
عن أنس رضي الله، عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا حزنوا، وأنا شفيعهم إذا حبسوا. لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي عز وجل ولا فخر، يطوف علي ألف خادم كأنهن البيض المكنون- أو: اللؤلؤ المكنون»[9].
الثاني : يعني: البيض المعروف في قشره، و«المكنون»: المصون.
عن السدي:" {كأنهن بيض مكنون}، قال: البيض في عشه"[10].
قال مقاتل:" شبهن ببياض البيض الذي الصفرة في جوفه"[11].
وفي تشبيههم بـ«البيض المكنون»، أربعة أوجه :
أحدها : تشبيهاً ببيض النعام يُكنّ بالريش من الغبار والريح فهو أبيض إلى الصفرة ، قاله الحسن[12]، وابن زيد[13].
عن الحسن وزيد بن اسلم:"{كأنهن بيض مكنون}، قال: محصون، لم تمرته الأيدي"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٢/٢١.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ١٤/٧.
(٤) تفسير ابن كثير :١٤/٧.
(٥) معاني القرآن: ٣٠٤/٤.
(٦) التفسير الميسر :٤٤٧.
(٧) تفسير ابن كثير :١٤/٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١.
(٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٨٩):ص٣٢١٢/١٠.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٨٥):ص٣٢١٢/١٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣.
(١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٨٦):ص٣٢١٢/١٠، وحكاه عنه الماوردي في النكت والعيون: ٤٨/٥.
(١٣)نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١ .

قال ابن زيد:" البيض الذي يكنه الريش، مثل بيض النعام الذي قد أكنه الريش من الريح، فهو أبيض إلى الصفرة فكأنه يبرق، فذلك المكنون"[٢].

قال ابن قتيبة:" العرب تشبه النساء ببيض النعام. قال امرؤ القيس[٣]:

كبِكْرِ المُقَاناتِ البَياضُ بِصُفْرةٍ ... غَذَاها نمِيرُ الماءِ غيرَ مُحَلَّلِ

و«المكنون»: المصون. يقال. كننت الشيء؛ إذا صنته؛ وأكننته: أخفيته"[٤].

الثاني : شبهن ببطن البيض في البياض، وهو الذي داخل القشر، وذلك أن ذلك لم يمسه شيء، قاله سعيد بن جبير[٥]، وقتادة[٦].

قال سعيد بن جبير:" كأنهن بطن البيض"[٧].

قال قتادة:" لم تمر به الأيدي ولم تمسه، يشبهن بياضه"[٨].

الثالث : تشبيهاً ببياض البيض حين ينزع قشرة قبل أن تمسه الأيدي، قاله السدي[٩].

الرابع : تشبيهاً بالسخاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض، قاله عطاء الخراساني[١٠].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندي قول من قال: شبهن في بياضهن، وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن إنس ولا جان ببياض البيض الذي هو داخل القشر، وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شيء غيرها، وذلك لا شك هو المكنون؛ فأما القشرة العليا فإن الطائر يمسها، والأيدي تباشرها، والعش يلقاها، والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشيء لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا، وتقول لكل شيء أضمرته الصدور: أكننته، فهو مكن"[١١].

قال أبو عبيدة:" كل لؤلؤ أو بيض أو متاع صنته، فهو مكنون، وكل شىء أضمرته فى نفسك فقد أكننته. قال أبو دهبل[١٢]:

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّ ... اص ميزت من جوهر مكنون"[١٣].

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٨٦)، (١٨١٨٧):ص١٠/٣٢١٢.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١.

(٣) ديوانه: ١١٦، والبيت له في اللسان ٦٨/٢٠، والبحر ٣٦٠/٧.

(٤) غريب القرآن: ٣٧١.

(٥)نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١ .

(٦)نانظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١ .

(٧) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٣/٢١.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢١ .

(١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٨١٨٤):ص١٠/٣٢١٢، وتفسير عبدالرزاق(٢٥١٩):ص٩٢/٣، والدر المنثور: ٨٩/٧.

(١١) تفسير الطبري: ٤٣/٢١-٤٤.

(١٢)من الأبيات المختلف فى عزوها قديما وكانوا يرونها نارة لأبى دهبل وتارة أخرى لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت فى خبر مع ابنة معاوية يطول ذكره انظره فى الأغانى فى ١٣/ ١٤٣ والخزانة ٣/ ٢٨٠. والاصفهانى لم يذكر أبا دهبل، والكلمة فى الكامل ص ١٦٨ والصحاح واللسان (سنن) والأمالى للقالى ٣/ ١٨٨ وانظر السمط (الذيل ص ٨٨) والبيت فى الطبري ٢١/ ٤٣ والقرطبي ١٥/ ٨١.

(١٣) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

عن أم سلمة "قلت: يا رسول الله أخبرني عن قوله: {كأنهن بيض مكنون}، قال:"رقتهن كرقة الجلدة التي رأيتها في داخل البيضة التي تلي القشر وهي الغرقئ"(١).

فوائد الآيات:[٣٨-٤٩]:

١- بيان عدالة الحق تبارك وتعالى في أنه يجزي السيئة بمثلها ولا يؤاخذ أحداً بغير كسبه في الحياة الدنيا.

٢- بيان فضل الله تعالى إذ يجزي المؤمنين الحسنة بعشر أمثالها إلى أكثر من سبعمائة.

٣- تقرير البعث وبيان بعض ما يجري فيه من قول وعمل.

٤- وصف نعيم أهل الجنة طعاما وشراباً وجلوسا واستمتاعا.

القرآن

{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١)} [الصافات : ٥٠-٥١]

التفسير:

فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة، وهذا من تمام الأنس. قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي.

قوله تعالى:{فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} [الصافات : ٥٠]، أي:" فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون عن أحوالهم في الدنيا وما كانوا يعانون فيها، وما أنعم الله به عليهم في الجنة"(٢).

قال الطبري:يقول:" فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون، يقول: يسأل بعضهم بعضا"(٣).

قال يحيى:" يعني: أهل الجنة"(٤).

قال مقاتل:" أي: أهل الجنة حين يتكلمون، يكلم بعضهم بعضا"(٥).

عن قتادة وابن زيد: "{فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون}، أهل الجنة"(٦).

قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون ، أي : عن أحوالهم ، وكيف كانوا في الدنيا ، وماذا كانوا يعانون فيها ؟ وذلك من حديثهم على شرابهم، واجتماعهم في تنادمهم وعشرتهم في مجالسهم ، وهم جلوس على السرر ، والخدم بين أيديهم ، يسعون ويجيئون بكل خير عظيم ، من مآكل ومشارب وملابس ، وغير ذلك مما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر"(٧).

قال السعدي:" قوله: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن المعلوم أن لذة أهل العلم بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١/٤٤.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) تفسير الطبري: ٢١/٤٤.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٣١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٠٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٤٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٧/١٥.

الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه"[١].

قوله تعالى:{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ} [الصافات : ٥١]، أي:" قال قائل من أهل الجنة: لقد كان لي في الدنيا صاحب ملازم لي"[٢].

قال الطبري: يقول:" قال قائل من أهل الجنة إذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون: {إني كان لي قرين}"[٣].

واختلف أهل التفسير في القرين الذي ذكر في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها : أنه الشيطان كان يغويه فلا يطيعه ، قاله مجاهد[٤].

الثاني : شريك له كان يدعوه إلى الكفر فلا يجيبه، قاله ابن عباس[٥].

قال ابن عباس:" هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان، فيقول له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار، فاطلع المؤمن، فرأى صاحبه في سواء الجحيم: {قال تالله إن كدت لتردين}"[٦].

وقال يحيى:" صاحب في الدنيا"[٧].

قال ابن كثير:" ولا تنافي بين كلام مجاهد ، وابن عباس ؛ فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس ، ويكون من الإنس فيقول كلاما تسمعه الأذنان ، وكلاهما متعاديان، قال الله تعالى : { يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا } [الأنعام : ١١٢] وكل منهما يوسوس ، كما قال تعالى : {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)} [الناس : ١ - ٦]"[٨].

الثالث: ما رواه خصيف، عن فرات بن ثعلبة البهراني في قوله :"{إني كان لي قرين}، قال: إن رجلين كانا شريكين، فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار، وكان أحدهما له حرفة، والآخر ليس له حرفة، فقال الذي له حرفة للآخر: ليس لك حرفة، ما أراني إلا مفارقك ومقاسمك، فقاسمه وفارقه؛ ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت لملك قد مات فدعا صاحبه فأراه، فقال: كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار؟ قال: ما أحسنها؛ فلما خرج قال: اللهم إن صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار، وإني أسألك دارا من دور الجنة، فتصدق بألف دينار؛ ثم مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم إنه تزوج امرأة بألف دينار، فدعاه وصنع له طعاما؛ فلما أتاه قال: إني تزوجت هذه المرأة بألف دينار؛ قال: ما أحسن هذا؛ فلما انصرف قال: يا رب إن صاحبي تزوج امرأة بألف دينار، وإني أسألك امرأة من الحور العين، فتصدق بألف دينار؛ ثم إنه مكث ما شاء الله أن يمكث، ثم اشترى بستانين بألفي دينار، ثم دعاه فأراه، فقال: إني ابتعت هذين البستانين، فقال: ما أحسن هذا؛ فلما خرج قال: يا رب إن صاحبي قد اشترى بساتين بألفي دينار، وأنا أسألك بستانين من الجنة، فتصدق بألفي دينار؛ ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما؛ ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه، فإذا امرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنها، ثم أدخله بستانين،

---

(١) تفسير السعدي: ٧٠٣.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٥/٢١.

(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٥/٧.

وشيئا الله به عليم، فقال عند ذلك: ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا. قال: فإنه ذاك، ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة. قال: فإنه كان لي صاحب يقول: {أئنك لمن المصدقين}، قيل له: فإنه في الجحيم، قال: فهل أنتم مطلعون؟ فاطلع فرآه في سواء الجحيم، فقال عند ذلك: {تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين}. ... الآيات"[١].

قال الطبري:" وهذا التأويل الذي تأوله فرات بن ثعلبة يقوي قراءة من قرأ:«إنك لمن المصدقين»، بتشديد الصاد بمعنى: لمن المتصدقين، لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره إنما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لا على التصديق"[٢].

وقال حفص: "سألت إسماعيل السدي عن هذه الآية: {قال قائل منهم إني كان لي قرين. يقول أإنك لمن المصدقين}، قال: فقال لي: ما ذكرك هذا؟ قلت: قرأته آنفا فأحببت أن أسألك، عنه؟ فقال: أما فاحفظ، كان شريكان في بني إسرائيل، أحدهما مؤمن والآخر كافر، فافترقا على ستة آلاف دينار، كل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار، فمكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به شيئا؟ أتجرت به في شيء؟ فقال له المؤمن: لا، فما صنعت أنت؟ فقال: اشتريت به أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا. قال: فقال له المؤمن: أو فعلت؟ فقال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار، ثم يموت غدا ويتركها، اللهم إني اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضا ونخلا وثمارا في الجنة قال: ثم أصبح فقسمها في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك، أضربت به في شيء؟ أتجرت به في شيء؟ قال: لا، فما صنعت أنت. قال: كانت ضيعتي قد اشتد علي مؤنتها، فاشتريت رقيقا بألف دينار، يقومون بي فيها، ويعملون لي فيها فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم. قال: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي، فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه، ثم قال: اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار، يموت غدا ويتركهم أو يموتون فيتركونه، اللهم وإني أشتري منك بهذه الألف الدينار رقيقا في الجنة ثم أصبح فقسمها في المساكين. قال: ثم مكثا ما شاء الله أن يمكثا، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن: ما صنعت في مالك؟ أضربت به في شيء؟ اتجرت به في شيء؟ قال: لا، فما صنعت أنت؟ قال: أمري كله قد تم إلا شيئا واحدا، فلانة قد مات، عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار فجاءتني بها ومثلها معها. فقال له المؤمن: أو فعلت؟ قال: نعم: فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله أن يصلي فلما انصرف أخذ الألف دينار الباقية، فوضعها بين يديه، وقال: «اللهم إن فلانا يعني شريكه الكافر- تزوج زوجة من أزواج الدنيا فيموت غدا فيتركها، أو تموت فتتركه، اللهم وإني أخطب إليك بهذه الألف الدينار حوراء عيناء في الجنة، ثم أصبح فقسمها بين المساكين. قال: فبقي المؤمن ليس، عنده شيء. قال: فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته، يعمل الشيء ويحفر الشيء بقوته. قال: فجاءه رجل فقال: يا عبد الله أتؤاجرني نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لي تعلفها وتكنس سرقينها؟ قال: نعم: قال فواجره نفسه مشاهرة شهر بشهر، يقوم على دوابه قال: فكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه، فإذا رأى منها دابة ضامرة، أخذ برأسه فوجأ، عنقه، ثم يقول له: سرقت شعير هذه البارحة؟ فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال: لاتين شريكي الكافر فلأعملن في أرضه فيطعمني هذه الكسرة يوما، ويكسوني هذين الثوبين إذا بليا قال: فانطلق يريده فلما انتهى إلى بابه وهو ممس فإذا قصر مشيد في السماء، وإذا حوله البوابون فقال لهم: استأذنوا لي صاحب هذا القصر، فإنكم إذا فعلتم سره ذلك. فقالوا له: انطلق إن كنت صادقا فنم في ناحية، إذا أصبحت فتعرض له، قال: فانطلق المؤمن، فألقى نصف كسائه تحته، ونصفه

(١) أخرجه الطبري: ٢١/٤٥-٤٦.

(٢) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.

فوقه، ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له، فخرج شريكه الكافر وهو راكب، فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه، ثم قال: ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت؟ قال: بلى وهذه حالي وهذه حالك؟ قال: أخبرني ما صنعت في مالك؟ قال: لا تسألني، عنه. قال: فما جاء بك؟ قال: جئت أعمل في أرضك هذه، فتطعمني هذه الكسرة يوما بيوم، وتكسوني هذين الثوبين إذا بليا. قال: لا، ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا، ولكن لا ترى مني خيرا حتى تخبرني ما صنعت في مالك؟ قال: أقرضته قال: من؟ قال: المليء الوفي. قال: من؟ قال: الله ربي. قال وهو مصافحه، فانتزع يده من يده، ثم قال: أإنك لمن المصدقين. أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون، قال السدي: محاسبون قال: فانطلق الكافر وتركه. قال: فلما رآه المؤمن ليس يلوي عليه رجع وتركه، يعيش المؤمن في شدة من الزمان، ويعيش الكافر في رخاء من الزمان، قال: فإذا كان يوم القيامة وأدخل الله المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هذا لك: فيقول: يا سبحان الله. أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟! قال: ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم، فيقول: لمن هذا؟ فيقال: هؤلاء لك. فيقول: يا سبحان الله، أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟! قال: ثم يمر فإذا هو بقبة من ياقوتة حمراء مجوفة، فيها حوراء عيناء، فيقول: لمن هذه؟ فيقال: هذه لك. فيقول: يا سبحان الله! أو بلغ من فضل عملي أن أثاب بمثل هذا؟! قال: ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول: { إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ. يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ. أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ}، قال: فالجنة عالية، والنار هاوية، قال: فيريه الله شريكه في وسط الجحيم، من بين أهل النار، فإذا رآه المؤمن عرفه، فيقول: { تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ. وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ. أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إِلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ. إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ}، بمثل ما من عليه. قال: فيتذكر المؤمن ما مر عليه في الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه في الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت"[١].

الثالث : أنهما اللذان في سورة الكهف:{واضرب لهم مثلاً رجلين}، إلى آخر قصتهما ، فقال المؤمن منهما في الجنة للكافر في النار. قاله مقاتل[٢].

قال مقاتل:" وذلك أن أخوين من بني إسرائيل اسم أحدهما فطرس والآخر سلخا ورث كل واحد منهما عن أبيه أربعة آلاف دينار، فأما أحدهما فأنفق ماله في طاعة الله- عز وجل-، والمشرك الآخر أنفق ماله في معصية الله- عز وجل- ومعيشة الدنيا، وهما اللذان ذكرهما الله- عز وجل- في سورة الكهف [٣]، فلما صارا إلى الآخرة أدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٩١):ص١٠/٣٢١٣-٣٢١٥. وهذا من أخبار بني إسرائيل التي لا يعتمد عليها.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٣/٦٠٧-٦٠٨.

(٣) تبدأ قصتهما من الآية: ٣٢-٤٣، من سورة الكهف، يقول تعالى: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ

النار، فلما أدخل الجنة المؤمن ذكر أخاه، فقال لإخوانه من أهل الجنة: {إني كان لي قرين}، يعني:صاحب"[1].

القرآن

{يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣)} [الصافات : ٥٢-٥٣]

التفسير:

يقول: كيف تصدِّق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟ أإذا متنا وتمزقنا وصرنا ترابًا وعظامًا، نُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا؟

قوله تعالى:{يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ} [الصافات : ٥٣]، أي:" يقول: كيف تصدِّق بالبعث الذي هو في غاية الاستغراب؟"[2].

قال مقاتل: "بالبعث"[3].

قال يحيى:" على الاستفهام"[4].

قال ابن كثير:" أي : أأنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء ؟! يعني : يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد "[5].

قوله تعالى:{أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ} [الصافات : ٥٣]، أي:" أإذا متنا وتمزقنا وصرنا ترابًا وعظامًا، نُبعث ونُحاسب ونُجازى بأعمالنا؟"[6].

قال الطبري:" {أئنا لمدينون}، يقول: أإنا لمحاسبون ومجزيون بعد مصيرنا عظاما ولحومنا ترابا"[7].

قال يحيى:" أي: لا نبعث ولا نحاسب وهما اللذان في سورة الكهف: {وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ} [الكهف: ٣٢]، إلى آخر قصتهما"[8].

قال مقاتل: " يعنى: المحاسبين في أعمالنا"[9].

قال السدي: يعني:" لمحاسبون"[10].

عن ابن عباس، قوله، "{أئنا لمدينون}، يقول: أئنا لمجازون بالعمل، كما تدين تدان"[11].

عن قتادة، قوله: "{أئنا لمدينون}: أئنا لمحاسبون"[12].

قال أبو عبيدة: " أي: مجزيّون، يقال: دنته، أي: جزيته بكذا وكذا"[1].

دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا (٤٣)} [الكهف : ٣٢ - ٤٣].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٧/٣-٦٠٨.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(٥) تفسير ابن كثير: ١٥/٧.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٧.

(٧) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣١/٢.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١، وحكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣١/٢.

(١١) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٦/٢١.

قال ابن قتيبة:" أي: مجزيون بأعمالنا. يقال: دنته بما صنع؛ أي جزيته"[٢].

القرآن

{قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥)} [الصافات : ٥٤-٥٥]

التفسير:

قال هذا المؤمن الذي أُدخل الجنة لأصحابه: هل أنتم مُطَّلعون لنرى مصير ذلك القرين؟ فاطلع فرأى قرينه في وسط النار.

قوله تعالى:{قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ} [الصافات : ٥٤]، أي:" قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطّلعونن إلى النار لننظر كيف حال ذلك القريب؟"[٣].

قال ابن كثير:" أي : مشرفون. يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة"[٤].

قال الطبري: " قال هذا المؤمن الذي أدخل الجنة لأصحابه: {هل أنتم مطلعون} في النار، لعلي أرى قريني الذي كان يقول لي: إنك لمن المصدقين بأنا مبعوثون بعد الممات"[٥].

قال مقاتل: " ثم قال المؤمن لإخوانه في الجنة: {هل أنتم مطلعون} إلى النار، فتنظرون منزلة أخي فردوا عليه أنت أعرف به منا، فاطلع أنت، ولأهل الجنة في منازلهم كوى فإذا شاءوا نظروا إلى أهل النار"[٦].

عن ابن عباس، قوله:"{هل أنتم مطلعون}، يقول: مطلعون إليه حتى أنظر إليه في النار"[٧].

قال قتادة:" سأل ربه أن يطلعه"[٨].

قوله تعالى:{فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٥٥]، أي:" فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى سعيرها"[٩].

قال مقاتل: " {فاطلع} المؤمن {فرآه} فرأى أخاه {في سواء}، يعني: في وسط الجحيم، أسود الوجه أزرق العينين مقرونا مع شيطانه في سلسلة"[١٠].

قال الطبري: " يقول: فاطلع في النار فرآه في وسط الجحيم. وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فقالوا: نعم"[١١].

عن ابن عباس والحسن، قوله: "{في سواء الجحيم}، يعني: في وسط الجحيم"[١٢].

عن قتادة، قوله: "{في سواء الجحيم}، وسطها"[١٣].

---

(١) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(٢) غريب القرآن: ٣٧١.

(٣) صفوة التفاسير: ٣١/٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٥) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٩٣):ص٣٢١٥/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(٩) صفوة التفاسير: ٣١/٣.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(١١) تفسير الطبري: ٤٦/٢١.

(١٢) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(١٣) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

وقال قتادة : " ذكر لنا أن كعب الأحبار رضي، عنه قال: في الجنة كوى. فإذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه في النار اطلع فازداد شكرا"[١].

قال أبو عبيدة: "سمعت عيسى ابن عمر، يقول: كنت وأنا شاب أقعد بالليل فأكتب حتى ينقطع سوائى، أي: وسطى"[٢].

قال مطرف بن عبد الله: "والله لولا أنه عرفه ما عرفه، لقد غيرت النار حبره وسبره"[٣].

عن قتادة، عن خليد العصري، قال: "لولا أن الله عرفه إياه ما عرفه، لقد تغير حبره وسبرة بعده، وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم، فقال: {تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين}"[٤].

قال السدي:" كان ابن عباس يقرؤها:«هل أنتم مطلعونى فاطلع فرآه في سواء الجحيم»، قال: في وسط الجحيم"[٥].

القرآن

{قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (٥٧)} [الصافات : ٥٦-٥٧]

التفسير:

قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: لقد قاربت أن تهلكني بصدك إياي عن الإيمان لو أطعتك. ولولا فضل ربي بهدايتي إلى الإيمان وتثبيتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك.

قوله تعالى:{قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ} [الصافات : ٥٦]، أي:" قال المؤمن لقرينه المنكر للبعث: والله لقد قاربت أن تهلكني بصدك إياي عن الإيمان لو أطعتك"[٦].

قال الطبري:" يقول: فلما رأى قرينه في النار قال: تالله إن كدت في الدنيا لتهلكني بصدك إياي عن الإيمان بالبعث والثواب والعقاب"[٧].

قال ابن كثير:" يقول المؤمن مخاطبا للكافر : والله إن كدت لتهلكني لو أطعتك"[٨].

قال أبو عبيدة:" أرديته: أهلكته، وردى هو، أي: هلك"[٩].

قال ابن قتيبة:"{إن كدت لتردين} أي لتهلكني. يقال: أرديت فلانا، أي أهلكته. و"الردى": الموت والهلاك"[١٠].

قال الطبري:" يقال منه: أردى فلان فلانا: إذا أهلكه، وردي فلان: إذا هلك، كما قال الأعشى[١١]:

---

(١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٩٥):ص١٠/٣٢١٦، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٢) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(٣) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١-٤٩.

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨/٢١.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٩/٢١.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٨.[بتصرف]

(٧) تفسير الطبري: ٥٠/٢١.

(٨) تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٩) مجاز القرآن: ١٧٠/٢.

(١٠) غريب القرآن: ٣٧١.

(١١)لبيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ٤١) من قصيدة ميمية مطولة يمدح بها قيس بن

أفي الطوف خفت علي الردى ... وكم من رد أهله لم يرم
يعني بقوله:«وكم من رد»: وكم من هالك"[١].
قال يحيى:{لَتُرْدِينِ} :" لتباعدني من الله، يقوله المؤمن لصاحبه"[٢].
عن السدي، قوله: "{إن كدت لتردين}، قال: لتهلكني"[٣].
وقال السدي:" يعني: تالله لقد كدت تغوين"[٤].
وفي قراءة عبد الله: «إن كدت لتغوين»"[٥].
قوله تعالى:{وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ} [الصافات : ٥٧]، أي:" ولولا فضل ربي بهدايتي إلى الإيمان وتثبيتي عليه، لكنت من المحضرين في العذاب معك"[٦].
قال الطبري:" يقول: ولولا أن الله أنعم علي بهدايته، والتوفيق للإيمان بالبعث بعد الموت، لكنت من المحضرين معك في عذاب الله"[٧].
قال ابن كثير:" أي : ولولا فضل الله علي لكنت مثلك في سواء الجحيم حيث أنت ، محضر معك في العذاب ، ولكنه تفضل عليّ ورحمني فهداني للإيمان ، وأرشدني إلى توحيده { وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } [الأعراف : ٤٣]"[٨].
قال الفراء:" {لكنت من المحضرين}، أي: معك في النار محضرا"[٩].
قال الزجاج:" أي: أحضر العذاب كما أحضرت"[١٠].
عن قتادة: "{لكنت من المحضرين}، أي: في عذاب الله"[١١].
عن السدي، قوله: "{لكنت من المحضرين}، قال: من المعذبين"[١٢].

القرآن
{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠)} [الصافات : ٥٨-٦٠]
التفسير:
أحقًا أننا مخلَّدون منعَّمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذَّبين بعد دخولنا الجنة؟ إنَّ ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفَر العظيم.

معد يكرب. والبيت من أبيات في آخرها يخاطب الشاعر بها ابنته التي تخشى عليه الموت بسبب طول أسفاره وكثرتها، فيرد عليها قائلا: أخفت علي الموت بسبب السفر؟ فانظري كم إنسان يموت ولا يبرح ديار أهله!.
(١) تفسير الطبري: ٢١/٥٠-٥١.
(٢) تفسير يحيى بن سلام: ٢/٨٣٢.
(٣) أخرجه الطبري: ٢١/٥٠.
(٤) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٢/٨٣٢.
(٥) معاني القرآن للفراء: ٢/٣٨٥.
(٦) التفسير الميسر: ٤٤٨.
(٧) تفسير الطبري: ٢١/٥١.
(٨) تفسير ابن كثير: ٧/١٦.
(٩) معاني القرآن: ٢/٣٨٥.
(١٠)معاني القرآن: ٤/٣٠٦ .
(١١) أخرجه الطبري: ٢١/٥١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢١/٥١.

قوله تعالى:{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)} [الصافات : ٥٨-٥٩]، أي:" أحقًا أننا مخلَّدون منعَّمون، فما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذَّبين بعد دخولنا الجنة؟"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورا منه بما أعطاه فيها: أفما نحن بميتين غير موتتنا الأولى في الدنيا، وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة"[٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩)} [الصافات : ٥٨-٥٩]، وجوه:

أحدها: أنه إذا ذبح الموت، قال أهل الجنة: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ (٥٨) إِلا مَوْتَتَنَا الأولَى} التي كانت في الدنيا {وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}، فيقال لهم: لا، فعند ذلك قالوا: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، فيقول الله تعالى: {لمثل هذا فليعمل العاملون}، قاله ابن السائب[٣].

قال ابن الجوزي:" وقيل: يقول ذلك للملائكة"[٤].

وروي عن عكرمة قال : "قال ابن عباس -رضي الله عنهما-، في قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة : {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الطور : ١٩] ، قال ابن عباس ، -رضي الله عنهما- : قوله : {هَنِيئًا}، أي : لا يموتون فيها. فعندها قالوا :{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}"[٥].

والثاني: أنه قول المؤمن لأصحابه، فقالوا له: إنك لا تموت، فقال: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، قاله مقاتل[٦].

وقال مقاتل:" ثم أقبل المؤمن على أصحابه فقال: {أفما نحن بميتين}، عرف المؤمن أن كل نعيم معه الموت فليس بتام، {إلا موتتنا الأولى} التي كانت في الدنيا، {وما نحن بمعذبين}"[٧].

وقال أبو سليمان الدمشقي: "إنما خاطب المؤمن أهل الجنة بهذا على طريق الفرح بدوام النعيم، لا على طريق الاستفهام، لأنه قد علم أنهم ليسوا بميتين، ولكن أعاد الكلام ليزداد بتكراره على سمعه سرورا"[٨].

والثالث: أنه قول المؤمن لقرينه الكافر على جهة التوبيخ بما كان ينكره، ذكره الثعلبي[٩]، وبه قال الصابوني[١٠].

وقال الصابوني:" أي: هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتةً واحدة، وأنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر، والتحدث بنعمة الله عليه"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٢) تفسير الطبري: ٥١/٢١.

(٣) انظر: زاد المسير: ٥٤٢/٣.

(٤) انظر: زاد المسير: ٥٤٢/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٩٢):ص٣٢١٥/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٨) انظر: زاد المسير: ٥٤٢/٣.

(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٤٥/٨.

(١٠) انظر: صفوة التفاسير: ٣١/٣.

قال ابن كثير:" قوله :{أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}، هذا من كلام المؤمن مغبطا نفسه بما أعطاه الله من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، لا موت فيها ولا عذاب"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [الصافات : ٦٠]، أي:" إنَّ ما نحن فيه من نعيم لهُوَ الظَّفَر العظيم"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن هذا الذي أعطاناه الله من الكرامة في الجنة، أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله، وإدراك ما كنا فيها، نؤمل بإيماننا، وطاعتنا ربنا"[٤].

وقال مقاتل: " فقيل له :إنك لا تموت فيها، فقال عند ذلك: إن هذا لهو الفوز العظيم"[٥].

عن قتادة، قوله :"{أفما نحن بميتين} إلى قوله: {الفوز العظيم}، قال: هذا قول أهل الجنة"[٦].

قال الحسن البصري: "علموا أن كل نعيم بعد الموت يقطعه، فقالوا: {أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ. إلا مَوْتَتَنَا الأولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ}، قيل: لا. قالوا: {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}"[٧].

قال السعدي:" فهل فوز يطلب فوقه؟ أم هو غاية الغايات، ونهاية النهايات، حيث حل عليهم رضا رب الأرض والسماوات، وفرحوا بقربه، وتنعموا بمعرفته واستروا برؤيته، وطربوا لكلامه؟"[٨].

القرآن

{لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (٦١)} [الصافات : ٦١]

التفسير:

لمثل هذا النعيم الكامل، والخلود الدائم، والفوز العظيم، فليعمل العاملون في الدنيا؛ ليصيروا إليه في الآخرة.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة، فليعمل في الدنيا لأنفسهم العاملون، ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم"[٩].

قال السمعاني:" أي: لمثل هذا المنزل، ولمثل هذا النعيم، فليعمل العاملون"[١٠].

قال البغوي:" أي: لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: {أولئك لهم رزق معلوم} إلى {فليعمل العاملون}"[١١].

قال الفراء:" وهذا من قول الله"[١].

---

(١) صفوة التفاسير: ٣١/٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٣) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٤) تفسير الطبري: ٥١/٢١.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٨/٣.

(٦) أخرجه الطبري: ٥١/٢١.

(٧) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٩٧):ص٣٢١٦/١٠، وانظر: تفسير ابن كثير: ١٦/٧.

(٨) تفسير السعدي: ٧٠٣.

(٩) تفسير الطبري: ٥٢/٢١.

(١٠) تفسير السمعاني: ٤٠٠/٤-٤٠١.

(١١) تفسير البغوي: ٤٢/٧.

قال القشيري:" يقال: بل الملائكة يقولون لهم هذا، ويقال: الحقّ- سبحانه- إذا أراهم مقامهم في الجنة يقول لهم: {لِمِثْلِ هذا فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُونَ}"(٢).
قال السعدي:" فهو أحق ما أنفقت فيه نفائس الأنفاس وأولى ما شمر إليه العارفون الأكياس، والحسرة كل الحسرة، أن يمضي على الحازم، وقت من أوقاته، وهو غير مشتغل بالعمل، الذي يقرب لهذه الدار، فكيف إذا كان يسير بخطاياه إلى دار البوار؟"(٣).
فوائد الآيات:[٥٠-٦١]:
١- بيان عظمة الله تعالى في إقدار المؤمن على أن يتكلم مع من هو في وسط الجحيم ويرى صورته ويتخاطب معه ويفهم بعضهم بعضا، والعرض التلفازي اليوم قد سهل إدراك هذه الحقيقة.
٢- التحذير من قرناء السوء كالشباب الملحد وغيره.
٣- بيان كيف كان المكذبون يسخرون من المؤمنين ويعدونهم متخلفين عقلياً.
٤- لا موت في الآخرة، وإنما حياة أبدية في النعيم أو في الجحيم.
٥- الحث على كثرة الأعمال الصالحة، والبعد عن الأعمال الفاسدة.
القرآن
{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢)} [الصافات : ٦٢]
التفسير:
أذلك الذي سبق وصفه مِن نعيم الجنة خير ضيافة وعطاء من الله، أم شجرة الزقوم الخبيثة الملعونة، طعام أهل النار؟
سبب النزول الآيتان[٦٢-٦٣]:
قال السدي:" قال أبو جهل لما نزلت: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ} [الدخان : ٤٣]، قال: تعرفونها في كلام العرب: أنا آتيكم بها، فدعا جارية، فقال: ائتيني بتمر وزبد، فقال: دونكم تزقموا، فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد، فأنزل الله تفسيرها: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ (٦٢) إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصافات : ٦٢ - ٦٣]، قال: لأبي جهل وأصحابه"(٤).
قال الطبري: يقول:" أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة، ورزقتهم فيها من النعيم خير، أو ما أعددت لأهل النار من الزقوم"(٥).
قال يحيى:" أي: إنه خير نزلا من شجرة الزقوم"(٦).
قال ابن كثير:" يقول الله تعالى : أهذا الذي ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ - خير ضيافة وعطاء { أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ } ؟ أي : التي في جهنم، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة ، كما قال بعضهم من أنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار في الجنة إلا وفيها منها غصن، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر ، يقال له : الزقوم ، كقوله تعالى : { وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلآكِلِينَ } [المؤمنون : ٢٠] ، يعني الزيتونة.

---

(١) معاني القرآن: ٣٨٥/٢.
(٢) لطائف الإشارات: ٢٣٤/٣.
(٣) تفسير السعدي: ٧٠٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.
(٥) تفسير الطبري: ٥٢/٢١.
(٦) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٣/٢.

ويؤيد ذلك قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ. لآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ } [الواقعة : ٥١ ، ٥٢]"[١].

قال البيضاوي:"{ شجرة الزقوم} شجرة ثمرها نزل أهل النار، وانتصاب {نزلا} على التمييز أو الحال، وفي ذكره دلالة على أن ما ذكر من النعيم لأهل الجنة بمنزلة ما يقام للنازل ولهم وراء ذلك ما تقصر عنه الأفهام، وكذلك الزقوم لأهل النار، وهو: اسم شجرة صغيرة الورق دفر مرة تكون بتهامة سميت به الشجرة الموصوفة"[٢].

قال يحيى: "بلغني أنها في الباب السادس وأنها تحيا بلهب النار كما يحيا شجركم ببرد الماء، قال: فلا بد لأهل النار من أن ينحدروا إليها، يعني: من كان فوقها، فيأكلون منها"[٣].

القرآن

{إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ (٦٣)} [الصافات : ٦٣]

التفسير:

إنا جعلناها فتنة افتتن بها الظالمون لأنفسهم بالكفر والمعاصي، وقالوا مستنكرين: إن صاحبكم ينبئكم أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر.

قال الطبري: " ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون: كيف ينبت الشجر في النار، والنار تحرق الشجر؟ فقال الله: {إنا جعلناها فتنة للظالمين}، يعني: لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا"[٤].

قال ابن قتيبة:{فتنة للظالمين}، "أي: عذابا"[٥].

قال البيضاوي:" محنة وعذابا لهم في الآخرة، أو ابتلاء في الدنيا فإنهم لما سمعوا أنها في النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر، ولم يعلموا أن من قدر على خلق حيوان يعيش في النار ويلتذ بها فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق"[٦].

قال ابن كثير:" معنى الآية : إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا تختبر به الناس ، من يصدق منهم ممن يكذب ، كقوله تعالى : { وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا طُغْيَانًا كَبِيرًا } [الإسراء : ٦٠]. وقوله : { إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ } أي : أصل منبتها في قرار النار ، { طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ } تبشيع لها وتكريه لذكرها"[٧].

قال يحيى:" {للظالمين}: للمشركين"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{إنا جعلناها فتنة للظالمين}، قال: قول أبي جهل: إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه"[٩].

قال مقاتل:" {إنا جعلناها}، يعني: الزقوم، {فتنة للظالمين}، يعنى: لمشركي مكة منهم عبد الله ابن الزبعري، وأبو جهل بن هشام، والملأ من قريش الذين مشوا إلى أبي طالب، وذلك

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٨/٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ١١/٥.

(٣)تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.

(٤) تفسير الطبري: ٥٢/٢١.

(٥) غريب القرآن: ٣٧٢.

(٦) تفسير البيضاوي: ١١/٥.

(٧) تفسير ابن كثير: ١٩/٧.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٣/٢.

(٩) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

أن ابن الزبعري قال: إن الزقوم بكلام اليمن التمر والزبد. فقال أبو جهل: يا جارية، ابغنا تمرا وزبدا، ثم قال لأصحابه: تزقموا من هذا الذي يخوفنا به محمد. يزعم أن النار تنبت الشجر والنار تحرق الشجر، فكان الزقوم فتنة لهم"(١).

القرآن

{إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (٦٤) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (٦٥) فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٦٦) ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ (٦٧) ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ (٦٨)} [الصافات : ٦٤-٦٨]

التفسير:

إنها شجرة تنبت في قعر جهنم، ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين، فإذا كانت كذلك فلا تَسْألْ بعد هذا عن طعمها، فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة فمالئون منها بطونهم. ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شرابًا خليطًا قبيحًا حارًّا، ثم إن مردَّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار.

سبب نزول الآيات:[٦٤-٦٨]:

قال قتادة:" لما نزلت هذه الآية[{إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ}] دعا أبو جهل بتمر وزبد فقال: تزقموا فما نعلم الزقوم إلا هذا، فأنزل الله: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات: ٦٤] إلى قوله: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ {٦٧} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لإِلَى الْجَحِيمِ {٦٨} } [الصافات: ٦٧-٦٨] "(٢).

وفي رواية قال قتادة:" لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة، فقالوا: ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجر، فأنزل الله ما تسمعون: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٤]، غذيت بالنار ومنها خلقت"(٣).

قال يحيى بن سلام: "أخبرني صاحب لي عن السدي قال: لما نزلت: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ} [الصافات: ٦٢]، قالوا: ما نعرف هذه الشجرة، فقال عبد الله بن الزبعرى: لكني والله أعرفها، هي شجرة تكون بإفريقية، فلما نزل: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ {٦٤} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ {٦٥}} [الصافات: ٦٤-٦٥]، قالوا ما يشبه هذه التي يصف محمد ما قال ابن الزبعرى"(٤).

قوله تعالى: {إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٤]، أي:" إنها شجرة تنبت في قعر جهنم"(٥).

قال القرطبي:" أي: قعر النار ومنها منشؤها ثم هي متفرعة في جهنم"(٦).

قال السعدي:" فهذا مخرجها، ومعدنها أشر المعادن وأسوؤها، وشر المغرس، يدل على شر الغراس وخسته، ولهذا نبهنا الله على شرها بما ذكر أين تنبت به، وبما ذكر من صفة ثمرتها"(٧).

قوله تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات : ٦٥] ، أي:" ثمرها قبيح المنظر كأنه رؤوس الشياطين"(١).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٩/٣.

(٢) رواه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٣) اخرجه الطبري: ٥٢/٢١.

(٤) تفسير يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٣/٢.

(٥) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٦) تفسير القرطبي: ٨٦/١٥.

(٧) تفسير السعدي: ٧٠٤.

قال الطبري: يقول:" كأن طلع هذه الشجرة، يعني شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رءوس الشياطين في قبحها"[٢].

قال السعدي:" فلا تسأل بعد هذا عن طعمها، وما تفعل في أجوافهم وبطونهم، وليس لهم عنها مندوحة ولا معدل"[٣].

قال الماوردي:" يعني: بالطلع الثمر"[٤].

قال ابن قتيبة:" {طلعها}، أي: حملها. سمي طلعا لطلوعه في كل سنة"[٥].

قال ابن الجوزي:" {طلعها}، أي: ثمرها، وسمي طلعا، لطلوعة كأنه رؤس الشياطين"[٦].

قال البيضاوي:" {طلعها}: حملها مستعار من طلع التمر لمشاركته إياه في الشكل، أو الطلوع من الشجر. كأنه رؤس الشياطين في تناهي القبح والهول، وهو تشبيه بالمتخيل كتشبيه الفائق الحسن بالملك"[٧].

قال يحيى:" أي: ثمرتها، {كأنه رءوس الشياطين}، يقبحها بذلك"[٨].

قال ابن فورك:" قيل: لشجرة الزقوم ثمرة مرة خشنة منتنة الرائحة"[٩].

عن قتادة، قوله: "{طلعها كأنه رءوس الشياطين}، قال: شبهه بذلك"[١٠].

عن وهب بن منبه، قوله:" {طلعها كأنه رؤس الشياطين}، قال: شعور الشياطين، قائمة إلى السماء"[١١].

وفي وجه تشبيه شجرة الزقوم برؤوس الشياطين، أقوال[١٢]:

أحدها : أنه أراد الشياطين بأعيانها موصوفة بالقبح وإن كانت لا تُرى، والشيء إذا استقبح شبه بالشياطين، فيقال: كأنه شيطان، والشيطان لا يُرى ولكنه يُستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو رُئي لرُئِي في أقبح صوره،، قال امرؤ القيس[١٣]:

ايقتُلني والمشرفيّ مضاجعي ... ومسنونةٍ زُرقٍ كأنياب أغوال

---

(١) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٢) تفسير الطبري: ٥٣/٢١.

(٣) تفسير السعدي: ٧٠٤.

(٤) النكت والعيون: ٥١/٥.

(٥) غريب القرآن: ٣٧٢.

(٦) زاد المسير: ٥٤٣/٣.

(٧) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.

(٨) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.

(٩) تفسير ابن فورك: ٢٢٧/٢.

(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣/٢١.

(١١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨١٩٩):ص٣٢١٦/١٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢١-٥٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٣٠٦/٤، والنكت والعيون: ٥١/٥-٥٢، وزاد المسير: ٥٤٣/٣، وتفسير ابن كثير: ١٩/٧ .

(١٣)"ديوان امرئ القيس": ص ١٢٥، "تهذيب اللغة" (غال) ٨/ ١٩٣، "المخصص" ٨/ ١١، "اللسان" (غول) ٦/ ٣٣١٨، "البحر المحيط" ٢/ ٣٠٤.

المشرفي: السيف، (مسنونة زرق): سهام محددة الأزجه صافية، شبهها بأنياب الأغوال، تشنيعا ومبالغة في الوصف، والأغوال: الشياطين، وقيل: الحيات.

فشببها بأنياب الأغوال وإن لم يرها الناس.

قال الزجاج:" ولم ير الغول قط ولا أنيابها ولكن التمثيل بما يستقبح أبلغ في باب المذكر، يمثل بالشيطان وفي باب ما يستقبح في المؤنث يشبه بالغول"[١].

قال النحاس:" المقصود هو ما وقع عليه التعارف من المعاني فإذا قيل فلان شيطان فقد علم أن المعنى فلان قبيح خبيث ومنه قولهم تشيطن إذا تخبث"[٢].

قال ابن ابي زمنين:" الشيء إذا استقبح يقال: كأنه وجه شيطان، وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يرى، ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء لو نظر إليه"[٣].

الثاني : أنه أراد رأس حية تسمى عندالعرب شيطاناً وهي قبيحة الرأس، وبها يضرب المثل في القبح، فشبه طلعها برءوس الحيات. ذكره الفراء[٤]، والزجاج[٥].

قال الفراء:" العرب تسمي بعض الحيات شيطانا، وهو حية ذو عرف، ، كما قال الشاعر وهو يذم امرأة له[٦]:

عنجرد تحلف حين أحلف ... كمثل شيطان الحماط أعرف"[٧].

قال الواحدي:" عنجرد: سليطة وثَّابة، والحماط: شجر، وأعرف: ذو عرف. والعرب تقول إذا رأت منظرًا قبيحًا كأنه شيطان الحماطة"[٨].

الثالث : أنه أراد شجراً يكون بين مكة واليمن يسمى: «رؤوس الشياطين»، قاله مقاتل[٩]، وابن السائب[١٠] .

قال النحاس:" وقد قيل: هو نبت باليمن قبيح المنظر شبهت به يقال له: الأستن والشيطان، وليس ذلك بمعروف عند العرب"[١١].

قال الفراء:" والأوجه الثلاثة يذهب إلى معنى واحد في القبح"[١٢].

قال ابن كثير:" وإنما شبهها برءوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين ؛ لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر. وقيل : المراد بذلك ضرب من الحيات ، رءوسها بشعة المنظر، وقيل : جنس من النبات ، طلعه في غاية الفحاشة.

---

(١) معاني القرآن: ٣٠٦/٤-٣٠٧.

(٢) معاني القرآن: ٣٤/٦.

(٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٦٢/٤.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٣٨٧/٢.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٣٠٦/٤.

(٦)البيت من الرجز، ولم أقف على قائله، وقد ذكره غير منسوب الفراء في "معاني القرآن" ٢/ ٣٨٧، الطبري في "تفسيره" ٢٣/ ٦٤، ابن عطية في "المحرر الوجيز" ٤/ ٤٧٦، السمين الحلبي في "الدر" ٥/ ٥٠٥، والأزهري في "التهذيب" ٣/ ٣٧٠ - ٤/ ٤٠٢ - ١١/ ٣١٣، والزاهر ١/ ١٧٠، والثعلبي في الكشف ووالبيان: ٨/ ١٤٦، وابن منظور في "اللسان" ٣/ ٣١١.

والعنجرد: المرأة السيئة الخلق.

(٧) معاني القرآن: ٢٨٧/٢.

(٨) التفسير البسيط: ٦٣/١٩.

(٩) انظر: النكت والعيون: ٥٢/٥.

(١٠) انظر: زاد المسير: ٥٤٣/٣.

(١١) معاني القرآن: ٣٤/٦.

(١٢) معاني القرآن: ٢٨٧/٢.

وفي هذين الاحتمالين نظر، وقد ذكرهما ابن جرير[1]، والأول أقوى وأولى ، والله أعلم"[2].

قال ابن فورك:" قيل: قد دل الله أنه سوء خلق الشياطين في النار حتى لو رآهم راء من العباد لاستوحش غاية؛ فلذلك شبه برءوسهم"[3].

قال القشيري:" ذكر صفة هوان الأعداء، وما هم به من صفة المذلة والعذاب في النار من أكل الضريع، ومن شراب الزقوم التي هي في قبح صورة الشياطين"[4].

في قراءة عبد الله:«إنها شجرة نابتة في أصل الجحيم»[5].

قوله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ} [الصافات : ٦٦] ، أي:" فإن المشركين لآكلون من تلك الشجرة، فمالئون منها بطونهم"[6].

قال الطبري: يقول:" فإن هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة، لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم، فمالئون من زقومها بطونهم"[7].

قال البيضاوي:" {لآكلون منها}، من الشجرة أو من طلعها. {فمالؤن منها البطون}، لغلبة الجوع أو الجبر على أكلها"[8].

قال ابن كثير:" ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التي لا أبشع منها ، ولا أقبح من منظرها ، مع ما هي عليه من سوء الطعم والريح والطبع ، فإنهم ليضطرون إلى الأكل منها ، لأنهم لا يجدون إلا إياها ، وما في معناها ، كما قال تعالى : {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ. لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ } [الغاشية : ٦ ، ٧]"[9].

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية ، وقال : "اتقوا الله حق تقاته ، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا ، لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟"[10].

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ} [الصافات : ٦٧] ، أي:" ثم إنهم بعد الأكل منها لشاربون شرابًا خليطًا قبيحًا حارًّا"[11].

قال الطبري: يقول:" ثم إن لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبا، وهو الخلط من الماء المحموم"[12].

قال ابن قتيبة:" أي: خلطا من الماء الحار يشربونه عليها"[13].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٥٣-٥٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٧/١٩.

(٣) تفسير ابن فورك: ٢/٢٢٧.

(٤) لطائف الإشارات: ٣/٢٣٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٥٣.

(٦) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٧) تفسير الطبري: ٢١/٥٤.

(٨) تفسير البيضاوي: ٥/١٢.

(٩) تفسير ابن كثير: ٧/١٩.

(١٠) رواه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٧/٢٠، ورواه الترمذي برقم (٢٥٨٥) والنسائي في الكبرى برقم (١١٠٧٠)، وابن ماجه في السنن برقم (٤٣٢٥).

(١١) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(١٢) تفسير الطبري: ٢١/٥٥.

(١٣) غريب القرآن: ٣٧٢.

قال البيضاوي:" {ثم إن لهم عليها}، أي: بعد ما شبعوا منها وغلبهم العطش وطال استسقاؤهم، ويجوز أن يكون: {ثم} لما في شرابهم من مزيد الكراهة والبشاعة. {لشوبا من حميم}: لشرابا من غساق، أو صديد مشوبا بماء حميم يقطع أمعاءهم"[1].

قال الماوردي:" يعني: لمزاجاً من حميم، و«الحميم»: الحار الداني من الإحراق، قال الشاعر[2]:

كأن الحميم على متنها .... إذا اغترفته بأطساسها
جُمان يجول على فضة ... عَلَتْه حدائد دوّاسها

ومنه سمي: القريب حميماً، لقربه من القلب ، وسمي المحموم لقرب حرارته من الإحراق، قال الشاعر[3]:

أحم الله ذلك من لقاءٍ ... آحاد آحاد في الشهر الحلال

أي: أدناه فيمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم وحرارة الحميم تغليظاً لعذابهم وتشديداً لبلاتهم"[4].

قال السدي:" الشوب: الخلط، وهو المزج"[5].

عن قتادة، قوله: "{ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم}، قال: مزاجا من حميم"[6].

عن ابن عباس، قوله: "{ثم إن لهم عليها لشوبا من حميم}، يقول: لمزجا"[7].

قال ابن عباس:" يعني: شرب الحميم على الزقوم"[8].

قال يحيى:" {حميم} : وهو الماء الحار فيقطع أمعاءهم، كقوله: {وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا} [مُحَمَّد: ١٥]: حارا، {فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ} [مُحَمَّد: ١٥]، والحميم: الحار الذي لا يستطاع من حره"[9].

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول: «يقرب يعني إلى أهل النار- ماء فيتكرهه، فإذا أدنى منه شوى وجهه، ووقعت فروة رأسه فيه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره»[10].

قال ابن زيد:" حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم، وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم"[1].

---

(١) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.

(٢) الشعر بدون نسبة في النكت والعيون: ١٤/٤، والتشبيهات لابن ابي العون:٢١، **تصحيح الفصيح وشرحه وشرحه** لابن **دُرُسْتَوَيْه**: ٤٧٦، وسر الفصاحة: ٢١٧، وبرواية:

كأنَّ الحميم على متنها ... إذا اغترفتهُ باطاسها
جمانٌ يجولُ على فضةٍ ... جلتهُ حدائدُ دواسها

(٣) الشعر بدون نسبة في النكت والعيون: ١٤/٤.

(٤) النكت والعيون: ٥٢/٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١.

(٨) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١.

(٩) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.

(١٠) اخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٠٠):ص١٠/٣٢١٧.

قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ} [الصافات : ٦٨] ، أي:" ثم إن مردَّهم بعد هذا العذاب إلى عذاب النار"[٢].

قال الطبري: يقول:" ثم إن مآبهم ومصيرهم لإلى الجحيم"[٣].

قال البيضاوي:أي:" إلى دركاتها أو إلى نفسها، فإن الزقوم والحميم نزل يقدم إليهم قبل دخولهم، وقيل الحميم خارج عنها لقوله تعالى: هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن يوردون إليه كما تورد الإبل إلى الماء ثم يردون إلى الجحيم، ويؤيده أنه قرئ «ثم إن منقلبهم»"[٤].

قال ابن كثير:" أي : ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج ، وجحيم تتوقد ، وسعير تتوهج ، فتارة في هذا وتارة في هذا ، كما قال تعالى : { يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ } [الرحمن : ٤٤]. هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية ، وهو تفسير حسن قوي"[٥].

قال قتادة:" فهم في عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤] "[٦].

وقال مقاتل:" {ثم إن مرجعهم}، بعد الزقوم وشرب الحميم {لإلى الجحي}، وذلك قوله-عز وجل-: {يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} [الرحمن : ٤٤]"[٧].

قال القرطبي:" قيل: إن هذا يدل على أنهم كانوا حين أكلوا الزقوم في عذاب غير النار ثم يردون إليها"[٨].

قال سعيد بن جبير:" إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم، فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم، فلو إن مارا يمر بهم يعرفهم لعرف وجوههم فيها، ثم يصب عليهم العطش، فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل. - وهو الذي قد انتهى حره- فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت، عنها الجلود، ويصهر ما في بطونهم، فيمشون تسيل أمعاؤهم، وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد، فيسقط كل عضو على حياله، يدعون بالثبور"[٩].

قال السدي:" في قراءة عبد الله:«ثم إن منقلبهم لإلى الجحيم»[١٠]، وكان عبد الله يقول: والذي نفسي بيده، لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يَقِيلَ أهلُ الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، ثم قال: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا}"[١١].

عن أبي عبيدة، قال: "قال عبد الله بن مسعود: لا ينتصف النهار حتى يقيل أهل الجنة وأهل النار ثم قرأ: {أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلا}، ثم قرأ: {إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيم} [الصافات : ٦٨]"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٥/٢١.

(٢) التفسير الميسر: ٤٤٨.

(٣) تفسير الطبري: ٢١/٥٥-٥٦.

(٤) تفسير البيضاوي: ١٢/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢١/٧.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٦/٢١.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٩/٣.

(٨) تفسير القرطبي: ٨٨/١٥.

(٩)أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٠٢):ص٣٢١٧/١٠ .

(١٠) وفي تفسير ابن كثير: ٢١/٧، بلفظ: «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم».

(١١) أخرجه الطبري: ٥٦/٢١.

وقال االزخشري:" فإن قلت: ما معنى حرف التراخي في قوله: {ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْها لَشَوْباً}، وفي قوله: {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ}،
قلت: في الأوّل وجهان:
أحدهما: أنهم يملئون البطون من شجر الزقوم، وهو حارّ يحرق بطونهم ويعطشهم، فلا يسقون إلا بعد ملىّ تعذيبا بذلك العطش، ثم يسقون ما هو احرّ وهو الشراب المشوب بالحميم.
والثاني: أنه ذكر الطعام بتلك الكراهة والبشاعة، ثم ذكر الشراب بما هو أكره وأبشع، فجاء بثم للدلالة على تراخى حال الشراب عن حال الطعام ومباينة صفته لصفته في الزيادة عليه.
ومعنى الثاني: أنهم يذهب بهم عن مقارّهم ومنازلهم في الجحيم، وهي الدركات التي أسكنوها إلى شجرة الزقوم، فيأكلون إلى أن يتملئوا، ويسقون بعد ذلك، ثم يرجعون إلى دركاتهم، ومعنى التراخي في ذلك بين"[٢].

القرآن
{إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ (٧٠)} [الصافات : ٦٩-٧٠]
التفسير:
إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال، فسارعوا إلى متابعتهم على ذلك.
قوله تعالى:{إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ} [الصافات : ٦٩]، أي:" إنهم وجدوا آباءهم على الشرك والضلال"[٣].
قال الطبري:" يقول: إن هؤلاء المشركين الذين إذا قيل لهم: قولوا لا إله إلا الله يستكبرون، وجدوا آباءهم ضلالا عن قصد السبيل، غير سالكين مَحَجَّة الحق"[٤].
قال ابن كثير:" أي : إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك ، من غير دليل ولا برهان"[٥].
عن أنس، قوله:"{ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ}، قال: وجدوا آباءهم"[٦].
قال يحيى:" {إِنَّهُمْ أَلْفَوْا} وجدوا، أدركوا"[٧].
قال مقاتل:" يقول: يسعون في مثل أعمال آبائهم"[٨].
قال القرطبي:" أي: صادفوهم كذلك فاقتدوا بهم"[٩].
عن مجاهد، قوله:" {إنهم ألفوا آباءهم ضالين}، قال جاهلين"[١٠].

---

(١) تفسير سفيان الثوري(٧٣٣: ٣: ١):ص٢٢٦. وفي تفسير ابن كثير:٢١/٧، بلفظ: «ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم». وقال ابن كثير:" على هذا التفسير تكون "ثم" عاطفة لخبر على خبر".
(٢) الكشاف: ٤٧/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٤٤٨.
(٤) تفسير الطبري: ٥٦/٢١.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢١/٧.
(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٠٣):ص٣٢١٧/١٠.
(٧) تفسير يحيى بن سلام: ٨٣٤/٢.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٠٩/٣.
(٩) تفسير القرطبي: ٨٨/١٥.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٠٤):ص٣٢١٧/١٠.

قال الزمخشري:" علل استحقاقهم للوقوع في تلك الشدائد كلها بتقليد الآباء في الدين، واتباعهم إياهم على الضلال، وترك اتباع الدليل. و«الإهراع»: الإسراع الشديد، كأنهم يحثون حثا"[١].

قال البيضاوي:" الإهراع: الإسراع الشديد كأنهم يزعجون على الإسراع على آثارهم، وفيه إشعار بأنهم بادروا إلى ذلك من غير توقف على نظر وبحث"[٢].

قوله تعالى:{فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ} [الصافات : ٧٠]، أي:" فهم يُسرعون في اتباع خطاهم من غير دليل ولا برهان"[٣].

قال الطبري:" يقول: فهؤلاء يُسْرع بهم في طريقهم، ليقتفوا آثارهم وسنتهم؛ يقال منه: أهرع فلان: إذا سار سيرا حثيثا فيه شبه بالرعدة"[٤].

قال ابن قتيبة:" أي: يسرعون، و«الإهراع»: الإسراع، وفيه شبيه بالرعدة"[٥].

عن السديّ، قوله: "{يُهْرَعُونَ}، قال: يُسْرِعون"[٦].

قال ابن زيد:" يستعجلون إليه"[٧].

عن مجاهد:" {فهم على آثارهم يهرعون}، قال: كهيئة الهرولة"[٨].

عن قتادة :"{فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ}، أي: يُسرعون إسراعا في ذلك"[٩].

قال أبو عبيدة:" يستحثون من خلفهم ويعطف أوائلهم"[١٠].

قال الكلبي: "يعملون مثل أعمالهم"[١١].

القرآن

{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ (٧١)} [الصافات : ٧١]

التفسير:

ولقد ضلَّ عن الحق قبل قومك -أيها الرسول- أكثر الأمم السابقة.

قال الطبري: يقول:" ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومَحجة الحق قبل مشركي قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم"[١٢].

قال يحيى:" {ولقد ضل قبلهم}: قبل مشركي العرب. {أكثر الأولين}، كقوله: {كان أكثرهم مشركين} [الروم: ٤٢] "[١٣].

قال الزمخشري:"{وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُم}، قبل قومك قريش"[١].

---

(١) الكشاف: ٤/٤٧.

(٢) تفسير البيضاوي: ٥/١٢.

(٣) صفوة التفاسير: ٣/٣٣.

(٤) تفسير الطبري: ٢١/٥٦.

(٥) غريب القرآن: ٣٧٢.

(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٥٧.

(٧) أخرجه الطبري: ٢١/٥٧.

(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٨٢٠٤):ص١٠/٣٢١٧.

(٩) أخرجه الطبري: ٢١/٥٧.

(١٠) مجاز القرىن: ٢/١٧١.

(١١) حكاه عنه البغوي في التفسير: ٧/٤٣.

(١٢) تفسير الطبري: ٢١/٥٧.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام : ٢/٨٣٤.

قال السدي:" يعني: غوي قبلهم أكثر الأولين فكفروا"[٢].
قال ابن كثير:" يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى"[٣].

القرآن
{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ (٧٢)} [الصافات : ٧٢]
التفسير:
ولقد أرسلنا في تلك الأمم مرسلين أنذروهم بالعذاب فكفروا.
قال الطبري: "يقول: ولقد أرسلنا في الأمم التي خلت من قبل أمتك، ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا، فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم، فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا"[٤].
قال مقاتل:" رسلا ينذرونهم العذاب"[٥].
قال يحيى:" في الذين قبلهم. {منذرين}، يعني: الرسل، أي: فكذبوهم"[٦].
قال الزمخشري:". {مُنْذِرِينَ} أنبياء حذروهم العواقب"[٧].
قال الشوكاني:" أي: أرسلنا في هؤلاء الأولين رسلا أنذروهم العذاب وبينوا لهم الحق فلم ينجع ذلك فيهم"[٨].
قال ابن كثير:" ذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ، ينذرون بأس الله، ويحذرونهم سطوته ونقمته ، ممن كفر به وعبد غيره"[٩].
قال الالوسي:أي:" أنبياء أنذروهم سوء عاقبة ما هم عليه من الباطل، وتكرير القسم لإبراز كمال الاعتناء بتحقيق مضمون كل من الجملتين"[١٠].

القرآن
{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣)} [الصافات : ٧٣]
التفسير:
فتأمَّل كيف كانت نهاية تلك الأمم التي أنذرت، فكفرت؟ فقد عُذِّبت، وصارت للناس عبرة.
قال الطبري: "يقول: فتأمل وتبين كيف كان غِبُّ أمر الذين أنذرتهم أنبياؤنا، وإلام صار أمرهم، وما الذي أعقبهم كفرهم بالله، ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة؟"[١١].

---

(١) الكشاف: ٤٧/٤.
(٢) حكاه عنه يحيى بن سلام في التفسير: ٨٣٤/٢.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.
(٤) تفسير الطبري: ٥٧/٢١.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.
(٦) تفسير يحيى بن سلام : ٨٣٥/٢.
(٧) الكشاف: ٤٧/٤.
(٨) فتح القدير: ٤٥٧/٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.
(١٠) روح المعاني: ٩٤/١٢.
(١١) تفسير الطبري: ٥٧/٢١.

قال الالوسي:أي:" من الهول والفظاعة لما لم يلتفتوا إلى الإنذار ولم يرفعوا إليه رأسا، والخطاب إما لسيد المخاطبين صلّى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه مشاهدة آثارهم، وحيث كان المعنى أنهم أهلكوا إهلاكا فظيعا"[1].

قال الزمخشري:"{الْمُنْذَرِينَ}، الذين أنذروا وحذروا، أى أهلكوا جميعا"[2].

قال الشوكاني:" أي: الذين أنذرتهم الرسل فإنهم صاروا إلى النار. قال مقاتل: يقول كان عاقبتهم العذاب، يحذر كفار مكة"[3].

قال مقاتل:" فكذبوا الرسل فعذبهم الله- عز وجل- في الدنيا، يحذر كفار مكة لئلا يكذبوا محمدا- ﷺ- فينزل بهم العذاب في الدنيا"[4].

قال الحسن:" كيف عذب الله قوم نوح، وقوم لوط، وقوم صالح، والأمم التي عذب الله"[5].

قال يحيى:" كان عاقبتهم أن دمر الله عليهم ثم صيرهم إلى النار"[6].

قال ابن كثير:"أي: تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم. فأهلك المكذبين ودمرهم"[7].

القرآن

{إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ (٧٤)} [الصافات : ٧٤]

التفسير:

إلا عباد الله الذين أخلصهم الله، وخصَّهم برحمته لإخلاصهم له.

قال الطبري:" يقول تعالى: فانظر كيف كان عاقبة المنذَرين، إلا عباد الله الذين أخلصناهم للإيمان بالله وبرسله"[8].

قال ابن كثير:" ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم"[9].

قال البغوي: أي:" الموحدين نجوا من العذاب"[10].

قال القرطبي:" أي: الذين استخلصهم الله من الكفر"[11].

قال مقاتل:" ثم استثنى فقال- جل وعز-: {إلا عباد الله المخلصين}: الموحدين، فإنهم نجوا من العذاب بالتوحيد"[12].

قال يحيى:" استثنى من آمن وصدق الرسل"[13].

---

(١) روح المعاني: ٩٤/١٢.

(٢) الكشاف: ٤٧/٤.

(٣) فتح القدير: ٤٥٧/٤.

(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٢٠٥):ص٣٢١٨/١٠.

(٦) تفسير يحيى بن سلام : ٨٣٥/٢.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.

(٨) تفسير الطبري: ٥٨/٢١.

(٩) تفسير ابن كثير: ٢٢/٧.

(١٠) تفسير البغوي: ٤٣/٧.

(١١) تفسير القرطبي: ٨٨/١٥.

(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦١٠/٣.

(١٣) تفسير يحيى بن سلام : ٨٣٥/٢.

قال الزمخشري:أي:" الذين آمنوا منهم وأخلصوا دينهم لله، أو أخلصهم الله لدينه على القراءتين"[1].
قال البيضاوي:أي:" إلا الذين تنبهوا بإنذارهم فأخلصوا دينهم لله، والمقصود خطاب قومه فإنهم أيضا سمعوا أخبارهم ورأوا آثارهم"[2].
قال الشوكاني:" أي: إلا من أخلصهم الله بتوفيقهم إلى الإيمان والتوحيد، وقرئ «المخلصين»، بكسر اللام، أي: الذين أخلصوا لله طاعاتهم ولم يشوبوها بشيء مما يغيرها"[3].
قال السعدي:" أي: الذين أخلصهم الله، وخصهم برحمته لإخلاصهم، فإن عواقبهم صارت حميدة"[4].
قال الالوسي:" أي: الذين أخلصهم الله تعالى بتوفيقهم للإيمان والعمل بموجوب الإنذار"[5].
عن السديّ، قوله: "{إلا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ}، قال: الذين استخلصهم الله"[6].
قال القاسمي:" فإنه تعالى نصرهم وجعل العاقبة لهم"[7].
قال أبو العالية:" أسس الدين على الإخلاص لله وحده لا شريك له"[8].
فوائد الآيات:[٦٢-٧٤]:
١- بيان أحسن الأساليب في الدعوة وهو الترهيب والترغيب.
٢- تقرير البعث والجزاء بأسلوب العرض للأحداث التي تتم في القيامة.
٣- التنديد بالاتباع في الضلال للآباء والأجداد وأهل البلاد.
٤- إهلاك الله تعالى للظالمين وإنجاؤه للمؤمنين عند الأخذ بالذنوب في الدنيا والآخرة.
٥-ان الإخلاص بالنسبة للأعمال - كالروح للجسد، فالفرق بين عمل بإخلاص وعمل لا إخلاص، فيه كالفرق بين البشر السوي والتمثال الشاخص، وعلى قدر ما يحقق العبد في الإخلاص لربه يكون ترقية في «المخلصين»، الذين صرف الله عنهم غواية الشيطان واثني عليهم في كل أمة، وبين نجاتهم حين هلاك أممهم.
قال تعالى حكاية عن إبليس: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}[ص: ٨٣}، وقال في هذه السورة تعقيبا على إهلاك الأمم عامة: {فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ (٧٣) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [لصافات: ٧٣-٧٤]، وعن قوم إلياس خاصة، قال فيها: {فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ(١٢٧) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ} [الصافات : ١٢٧-١٢٨].
وكرر ذلك في مواضع من هذه السورة وغيرها، كقوله عن يوسف لما عصمه من الفاحشة: {كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ} [يوسف: ٢٤]، ولهذا كثر الحديث عن الصدق والإخلاص في كتاب الله، وجاء الحديث عن الصدق في السور التي تعرضت للنفاق وأهله، كسورة براءة والأحزاب والمنافقون ومحمد والحجرات والحشر[9].

---

(١) الكشاف: ٤/٤٧.
(٢) تفسير البيضاوي: ٥/١٢.
(٣) فتح القدير: ٤/٤٥٧.
(٤) تفسير السعدي: ٧٠٤.
(٥) روح المعاني: ١٢/٩٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١/٥٨.
(٧) محاسن التأويل: ٨/٢١٣.
(٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٦٢١):ص٧/٢١٤٦.
(٩) انظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، **سفر بن عبد الرحمن الحوالي: ٤١٢.**

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء التاسع والعشرون من التفسير، ويليه الجزء الثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٧٥) من سورة «الصافات».